سلسلة
تاريخ طرابلس الحضاري
«٢»

بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ وآثار
مساجد ومدارس طرابلس
في عصر المماليك

726.2
T121tA

تاريخ وآثار

مساجد ومدارس طرابلس في عصر المماليك

« من الفتح المنصوري حتى الآن »
(٦٨٨ – ١٣٩٤ هـ / ١٢٨٩ – ١٩٧٤ م)

دراسة تاريخية لمساجد ومدارس طرابلس التي شادها المماليك
تأسيسها ، تسميتها ، وصفها ، هندستها ، نقوشها ، بناتها ، علماؤها

تأليف
عمر عبد السلام تدمري
ماجستير في التاريخ والحضارة

طبع في :
دار البلاد
للطباعة والإعلام في الشمال
طرابلس – البولفار – بناية الاوقاف
تلفون ٦٣١١٦٤/٦٢٥٥٥٦

93

الطبعة الاولى
١٣٩٤ هـ
١٩٧٤ م

جميع حقوق الطبع والنشر والتوزيع
محفوظة للمؤلف

تقديم الكتاب

بقلم

سماحة الشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس

منذ أربعين عاماً قلتُ لصديقي الشيخ العالم الأديب الصالح صاحب مجلة (البيان) الطرابلسية تغمّده الله برضوانه - وكنا نجتمع في العِلِّيَّة من مأذنة الجامع المنصوري الكبير نقرأ صحيح البخاري في رمضان - يا مولانا. كم من السنوات مضى عليك وأنت تصلّي الجمعة في هذا المسجد الجامع؟ قال: «سنوات عديدة. منذ نشأتي.» قلت: هل سمعتَ، مرةً، أحداً من خطباء هذا الجامع يذكر، في آخر الخطبة عند الدعاء، اسم باني هذا الجامع ويترحّم عليه؟ قال: «قطّ. لا في هذا الجامع ولا في سواه»...

تلك غفلَةٌ مُوجِعةٌ كفّر عنها، الاستاذ عمر تدمري الحائز على ماجستير في التاريخ، تكفيراً كاملاً كريماً ما سبقه إليه أحدٌ بمثل هذا

السِّفْر الضخم الشامل الجليل، الذي سمّاه (تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس في عصر المماليك) . وإنّي على يقينٍ من أنّ كتابه هذا سيكون أُطْرُوحةً ينـال بها ، في علم التاريـخ ، شهادة الدكتوراه التي هو جادٌّ في الحصول عليها ...

□ □ □

ولا يَخْدَعَنَّكَ اسمُ الكتاب على غلافه ، فتَحْسَبُه كتاباً يقتصر على أسماء الجوامع والمساجد والمدارس ، وعلى تواريخ بنائها وأسماء بُناتها الكرام ، فإن هذا المؤلّف الفاضل اللّبِق قد اتّخذ ، في الحقيقة ، من ذكر الجوامع والمساجد، مُنطلَقاً لكتابة تاريخ طرابلس في هذه الحقبة الطويلة الممتدّة من الفتح المنصوري عام ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م. إلى اليوم :

فلم يترك جامعاً ، ولا مسجداً ، ولا مدرسةً ، ولا تكيّةً ، إلّا أتى على ذكرها ...

ولا ترك من داخل الجوامع ، والمساجد ، منبراً ولا محراباً ، ولا عموداً ، ولا قُبّةً ولا قنطرةً ، ولا إفريزاً طنفـاً ، ولا فسيفساء ، ولا كتابةً ، ولا مرسوماً سلطانياً منقوشاً ، إلّا ذكره ووصفه بما كان عليه وبما صار إليه ...

ولم يترك سوقاً ، ولا حمّاماً، ولا طاحوناً، ولا قريةً، من الموقوفات

على هذه الجوامع والمساجد ، ولا بوّابـةً من أبواب المدينة ، ولا بُرجاً من أبراجها إلّا أتى على ذكره بمناسبة من المناسبات ...

ولم يترك سلطاناً ، ولا أميراً ، ولا حاكماً ، ولا قائداً ، ولا صانعاً له صِلةٌ في بناء هذه الجوامع والمساجد ، إلّا ذكره بإجمالٍ أو بتفصيل .

ولم يترك خطيباً ، ولا إماماً ، ولا مدرّساً ، له عملٌ في هذه الجوامع والمساجد ، ولا قاضياً ، ولا مُفتياً له صِلَة بهذه الجوامع والمساجد إلّا نوّه بذكره وبذكر مؤلّفاته... ولم يترك مؤرّخاً ، ولا رحّالةً ، ولا عالماً ولا أديباً ، مرَّ بطرابلس وزار هذه الجوامع والمساجد ، إلّا ذكره ونقل بعض أقواله ...

ولم يترك حَدَثاً هامّاً وقع في هذه الجوامع والمساجد، من طوفانٍ ، أو زلزالٍ، أو فتنةٍ، أو تخريبٍ، أو تغييرٍ، إلّا أتى على ذكره ووصفه...

وقد ذكر هذا كلّه ، بقدر ما بلغ إليه علمه ، مقروناً بأسماء المراجع التاريخية والعلمية والأثرية : فـلم يترك مؤرّخاً إسلامياً أو مسيحيّاً ، ولا مستشرقاً إفرنجيّاً ، كتب عن تاريـخ هذه الجوامع والمساجد ، الّا ذكر اسمه ، واسمَ كتابه ، أو نقل ، أحياناً ، نصّ كلامه بحروفه ، زيادةً منه في التوضيح والتوثيق ، مـع الترجيح العلميّ الدقيق إذا تضاربت الروايات واختلفت الأقوال ...

وأضاف إلى كتابه ، فوق هذا ، كثيراً من الصوَر الشمسية للآثار والنقوش الفنيّة والكتابات، لتبقى أشكالُها محفوظةً على الدهر إذا اعتراها محْوٌ أو تشويه ...

□ □ □

عندما زُرتُ آثار (بابل) ، لاحظت أنَّ أرض المداخل للأبنية الأثريَّة ، فيها بُقَعٌ وأقسام تلوح عليها سيماء التجديد ، فسألتُ الأستاذ المكلّف بدِلالة السوّاح على الآثار ، وهو ذو ثقافة عالية ، عن السبب في ذلك ، فقال : هذه بقع وأقسام خرَّبتْها العوامل الطبيعية ، فأرادت إدارة الآثار أنْ تجدِّدها بما يَقْرُبُ من البَلاط القديم ، ولما رآني ألحّ في انْ يدلّني على أقسام البلاط القديم ، وأسأله : هل أنا الآن أطأُ بقدميَّ البلاطَ نفسَه ، الذي كان يطأُه أهلُ بابل منذ أربعةِ آلافِ سنةٍ ؟ قال لي وهو يبتسم : « هذا هو السؤآل نفسه ، الذي سمعته من سائح أميركيٍّ عجوز ، طرحه عليَّ وعيناه مغرورقتان بالدموع » ...

تلك هي النّشوة العجيبة ، التي تَعتَري الذين قرأوا تواريخ الآثار القديمة ، ورأوا صُوَرَها ، إذا أُتيح لهم ، بعد ذلك ، أن يشاهدوها بأعينهم ويطأوا أرضها بأقدامهم . إنها مزيج من الدهشة ، والعبرة ، والرّهبة ، والسّرور ، والكآبة ، واللّذة ، ولا سيما إذا كانت تلك الآثار آثار الآباء والأجداد الذين طواهم الدهر ...

وبهذه النشوة سيشاهد الطرابلسيّون واللبنانيّون آثار مدينة طرابلس ، إذا أُتيح لهم أن يتتبّعوها ، على الأرض ، في ضوء هذا الكتاب الدليل الذي وضعه لهم الأستاذ تدمري ...

□ □ □

وبعد ، فهذا الكتاب عمل علميٌّ و (وطنيٌّ) ضخم جليل ، بالنسبة إلى الطرابلسيين جميعاً ، وبالنسبة الى لبنان كله . فإذا كان على بلديّة طرابلس، وعلى دائرة أوقاف طرابلس، وعلى كل طرابلسيٍّ أنْ يُؤازره، فإنّ على الدولة اللبنانية ، وعلى وزارة السياحة بالذات ، ومديريّة الآثار بالذات ، أنْ تُوليه من العناية والرعاية والمؤازرة ما يستحقّه ، إذا كانت آثار الفنون الاسلامية ، التي أُقيم لها ، أمس ، معرضٌ في بيروت ، وآثار طرابلس العاصمة الثانية ، تَهُمُّ التاريخ : وتهمّ الفنَّ ، وتهمّ الدولةَ حقّاً...

□ □ □

منذ ألفَيْ سنةٍ قال (هوراس) الشاعر اللاتينيُّ الكبير : « إنَّ الكاتب المِثاليّ هو الذي يُعَلِّمُ ويُسَلِّي في آنٍ واحدٍ » ...

وكتاب الأستاذ عمر تدمري يُعَلِّم ويُسَلِّي في آنٍ واحدٍ ...

نديم الجسر

طرابلس في ١٢ تموز سنة ١٩٧٤

مقدّمة المؤلف

منذ أنْ أُنيطَ بي أمرُ الإشراف على القسم الديني في دائرة أوقاف طرابلس الاسلامية ، في صيف عام ١٩٧٢، وفِكرةُ وضعِ دراسةٍ عن مساجد ومدارس طرابلس ، تدور في خلَدي ، غير أني شُغلتُ عن ذلك بضعةَ أشهرٍ كنت أُعِدُّ فيها كتابيَ الأول « الحيـــاة الثقافية في طرابلس الشـام خلال العصور الوسطى » للطبع ، بعد أن نلت عليه درجة الماجستير .

وفي مطلع هذا العام ١٩٧٤ أوْلَيْتُ الموضوعَ الجديدَ اهتمامي ، بعـد أنْ تقرَّر عندي أنَّ دائرةَ أوقافِ طرابلس الاسلامية تفتقرُ إلى أبسط المعلومات التاريخية عن الجوامع والمساجد والمدارس التي ترعاها وتُشرِفُ عليها وتسيِّرُ أوقافَها . حيث ، لا حُجَّةٌ ، ولا وَقفيَّةٌ ، ولا وثيقة ..!! هذا إلى جانب ما تفتقر إليه المكتبة العربية من كتاب عن آثار طرابلس الاسلامية ، الــتي لا تُماثِلُها في آثارها أيّةُ مدينةٍ في لبنان .

وكانت بداية مؤلمة ...

واتّجَهتُ نحو سِجلات المحكمة الشرعية الاسلامية ، علّني أقف على مـا أفتقده ، فإذا بأقدم سِجلٍّ فيها يرجِـعُ تاريخُه إلى سنة ١٠٧٧ هـ.

وكانت خيبة أملٍ موجعة ...

وجاءني العديد من طلبة وطالبات الجامعة اللبنانية ، بقسم الدراسات العليا ، كلية الآداب ـ فرع التاريخ ، يطلبون تزويدَهم بمعلوماتٍ عن مساجد طرابلس ، حيث كُلّفَ كلٌّ منهم بوضع بحثٍ عـن أحد مساجدها المملوكية . وكنت أزوِّد كلاً منهم بالمصادر والمراجع التاريخية التي تَهُمُّه .

وبعد أنْ كان وضعُ دراسةٍ عن مساجد طرابلس ومدارسها ، مجرَّدَ فكرةٍ ، إذْ بالفكرة تتحوّلُ إلى واجبٍ ، تحمّلتُ أعباءَه ، بالبحث ، والتدقيـــق ، والدراسة ، والتنقيب ...

ورجعتُ إلى كتب التاريخ والآثار والرحلات والتراجم وغيرها، من عربية وإفرنجية ، لتأليف مادة البحث ، إلى جانب التجوال والتردُّد على المساجد والمدارس، موضوع الدراسة ، والبحثِ العلميّ لها ، بكلّ نواحيه : التاريخية ، الجغرافية ، الهندسية ، والاثرية ...

□ □ □

ومن أهم المصادر التي اعتمدتُ عليها لتأليف هذا الكتاب : « مجموعة النقوش العربية » المطبوعة سنة ١٩٠٩ ، للمستشرق الألماني الاستاذ (مورتيز سوبرنهايم) ، الذي زار طرابلس في مطلع هذا القرن ، وتتبّع نصوص كتاباتها التاريخية المنقوشة على جدران مساجدها ومدارسها وبيوتها .. وقد تفضّل الصديقُ المستشرق الدكتور (هاينز غوبي)، عضوُ المعهد الألمانيّ للأبحاث الشرقيّة في بيروت ، بإهدائي نسخةً مصورةً عن الجزء (٢٥) من المجموعة ، الخاصّ بنقوش طرابلس .

وكان ذلك عاملاً مساعداً على طريق إنجاز هذه الدراسة ..

ومن المراجع الرئيسيّة الأخرى التي رجعت إليها كتاب « Tripoli of Lebanon » للمستشرق الانكليزي الاستاذ (بروس كوندي) ، الذي وضع كتابه في عام ١٩٦٠ ، وتتبّع فيه آثار طرابلس ، من صليبيةٍ ، ومملوكيةٍ ، وعثمانية .

وكذلك كتاب « طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي » ، للاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، من جمهورية مصر العربية ، وخاصة قسم «الحضارة» منه .
هذا إلى جانب العديد من المراجع الآخرى ، المبثوثة في ثنايا الكتاب .

□ □ □

ولقد قسّمتُ دراستي هذه إلى أربعة فصول . يتناول الأولُ منها : مدخلاً لتاريخ مساجد طرابلس القديمة ، منذ الفتح الاسلاميّ حتى تأسيس الإمارة

الصليبيّة . وتاريخاً للفترة الصليبيّة التي سبقَتْ تحرير المدينة على يد سلطان مصر والشام الملك المنصور قلاوون . ثم قيام مدينة طرابلس المملوكيّة ، ونظام بنائها ، وعمارتها ، وأسواقها ، وخُططِها . واستعراضاً تاريخياً شاملاً ومتسلسلاً لتأسيس : المساجد ، والمدارس ، والزوايا ، والتكايا ، والحمّامات ، والخانات ، والقياسر ، والأبراج ، والبوّابات ، وأسْبُل المياه ، والأسواق ، والبيمارستان ، والخانقاه .. وغير ذلك من الابنية التي تزخر بها طرابلس المملوكيّة.

وأفردْتُ الفصلَ الثاني لدراسة تاريخ وآثار الجامع المنصوريّ الكبير ، ويبحث هذا الفصل لتأسيس الجامع حيث كانت الكنيسة الصليبيّة ، وما تعرّضتْ له تلك الكنيسة من الزّلازل ، وبقاياها المتمثّلة في البرج ـ المئذنة ، والبوّابة الرئيسيّة للجامع . ثم النقوش الكتابيّة التي تؤرّخ لبناء الجامع ، وأروقته ، ومنبره ، ومحرابه الشرقيّ . الى جانب المراسيم السلطانيّة المنقوشة فوق بوّابتيه الشرقيّتين . ويتتبّع الاحداثَ الهامّةَ التي كان للجامع الدور المؤثّر فيها وما كتبه المؤرّخون والرحّالةُ عنه . واستعرضْتُ في نهاية هذا الفصل : أشهرَ خطباء ، وأئمّة ، ومدرّسي ، ومحدّثي ، وقرّاء ، ومؤقّتي ، ومؤذّني الجامع ، منذ تأسيسه قبل ٧٠٠ سنة حتى الآن .

أما الفصل الثالث فيبحث للجوامع الاخرى التي بناها المماليك : التوبه ، السيد عبدالواحد ، طينال ، العطّار ، البُرْطاسي ، أرغون شاه ، الأوَيْسيّة ، والطحّام . ويؤرّخ لفيضانات نهر « أبي علي » منذ تأسيس جامع التوبة ، وتأثّره بها . مع ذكر النّصوص التاريخيّة المنقوشة في كلّ جامع ، ودراستها ، وترجمة السلاطين ، والامراء ، والحكّام ، وكلّ من يمرُّ ذكرُهم في تلك النصوص. والتحقيق لتاريخ بناء كل جامع ، وتسميته ، والتعريف ببانيه ، مع تناول التأثيرات الهندسيّة من : قوطيةٍ ، أو أندلسيةٍ ، أو مغربيةٍ ، أو تركيةٍ ، أو رومانيةٍ ، أو صليبيةٍ .

ويتناول الفصل الرابع والأخير دراسةً لمساجد ومدارس طرابلس المملوكية التالية : القرطاويّة ، الزريقيّة ، الخيريّة حسن ، الناصريّة ، النوريّة ،

الشمسيّة، الأثريّة ، الطواشيّة، السَقرَقيّة، الخاتونيّة، العجميّة ، الظاهريّة، سبط العطّار ، الحُجَيْجيّة ، القادريّة، الدبّاغين ، الرِفاعيّة ، العُمَريّة، القاضي ، الوتّار ، النّسر بن عجبور ، القرمْي ، المحموديّة ، الماردانيّة ، والخانقاه .

□ □ □

وأخيراً ، فهذا هو كتابي الثاني من سلسلة (تاريخ طرابلس الحضاريّ)، أُقدّمه للمكتبة العربيّة، راجياً أن أكون قد أوفيتُ مادّتَه حقّها من البحث .

وفي هذا المقام، أرى لزاماً عليَّ أن أتقدمَّ من صاحب السماحة، العلاّمة الجليل، الشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس — حفظه الله — بوافر الشكر والتّقدير ، على تفضّله بمراجعة هذا الكتاب والتّصدير له ، وإبداء ملاحظاته القيّمة .

كما أتوجّه بالشكر للاستاذ الكبير ، والمحقق الدكتور صلاح الدين المنجّد ، الذي قدّم لي التّوجيه والتشجيع لتحقيق هذا العمل .

وللاستاذ الفاضل (هنري عبد النّور) ، مدير المركز الفرنسي للآثار في بيروت ، خالص الشكر ، على ما بذله من مساعدةٍ لي في تيسير الاطّلاع على بعض المصادر الفرنسيّة ، وتصويرها .

وختاماً، أشكر جميع الأخوة العاملين في مطابع دار البلاد بطرابلس — وفي مقدّمتهم صاحب هذه المؤسّسة الإعلاميّة الزاهرة ، الاستاذ الصديق فايز سنكري ، فقد أنجزوا هذا العمل — الذي هو بين يديك عزيزي القارىء — بروحٍ عاليةٍ من الاخلاص والتعاون . فكان باكورةَ إنتاجهم الثقافيّ .

واللهَ أسألُ أنْ يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى ، وهو من وراء القصد .

طرابلس — السبت ٢٥ جمادي الآخرة ١٣٩٤
١٣ تموز ١٩٧٤

عمر عبد السلام تدمري

تاريخ وآثار

مساجد ومدارس طرابلس

في عصر المماليك

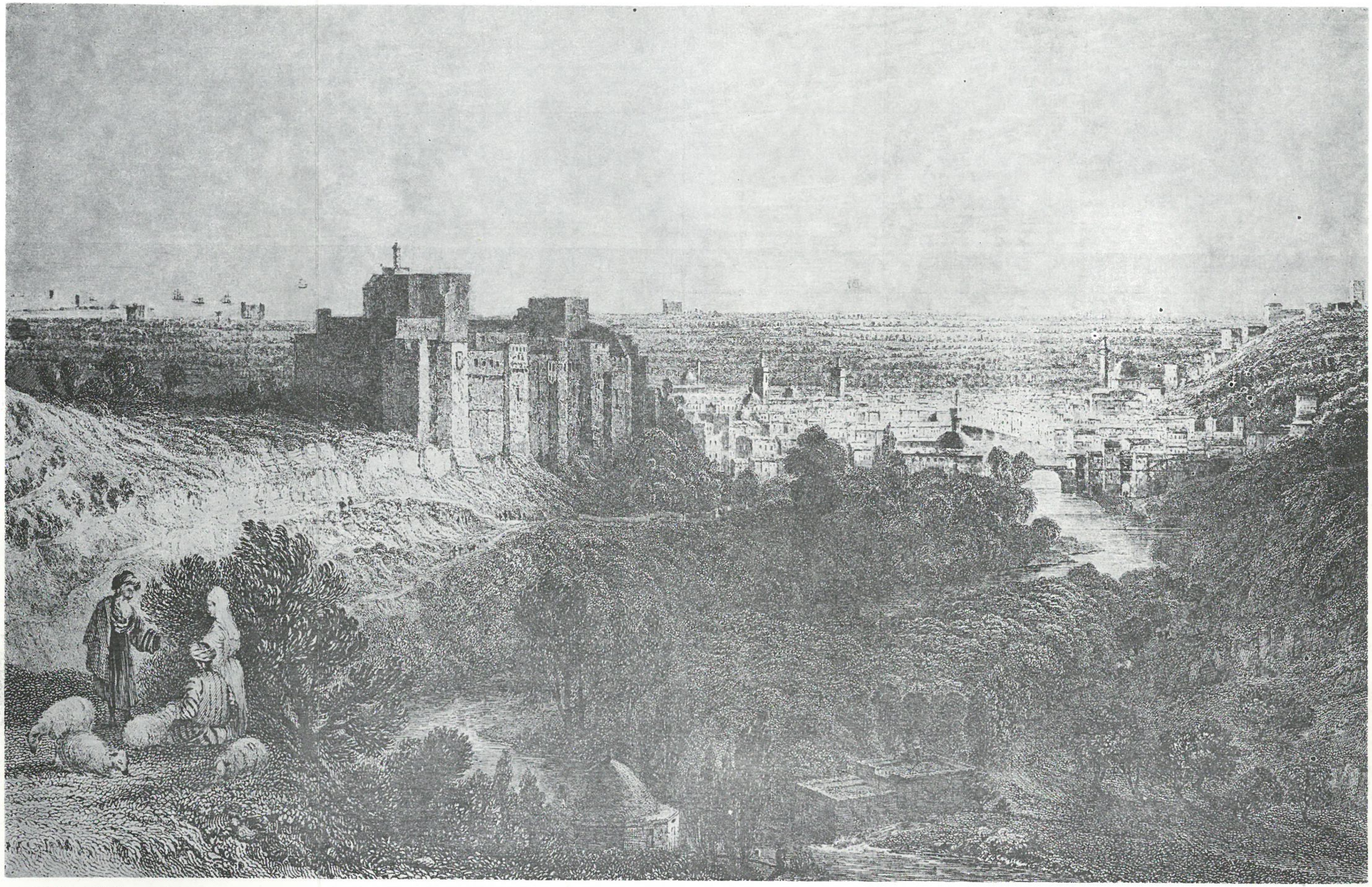

(من كتاب تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس)

(مجموعة اللادي كوكران)

« منظر لطرابلس أخذ عام ١٨٣٦ بمآذنها وقبابها »

الفصل الاول

مدخل لدراسة تاريخ مساجد طرابلس

تعتبر طرابلس أكثر المدن اللبنانية ازدحاماً بالجوامع والمدارس ، وهذه الظاهرة تعود الى وقت مبكر يمكن ان نؤرخ له منذ أواخر القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي ، أي منذ تحرير المدينة من الصليبيين في سنة ٦٨٨هـ. ١٢٨٩م.

وقد يعزى ذلك الى ان طرابلس كانت قاعدة للامارة الصليبية الرابعة التي أسست في الشام سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م. وان الصليبيين قد حوّلوها الى مدينة صليبية تكتظ بالكنائس والاديرة طوال مدة حكمهم لها والتي بلغت ١٨٠ عاما ، حتى باتت المنطقة الواقعة على ضفة نهر ابي علي في الربض أسفل حصن صنجيل تعرف بـ « وادي الكنائس » (١) وانسحبت هذه التسمية على المدينة فصارت تعرف باسم « مدينة الكنائس » وكان القسم الرئيسي من المدينة يقوم على ساحل البحر حيث هي الميناء اليوم والذي أسسه الفينيقيون قبل الميلاد بنحو ألف عام تقريبا . وعندما جاء الملك المنصور قلاوون محرّرا للمدينة أشار عليه قادته بهدم المدينة القديمة لوقوعها على ساحل البحر وتعرّضها لغارات الافرنج البحرية فأمر بذلك ودكت مبانيها وسوّيت بالارض (٢). ثم تسابق بعد ذلك نواب السلطنة المماليك الذين تولوها في بناء المساجد والمدارس

---

(١) زار الرحالة Burchard مدينة طرابلس في سنة ١٢٥٣م. وترك وصفا عنها وهي بيد الصليبيين ، ويهمنا منه ما يتعلق بموضوع البحث اذ يشير الى الكنائس والاديرة القائمة على ضفتي نهر ابي علي (قاديشا) بقوله : « ... وجبل لبنان يبعد ثلاثة فراسخ عن المدينة ، عند قدمه يتفجر ينبوع الحدائق الذي ينساب مندفعا من جبل لبنان .. وعلى ضفافه توجد أماكن عبادة كثيرة وكنائس متعددة ... » The Lebanon and Pnoenicia-John Pairman Brown-V.1-P.32-1969 , Burchard of Mount Sion - Vicinty of Trıpolis-A.D.1253.

(٢) تاريخ ابن الفرات — تحقيق الدكتور قسطنطين زريق — ص٨٠ — المجلد ٨ — بيروت ١٩٣٩

والزوايا والتكايا والخوانق ، وغيرها من المباني العمرانية التي تضفي على المدينة المستجدة الطابع الاسلامي ، وكذلك فعل أمراؤها وأثرياؤها ، حتى استرجعت صبغتها التي كانت لها قبل خضوعها للاحتلال الصليبي .

وقبل أن نشرع في التأريخ لمساجد طرابلس التي بناها المماليك والتي ما زال معظمها قائماً حتى الآن ، يجدر بنا أن نلمّ بصورة سريعة عن مساجدها القديمة منذ أن فتحها المسلمون في عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، على يد القائد الصحابي « سفيان بن مجيب الازدي » حوالي سنة ٢٥هـ./٦٤٦م. وان كانت المصادر التاريخية والآثار لا تسعفنا الا بالنزر اليسير الذي لا يفي بالغرض لوضع دراسة متكاملة في هذا الموضوع الذي نبحث له . كما ان عمليات التخريب والهدم التي تعرضت لها المدينة على يد الصليبيين ومن ثمّ عى يد قلاوون ، قد عفت كل أثر لطرابلس القديمة سوى أثر واحد سنعرض له في السطور الآتية .

مساجد طرابلس القديمة

عقب الفتح الاول للمدينة ، كان من الطبيعي أن يهتم المسلمون ببناء مسجد فيها لتؤدّى فيه الفرائض الدينية والشعائر الاسلامية . ولكننا لا نعرف تاريخ بناء أول مسجد بها على وجه التحديد ، وليس لدينا ما يشير الى ذلك ، الا انه يكاد يكون من المؤكد ان الحجر الاساس لأول مسجد بطرابلس وضع في خلافة عثمان بن عفان ، عندما كان معاوية بن ابي سفيان عاملا له على دمشق والشام ، اذ يفيدنا البلاذري في كتابه (١) ان عثمان أشار على معاوية ببناء المساجد في المدن المفتوحة في عهده ، وأن يزيد في مساحة ما كان ابتنى منها قبل خلافته ، لكثرة انتقال المسلمين الى المدن الشامية المفتوحة ، الداخلية منها والساحلية .

وكان لا بدّ ان يعقب فترة الحروب والفتوح تطوّر في العمران ، فبعد ان استتب الامن في المدينة ، واستقرت أوضاعها ، وازداد سكانها ، تتابع بناء المساجد فيها ، وخاصة في عهد الخليفة الاموي « عبد الملك بن مروان » (٦٥—٨٥هـ.) حيث قام بتجديد عمارتها « ... وحصّنها وأسكنها المسلمين ،

(١) فتوح البلدان — البلاذري — تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد —ج١— ص ١٥٢—القاهرة ١٩٥٦

وصارت آمنة عامرة مطمئنة (١) ونزلها خلق من الصحابة رضوان الله عليهم (٢).

وفي النصف الاول من القرن الخامس الهجري ، وبالتحديد سنة ٤٣٨هـ./١٠٤٧م. زار طرابلس الرحالة الفارسي « ناصر خسرو علوي » وترك لنا أول وصف يصلنا عن أحد مساجد طرابلس القديمة ، بل يكاد يكون الوصف الوحيد .

يقول ناصر خسرو : « .. وفي وسط المدينة جامع عظيم ، نظيف ، جميل النقش ، حصين ، وفي ساحته قبة كبيرة ، تحتها حوض من الرخام ، في وسطه فوّارة من النحاس الاصفر » (٣) .

ومن المرجح ان هذا الجامع كان أكبر جوامع طرابلس في ذلك الوقت ، اذ عرّفه ناصر خسرو بأنه جامع عظيم ، ولكونه يتوسط المدينة كما يقول ، وهي ظاهرة درج عليها المسلمون في الامصار الاسلامية ، وتقتضيها طبيعة التجمع السكاني .

ويسترعي الانتباه في وصف ناصر خسرو للجامع ، قوله عنه انه « حصين » ، وهذه الحصانة كانت من متطلبات ذلك العصر ، اذ كانت طرابلس في ذلك الوقت كغيرها من المدن الاسلامية الساحلية ، عرضة بصورة مستمرة للحملات البيزنطية براً ، وغارات قراصنة الافرنج بحراً ، فروعي في بناء الجامع أن يكون حصيناً ليقاوم قذائف المجانيق التي يطلقها المغيرون .

أما تاريخ بناء هذا الجامع فغير معروف ، بيد أن المستشرق الاستاذ « آدم ميتز » يشير في معرض حديثه عن طراز القباب في فن العمارة الاسلامية ، وهو يصف جامع « أحمد بن طولون » بمصر ، الى وجود شبه بينه وبين جامع طرابلس المذكور ، وخاصة في ما يتعلق بالفوّارة النحاسية ، وحوض الماء الرخامي الذي تقوم فوقه القبة الكبيرة . وان كان هو أيضا لا يقرّر ما اذا كان هذا الجامع من بناء الدولة الطولونية (٢٥٤ — ٢٩٢هـ.) أم انه بني في فترة

(١) البداية والنهاية في التاريخ — ابن كثير — ج١٣ — ص ٣١٣ — طبعة السعادة بمصر ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان — بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ.) — القسم الرابع من الجزء العشرين — ص ٧٢١ — نسخة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(٢) كنز الدرر وجامع الغرر — ابن ايبك (صاحب صرخد) — القسم الاول من الجزء الاول — ص — ٩٧ — نسخة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٨ تاريخ .

(٣) سفرنامه — ناصر خسرو علوي — ترجمة الدكتور يحيى الخشاب — ص ١٣ — طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٨ .

لاحقة . (١)

وفي النصف الثاني من القرن الخامس الهجري أيضاً نطالع نص كتابة نقشت على مسجد أقامه صاحب طرابلس القاضي جلال الملك ابن عمار (٤٦٤ — ٤٩٢هـ.) (٢) ، وهو النص الكتابي الوحيد الذي بقي من آثار مساجد طرابلس القديمة ، بيد انه لم يصل كاملا ، اذ أصاب اللوحة الكتابية أضرار ذهبت بمعظم النص وبقي منه ما يلي :

« بسم ... آمن بالله واليوم ... يخش الا الله فعسى أو ... تقرّباً الى الله تعالى ورغبة في ث ... ابو الحسن علي بن محمد بن ع ... ربع مائة وجرى ع ... » (٣)

والنص في الاصل هو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (٤) صدق الله العظيم . أمر بانشاء هذا الجامع المبارك (أو هذا ما أنشأه) ... تقرباً الى الله تعالى ورغبة في ثوابه القاضي ... جلال الملك ابو الحسن علي بن محمد عمار ... في ... شهر ... من سنة ... وأربع مائة وجرى على يد ... » .

---

(١) يقول المستشرق الاستاذ آدم ميتز : « ... وكان في جامع ابن طولون بمصر فوارة على الصورة المألوفة حتى ذلك العهد ، كان في وسط صحنه قبة مشبّكة من جميع جوانبها ، وهي مذهّبة على عشرة عمد من رخام مفروشة كلها بالرخام ، وتحت القبة قصعة رخام ، سعتها أربعة أذرع ، في وسطها فوارة تفور بالماء ، وهذه الفوارة ذات القبة حلّت محل القبة التي كانت تحمل بيت المال في المساجد الاخرى ، وبعد ذلك بمائة عام عملت أول فوارة قبة بيت المال في جامع عمرو ، ويحكي لنا ناصر خسرو بعد ذلك بمائة عام انه رأى مثل هذه الفوارة وفيها أنبوبة من نحاس في بلدتي آمد وطرابلس الشام » . انظر : (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري — ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده — ج ١ — ص ١٠٣ — القاهرة ١٩٤١) .

(٢) تولى بنو عمار حكم طرابلس حوالي سنة ٤٥٧هـ. أو قبل ذلك بقليل ، وهم على التوالي : أمين الدولة ابو طالب الحسن بن عمار المتوفى سنة ٤٦٤هـ. ثم جلال الملك ابو الحسن علي بن عمار المتوفى سنة ٤٩٢هـ. ثم فخر الملك ابن عمار المتوفي حوالي سنة ٥١٤هـ. ثم أبو المناقب شمس الملك أبو الفرج محمد بن الحسن بن عمار المتوفى بعد سنة ٥٠١هـ. وقد تولاها نيابة عن ابن عمه فخر الملك لفترة قصيرة .

(٣) طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي — الدكتور السيد عبد العزيز سالم — ص ٧٠ — الاسكندرية ١٩٦٧ نقلا عن: Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe - 1931 - 1944

(٤) قرآن كريم — سورة التوبة — الآية رقم ١٨

ويتضح اننا لم نقف على ألسنة التي تم فيها بناء هذا المسجد بالتحديد ، اذ سقط من النص .

ومن المحتمل ان يكون بناؤه قد تم في الوقت الذي تجددت فيه مكتبة طرابلس المعروفة باسم « دار العلم » (١) ومن المعروف ان جلال الملك نفسه هو الذي قام بتجديد دار العلم في سنة ٤٧٢هـ. (٢)

ولبني عمار أياد جليلة في طرابلس وما يلحق بأمارتها في عهدهم ، والتي كانت تمتد من جبلة شمالا حتى جبيل جنوبا (٣). حيث شهدت في عهدهم ازدهاراً وثراء ورخاء لم تشهده من قبل ، بل انهم هم الذين قاموا ببناء الجهة الشرقية من الجامع الكبير في مدينة حلب ، كما يثبت ذلك المؤرخ ابن الشحنة الحلبي في كتابه (٤). كما كانوا يبعثون القضاة والخطباء الى المدن الشامية ، ومن ذلك ما ذكره « ابن تغري بردي » في كتابه « النجوم الزاهرة » عن « ابن قتلمش » انه عندما فتح حصن انطرطوس من الروم سنة ٤٧٥هـ. بعث الى صاحب طرابلس القاضي جلال الملك يطلب منه قاضياً وخطيباً ليقيم بها . (٥)

كما تولى الخطابة في جامع جبلة والصلاة والوقوف بها ، القاضي الحسين ابن احمد المعروف بابن النقار . وكان قد أقام قبلها بطرابلس وتعلم بها القرآن الكريم ، وأرسله اليها جلال الملك ابن عمار بعد أن دخلت في حوزته وظل في جبلة يؤدّي مهمّته حتى طرقها الصليبيون ، فخرج الى دمشق بعد خروج فخر الملك ابن عمار من طرابلس سنة ٥٠١هـ./١١٠٨م. (٦) .

*** *** *** ***
*** *** ***

---

(١) الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى — عمر عبد السلام تدمري — (انظر الفصل الخاص بدار العلم) — ص ٣٩ وما بعدها — دار فلسطين للتأليف والترجمة — بيروت ١٩٧٣

(٢) الانصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن ابي العلاء المعري — ابن العديم الحلبي — ص ٥٠ ب — نسخة مخطوطة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٨٥ تاريخ .

(٣) كانت جونية من أعمال طرابلس في عصر المؤرخ « الخطيب البغدادي » المتوفى سنة ٤٦٣هـ. والذي زار طرابلس سنة ٤٦٢هـ. (تاريخ بغداد — ج ١ — ص ٣٤٠ — نسخة مصورة بالاوفست ، طبعة بيروت) .

(٤) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب — محمد بن الشحنة الحلبي — ص ٦٣ — المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٠٩ .

(٥) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة — ابن تغري بردي — ج ٥ — ص ١١٥ — طبعة دار الكتب المصرية .

(٦) تهذيب التاريخ الكبير — ابن عساكر — تحقيق بدران — ج ٤ — ص ٣٥٦،٣٥٧ — طبعة روضة الشام ١٣٣١ هـ.

المجالس العلمية في مساجد طرابلس

ومن مطالعتنا لكتب التراجم ورجال الحديث ، والتاريخ ، وقفنا على حركة ثقافية هامة كانت تزدهر في طرابلس ما بين القرن الثالث ونهاية القرن الخامس الهجري ، وقد اثبتّ ذلك في البحث الذي ضمّنته كتابي الموسوم باسم « الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى » وأتيت على ترجمة العشرات من علماء المدينة ومحدّثيها وفقهائها وقضاتها وخطبائها ، الذين كانت تغص بهم مساجد المدينة ومدارسها . فقد كان المسجد بمثابة معهد للعلوم الدينية والادبية ، تعقد فيه حلقات العلم ومجالس الحديث .

وقد شهدت طرابلس حلقات علم كثيرة لكبار العلماء والفقهاء والمحدّثين في تلك الفترة ، وأكتفي هنا بالتنويه عن أهم مجالسها ، ومنها مجالس محدّث طرابلس الكبير ومسند عصره في الشام « خيثمة بن سليمان بن حيدرة القرشي الاطرابلسي » (٢٥٠—٣٤٣هـ.) (١) الذي كانت له أكبر حلقة للحديث في جامع طرابلس ، فكان يملي فيها الحديث على الطلبة ، وكان لا يفتأ يعقد حلقاته في الجامع حتى بعد أن بلغ من العمر عتياً . ويذكر عنه أنه كان يشهد بطرابلس ، ولما علا سنه امتنع عن حضور مجلس القاضي ، فورد أمر السلطان بأن يحضر القاضي الى الجامع حيث يجلس خيثمة للحديث فيشهده هناك (٢) .

ومنها مجالس « ابي علي الانصاري الأطرابلسي المعروف بابن ابي الخناجر » المتوفى سنة ٢٧٤هـ. وكان من نبلاء العلماء (٣) . ومجالس « الحسين بن محمد ابي عبد الله » قاضي طرابلس المتوفى سنة ٣٣٠هـ. (٤) ومجالس « عبد الله بن ابي كامل الأطرابلسي » المتوفى سنة ٣٥٠هـ. (٥) وابنه « ابي عبد الله الحسين » محدث طرابلس المسند العدل المتوفى سنة ٤١٤هـ. (٦) ومجالس « محمد بن علي

(١) الحياة الثقافية — ص ٢٢٩
(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب — ابن العديم الحلبي — ج ٥ — ص ٢٤٩ — نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية تحت رقم ٩٢٩ تاريخ .
(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب — ابن العماد الحنبلي — ج ٢ — ص ١٦٥ — طبعة مصر ١٣٥١هـ
(٤) الحياة الثقافية — ص ٢٢٣
(٥) نفس المصدر — ص ٢٦٥
(٦) نفسه — ص ٢٦٥

ابي الفتح الكراجكي » صاحب المصنفات العديدة في الفقه والمواريث والحديث وغيرها ، المتوفى سنة ٤٤٩هـ. (١) ومجالس القاضي « عبد العزيز بن البراج » تلميذ السيد المرتضى ، وصاحب المصنفات المتوفى سنة ٤٨١هـ. (٢) ومجلس القاضي « أسعد بن احمد بن ابي روح » صاحب حلقة الاقراء بها ، تلميذ ابن البراج ، وصاحب المصنفات الكثيرة ، المتوفى حوالي سنة ٥٢٠هـ. (٣) وغيرهم من العلماء المحدّثين والنحاة والأدباء .

وكانت مساجد طرابلس ومدارسها كغيرها من المدن الاسلامية ، تتّخذ كمعاهد لتلقّي العلوم الدينية ، من فقه ، وتفسير ، وحديث ، وتعليم القرآن الكريم ، وغيرها من العلوم الملتزمة بها . ومن المحتمل ان توضع في المساجد خزائن للكتب الى جانب المصاحف والتفاسير ، ومن المرجّح أن المدارس كانت تحتفظ بالمكتبات . ولنا أن نذهب بالقول الى أن المكتبات الكثيرة التي تحدثت عنها كتب التاريخ والتراجم ، والتي كانت موقوفة من أهل الثراء في طرابلس ، كانت موجودة في تلك المدارس ، وربما في المساجد أيضاً ، فجاء القاضي جلال الملك ابن عمار فجمعها كلها ووضعها في دار العلم التي جدّدها سنة ٤٧٢هـ. كما مر .

ولا شك أن مساجد طرابلس قد أدّت دوراً هاماً طوال القرون الثلاثة التي سبقت الاحتلال الصليبي . ففي القرن الرابع الهجري دخلت المدينة في حوزة الدولة الفاطمية ، وقام الخطباء بالدعوة الى المذهب الشيعي . وهكذا أصبح سكان طرابلس في القرن الخامس الهجري — والذين قاربوا العشرين ألفا — كما يقول ناصر خسرو من أتباع المذهب الشيعي .

وعندما استقل بنو عمار بالمدينة سنة ٤٦٢هـ. عن الدولة الفاطمية حرصوا على تثبيت حكمهم المستقل وحيادهم السياسي بين الفاطميين في مصر — رغم أنهم شيعة مثلهم — والسلاجقة (السنّة) في العراق . وكان على خطباء مساجد طرابلس في تلك الآونة ان يقوموا بدور فعّال لمؤازرة حكّامهم على الموازنة في موقفهم الحيادي بين الدولتين الاسلاميتين . كما كانت الخطب الحماسية والتي تحضّ على الجهاد في سبيل الله ، تهزّ منابر مساجد طرابلس كلما داهمها الخطر البيزنطي أو الصليبي . وظلت مساجد المدينة تؤدي دورها الروحي والنضالي

(١) نفسه — ص ٣٢٩
(٢) نفسه — ص ٢٥٧
(٣) نفسه — ص ١٩٢

حتى سقطت بيد الصليبيين سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م. فتعرّض بعضها للدمار ، والبعض الآخر للاحتراق على يد كل من « برتراند » الابن الاكبر لريموند الصنجيلي و « وليـم غوردن » ابن اخت ريموند المذكور ، و « تنكريد » أمير انطاكية واللاذقية ، (١) وأتت النيران على دار العلم فحوّلت نفائس المخطوطات ونوادر المصنفات الى رماد تذروه الرياح ، وتركت المدرسة ، ومصنع الورق أثراً بعد عين . (٢) ولم يسلم من أحياء طرابلس سوى الحي الذي دخلته قوات « بلدوين » ملك بيت المقدس ، والذي اتخذ فيما بعد قاعدة وعاصمة للامارة الصليبية الرابعة في الشرق العربي .

أما في عصر الاحتلال الصليبي الذي امتد ١٨٠ عاما ، فلا نملك ما يؤكد لنا بقاء المساجد والمدارس في طرابلس خلاله . اذ لم تذكر المصادر التاريخية الاسلامية شيئا يدل على ذلك ، سواء أكان قبل تحرير المدينة أو بعد استرجاعها .

ولا ندري علىم اعتمد المؤرخ الاميركي « ول ديورنت » في ايراد روايته عن بقاء بعض المساجد والمدارس في طرابلس اثناء الحكم الصليبي ، فقد قال :

« وأجاز رجال الدين المسيحيون الى المسلمين أن يؤموا المساجد للعبادة ، وأخذ المسلمون يعلّمون أبناءهم القرآن في المدارس الاسلامية القائمة في انطاكية وطرابلس المسيحيتين » (٣)

ومهما يكن من أمر فان قرار المنصور قلاوون بهدم مباني طرابلس عقيب فتحها قد أضاع كل معالم المدينة القديمة ، وطوى الصفحة الأخيرة من تاريخها ، ليبدأ تاريخ طرابلس المحدثة ، ونصل الى عصر المماليك الذي تميز بالفن المعماري الرائع المتمثل في المساجد والمدارس والتي ما تزال قائمة بيننا الآن بمآذنها وقبابها ومحاريبها وأحواضها الرخامية ، وجدرانها المزينة بالفسيفساء، وعقودها الموشّحة بتناوب الحجارة البيضاء والسوداء ، ومجوفاتها الغنية بالزخرفة

(١) تاريخ الحروب الصليبية — ستيفن رنسيمان — ترجمة الدكتور السيد الباز العريني — ج ٢ — ص ١١١ — بيروت ١٩٦٩ .

(٢) مختصر تاريخ العرب — سيد امير علي — ترجمة عفيف البعلبكي — ص ٢٨٨ — بيروت ١٩٦١

(٣) قصة الحضارة — ول ديورنت — ترجمة محمد بدران — ج ١٥ — ص ٣٤ — القاهرة ١٩٥٧

النباتية والهندسية ، ومدلّياتها ومقرنصاتها وسنجاتها المتعاشقة ، ودعاماتها المتوّجة ، ونقوشها الكتابية التي تفصح عن صفحات من تاريخ المدينة العريقة .

وقبل أن نبدأ بدراسة تاريخ مساجد ومدارس طرابلس في عصر المماليك ، يجدر بنا أن نتعرف على شيء من سيرة الملك المنصور قلاوون ، وخاصة عن جهاده ضد الصليبيين وانتزاع طرابلس من أيديهم . هذه المدينة التي دخلت على يده عصراً جديداً ، حيث بنيت من جديد بعد أن أزيلت المدينة الفينيقية القديمة ، فكانت المدينة المستجدة القائمة حتى الآن ، بحق مدينة المنصور ، وكان حرياً بجامعها الكبير أن يحمل اسم « الجامع المنصوري » تمجيدا لهذا الفاتح العظيم .

الملك المنصور قلاوون

فاتـــح طرابلس

ترجم له الحافظ الذهبي في تاريخ الاسلام بما نصه : « قلاوون السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين أبو المعالي وأبو الفتوح التركي الصالحي النجمي . اشتري بألف دينار ، وهذا كان في حال امريته يسمّى بالألفي . وكان من أحسن الناس صورة في صباه وأبهاهم وأهيبهم في رجولته . كان تام الشكل ، مستدير اللحية ، قد وخطه الشيب على وجهه هيبة الملك ، وعلى أكتافه حشمة السلطنة، وعليه سكينة ووقار » (١) وذكر الذهبي انه رأى قلاوون مرات كانت آخرها عند منصرفه من فتح طرابلس وكان يومها من أبناء الستين .

وينتسب قلاوون الى قبيلة تركية الاصل تسمى «برجوغلو » كانت تعيش في اقليم كيشاك ، وسمّي الصالحي لأنه كان من مماليك الصالح أيوب هو والظاهر بيبرس ، وكان من أمراء الالوف في الدولة الظاهرية ، ثم عمل نيابة السلطنة للملك العادل « سلامش بن الظاهر » عندما خلعوا الملك السعيد من السلطنة(٢) وخلفوا السلامش وهو ابن سبع سنين ، وحلفوا للألفي معه ، وذكرا معاً في الخطبة. وذكر اليونيني ان السكة ضُربت على واحد من الوجهين باسم سلامش، وعلى الوجه الآخر باسم أتابكه سيف الدين قلاوون . وبقي الامر على هذا شهرين وأيام ، وفي رجب من سنة ثمان وسبعين وستمائة خلعـوا سلامش وبايعوا الملك المنصور واستقل بالامر وأمسك جماعة كثيرة من الامراء الظاهرية وغيرهم واستعمل مماليكه على نيابة البلاد (٣) وهم الذين أطلق عليهم اسم « المماليك البرجية » (٤).

---

(١) تاريخ الاسلام — الحافظ الذهبي — مجلد ٣٢ — ص ٩٢ — وجه ٢ — نسخة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢ تاريخ .

(٢) هو بركة بن الظاهر بيبرس ، وكان لا يتجاوز تسعة عشر عاما ، فخلع نفسه حتى لا يقتل .

(٣) تاريخ الاسلام — ص ٩٣ — وجه ١

(٤) تشريف الايام والعصور — محيي الدين الظاهري— تحقيق د. مراد كامل— ص٤٢— القاهرة ١٩٦١

قلاوون وسياسته نحـــو الصليبيين

تولى المنصور قلاوون السلطنة في شهر رجب سنـــة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م. في الوقت الذي كان المغول يحاولون فيه اكتساح مدن الشام ، رغم هزيمتهم فـي معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ. على يد الظاهر بيبرس . ولذا فان قلاوون وجد نفسه يواجه عدوّين شرسين ، المغول والصليبيين . وحتى يركز جهوده علـى احدى الجبهتين دون الاخرى ، وحتى يضمن لنفسه المبادأة فقد عمل على مهادنة الصليبيين ليضمن عدم غدرهم بقواته عندما يتفرغ لدفع الخطـر المغولي عـن الشام . (١) ومن أجل ذلك وافق على تجديد الهدنة مع فرسان الاسبتارية بعكا لمدة عشر سنين كوامل وعشرة شهور وعشرة أيام وعشر ساعات . وذلك في يوم السبت ثاني عشر محرم من سنة ٦٨٠هـ. الموافق للثالث من شهر أيـار سنة ١٢٨١م.(٢) ثم عقد هدنة مع « بوهيموند » السابع صاحب طرابلس لمدة عشر سنوات أيضا تبدأ يوم السبت في ٢٧ من شهر ربيع الاول سنة ٦٨٠هـ. الموافق ٥ تموز ١٢٨١م. وتضمنت هذه الهدنة الشروط الآتية :

١ — أن تشمل الهدنة جميع البلاد التابعة لقلاوون وبلاد ولده الصالح ، وما هو مجاور لطرابلس وما سيفتح مستقبلا عى يده ويـد ولـده وعسكرهما . وتشمل أيضا جميع البلاد التابعة لبوهيموند وعددها (٥١) ناحية . وما هو للخيالة والكنائس وهي ٢١ بلداً .

٢ — أن تكون أملاك « روجار دي لا لولاي » مناصفة بين قلاوون وبوهيموند.

٣ — أن يستقر برج اللاذقية وما تجدد فيه لخاصّ بوهيموند .

٤ — ان يستقر نواب الطرفين في جهتين من اللاذقية ، هما المدينة والميناء ، وذلك لاستخراج الحقوق والجبايات والغلات وغيرها مناصفة حسب شـروط الهدنة التي كانت عقدت من قبل بين الظاهر بيبرس وبين بوهيموند السادس .

---

(١) دولة بني قلاوون في مصر — الدكتور جمال الدين سرور — ص ٢٣٢ — القاهرة ١٩٤٧

(٢) السلوك لمعرفة الدول والملوك — المقريزي — تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة —ج١— ق٣ — ص ٩٧٥ — القاهرة .

٥ — أن يقيم على جسر أرتوسية ١٦ نفراً من غلمان السلطان لحفظ الحقوق والغلاّت. ويتكونون من : المشد (أي المراقب أو الضابط) وغلامه ، والشاهد وغلامه ، والمكاتب وغلامه ، ومعهم عشرة أنفار .

٦ — أن يكون لغلمان السلطان المذكورين مساكن يسكنون فيها لتكون الرقابة محكمة ودائمة ، على ان لا تحصل منهم مضرّة لرعية بوهيموند .

٧ — يحق لغلمان السلطان ان يمنعوا ما يجب منعه من الممنوعات ، على الاّ يمنعوا ما يكون من عرقا وبلادها .

٨ — ان تؤخذ الرسوم على كل غلّة تدخل طرابلس باسم بوهيموند أو باسم أصحابه .

٩ — على بوهيموند أن لا يُحدث أي بناء جديد خارج طرابلس أو في البلاد التي شملتها الهدنة .

١٠ — على الشواني (السفن الحربية) أن تكون آمنة لدى الطرفين .

١١ — ان تؤخذ الرسوم على كل ما يعبر من بلاد السلطان ما خلا عرقا وبلادها

١٢ — على السلطان أن لا يستجدّ بناء قلعة بجوار البلاد التي لبوهيموند والتي ذكرتها الهدنة .

١٣ — يستمر مفعول هذه الهدنة سارياً حتى انتهائها بالتاريخ المحدد لها ، ولا تنتقض بموت أحد من الطرفين .

١٤ — ألاّ تتغير الهدنة في حال تغير وضع الطرفين عن طريق الافرنج أو التتار

١٥ — لأحد الطرفين الحق في الدفاع عن ممتلكاته في حال تعرّضها لاعتداء أجنبي (كالمغول) .

١٦ — على بوهيموند أن لا يتعاون مع أعداء السلطان ، وأن لا يتفق عليه معهم . (١)

(١) راجع نص هذه الهدنة في : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة — بيبرس المنصوري — ج ٩ — ص ١٢٤ (أ) — ١٢٦ (أ) نسخة مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٢٨ ، نهاية الأرب في فنون الادب — النويري — ج ٢٩ — ص ٢٧٨ (أ) — ٢٨٠ (أ) نسخة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٩ معارف عامة ، السلوك — ج ١ — ق ٣ — ص ٩٧٤ — ٩٧٧ ، ابن الفرات — ج ٧ — ص ٢٠٦ ، تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور — ص ٨٢ و ٨٣

وقد توجه الى طرابلس الامير فخر الدين اياز المقري الحاجب ليحلّف الفرنج ومقدّم الاسبتار على ما انعقد عليه الصلح فحلّفهم .

وعقد قلاوون هدنة أخرى مع فرسان المعبد في ترتوزا سنة ١٢٨٢م. ولا يعنينا من أمر هذه الهدنة شيء الاّ تأييد ما نقرره من أن قلاوون اتبع سياسة المهادنة مع الصليبيين ليتفرغ لمواجهة الخطر المغولي فيأمن شرّ الصليبيين عندما يكون في حرب مع المغول .

ومهما يكن من أمر فان الهدنة التي عقدها قلاوون مع بوهيموند السابع صاحب طرابلس لم تحترم شروطها حتى نهاية مدتها المحددة ، بل حدث ان انتهكت وخرقت بنودها عدة مرات ، كما انه لم يُكتب لها أن تستمر حتى سنة ٦٩٠هـ. كما هو مقرّر لها ، اذ ان فتح طرابلس قد تم سنة ٦٨٨هـ./١٢٨٩م. أي قبل نهاية مدة الهدنة بسنتين .

ومن الامثلة التي نسوقها في هذا الصدد هذه الحادثة التي أتى على ذكرها كل من ابن الفرات ، ومحيي الدين الظاهري في حوادث سنة ٦٨٢هـ./١٢٨٣م. ومفادها : أن بطركاً عتا وتجبر واستطال وتكبر في نواحي بلاد طرابلس حتى خافه صاحب طرابلس وجميع الافرنج ، وقد استغوى اهل الجبال المحيطة بطرابلس وجمع منهم أنصاراً وأتباعاً ، فتقويت بهم شوكته . واستمر أمره مدة حتى خافه كل أهل المناطق المجاورة ، وقد تحصّن في الحدث وشمخ بأنفه ولم يستطع أحد أن يتغلب عليه لقوة الحصن ، واحتمائه بالانصار ، « ولولا خوفه من سطوة مولانا السلطان لخرّب تلك البلاد وفعل ذلك أو كاد » وعندما وصلت أخباره الى نواب البلاد الاسلامية المجاورة أخذوا يترصّدونه للايقاع به ثم قصده التركمان في مكانه وجاؤه بحيلة حتى تمكنوا منه واسروه وأحضروه الى الابواب السلطانية « وكان امساكه فتوحاً عظيماً أعظم من افتتاح حصن أو قلعة » (١)

ويأتي المؤرخ الدويهي برواية لحادثة وقعت في نفس المنطقة التي مرّ ذكرها ، ويبدو أنها مرتبطة بحادثة البطرك التي أوردناها ، فيقول انه وقف على كتاب خطّي للصلاة كُتب في سنة ١٥٩٤ للتاريخ اليوناني ، الموافقة لسنة ١٢٨٣ للميلاد وفيه كتب ناسخه ما مؤداه :

« انه في شهر أيار سارت العساكر الاسلامية الى جبة بشري وصعدت بوادي

(١) تشريف الايام والعصور — ص ٤٧ ، تاريخ ابن الفرات — ج ٧ — ص ٢٧٧ ، نهاية الارب — ج ٢٩ — ص ٢٨

حيرونا شرقي طرابلس وحاصرت قرية اهدن حصاراً شديداً ، وفي تمام الاربعين يوما ملكوها في شهر حزيران فنهبوا وسلبوا وخرّبوا القلعة التي وسطها والحصن الذي على راس الجبل ، ثم انتقلوا الى بقوفا ففتحوها في شهر تموز وقبضوا على أكابرها وأحرقوهم في البيوت ودكّوها الى الارض وأسرفوا في النهب والسلب وبعد ان وضعوا السيف في أهالي حصرون وكفر صارون وذبحوهم في الكنيسة ، زحفوا في ٢٢ آب الى الحدث فهرب أهلها الى العاصي وهي مغارة منيعة فيها صهريج ماء فقتلوا من أدركوه وخرّبوا الحدث وبنوا برجا قبالة المغارة وأبقوا فيه كمينا من العسكر ثم هدموا جميع الاماكن الحصينة » (١).

الصليبيون في طرابلس

بعد وفاة السلطان الظاهر بيبرس في سنة ٦٧٦هـ./١٢٧٧م. اخذ « جي الثاني » المعروف في المصادر العربية باسم « سيركي » أو « شيزكي » صاحب جبيل يسعى للاستيلاء على طرابلس ، وراح يتحيّن الفرص لتحقيق ذلك حتى تولى المنصور قلاوون عرش السلطنة ، ولاحت له عند ذلك الفرصة فكاتب خيالة طرابلس لينضموا اليه ضد بوهيموند صاحبها الذي يناصبه العداء الشديد (٢). كما أجرى اتصالات مع الملك المنصور عبر الامير سيف الدين بلبان الطباخي الصالحي صاحب حصن الاكراد يطلب منه المساعدة على تحقيق ما يصبو اليه مقابل أن تكون طرابلس مناصفة بينه وبين المنصور في حال تملكها وطلب أن يعتضد بجماعة من المسلمين الجبليين لقربهم منه ، فكتب المنصور لنوابه بالموافقة على امداده بالجماعات التي طلبها ، وتقرّب « جي » اليهم بالخلع .

---

(١) نبذة تاريخية في أصل الطائفة المارونية واستقلالها بجبل لبنان من قديم الدهر حتى الآن ــ المطران يوسف أدريان ــ ص ٦١ ــ مطبعة الاخبار بمصر ١٩١٦

(٢) يقول قطب الدين اليونيني عن شيزكي انه كان من الفرسان المشهورين عند الفرنج محبوبا اليهم لشجاعته وكرمه ، وكان معظم الخيالة بطرابلس قد مالوا اليه وتغيروا على صاحبها ، فكاتبهم شيزكي وكاتبوه وتقرر بينهم أنه متى حضر سلموا اليه البلد . (ذيل مرآة الزمان ــ ج ٤ ــ ص ١٧١ ــ طبعة ١٩٦١).

وفي أواخر شوال أو أواخر ذى القعدة من سنة ٦٨١هـ./١٢٨٢م. ركب «جي» بأصحابه وجماعة من الجبليين في البحر وغادروا ميناء جبيل ودخلوا ميناء طرابلس ليلا ونزلوا الى البلد وطرقوا أبواب المكاتبين بالامر ، فلم يخرج اليهم أحد ، اذ كان بوهيموند قد وقف على الامر واحترز لذلك واتخذ عدّته للايقاع بالمتآمرين . وحاول « جي » الوصول الى قصر بوهيموند فقيل له ان عدوه عرف بباطن الحال ونُصح بالعودة سالماً فلم يفعل ، وفي هذه الاثناء أحس بوهيموند بدخوله البلد ، فأخرج غلمانه وأصحابه وخيّالته في طلب الجمع ، فأمسكوا بجماعة منهم ، وفر « جي » الى دار الفرسان الداوية ليحتمي بها ، غير أنه ما لبث أن وقع في قبضة بوهيموند . فكان مصير الجماعة السجن في أنفه . أما « جي » فكان مصيره الاغراق في البحر على ما قيل مع أصحابه الخصّيصين به بعد ثلاثة أيام من القبض عليهم . ثم نقل المسلمون الجبليون الى حصن مرقية حيث سجنوا هناك . وسيّر بوهيموند جماعة تسلموا جبيل وضمها الى أملاكه ، وبذلك أصبحت تابعة لامارة طرابلس (١).

المنصور قلاوون يفتـــح حصن المرقب

توجّه قلاوون في شهر محرم سنة ٦٨٤هـ./١٢٨٥م. نحو دمشق فدخلها في ٢٢ منه ، وهناك أخذ يجهز المجانيق ، ولا يعلم احد الى أين يسير ولا الى أين المصير ، والرجال من البلاد مجهزة بأزوادهم ومقدميهم وعددهم ، وهي كثيرة لا تحصى ، ومن الناس من يقول : ان العزم الى قلعة الروم ، ومنهم من يقول غير ذلك ، وجهزت المجانيق التي في القلاع المجاورة وجرّدت رجالها من غير رهج ولا اظهار شيء (٢). وبعد أن انتهى من الاستعداد والتهيؤ للحرب سار من دمشق ونزل على حصن الاسبتار في المرقب وفاجأ أهله بالحصار ولازمه ٣٨ يوماً حتى فتحه يوم الجمعة ١٩ ربيع الاول وأخرج الافرنج الباقين فيه وأبعدهم الى طرابلس (٣).

---

(١) المصدر السابق ــ ج ٤ ــ ص ١٧١ ، ١٧٢ ، النجوم الزاهرة ــ ج ٧ ــ ص ٣١٦ بالهامش .

(٢) تشريف الايام ــ ص ٧٧ و ٧٨

(٣) السلوك ــ ج ١ ــ ق ٣ ــ ص ٧٢٧

وكان من أسباب فتح المرقب ان الامير سيف الدين بلبان الطباخي نائب المنصور بحصن الاكراد كتب اليه سنة ٦٧٩هـ. يستأذنه في غزو الفرنج بالمرقب لأنهم لما بلغهم قدوم التتار قويت نفوسهم وامتد طمعهم (١). فبيّت قلاوون هذا الامر ، وكانت حملته المفاجئة هذه بعد أن اطمأن الى انقضاء الخطر المغولي حيث تبادل المراسلات الودّية مع ملكهم وأمن جانبهم ، ولذا سار من مصر الى دمشق وتكتّم على خطة سيره ووجهته ثم باغت حصن المرقب ، فكانت المباغتة مقدمة للنصر . وقد وجد قلاوون ان من الخطل أن يترك هذا الحصن بيد صاحبه « بارتلميو » حتى لا يكون شوكة بجانب المسلمين . وكان هذا الحصن قد وقع بيد الظاهر بيبرس من قبل . وفرّ صاحبه بارتلميو والتجأ الى التتار ، وبعد وفاة بيبرس عاد بارتلميو الى الحصن وتملكه ثم قام ببناء حصن آخر مقابل له في البحر هو حصن مرقية ، وأعانه على بنائه بوهيموند صاحب طرابلس ، وأمدّه الافرنج من الاسبتارية في المرقب وغيره بالمساعدات . وكان نواب السلطان المرابطين في حصن الاكراد قد عجزوا عن منع الصليبيين من بناء هذا الحصن فاضطروا لاقامة برج بالقرب منه بقرية ميعار ووضعوا فيه ٥٠ رجلا يستبدلون في كل فترة ، فلم يغن عنهم شيئا .

ويذكر الظاهري ان ابن صاحب مرقية حضر مستخفيا الى أبواب السلطان قلاوون ورغّبه في تحصيل هذا الحصن وتسليمه ، وعند عودته قبض عليه في عكا وهو مستخف بهيئة أصحاب البريد ووصل الخبر الى أبيه بارتلميو فحضر وقتله بيده في وسط عكا جزاء فعلته . (٢) وعندما وجد قلاوون أنه لا سبيل الى انتزاع الحصن بالقوة ولا بالعدّة لجأ الى سياسة التهديد والارجاف ، فأرسل الى بوهيموند صاحب طرابلس يخوّفه بقوله : « ان العساكر قد تفرّغت وما بقي لها الا أنت ، وهذا البرج أنت الذي عمّرته في الحقيقة ، ولولا اعانتك لما بني ، وأنت المؤآخذ به فأمّا أن يهدم ، والاّ أخذنا تبالته من بلادك ما لا ينفعك في الدفع عنه صاحب مرقية ، وتندم حيث لا ينفعك الندم » (٣)

ويلاحظ ان قلاوون أراد أن يبيّن لبوهيموند أنه كان البادىء بخرق شروط الهدنة المعقودة بينهما بمساعدته على بناء هذا الحصن لبارتلميو . وخلاصة القول فان بوهيموند تيقن من تصميم قلاوون على أمر هذا الحصن ، ولذلك بادر الى الاذعان فأجاب الى تسليم الحصن وهدمه ، وأطلق سراح المسلمين الجبليين

(١) تشريف الأيام — ص ٧٨
(٢) تشريف الأيام — ص ٨٨
(٣) المصدر نفسه — ص ٨٩

الذين كانوا في الأسر منذ سنة ٦٨١هـ./١٢٨٢م. وارضى صاحبه بارتلميو بمبلغ من المال وملكه ضياعاً بعد صعوبة (١) وبعث الى المنصور بهدية وصالحه على أن لا يترك عنده أسيراً ولا يتعرّض لتاجر ولا تقطع الطريق على مسافر (٢) وارسل بوهيموند احد أصحابه من الاعيان مقدّما على رأس جماعة من الافرنج ومعهم آلات الهدم من حديد وغيره . وكلّف قلاوون من قبله الامير بدر الدين بكتاش النجمي أمير جاندار ومعه مائة حجّار لهدم الحصن ، وأرسل قلاوون الى الامير الاسفهسلار ركن الدين طقصوا المنصوري بالحضور ومعه العساكر المجرّدين قبالة جبلة ليساعدوا في الهدم . فهدم حجراً فحجراً (٣).

وفي سنة ٦٨٦هـ./١٢٨٧م. أمر قلاوون الامير حسام الدين طرنطاي بالتوجه الى صهيون لانتزاعها من الامير شمس الدين سنقر الاشقر لانه امتنع عن الحضور للمشاركة في فتح المرقب ، غير أن الامير حسام الدين قام أيضا بمهاجمة مدينة اللاذقية التي كانت مكان اقامة المندوبين المخوّلين بتنفيذ بنود الهدنة بين قلاوون والفرنج ، ذلك ان صاحب اللاذقية كان يدين بالولاء للامير سنقر ، وبرر قلاوون هذا الهجوم باعتبار أن اللاذقية هي من أملاك سنقر وبالتالي فهي من أملاكه أكثر من اعتباره لها من أملاك الصليبيين (٤). ويذكر صاحب سيرة المنصور ان الامير حسام الدين رحل الى جهة طرابلس « للمطالبة بالدعاوى وأقام حتى أوجب على أهل طرابلس ما يوآخذون به ويؤخذون بسببه » (٥) . وهكذا فقد استولى قلاوون على اللاذقية في ٥ ربيع الاول سنة ٦٨٦هـ./١٢٨٧م. ولم يبق أمامه سوى فتح طرابلس ، فلبث يترقب الفرصة السانحة ليقوم بفتحها.

الصليبيون في طرابلس وتردي الموقف

توفي بوهيموند السابع سنة ٦٨٦هـ./١٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٢٨٧م. دون أن يخلف وريثاً للعرش ، فوضع بوفاته المسمار الاخير في نعش الصليبيين

(١) نفسه
(٢) السلوك — ج ١ — ق ٣ — ص ٧٤٦
(٣) تشريف الايام — ص ٨٩ و ٩٠ ، النجوم الزاهرة — ج ٧ — ص ٣١٧
(٤) طرابلس الشام — ص ٢٨٧
(٥) تشريف الايام — ص ١٥٢

بطرابلس وما حولها ، اذ عاد الصراع لينفجر ثانية بين الطامحين الى عرش الامارة ، وأخذت الكونتيسة « سيبل » الارمنية تواصل سعيها للظفر بالامارة مدعّمة بشعبيتها ، بينما طالبت الكونتيسة « لوسي » اخت بوهيموند الكبرى (١) وزوجة نارغوت دي توسي أمير البحر في نابولي بحقها الشرعي بوراثة عرش أخيها ، واستعر الصراع بين الطرفين ، واستنجدت لوسي بالاستبارية حلفاء أخيها بينما استنجد الزعماء الشعبيون بجنوه ، واستنصروا بصاحب جبيل ، « برتلميو دي امبرياتشو » ابن سيركي أو جي الثاني ، ويسميه ابن تغري بردي « سير تلميه » وتمكنوا من اقامة حكم بلدي مستقل بشكل مجلس عرف باسم (قومون) ، وترأسه برتلميو صاحب جبيل ، واستفاد الجنوية من تدخلهم فوضعوا مجلس المدينة تحت وصايتهم وانتهزوا تلك الفرصة فعززوا مراكزهم التجارية فيها ، وأضحت لهم شوارع وأسواق خاصة (٢).

غير ان لوسي رأت أن عليها أن تدير معركتها عن كثب ، فأسرعت بطريق البحر من نابولي ونزلت في عكا وشدّدت مناداتها بحقها في وراثة عرش أخيها ، وكان لخطوتها هذه أثرها في تحريك أهل طرابلس حتى اضطر زعماء القومون للتفاوض معها فاتفقت معهم على الاعتراف بحقوقهم في طرابلس مقابل اعترافهم بها أميرة عليها ، وبذلك وجد برتلميو أنه خسر كل شيء ، فحنق على الطرفين وراح يحرّض قلاوون على احتلال طرابلس وسأله « ان يتقدم للامير بلبان الطباخي السلحدار لمساعدته على تملك طرابلس على أن تكون مناصفة »(٣)بينه وبين السلطان قلاوون . واشترك البنادقة والبيازنة بهذا التحريض لمنافستهم التجارية للجنوية . وأرسلوا وفداً الى السلطان لينبّهوه الى أنّ وجود الجنويّين في طرابس يهدد تجارة الاسكندرية ويتيح لهم السيطرة على البحر الابيض المتوسط (٤). ويذكر ابن تغري بردي ان سير تلميه « بذل في ذلك بذولا كثيرة فسوعد الى أن تمّ له مراده » (٥).

---

(1) La grande Enceclopidia - R. Dussu - V. 31 - P. 403

(2) Tripoli of Lebanon - Bruce Condé - P. 13 - Beirut - 1961

صلاح الدين الايوبي — قدري قلعجي — ص ٥٩٦ — بيروت ١٩٦٦

(٣) النجوم — ج ٧ — ص ٣٢١

(٤) صلاح الدين — ص ٥٩٨

(٥) النجوم

ولا شك ان قلاوون كان يراقب الوضع في طرابلس ، ويشعر بأن فتحها بات ميسوراً ، اذ كان الوهن والضعف قد أصاب الصليبيين فيها لاستمرار النزاع بينهم ، وعدم تقديرهم لخطورة الموقف . وبطبيعة الحال لم يكن قلاوون ينتظر الدعوة الى فتح طرابلس من برتلميو حتى ينهض اليها فحسب ، بل كان يتحين الفرصة لذلك ، فعندما وصلته رسالة من الامير حسام الدين لاجين نائب الشام « بأن الفرنج في طرابلس نقضوا الهدنة وأخذوا جماعة من التجار وغيرهم وصار بأيديهم عدة أسرى » (١) صمم على فتح طرابلس وحسم أمرها .

وبدت نذر الحرب تلوح فوق طرابلس ، فأسرع الصليبيون لتناسي خلافاتهم ، وتكتلوا للدفاع عن المدينة واستصرخوا الافرنج في كل مكان لينجدوهم ، وتولى هذه المهمة « عموري دي لوزنيان » صاحب صور ، وأحضر فرسانه من فلسطين حيث كانوا يرابطون هناك بقيادة « جون دي جرايلي » وشاركت قوة هائلة من فرسان الاستبارية بقيادة مقدّمهم « ماتيو دي كليرمو » في مهمة الدفاع عن طرابلس وشارك معهم الداوية أيضاً ، وأرسل كل من البنادقة والجنوية والبيازنة (٢) بعض سفنهم . ووصلت نجدة من عكا (٣) كما قدمت الى طرابلس أربع سفن حربية من هنري الثامن ملك قبرص (٤). وازدحمت المدينة بالصليبيين الوافدين اليها من كل جهة ، وباللاجئين من سكان القرى التابعة لها ، ومن المدن والقرى التي استولى عليها قلاوون .

وفي هذه الاثناء لقي برتلميو معارضة شديدة من الافرنج للاتفاق الذي عقده مع قلاوون حتى استطاعوا أن يؤثروا عليه ويمنعوه من تنفيذه ، فشرع في التسويف والمغالطة واضاعة الوقت ، فلما علم السلطان باطن الامر « عزم على قتاله قبل استحكام أمره » (٥).

---

(١) السلوك — ج ١ — ق ٣ — ص ٧٤٦

(٢) طرابلس الشام — ص ٢٨٩

(٣) صلاح الدين — ص ٥٩٨

(٤) قبرص والحروب الصليبية — الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور — ص ٥١ — القاهرة ١٩٥٧

(٥) النجوم — ج ٧ — ص ٣٢١

فتح طرابلس وتحريرها من الصليبيين

قرر قلاوون أن ينتهي من أمر طرابلس ، فخرج بالجيوش المصرية ، وخيّم بظاهر القاهرة في يوم الخميس ١٠ من شهر المحرم سنة ٦٨٨هـ./١٢٨٩م. وبعد خمسة أيام من التأهب ، بدأ بالرحيل في ١٥ من الشهر المذكور باتجاه الشام . وفي هذه الاثناء كتب رسائل الى جميع نوابه بالشام بتجهيز العساكر في الممالك الشامية والحصون الاسلامية (١) وموافاته بجيوشهم ، وان يأتوا بالمجانيق وآلات الحصار ، وكتب الى الامير حسام الدين لاجين نائب دمشق ان يستعد لملاقاته ، وان يوافيه بالجيوش الشامية الى فتح طرابلس . ومن ثم سار الى دمشق فدخلها في يوم الاثنين ١٣ من شهر صفر ، ومكث فيها اسبوعاً للراحة استعداداً للزحف وترقباً للامدادات التي كانت تأتي من جميع أنحاء الشام ، وبعد ذلك غادر دمشق يوم الاثنين ٢٠ من شهر صفر متجهاً نحو طرابلس على رأس جيش ضخم اختلف المؤرخون في تقدير عدد أفراده ، فالمؤرخ « كينغ » يذكر انه كان يتألف من ١٠ آلاف فارس و ٣٣ الفاً من المشاة (٢) بينما يقدرهم « بروس كوندي » بمائة الف من المشاة (٣).

أما الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور فيقدّرهم بـ ٤٠ الف فارس و ١٠٠ الف من المشاة (٤). ونحا نحوه المؤرخ الفرنسي « جاك نانت »(٥). ولم تفصح المصادر العربية المعاصرة عن عدد أفراد هذا الجيش ، بل أشارت الى انه قد صحب السلطان خلق كثير من المتطوعة ، منهم القاضي نجم الدين الحنبلي قاضي الحنابلة (٦) وخلق من المقدسيين وغيرهم (٧). وشارك في الفتح كل من الامير

(١) ابن الفرات — ج ٨ — ص ٨٠.

(٢) طرابلس الشام — ص ٢٨٩ و ٢٩٠.

(3) Condé - P. 13

(٤) أضواء جديدة على الحروب الصليبية — د. سعيد عاشور — ص ٤٦ — سلسلة المكتبة الثقافية — رقم ١١٨ — القاهرة ١٩٦٤، الحركة الصليبية — د. سعيد عاشور — ج ٢ — ص ١١٧٤ القاهرة ١٩٦٣

(5) Histoir Du Liban - J. Nantet - P. 74 - Paris - 1963

(٦) انظر ترجمته في : شذرات الذهب — ج ٥ — ص ٤١٧ و ٤٠٨.

(٧) البداية والنهاية — والنهاية — ج ١٣ — ص ٣١٣

حسام الدين لاجين نائب دمشق ، والامير سيف الدين بلبان الطباخي نائب حصن الاكراد ، والامير معن الطرابلسي أمير شكار ، والامير منكورس الفارقاني ، والامير علم الدين سنجر الدواداري ، والمؤرخ ابو الفداء ، ووالده الملك الافضل، وابن عمه الملك المظفر صاحب حماه ، والامير ايبك صاحب صرخد ، والامير بدر الدين بيدرا والامير سيف الدين الجمقدار أمير خازندار ، وغيرهم .

سار قلاوون بقواته عبر جبال لبنان التي كان الثلج يكسوها حيث وصل الى مشارف طرابلس في شهر آذار (مارس) وهو من أشهر الشتاء الباردة ، ولم يلق في طريقه أية مقاومة تذكر ، فقد آثر الصليبيون أن يتحصنوا داخل أسوار المدينة ولذا فان قلاوون نزل بقواته عند مرتفع القبة في يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الاول ، حيث نصب هناك قبته السلطانية(١) .واشرف بذلك على المدينة الصليبية القائمة على ضفة النهر والمدينة القديمة القائمة عند ساحل البحر ، وشرع من فوره في ضرب الحصار عليها من جهة الشرق ، اذ يحيط البحر بغالب طرابلس « وليس عليها قتال في البر الا من جهة الشرقي وهو مقدار قليل »(٢) ونصب في تلك الجهة عدة كثيرة من المجانيق الكبار والصغار ، وذكر كل من المقريزي وابن كثير أنها كانت ١٩ منجنيقاً(٣) منها ٦ افرنجية و ١٣ قرابغا(٤) وبدأ الرمي بالمجانيق على المدينة ، في حين كان النقّابون والحجّارون والزرّاقون الذين بلغ عددهم ١٥٠٠ رجلا(٥) يقومون بالنقب وفتح ثغرات في سور طرابلس الممتد شرقي المدينة من البحر شمالا حتى البحر جنوبا ، وكان عرضه « بمقدار ما يسوق عليه ثلاثة فرسان بالخيل »(٦) واستمر الحصار مضروبا ، والرمي بالمجانيق مستمراً ، وحفر النقوب دائباً ليلا نهاراً(٧) طيلة ٣٤ يوما . ونجحت

(١) اتخذت منطقة القبة بطرابلس تسميتها من قبة السلطان قلاوون التي نصبت عليها عند فتح طرابلس ثم عرفت بعد ذلك في المصادر التاريخية بقبة النصر .

(٢) المختصر في اخبار البشر - أبوالفداء - ج - ٤ ص٢٣ المطبعة الحسينية بمصر ١٣٢٥ هـ.

(٣) السلوك - ج ١ - ق ٢ - ص ٧٤٧ ، البداية والنهاية - ج ١٣ - ص ٣١٢

(٤) ابن الفرات - ج ٨ - ص ٨٠

(٥) كنز الدرر - ابن ايبك - ج ٨ ق ٢ - ص ٢٥١ - نسخة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٨ ، ابن الفرات - ج ٨ - ص ٨٠

(٦) ابن الفرات - ، السلوك - ص ٧٤٨

(٧) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في حوادث الزمان - اليافعي - ج ٤ - ص ٢٠٧ - طبعة حيدر أباد ١٣٣٨ هـ.

تذائف المجانيق في تهديم برج الاسقف الواقع في الركن الجنوبي الشرقي للاسوار، وبرج الاسبتارية الجديد الواقع بين برج الاسقف والبحر ، مـع السور الممتد بينهما(١) . وازاء التضييق الشديد الذي تعرّض له الصليبيون ، وقوة الحصار الذي فرضه قلاوون على المدينة ، وظهور عدم جدوى المقاومة ، فقد فرّ عدد كبير من البنادقة الى شاطىء البحر وركبوا السفن هاربين بعـد أن شحنوها بالأمتعة ، وقد أحدثت حركتهم هذه ريبة وخوفاً عند أمير البحر اذ ظن أن البنادقة يحاولون سرقة بعض سفنه في الميناء ، فاستدعى رجاله وغادروا المدينة بدورهم بعد أن أخذوا معهم ما يحفظونه في متاجرهم ، وارتبك أهالي المدينة ازاء ذلـك وفتّ في عضدهم ووقعت الفوضى في صفوف المدافعين . وقام كل من « املريك » أمير قبرص والمارشال « ماتيو دي كليرمونت » والمارشال « عموري دي لوزنيان » و « جون دي جرايلي » والكونتيسة « لوسي » بالابحار الى قبرص هاربين (٢).

وفي الساعة السابعة بالتوقيت العربي (الساعة الواحدة ظهراً بالتوقيت الغربي) من يوم الثلاثاء في ٤ من شهر ربيع الآخر(٣) سنة ٦٨٨هـ./١٢٨٩م. (٢٦نيسان—ابريل) تم فتح طرابلس. ووجدت قوات قلاوون طريقها عبر الاسوار المتهدمة ، فتدفقت الى المدينة وأعملت السيوف في رقاب الصليبيين ، وعندما رأى هؤلاء سيل المسلمين الجارف بادروا بالهرب الى جزيرة تجاه طرابلس قريبة من الساحل تعرف بجزيرة النخلـة (٤) لا يتوصل اليها الا بالقوارب وصغار

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية — ج ٣ — ص ٦٨٧ ، طرابلس الشام — ص ٢٩٠.

(٢) تاريخ الحروب الصليبية — نفس الصفحة

(٣) ابن الفرات ، السلوك ، ومنهم من قال ان فتحها كان في الساعة الرابعة (البداية والنهاية — ج ١٣ — ص ٣١٣ ، النجوم — ج ٧ — ٣٢١ ، العبر في خبر من غبر — الذهبي — ج ٥ — ص ٣٥٦ طبعة الكويت) ويجعل ابن كثير الفتح في شهر « جمادى الآخرة » وكذلك العيني في عقد الجمان — ج ٢٠ — ق ٤ — ٧٢٠ ، أما الفيومي فيقول ان المسلمين زحفوا على طرابلس في الساعة الثالثة من اليوم المذكور ووافق ذلك أول يوم من بشنس (وهو من الاشهر القبطية) انظر : نثر الجمان في تراجم الاعيان ج ٢ — ٣١٦ ب — مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٤٦ تاريخ . أما السلامي فيجعل فتح طرابلس في ١٩ ربيع الآخر — مختصر التواريخ — ص ٣٥٩ — نسخة مخطوطة بيـد محمود حمدي — محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٠٥١ ح ، ويجعله الكتبي في ١٤ ربيع الآخر — عيون التواريخ — ج ١٢ ق ١ — ص ٢ — نسخة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٤٩ تاريخ) .

(٤) ابن الفرات — ج ٨ — ص ٨٠.

المراكب ، وفيها كنيسة تسمى كنيسة « سنطماس »(١) والتجأ الى الكنيسة عالم عظيم من الفرنج رجالا ونساء ، ونقلوا معهم ما عز عليهـم من قماشهم وأثاثهم(٢) ، فاقتحم العسكر الاسلامي البحر وعبـروا بخيولهم سباحة الـى الجزيرة المذكورة ، فقتلوا جميع من فيها من الرجال وغنموا ما بها من النساء والصغار(٣) . وذكر بدر الدين العيني نقلا عن تاريخ بيبرس المنصوري : ان البحر انطرد عن الفرنج الفارّين الى الجزيرة فانحسرت المياه وظهرت للعساكر مخاضات فعبروها ما بين راجل وفارس وأوقعوا بمن فيها (٤). وغرق كثير من الهاربين وسبيت النساء والاطفال وأخذت الذخائر والحواصل (٥).

ويصف الكاتب شهاب الدين محمود فتح طرابلس وهو ممن شهده مـع السلطان قلاوون فيقول :

« ... ووصلنا معه طرابلس فنزل بساحتها وجعلها للعساكر المنصورة موطن راحتها وموطن اباحتها ، وقد تكفل البحر لها بالامتناع وضمن لها ما يزيد على حصانة القلاع ، وأمدّها من بلاد الفرنج كل يوم بمدد ، وواصلها بالمراكب الكثيرة العدد ، بما يزيد على أمواجه في العدد ، فوصل رُسلُ أهلها وتوسلوا بالذرايع وبذل الاموال والقطايع ، وعمارة المئذنة والجامع ، فلم يقنع منهم بغير الاسلام ، أو تسليم البلد بجملته ، واعادة القبة من شرق بيضته الى قبلتـه ، فاعتصموا بالاسوار وركنوا للقتال من وراء الجدُر واطلقوا نحو كل سهم مـن المنجنيق يشير عليهم ببنانه بالايمان ، ويميل تارة اليهم وتارة الينا ويميل كالنشوان، فنصبنا مناجيقنا قبالة مجانيقهم التي نصبوها من وراء أسوارها ، ولم تـزل ترميهم حتى عاد السور رميماً ، والحجر الذي كان بأعلى الابراج في أسفـل الخندق هشيماً ، وكثيراً ما كانت تثير مجانيقهم فتقضي عليهم ببوارهم وتبسرهم من أول أمرهم بأدبارهم وتصيبهم قارعة بما صنعوا أو تحل قريبا من دارهم ، فرجعت عليها العساكر المنصورة ، وفي عاجل الوقت ملكوا الباسورة ، فعلموا أنه لم يبق سوى الاسارى والقتل أو الفرار ، فالتبست على كل منهم مذاهبه ،

---

(١) المختصر ، تتمة المختصر — ابن الوردي — ج ٢ — ص ٢٣٤ — المطبعة الوهبية ١٢٨٥هـ.

(٢) عقد الجمان — ج ٢٠ — ق ٤ — ص ٧٢٢

(٣) المصادر المذكورة سابقا

(٤) عقد الجمان ، نهاية الارب — ج ٢٩ — ص ١٣

(٥) البداية والنهاية — ج ١٣ — ص ٣١٣

فراحوا فريقاً في الأسار وبعضهم قتيل وبعض لاذ بالبحـر هاربـه ، فهجمت العساكر المنصورة عليها هجوم الليوث الضواري ، وعاجلت أكثرهم عن الالتجاء الى المراكب والاعتصام بالصواري ، وتصرّفت فيمن بقـي منهم يـد القهر ، وتنوعت فيهم من القتل والنهب والسبي والاسر (١).

ويتحدث المؤرخ ابو الفداء الذي شهد الفتح عن كثرة القتلى في جزيرة النخلة فيقول : « وهذه الجزيرة بعد فراغ الناس من النهب عبرت اليهـا في مركـب فوجدتها ملأى من القتلى ، بحيث لا يستطيع الانسان الوقوف فيهـا من نتـن القتلى » . (٢)

وحدث أن ركب جماعة من أهل طرابلس الفرنج مركباً يبغون النجـاة بأرواحهم ، فجاءتهم ريح قوية دفعت بالمركب الى الساحل ، وتعذّر عليهـم الخروج منه ، وكانت هناك الخيول الاسلامية مع الدشارية فخرج اليهم الغلمان والشاكردية والأوشاقية وأمير أخورية فظفروا بهم ، وأوقعوا فيهم القتـل والنهب والاسر (٣).

نتج عن فتح طرابلس هلاك جميع ساكنيها من الصليبيين سوى قليل منهم كما يقول المؤرخ « ميشود »(٤). ويذكر ابن كثير ان القتل والاسر شمل جميع من فيها(٥). وذهب بعض المؤرخين الى أن قلاوون أثخن في الصليبيين حزنـاً على ولده الصالح علي المتوفى سنة ٦٨٧هـ.(٦) وهذا قول ضعيف .

ومنهم من قال ان القتلى بلغوا حوالي ٧٠٠٠ شخص(٧). ذهبوا ما بين

---

(١) مسالك الابصار في ممالك الامصار ــ ابن فضل الله العمري ــ ج ٨ ق ١ ــ ص ٩٠ و ٩١ ــ نسخة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥٩ معارف عامة .

(٢) المختصر ــ ج ٤ ــ ص ٢٣

(٣) ابن الفرات ، السلوك ، عقد الجمان .

(٤) خطط الشام ــ محمد كرد علي ــ ج ٢ ــ ص ١٢٦ ــ طبعة دمشق ١٩٢٥

(٥) البداية والنهاية ــ ج ١٣ ــ ص ٣١٣

(٦) تاريخ الامة العربية (عصر الانحدار) ــ الدكتور محمد أسعد طلس ــ ص ٩٤ ــ بيروت ١٩٦٣ العلاقات بين الشرق والغرب ــ الدكتور عبد المنعم ماجد ــ ص ٢٠٣ ــ طبعة بيروت ١٩٦٦

(٧) طرابلس الشام ــ ص ٢٩٢

قتيل وغريق ، وكان من بين القتلى كل من « بطرس مونكادا » قائد الفرسان الداوية ، و « بارتلميو دي امبرياتشو » صاحب جبيل (١).

وحكى الأمير سيف الدين بن الجمقدار أمير خازندار أن جملة الاسرى كانت ١٢٠٠ أسير كلهم من أهل طرابلس (٢). ووضعوا في زردخاناه السلطان(٣) . أما قتلى المسلمين فبلغ عددهم ٥٥ رجلا من رجال الحلقة(٤) . وقيل ٣٥ رجلا(٥) وكان من بين القتلى الأمير الكبير معن الطرابلسي الملقب بعز الدين أيبك أمـير شكار ، ويعرف بمعن ، وقد استشهد في شهر ربيع الاول أثناء الحصار حيث اصابه سهم في حدقته فخالط دماغه ، وأودى ذلك بحياته ، ودفن بظاهر طرابلس في قبور الشهداء(٦) . والأمير ركن الدين منكورس بن عبد الله التركي الفارقاني، وكان متسلماً لأحد المجانيق ، وفيما كان طالعاً على الستارة بحذر اذ بحجـر منجنيق قذفه الصليبيون من طرابلس فقتله أيضا في نفس الشهر ودفن في قبور الشهداء ، وكان رجلا خيراً مشكور السيرة ، كثير الاجتهاد على الغزاة(٧) . وكان من الجرحى الأمير علم الدين سنجر الداوداري(٨).

وكان الكسروانيون والجرديون الموارنة من سكان الجبال المحيطةبطرابلس قد نزلوا لنجدة الافرنج المحاصرين ، وتسببوا في استشهاد الكثير من المسلمين ، وضايقوا قلاوون أثناء حصاره (٩).

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية ــ ج ٣ ــ ص ١٦

(٢) نثر الجمان ــ ج ٢ ــ ص ٣٢٦أ و ٣٢٦ب

(٣و٤) ابن الفرات ، السلوك .

(٥) نثر الجمان ــ ج ٢ ص ٣١٧أ

(٦) المصدر السابق ــ ص ٣٢٦ب،تاريخ الاسلام ــج ٣٢ــ وجه١ــ ص ٨٤ ، ابن الفرات ــ ص٨٩

(٧) نفس المصادر السابقة . والسلوك . ويضيف الدكتور السيد عبد العزيز سالم الى قتلى المسلمين الامير احمد بن الاشل (ص ٢٩٢) وهذا خطأ اذ كان ابن الاشل موجودا في حادثة قتل السلطانالاشرف خليل بن قلاوون سنة ٦٩٢هـ. (انظر في ذلك : فوات الوفيات ــ ابن شاكر الكتبي ــ ج ١ ــ ص ٣٠١ و ٣٠٣ ــ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ــ مصر ١٩٥١)

(٨) الوافي بالوفيات ــ الصفدي ــ ج ٨ ــ ص ١٨ ــ تحقيق محمد يوسف نجم ــ بيروت ١٩٧١

(٩) تاريخ الطائفة المارونية ــ اسطفان الدويهي ــ ج ١ ــ ص ١١٩ ــ بيروت ١٨٩٠ ، لبنان في التاريخ الدكتور فيليب حتي ــ ص ٣٩٧ ــ بيروت ١٩٥٩ ــ ترجمة الدكتور أنيس فريحه .

وعندما دخل قلاوون المدينة أمر في أول الأمر بالابقاء عليها وانزال الجيش بها ، فأشير عليه بأن هدمها أولى من بقائها (١) بعد أن تهدّمت أسوارها وأبراجها ، وتصدّعت ودُمّرت معظم منازلها بفعل الرمي بالمجانيق ، وحتى لا تتعرّض المدينة من جديد لاعتداءآت الفرنج عن طريق البحر ، ولذا فقد كان الرأي بهدم طرابلس القديمة رأياً حصيفاً من الوجهة الحربية،حيث اتّعظ قلاوون بالماضي واستجاب لهذه المشورة ، فأمر بهدم المدينة بكل ما فيها من دُور وعمائر وأسوار(٢) وكان سور طرابلس منيعاً قليل المثل(٣) ويصفه ابن تغري بردي بأنه « من أعظم الاسوار وأمنعها »(٤) .

وهكذا فان اجلاء الصليبيين عن طرابلس اقترن بتدميرها كما حدث لمدينتي انطاكية وعكا(٥) وأبقي على المدينة الصليبية الواقعة على ضفة النهر حيث قام المماليك فيما بعد بتحوير أبنيتها الى أبنية اسلامية ، وكان فتح طرابلس نقطة تحول في تاريخها اذ اندثرت المدينة الفينيقية القديمة ، لتقوم بعد ذلك المدينة المستجدّة أدنى قلعة صنجيل في موقع يبعد عن المدينة القديمة نحو ميل(٦) . يقال له وادي الكنائس(٧) .

كان فتح طرابلس حدثاً هاماً ولا غرو ، فقد كانت قاعدة وعاصمة للأمارة الصليبية الرابعة ، حيث مكث فيها الصليبيون ١٨٠ عاماً ميلادياً (١٨٥ عاما هجرياً) . ولذا فقد أحدث سقوطها بيد المسلمين دوياً هائلا خفقت له قلوب المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، وأرسلت في اليوم التالي للفتح (الاربعاء ٥ ربيع الآخر) رسائل البشرى والنصر ، ووصلت البشرى الى دمشق يوم الجمعة ٧ ربيع الآخر ، فقرأ الرسالة نائب الغيبة الامير سيف الدين طوغان

---

(١) ابن الفرات — ج ٨ — ص ٨٠ ، نهاية الارب — ج ٢٩ — ص ١٣

(٢) البداية والنهاية — ج ١٣ — ص ٣١٣ ويطلق أهالي ميناء طرابلس على الحي الغربي منها اسم « سوق الخراب »

(٣) مرآة الجنان — ج٤— ص ٢٠٧، العبر — ج ٥ — ص ٣٥٦ ، شذرات الذهب —ج٥ — ص ٤٠٨

(٤) النجوم — ج ٧ — ص ٣٢٢ نثر الجمان — ج ٢ — ص ٣١٧أ

(٥) موجز تاريخ الشرق الاوسط — كيرك — ترجمة عمر الاسكندري — ص ٧١ — القاهرة ١٩٥٧

(٦) النجوم ، البداية ، ويجعلها الدمشقي على بعد خمسة أميال وهذا لا يتفق والواقع (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر — ص ٢٠٧ — نشره مهرن — ١٨٦٤)

(٧) تاريخ الطائفة المارونية — ج ١ — ص ١١٩

متولي الشام ، بعد صلاة الجمعة (١) في الجامع الاموي الكبير ، « وكتبت البشائر الى الآفاق بهذا النصر العظيم ، ودقّت البشائر والتهاني ، وزيّنت المدن ، وعملت القلاع في الشوارع وسرّ الناس بهذا النصر غاية السرور » (٢) وتبارى الشعراء والادباء في وصف هذا النصر وتهنئة الملوك والامراء به .

أقام المنصور قلاوون في طرابلس حتى شهر جمادى الآخرة يرتب بعض الامور ويستقبل الوفود . وعندما استتب الامر رحلت الجيوش الاسلامية مع قادتها كل الى مكانه ، وعاد السلطان الى دمشق فدخلها في منتصف الشهر ومن هناك رحل الى مصر فدخل القاهرة في آخر شعبان . واستقر العسكر على عادته بحصن الاكراد مع نائبه الامير سيف الدين بلبان الطباخي السلحدار . ولم يبق في طرابلس الا قوات حرس تسمى (اليزك) كانوا ينزلون اليها من حصن الاكراد وأضيفوا الى قوات الطباخي ، وأصبح معه خمسمائة جندي وعشرة أمراء طبلخاناه ، وخمسة عشر أمراء عشرات ، وأقطعوا اقطاعات (٣) في نواحي طرابلس حتى أقيمت المدينة الجديدة . وهكذا بقيت طرابلس فترة من الوقت تابعة لنائب حصن الاكراد ، وامتدت هذه الفترة من تاريخ فتح المدينة حتى شهر محرم من مطلع سنة ٦٨٩هـ. حيث جهز السلطان الامير « سيف الدين التقوي » ومعه ٦٠٠ فارس لينزلوا بطرابلس ويستقرّوا فيها (٤) فكان هذا أول جيش مملوكي يُستخدم فيها (٥) بعد أن عمرت من جديد . وبعد أن ظلت فترة تخضع لاشراف النائب في حصن الأكراد ، فانها عندما أعيد بناؤها أصبحت عاصمة لنيابة السلطنة ، وسمّيت في المصادر العربية التاريخية باسم « المملكة الطرابلسية الشريفة »(٦) وكان أول نواب السلطنة فيها هو الامير سيف الدين بلبان الطباخي المنصوري(٧) .

---

(١) نثر الجمان — ج ٢ — ص ٣١٦ب

(٢) البداية والنهاية — ج ١٣ — ص ٣١٣ ، النجوم — ج ٧ — ص ٣٢٢

(٣) السلوك — ج ١ — ق ٣ — ص ٧٤٧

(٤) ابن الفرات — ج ٨ — ص ٩٠ ، السلوك — ص ٧٥١

(٥) السلوك

(٦) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك — غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري ، نشره : بولس راويس — ص ١٠٤ — طبعة باريس ١٨٩٤

(٧) السلوك — ص ٧٦٤

وفي يوم السبت ، السادس من ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ./١٢٩٠م. توفي السلطان المنصور قلاوون فاتح طرابلس ، بعد أن عجز عن فتحها كلٌّ من صلاح الدين الايوبي ، والملك العادل والظاهر بيبرس . وقد رثاه المؤرخ محيي الدين ابن عبد الظاهر بقصيدة يقول في مطلعها :

لـو تحامـى ذا قـــدرة مقـدور ... كان يحمي قلاوون المنصـــور
وحمتـــه معاقـــل وحصـــون ... وحمتـــه مدائـــن وثغـــور(١)

طرابلس عاصمة نيابة السلطنة في دولة المماليك

بعد أن أعيد بناء طرابلس في موضعها الجديد ، سرعان ما اتسعت وامتدّت أسواقها وكثرت أبنيتها ، واستعادت مركزها كمدينة هامة على البحر الابيض المتوسط فأصبحت مقراً لنواب السلطنة في دولة المماليك . وكان نائبها يدعـى بنائب الفتوحات بعساكر الحصون وطرابلس ، (٢) أو كافل المملكة الشريفة الطرابلسية المحروسة . ويلقّب بالجانب العالي(٣) ، أو الكافلي . وكان يتقلّد منصبه بموجب مرسوم من السلطان مباشرة . فان كان بعيداً عن القاهرة أرسل السلطان تقليده مع احد الامراء ، فكان هذا يتقاضى الهبات والعطايا من النواب عندما يقوم بتقليدهم . وكان النائب يحصل مقابل ذلك على تقدمات وهدايا من أهالي طرابلس وملحقاتها . وكان على قضاة البر والولاة بأعمال نيابة طرابلس أن يتقدم كل نفر منهم ببغلة أو ما يساوي ثمنها خمسمائة درهم(٤) وكان مـن المعتاد أن ينتقل النائب الى طرابلس من النيابات أو المدن التي هي أقل منهـا مكانة ومرتبة مثل حماه وحمص وصفد وغزة وصرخد وغيرها . وكانت نيابـة حماه أكبر من نيابة طرابلس أولا (٥) ، ولكن نيابة طرابلس ما لبثت أن فاقت نيابة حماه فأصبح نائب السلطنة بحماه أو كافلها أقل مرتبة من نائب طرابلس

(١) تشريف الايام — ص ١٨٠ — ١٨٢
(٢) السلوك — ج ١ ق ٣ — ص ٧٦٤
(٣) صبح الاعشى في صناعة الانشا — القلقشندي — (ت ٨٢١هـ.) — ج ١٢ — ص ١٧٦ — نسخة دار الكتب المصرية المصورة عن الطبعة الاميرية .
(٤) ابطل ذلك السلطان الظاهر برقوق سنة ٧٩١هـ. (انظر : ابن الفرات — مجلد ٩ — ج ١ص ٨٥)
(٥) النجوم — ج ١ — ص ١٥١ وأول نائب انتقل من حماه الى طرابلس هو الامير أسندمر العمري.

أو كافلها « بشيء لا يقاس »(١) ويبدو ذلك في كتابة الملطفات الكبار والرسائل السلطانية « حيث يذكر نائب طرابلس قبله »(٢). أما نائب طرابلس فكان ينتقل الى نيابة حلب(٣). اذ انه أدنى منه مرتبة ومن نيابة دمشق كذلك . وكان نائب طرابلس يتمتع كغيره بحق الكتابة الى السلطان في مصر رأساً(٤). وكان يتلقّى عيديّة من السلطان هي فرس ليركبه ويخرج عليه في موكبه ليؤدّي صـــلاة العيد ، وفي فصل الشتاء كانت تأتيه خلعة من الملابس الشتوية هدية مـــن السلطان(٥) وكان السلطان يخلع عليـه خلعة السفر اذا صادف وجوده في القاهرة وكان نائب طرابلس من أعيان الكفّال(٦). ومن أكبر مقدّمي الألوف(٧) ويتولّى حق التصرف في جميع أعمال النيابة من الشؤون العسكرية وغيرها ، وله الولاء على ما يتعلق بها من المدن والقلاع والمعاملات ، وضريبته في أول الامر أن يكون بخدمته ٦٠٠ مملوك(٨) ثم بلغ عدد أفراد الحلقة بطرابلس أربعة آلاف ومماليك كافلها والأمراء بها الف(٩) وكان النائب يجمع بين نيابتي المدينـــة والقلعة ، اذ لم يكن لقلعة طرابلس نائب مستقل يتولى أمرها بعكس ما كان عليه الحال في نيابتي دمشق وحلب .

وكانت في طرابلس دار للسلطنة تعرف بدار السعادة(١٠) ينـزل فيهـا النائب ، وهي عالية مشرفة على المدينة(١١) .

وقد أعطانا القلقشندي صورة عن موكب نائب طرابلس وهيئته فقال ان

(١) زبدة كشف الممالك — ص ١٣٣
(٢) صبح الاعشى — ج ٤ — ص ٢٣٨ ، تاريخ الامة العربية — ص ١٨٨
(٣) السلوك — ج ٢ ق ١ — ص ١٣٧ وقد أبطل ذلك السلطان محمد بن قلاوون سنة ٧١٤هـ.
(٤) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب — ص ٢٥٧
(٥) تاريخ الجزري — الجزري — ج ١ — ص ١٨٦ — نسخة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٩٥ تاريخ .
(٦) زبدة كشف الممالك — ص ١٣٣
(٧) صبح الاعشى — ج ٤ — ص ٢٣٣
(٨) زبدة
(٩) زبدة — ص ١٠٤
(١٠) رحلة ابن بطوطة — ص ٦٤ — طبعة بيروت ١٩٦٤
(١١) ابن الفرات — ج ٨ — ص ٨١ ويذكر النويري ان القلعة كانت مجاورة لدار السلطنة ، نهاية الارب — مجلد ٢٩ — ص ١٦

النائب كان يركب في يومي الاثنين والخميس من كل اسبوع ، ويسير من دار النيابة في موكبه من الامراء والاجناد ويخرج الى ظاهر المدينة حتى يأتي ساحل البحر ، ثم يعود الى دار النيابة ومعه جميع الامراء والاجناد ما عدا الامير المقدم فأنه يتخلّف عن الحضور معه الى دار النيابة . وعندما يدخل النائب دار النيابة كان يتوجه الى دار العدل ويجلس فيها بصدر الايوان وذلـك لتلقّي شكايات الاهالي والفصل في القضايا .

ثم يصف كيفية انعقاد المجلس في دار العدل فيقول انه ليس بهـا كرسي سلطنة ، ويجلس القاضي الشافعي والقاضي الحنفي عن يمين النائب في صدر الايوان ، بينما يجلس القاضيان المالكي والحنبلي عن يساره ، ويجلس وكيـل بيت المال تحت القاضي المالكي ، ويجلس كاتب السر أمامه على القرب مـن يساره ، ويجلس كتّاب الدّست خلف كاتب السر ، أما حاجب الحجاب فيجلس أمام النائب على مقربة منه . ويجتمع في الديوان بعـض الحجّاب الصغار ، وكانت مهمتهم تناول الشكايات والمظالم المكتوبة من أصحابها ويناولونها الـى حاجب الحجّاب الذي يدفعها بدوره الى كاتب السر (الجالس أمامه) ، ثم تبدأ المحاكمات والفصل فيها ، وعندما ينتهي النظر بالشكايات ينفضّ المجلس ثـم يُمدّ السماط فيأكل الجميع وينصرفون(١). وكان النائب اذا عاد من جولته في المدينة وقارب الوصول الى منزله ترجّل الامراء ونزلوا عن دوابهم ومشوا بين يديه حتى يدخل منزله وينصرفون وتُضرب الطبلخاناه عند دار كل أمير منهم بعد صلاة المغرب من كل يوم وتوقد المشاعل (٢) .

وكان بطرابلس عدد من الموظفين الكبار يأتون في مرتبة تلي النائب وانْ كان بعضهم يتولى منصبه بمرسوم سلطاني ومنهم : ناظر المملكة الذي يعادل الوزير في القاهرة (٣) ، وناظر الجيش ، وصاحب ديوان المكاتبات ، الـذي يعرف بكاتب السر (٤).

---

(١) صبح الاعشى — ج ٤ — ص ٢٣٤
(٢) رحلة ابن بطوطة — ص ٦٤
(٣) كان السلطان يخلع عليه لدى تعيينه تشريفا كيخيا ودواة ومرملة ، نهاية الارب — ج ٢٨ — ص٣١٢
(٤) كان يماثل كاتب السر في مصر بالمنزلة والمهام ، تاريخ المماليك البحرية — الدكتور حسن ابراهيم حسن — ص ٣١٢ — القاهرة ١٩٦٧

ومن الموظفين الكبار الذين يولّيهم نائب طرابلس مباشرة : كتّاب دست (١) وكتّاب درج (٢) ، وثلاثة حجّاب (٣) أكبرهم طبلخاناه (٤) ، وهـو حاجـب الحجّاب(٥) ، والحاجبان الآخران كل منهما أمير عشرة . وبهـا محتسب ، ومهمندار (٦) ، وشادّ الدواوين (٧) ، وشادّ الخاص (٨) ، وشادّ مراكـز البريد ، وشادّ الميناء (٩) ، وشادّ الشواني (١٠) ، وشادّ الاوقاف ، ونقيب النقباء ، ومقدّم البريد ، وأمير أخورية البريد (١١) ، ومتولّي المدينة ، ووكيل بيت المال ، وكشّاف (١٢) وشادّ دار الضرب(١٣) ، ودوادار المناشير(١٤).

ومن كبار الموظفين العسكريين كان بطرابلس : أمير كبير واحد مقدم ألف فارس(١٥) ، وأميران مقدّما الوف ، وعشرة أمراء طبلخانات ، وحوالي ثلاثين أميراً ، منهم أمراء عشرينات ، وأمراء عشرات ، وأمـراء خمسوات ، ونقيب جيش(١٦) ، وكل هؤلاء يخضعون لأوامر نائب طرابلس وهو المتصرف في تعيينهم.

---

(١) دست : كلمة فارسية بمعنى المحل المخصص للسيد الكبير في صدر المجلس ، ويقصد بالدست هنا كرسي الحكم ، وهي بفتح الدال .
(٢) الذين يكتبون ما يوقع به كاتب السر ، أو كتاب الدست . والدرج هو الورق المستطيل المركب من عدة أوصال .
(٣) صبح الاعشى — ج ٤ — ص ٢٣٣ وفي زبدة كشف الممالك : أربعة حجاب — ص ١٣٣
(٤) مرتبة حربية ويسمى أمير طبلخاناه لأحقيته في دق الطبول على أبوابه وهو أمير مائة من الجنود .
(٥) وهو عادة من مقدمي الالوف .
(٦) هو الذي يتلقى الرسل والوافدين على النائب وينزلهم في دار الضيافة ويتحدث في القيام بأمرهم.
(٧) شادّ أو مشد : مفتش الدواوين ومراجع الحسابات ، وتسمى العملية شدّ فيقال شد الدواوين أي التفتيش عليها .
(٨) يقصد بالخاص : الحسابات السلطانية .
(٩) متولي النظر في ميناء طرابلس وحركة السفن بها . (لمحات من تاريخ العرب — الدكتور نقولا زيادة — ص ٢٩١ — بيروت ١٩٦١) .
(١٠) مفردها : شيني ، وهو أكبر انواع السفن الحربية في عصر المماليك .
(١١) المشرف على اسطبل خيل البريد .
(١٢) زبدة كشف الممالك — ص ١٣٣
(١٣) صبح الاعشى — ج ١٢ — ص ٤٥٦ ، البداية والنهاية — ج ١٤ — ص ٨٦
(١٤) الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع — السخاوي — ج ٣ — ص ٦٢ — طبعة ١٣٥٤هـ.
(١٥) الدر المنتخب — ص ٢٦٤
(١٦) صبح الاعشى — ج ١٢ — ص ٤٥٣ ، زبدة كشف الممالك — ص ١٣٣

اما الوظائف الدينية فقد كان منها بطرابلس : اربعة قضاة على المذاهب الاربعة ، يولّيهم السلطان بنفسه(١) ، ونتبيّن مرتبة كل منهم من كيفية جلوسهم بدار العدل مع النائب على الوجه التالي : قاضي القضاة الشافعي ، ثم الحنفي ، ثم المالكي ، ثم الحنبلي . ولكل من هؤلاء القضاة نواب(٢) ينوبون عنهم في الفصل بالقضايا . وبطرابلس قاضيا عسكر ، أحدهما شافعي ، والآخر حنفي . ومفتيا دار عدل ، يوليهما النائب(٣) . وبها ناظر الحسبة(٤) ، وشاهد الجيوش(٥) ، وناظر الاوقاف(٦) .

(١) الدر المنتخب

(٢) زبدة كشف الممالك

(٣) صبح الاعشى — ج ٩ — ص ٢٥٥

(٤) صبح الاعشى — ج ١٢ — ص ٤٧٠

(٥) صبح الاعشى — ج ١٢ — ص ٤٧٥

(٦) البداية والنهاية — ج ١٤ — ص ٨٦

المباني الاسلامية في طرابلس المملوكية

بعد أن هدمت مدينة طرابلس القديمة ، شرع المماليك في بناء المدينة الجديدة عند ضفة النهر ، حيث كانت تقوم بعض المباني الصليبية ، مثل الكنيسة التي كانت تقوم مكان جامع العطار ، والمنطقة التي تعرف الآن بسوق حراج ، والتي يحتمل أنّ معهد الطب كان يقوم فيها أيام الصليبيين حيث كان لهذا المعهد شهرة فائقة (١) . وبطركية الافرنج التي كانت تقوم بالقرب من القنطرة التي كانت تعرف بباكية غانم وقريباً من مسجد البرطاسي ، وتحوّلت في عصر المماليك الى مدرسة عرفت باسم المدرسة البطركية ، وقيسارية(٢) الافرنج التي كانت تقوم في منطقة السويقة ، وقصر البرنس (٣) حيث كان يقوم خان المنزل(٤) ، والكنيسة التي كانت تقوم مكان الجامع المنصوري الكبير ، والكنيسة التي كانت تقوم مكان حمّام عز الدين في منطقة باب الحديد(٥) . والأسقفية التي كانت تقوم مكان المدرسة القرطاوية ، بالاضافة الى الكنيسة التي كانت تقوم مكان جامع طينال .

وقد استخدم المماليك الحجارة المنحوتة من بقايا الابنية الصليبية في بناء المدينة الجديدة ، وجاء بناؤها متينا(٦) . وهناك كثير من الاعمدة الصليبية وحتى الرومانية القديمة استخدمت كدعامات وأعمدة منتصبة في عدة أماكن(٧) ، ما

(١) الحياة الثقافية — ٦٩

(٢) بناء شبيه بالخان ، وكان ما يزال يعرف بهذا الاسم حتى بعد مطلع القرن الثامن الهجري ، انظر نص وقفية مدرسة الخيرية حسن .

(٣) ينسب الى أحد أمراء طرابلس الصليبيين

(٤) أزيل هذا الخان الذي كان يقوم في منتصف السويقة على ضفة النهر ووضعت أحجاره في قلعة طرابلس بانتظار اعادة بنائه من جديد في مكان آخر واستغلاله سياحيا .

(٥) ما زالت بوابة الحمام الرئيسية تحمل كتابة لاتينية تشير الى اسم(جاكوباس)
SCS Jacobas

وصورة لحمل بين وردتين تحيط برأسه هالة دائرية هو الحمل الفصحي (نسبة الى عيد الفصح) ، ونقش بين الحمل والوردة اليمنى هذا النص :
(ECCE AGNDE)

(٦) رحلة في لبنان — جون كارن — ترجمة رئيف خوري — ص ٣٤ — طبعة بيروت ١٩٤٨
(7) Condé - P. 10

تزال قائمة حتى الآن نرى منها في جامع طينال ، وجامع الطحام ، والمدرسة الحجيجية ، والعمود القائم على يسار بوابة خان الخياطين الرئيسية ، بالاضافة الى الأعمدة الجرانيتية التي نراها في صحن الجامع المنصوري الكبير ، وداخل جامع طينال ، وجامع الطحام ، وخارج المدرسة القرطاوية عند سوق العطارين، وعلى بوابة المدرسة السقرقية ، بالاضافة الى الأعمدة التي نصبتها بلدية الميناء عند مدخل البلدة .

تولى نواب السلطنة بطرابلس مهمة اعادة بناء المدينة ، فقام أول نائب مملوكي هو « سيف الدين بلبان الطباخي »(١) (٦٨٩ — ٦٩١هـ.) بايجاد أماكن لاقامة الجند الذين كلفوا بحراسة نيابة طرابلس وسواحلها ، وفي أيامه وضع حجر الاساس للجامع المنصوري الكبير ، وهو أول مساجد طرابلس التي بنيت في عصر المماليك ، حيث تم بناؤه في سنة ٦٩٣هـ. أي بعد فتح المدينة بخمس سنوات ، في نيابة الامير « عز الدين أيبك الخزندار »(٢) (٦٩٢ — ٦٩٤هـ.) .

وفي سنة ٦٩٧هـ. تم بناء المدرسة « الزريقية » على يد نائب طرابلس « عز الدين أيبك الموصلي » (٦٩٤ — ٦٩٨هـ.) وهو صاحب الحمّام المعروف باسمه حتى الآن « حمّام عز الدين » .

وظل التقدّم العمراني يسير حثيثاً حتى أواخر القرن السابع الهجري الى أن ولي النيابة الأمير « سيف الدين أسندمر الكرجي » حيث شهدت في أيامه نهضة عمرانية واسعة ، وامتدّت رقعتها ، وخاصة خلال نيابته الثانية عليها ،

---

(١) هو الأمير الكبير سيف الدين بلبان الطباخي المنصوري السلحدار . ولي نيابة حلب ، ثم نيابة حصن الاكراد ، وولي الفتوحات بالساحل ودام عليها سنين ، ثم ولي نيابة طرابلس . وكان من أعيان الامراء وأحشمهم وأشجعهم وأكثرهم عدة ومماليك وحاشية . وكان جميل السيرة والطريقة ، وله المواقف المشهورة والنكاية في العدو . وقد اشترك بفتح مدينة عكا مع السلطان الاشرف خليل ابن قلاوون ، بعد أن أصطحب معه من طرابلس المجانيق والزردخاناه في ربيع الاول سنة ٦٩٠هـ. توفي بالساحل كهلا في ربيع الاول سنة ٧٠٠هـ. وخلف جملة . انظر : العبر — ج ٥ — ص ٤١٠ ، النجوم — ج ٨ — ص ١٩٤ ، ابن الفرات — ج ٨ — ص ١١١

(٢) ستأتي ترجمته عند الحديث عن المدرسة الزريقية .

اذ وليها أولا لفترة قصيرة (٦٩٨ — ٦٩٩هـ.) ، ثم وليها للمرة الثانية مدة تزيد على تسع سنوات (٧٠٠ — ٧٠٩هـ.) ، واليه يعود الفضل في بناء معظم المدينة المملوكية القديمة ، فهو الذي بنى الحمّام المعروف باسم « حمّام أسندمر » (١) في سنة ٧٠٥هـ. ، وأقيم بجوار الحمّام المذكور سوق عرف باسم « سوق السلاح » (٢).

وبنى أسندمر طاحونة على ضفة النهر بطرابلس ، وطاحونة بأرض قرية كفرقاهل (٣) في منطقة الكورة . وقيسارية عرفت باسمه أيضا «قيساريةأسندمر» وقام بتمديد قنوات المياه الى المساكن ، ووسّع القلعة الصليبية المتهدّمة وجدّدها (٤) وقام ببناء أبراج حربية عند ساحل البحر لحماية المدينة من غارات الافرنج الذين اتخذوا من جزيرة قبرص وجزيرة رودس قواعد لهم يشنون منها الغارات على السواحل الاسلامية . وهو الذي بنى خان المنزل (٥) أجمل وأهم

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة — ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ.) — تحقيق محمد سيد جاد الحق — ج ١ — ص ٤١٤ — طبعة مصر ١٩٦٦ ويسميه ابن بطوطة (حمام سندمور) — ص ٦٤ — ويجعل الدكتور السيد عبد العزيز سالم بناء هذا الحمام في سنة ٧٠١هـ. — طرابلس الشام — ص ٤٥٣ والصحيح انه بني في سنة ٧٠٥هـ. — انظر : الوافي بالوفيات — ج ٨ — ص ٢٩٨ — بيروت ١٩٧١ ،وقد وصف هذا الحمام ومدحه كاتب ديوان الانشاء بطرابلس الشاعر احمد ابن يوسف المعروف بالطيبي المتوفى سنة ٧١٧هـ. بقصيدة مطلعها :

زر منزل الافراح واللذات — دار النعيم ومرتع اللذات
دار النعيم وفي الجحيم أساسها — تجري بها الانهار في الجنات

وفي نهاية القصيدة يؤرخ للسنة التي بني فيها الحمام فيقول :

تمت لخمس قد مضت من هجرة الـ — مختار مع سبع كملن مئات

انظر ترجمة الطيبي في : الوافي بالوفيات ، والدرر الكامنة — ج ١ — ص ٣٦٣ — ٣٦٥ ، ونهاية الارب ج ٣٠ — ص١١٦ ، ونثر الجمان — ج ٤ — ص ١٢١أ ، والسلوك — ج ٢ ق ١ — ص ١٧٨، والنجوم ج ٩ — ص ٢٤٠ ، وشذرات الذهب — ج ٦ — ص ٤٣ ، وغيره .

(٢) انظر نص وقفية جامع طينال

(٣) انظر نص وقفية مدرسة الخيرية حسن .

(٤) آراء وأبحاث — الدكتور أسد رستم — ص ٥١ — بيروت ١٩٦٧

(٥) كان يعرف حتى وقت قريب بسراي البرنس

خانات طرابلس(١) التي كان عددها يزيد على العشرين(٢) .

والى أسندمر يرجع الفضل في انشاء المنطقة السكنية والتجارية القديمة المعروفة حتى الآن بالسويقة ، وكانت تعرف قديماً بسويقة أسندمر(٣) نسبة اليه ، وعرفت في العصر العثماني بسويقة الخيل(٤) .

وقد أجمل المؤرخ النويري الذي تولى النظر على جيش طرابلس في سنة ٧١٠هـ. أعمال أسندمر العمرانية فقال : « ... وفوّضت نيابة السلطنة الى الأمير سيف الدين أسندمر كرجي المنصوري فاستمر بها الى سنة تسع وسبعمائة وعمّر بها حمّاماً عظيماً أجمع التجار ومن يجوب البلاد انه ما عُمر مثله في بلد من البلدان ، وعمّر أيضاً قيسارية ، وطاحوناً ، وأنشأ مماليكه بها مساكن حسنة البناء تجري اليها المياه بالقنوات ، ومنها ما تطلع الى أعلاها وتجري في طبقاتها ، وعمّر أيضاً بعض القلعة وأقام أبراجاً ، وهذه مجاورة لدار السلطنة بطرابلس ، وتمكّن أسندمر تمكّناً كثيراً ، وتأمر عدة من مماليكه(٥) ويذكر ابن حجر العسقلاني ان مماليك أسندمر بلغوا نحو ٥٠٠ شخص(٦) وعن بناء القلعة يقول المقريزي أن أسندمر بنى قلعة مكان حصن صنجيل في سنة ٧٠٧هـ(٧)

ويقول المؤرخ ابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٨هـ. عن اهتمام أسندمر بطرابلس : « ولما بُنيت هذه المدينة كانت وخيمة البقعة ، ذميمة

---

(١) طرابلس الشام — ص ٤٥٣

(٢) منها غير خان المنزل المذكور : خان الخياطين ، خان المصريين أو العجم ، خان دار الوكالة القديمة ، خان المهندس ، خان العسكر ، خان التماسيلي بالميناء ، خان العبد ، خان الصابون ، خان بدور ، خان الشاويش ، خان البطيخ ، خان الزيت ، خان ميلاد ، خان علوش ، خان العرصات ، خان الرمانة ، خان الدبليز ، خان التبانة ، خان البمل ، خان لوبيه ، وخان الاسرى بمحلة اليهود .

(٣) انظر نص وقفية مدرسة الخيرية حسن

(٤) انظر سجل المحكمة الشرعية بطرابلس — رقم ١ — في صفحات متعددة — (سنة ١٠٧٧هـ.).

(٥) نهاية الارب — ج ٢٩ — ص ١٥ و ١٦

(٦) الدرر الكامنة — ج ١ — ص ٤١٤

(٧) السلوك — ج ٢ — ق ١ — ص ٤

المسكن ، فلما طالت مدة سكنها ، وكثر بها الناس والدواب ، وُصرفت المياه الآسنة(١) التي كانت حولها نقايع ، وعملت بساتين ، ونُصب بها المنصوب والغراس ، فخفّ ثقلها ، وقلّ وخمها . وقد كان بها أسندمر الكرجي نايباً ، وبقي لا يستقل من لوثة وخم ، فشكا الى الحكيم الفاضل أمين الدين سليمان ابن داود(٢) المتطبب وخامتها وسأله عما يخفف بعض ذلك ، فأشار عليه أن يستكثر بها من الجمال وبقية الدواب ، ففعل ذلك ، وأمر به الأمراء والجند ، فخف ما بها ، وكان الأمر كما أشار به الحكيم ، وسألت عن تعليل هذا كثيراً من الأطباء ، فقال انه لا يعرفه ، وفوق كل ذي علم عليم(٣) . وأما ما قاله لي الصدر بهاء الدين أبو بكر ابن غانم(٤) رحمه الله ، فقال : ان السبب فيما يعرض الاجسام بها أنها لمجاورة البحر وعرة حارة ، فتكون في أول الليل كذلك ، فلا يقبل فيها تقبّل الغطاء ، فاذا نام النايم قليل الدثار ، يفاجيه البرد الشديد في آخر الليل من قبل الجبال المجاورة لها فيجيء البرد عقيب الحر ، والمسام مفتحة ، والنايم في غفلته ، فيحدث له ما يحدث » .

ثم ينتقل بعد ذلك الى وصف المدينة : « ولها نهر يحكم على ديارها وطبقاتها ، يتخرّق الماء في مواضع من أعالي بيوتها التي لا يُرقى اليها الاّ بالدرج

---

(١) في الاصل الأجنة

(٢) هو رئيس الأطباء بدمشق . ذكره الصفدي فقال : « كان سعيد العلاج عديد السعد برأيه والابتهاج ، أول ما ظهر به من المعرفة واشتهر وشاع عنه انه قد جاد ومهر لما طلب الى مصر لمعالجة اسندمر نايب طرابلس فانه وجده في الصيف في مثل ساحل طرابلس ، وهم قد أدخلوه في خرقاه وألبسوه فروة للمنام ثقيلة ، ومرضه حاد ، فأول ما بدا باخراجه من الخركاه ونزع الفروة وحلق رأسه وأخذ في علاجه بما يصلح به مزاجه فصح وعوفي . وأعطاه شيئا كثيرا ، فاشتهر حينئذ أمر الامين سليمان .. » وتوفي سنة ٧٣٢هـ. (أعيان العصر — الصفدي — ج ٣ — ق ١ — ص ٨ — نسخة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٩٤ تاريخ).

(٣) انظر القلقشندي — ج ٤ — ص ١٤٣

(٤) هو بهاء الدين ابو بكر بن محمد بن سليمان بن حمايل المعروف بابن غانم . كان كاتب السر بطرابلس وقد التقى به الرحالة ابن بطوطة أثناء زيارته لطرابلس ووصفه بأنه أحد الفضلاء الحسباء، معروف بالسخاء والكرم ، وأخوه شيخ القدس وأخوه الثاني كاتب السر بدمشق . وتوفي بهاء الدين بطرابلس في ٨ صفر سنة ٧٣٥هـ. — ابن بطوطة — ص ٦٤ ، ابن الوردي — ج ٢ — ص ٣٠٩ ، السلوك — ج ٢ ق ٢ — ص ٣٨٧ ، الدرر الكامنة — ج ١ — ص ٤٩٠.

العليّة ، ... وهي الآن(١) مدينة ممتدة ، كثيرة الزحام ، ذات مارستانين(٢) ، ومساجد ومدارس وزوايا ، وأسواق جليلة وحمّامات حسان موصوفة ، وجميع أبنيتها بالحجر والكلس ، مبيضاً ظاهراً وباطناً ، تحيط بها غوطتها ، ويحيط بغوطتها مواضع مزدرعاتها ، بديعة المشرف ، تحسن بعين من يشرف من هضبة عليها ، وهي مملكة ذات جيش وتركمان وخاصة ... » (٣)

ولأسندمر تاريخ حافل بالأحداث الهامة أثناء نيابته على طرابلس ، فقد شارك مع العسكر الطرابلسي بطرد الصليبيين من جزيرة ارواد سنة ٧٠٢هـ. ، وفي نفس السنة صدم التتار بالقرب من الفرات وهو في ١٥٠٠ من عسكر طرابس المماليك ، والتتار في حوالي ١٠٠٠٠ آلاف ، واستطاع ان يهزمهم وينقذ من بين أيديهم نحو ١٠٠٠ أسير من المسلمين . وفي سنة ٧٠٥هـ. قام بدور بارز في القضاء على اعتداءآت العصاة في جبال كسروان .

وكان أسندمر يحب الفضلاء ويسأل عن غوامض المسائل ، قيل انه بعث الى دمشق يسأل كبار العلماء في عصره ، كابن تيمية ، وابن الزملكاني ، وابن الفركاح ، وابن الوكيل ، عن أيهم أفضل من الآخر الملك والنبي والشهيد والولي والعالم ، وما هو الفرق بينهم ؟ فوضع كل منهم مجلّداً أجابوا فيه على سؤاله(٤) وذكر الذهبي ان أسندمر سمع الحديث من ابن مشرّف بطرابلس (٥). وتوفي أسندمر في سنة ٧٢١هـ. (٦).

---

(١) أي حوالي سنة ٧٤٨هـ. وهي السنة التي توفي بها المؤرخ

(٢) هكذا في الاصل ، والصحيح ان بها بيمارستان واحد ، انظر : صبح الاعشى — ج ٤ — ص ١٤٣

(٣) مسالك الابصار في ممالك الامصار — ابن فضل الله العمري — ج ٢ — ق ٣ — ص ٤٤٨ — نسخة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ ، الدر المنتخب — ص ٢٦٣ و ٢٦٤

(٤) فوات الوفيات — ج ٢ — ص ٥٠٢ — طبعة مصر ١٩٥١ ، الدرر الكامنة — ج ١ — ص ٤١٤

(٥) هو محمد بن ابي العز بن مشرف بن بيان الانصاري الدمشقي المتوفى سنة ٧٠٧هـ. وستأتي ترجمته عند الحديث عن مدرسي الجامع المنصوري الكبير .

(٦) راجع سيرته في : تاريخ ابن الوردي — ج ٢ ص ٢٥٠ ، تاريخ بيروت — صالح بن يحيى — تحقيق فرنسيس هورس وكمال الصليبي — ص ٢٨ و ٥٣ و ٥٤ و ٩٥ — بيروت ١٩٦٧ ، نثر الجمان — ج ٣ ص ٧٣ب و ٧٤أ و ٧٦أ و ٧٦ب ، نهاية الارب — ج ٣٠ ص ١٦ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٨ و ٤ ، كنز الدرر — ج ٩ ص ٢٦ و ٤٠ و ٨٠ ، ابن بطوطة — ص ٦٤ ، السلوك — ج ٢ ق ١ ص ٣ و ٤ و ١٤ و ١٥ ، ابن كثير — ج ١٤ ص ٢١ ، وغيره .

وفي أثناء نيابة أسندمر ، قام عبد الواحد المكناسي المغربي ببناء مسجده في سنة ٧٠٥هـ. وهو المعروف باسمه حتى الآن .

كما بنى قاضي طرابلس : احمد بن ابي بكر الاسكندري ، المتوفى سنة ٧٠٧هـ. مدرسة للشافعية(١) .

وفي سنة ٧٠٧هـ. قام الأمير علاء الدين أيدغمش الماردانى ببناء مدرسة عرفت باسمه في ميناء طرابلس .

وفي نيابة الأمير سيف الدين كستاي بن عبد الله الناصري(٢) (٧١٤ — ٧١٦هـ.) اكتمل بناء أروقة الجامع المنصوري الكبير سنة ٧١٥هـ.

وفي الفترة من سنة ٧١٤ — ٧٢٥هـ. تولى عيسى بن عمر البرطاسي شدّ الدواوين بطرابلس ، وقام خلال هذه الفترة ببناء المسجد المعروف باسمه حتى الآن .

وفي سنة ٧١٦هـ. تولى نيابة طرابلس الأمير شهاب الدين قرطاي الاشرفي(٣)، وخلال نيابته للمرة الاولى التي امتدت حتى سنة ٧٢٦هـ. قام ببناء المدرسة الملاصقة للجامع المنصوري الكبير وهي المشهورة بالقرطاوية .

وفي السنة الأخيرة من نيابة قرطاي الاولى (٧٢٦هـ.) تم بناء المنبر بالجامع المنصوري الكبير .

وفي أثناء نيابة قرطاي هذه أيضاً تم بناء حمّام القاضي ، لصاحبه : الحسن ابن رمضان القرمي(٤) ، وكانت له زاوية تعرف باسمه دُفن بظاهرها بعد وفاته سنة ٧٤٦هـ.

وفي الفترة من سنة (٧٠٩ — ٧٤١هـ.) وهي مدة حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون للمرة الثالثة ، بُني جامع الناصري المعروف بجامع التوبة .

---

(١) الدرر الكامنة — ج ١ ص ١٢١

(٢و٣) ستأتي ترجمتهما في موضعهما

(٤) ستأتي ترجمته عند الحديث عن زاويته .

وخلال تلك الفترة أقيم خان بمنطقة السويقة في مكان كان يُعرف قديماً بدار الوكالة القديمة(١) .

وحوالي سنة ٧٣٥هـ. قام ناصر الدين العطار ببناء الجامع المعروف به ، وهو صاحب الحمّام المعروف أيضاً بحمّام العطار(٢) .

وفي سنة ٧٣٦هـ. تم بناء جامع طينال خارج طرابلس ، لصاحبه الأمير سيف الدين طينال الحاجب ، الذي ولي نيابة طرابلس ثلاث مرات ، الاولى (٧٢٦ — ٧٣٣هـ.) والثانية (٧٣٥ — ٧٤١هـ.) والثالثة (٧٤٢ — ٧٤٣هـ.) .

وفي نيابة طينال الثانية قام أحد أمراء طرابلس ويُدعى كرتاي السيفي ببناء زاوية الحقها بالمدرسة الزريقية في سنة ٧٣٨هـ.

وفي تلك الفترة قام الأمير بدر الدين محمد ابن الحاج أبي بكر المتوفى سنة ٧٤٢هـ. ببناء بيمارستان في طرابلس(٣) .

---

(١) راجع نص وقفية جامع طينال .

(٢) يقع بجوار مدرسة سبط العطار ، في طريق السوسية بالمنطقة المعروفة بالملاّحة ، وقد تعرّض لفيضان نهر ابي علي في سنة ١٩٥٥ وتهدّم بعد ذلك ولم يبق منه الآن سوى واجهة بوابته المطلة على بركة الملاحة .

(٣) قال ابو الفداء : هو أحد الأمراء بحلب ، كان من رجال الدنيا ، بنى المارستان في طرابلس ، وارتفع الدهر به وانخفض ، وتوفي سنة ٧٤٢هـ. ودفن بتربة في جامع أنشأه بحلب عند باب انطاكية. (المختصر في أخبار البشر — ج ٤ ص ١٣٧ ، خطط الشام — ج ٦ ص ١٦٧). وجاء في نبذة عن تاريخ طرابلس وآثارها القديمة للمرحوم الشيخ محمد كامل البابا ، نسخها لي السيد ظهير بازرباشي(ص٦) ان أميرين من أمراء المماليك الشراكسة هما : جمال الدين وشمس الدين ؟؟ اشتركا ببناء خان الخياطين (يعرف أيضا بخان الحرير) وأوقفاه لمصلحة البيمارستان مع أملاك أخرى . وجاء في سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر — المرادي — ج ٢ ص ٣٠٣ — طبعة دمشق ١٢٩١هـ. انه كان يتولى نظارة هذا البيمارستان في القرن الثاني عشر هجري الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر المعروف بالمغربي الحنفي الطرابلسي . وهو فقيه فاضل كانت له يد طائلة في فقه مذهبه . وقد أقام مفتيا في طرابلس واللاذقية مدة ٤٥ سنة ، وكان فقيرا ذو عائلة ، وسافر الى اسلامبول دار الخلافة العثمانية ١٧ مرة وفي المرة الاخيرة صارت له رتبة الداخل المتعارفة بين الموالي الرومية من شيخ الاسلام مفتي السلطنة المولى محمد المعروف بشريف زاده وكانت عليه وظائف قليلة في طرابلس منها نظارة البيمارستان ، وتوفى سنة ١١٩١هـ. وله أخ يدعى الشيخ عبد الله ، اجتمع به المرادي في اسلامبول سنة ١١٩٢هـ. وقال انه كان فاضلا ، وأقام فيها الى ان مات في نفس السنة ولم ينل أمنية .

وكان البيمارستان يقع مواجها لمسجد البرطاسي ، وقد تعرض لفيضان النهر في سنة ١٩٥٥ ثم أزيل عند تقويم مجرى النهر ، وكانت أوقاف البيمارستان تصرف حتى توقفت في ١٩٧٢/١٢/٣١

وفي سنة ٧٤٨هـ. تولى السلطنة في مصر الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وفي عهده أقيمت المدرسة المعروفة بالناصرية .

وفي سنة ٧٤٩هـ. قام شمس الدين المولوي ببناء المدرسة المعروفة بالشمسية .

وفي سنة ٧٥١هـ. اكتمل بناء البوابة الشرقية ومنبر جامع العطار ، وذلك بعد وفاة ناصر الدين العطار بسنتين .

وفي سنة ٧٦٠هـ. اكتمل بناء المدرسة المعروفة بالسقرقية لصاحبها اقطرق الحاجب بطرابلس .

ومن مطالعتنا لنص الوقفية المسجلة على واجهة المدرسة السقرقية يتضح لنا أن عدة أماكن عمرانية كانت قد أقيمت في وقت متقدم من القرن الثامن الهجري، ومن المحتمل أن بعضها أقيم في أواخر القرن السابع ، والاماكن التي ورد ذكرها في نص الوقفية هي : سوق الحلاوين ، وخان المصريين ، وخان المهندس ، والجسر العتيق ، وفرن بكرخولد .

وفي سنة ٧٦٦هـ. تم بناء المدرسة المعروفة بالعجمية لصاحبها محمد السكر المتوفى بعد سنة ٧٧١هـ.

وفي نيابة الأمير عز الدين أيدمر الدوادار الناصري (٧٧٣ — ٧٧٥هـ.) تم بناء المدرسة المعروفة بالخاتونية والتي حملت اسم زوجته ، وكانت وقفيتها قد كتبت سنة ٧٧٣هـ. وتم بناء المدرسة في سنة ٧٧٥هـ.

ومن مراجعتنا لنص وقفية المدرسة الخاتونية نقف على بعض الاماكن العمرانية التي بُنيت في فترة سابقة لبناء المدرسة وهي : قيسارية الدهيشة ،

ومساكن الحريريين(١) ، وقيسارية التجار .

وعندما تولى الأمير سيف الدين أرغون شاه الابراهيمي الظاهري نيابة طرابلس (٧٩٦ — ٨٠٠هـ.) قام ببناء زاوية ومدرسة عرفت بزاوية أرغون شاه ، ثم تحولت فيما بعد الى جامع أرغون شاه .

وفي نهاية القرن الثامن الهجري (٧٩٩هـ.) وأثناء نيابة ارغون شاه ، قام الأمير تغري برمش الظاهري ببناء المدرسة المعروفة بالظاهرية .

وفي أواخر القرن الثامن الهجري أقيمت للمدينة بوابات جديدة بعد أن تعرّضت بواباتها القديمة الى التخريب أثناء غارة الافرنج عليها في سنة ٧٦٩هـ. حيث تمكنوا من انتزاع احدى بواباتها وحملوها معهم الى جزيرة قبرص حيث جعلها الملك بطرس دي لوزنيان باباً لقلعة « جورهيجوس » على شاطيء ارمينية الصغرى(٢). وقد وصف ابن قاضي شهبة أبواب طرابلس بالأبواب الجدد أثناء حوادث سنة ٨٠٢هـ.(٣) وكان يقوم عند ساحل البحر قنطرة تصله باليابسة لعبور الناس فقام أهالي المدينة بهدمها عندما تعرّضوا لتلك الغارة(٤).

وخلال هذا القرن أقيمت عدة مبان لم نقف على تاريخ بنائها ومنها : المدرسة النورية ، والحمّام المعروف بالنوري المواجه للمدرسة ، والمدرسة المعروفة بالأثرية أو المشهد الملاصقة لبهو الجامع المنصوري الكبير ، وجامع الطحام ، والمدرسة القادرية ، ومدرسة الدوادار ، ومدرسة النسر بن عجبور ، ومسجد القلعة ، وحمّام القلعة ، وحمّام القرافيش ، ومدرسة الوتار ، وغيرها من المباني الهامة التي لم تصلنا اسماؤها ولا تواريخها . بالاضافة الى مدرسة سبط العطار ، ومدرسة طقتمر .

وفي الفترة من ٧٩٥ — ٨٠٦هـ. قام الامير دمرداش المحمدي الظاهري

---

(١) يقصد بهم بائعو الأقمشة والخياطون في سوق البازركان وخان الخياطين أو خان الحريريين .

(٢) قبرص والحروب الصليبية — الدكتور سعيد عاشور — ص ٧٧ — القاهرة

(٣) سيأتي الحديث عنها في : احداث في تاريخ الجامع المنصوري الكبير .

(٤) الالمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام والامور المقضية في واقعة الاسكندرية — النويري السكندري — نسخة محمود حمدي رقم ٤١٩٣ — ص ٦٧ — مخطوطة بدار الكتب المصرية .

ببناء زاوية له أثناء نيابته على طرابلس .

وفي أول القرن التاسع الهجري كان الامير طرمش الكمشبغاوي الذي يلي حجوبية الحجّاب بطرابلس قد بنى له تربة ووقف عليها أوقافاً ، وانتقل بعد سنة ٨٠١هـ. الى حصن الأكراد .

وفي سنة ٨١٦هـ. قام الأمير محمد بن مباركشاه العلاي ببناء سبيل التينة(١) في محلة الحدادين .

وفي الفترة من ٨٣٧ — ٨٤٥هـ. تولى نيابة طرابلس الأمير جلبان المؤيدي ، وقام أثناء نيابته ببناء برج عند ساحل البحر في سنة ٨٤٥هـ. على أنقاض برج قديم كان يدعى برج الصلاحي(٢).

---

(١) تحمل اللوحة الانشائية لهذا السبيل النص التالي :

« بسم الله الرحمن الرحيم/أنشأ هذا السبيل الفقير الى الله تعالى/ محمد ابن المرحوم زين الدين مباركشاه العلاي/في مستهل ؟ سنة ست عشرة وثمنمية » وقد تعذر على المستشرق الاستاذ سوبرنهايم قراءة كلمة (زين) فوضع الحرفين (ين) بين حاصرتين على أساس انهما ساقطتان من النص . أما الكلمة التي أشير في مكانها بعلامة الاستفهام (؟) فأرجح انها شهر (شوال) اذ جاءت غير واضحة في النص .

ولعل صاحب هذا السبيل من أبناء الامير مبارك العلائي الذي ذكره ابن تغري بردي في النجوم (ج ١١ — ص ١٦٢) الذي كان نائبا لغزة ثم انتقل منها الى حجوبية حجاب طرابلس في سنة ٧٧٨هـ. وذلك بدلا من الامير آقبغا الجوهري ، ولم أقف على تاريخ وفاته ، ومن المحتمل انه توفى حوالي سنة ٧٩٠هـ. اذ تولى حجوبية طرابلس في هذه السنة الامير شهاب الدين احمد بن محمد الهيدباني وذلك في ١٣ جمادى الآخرة . (النجوم — ج ١١ — ص ٣٢٧) ، ولعل صاحبه من أبناء الامير زين الدين مباركشاه الذي كان نائبا على الاسكندرية في سنة ٧٩٨هـ. (السلوك — ج ٣ ق ٢ ص ٨٥١)

وقد نقش حول أركان النص المذكور أعلاه أربعة رنوك تمثل الدواة ، التي تدل على وظيفة الدواة دار أو الدوادار .

(١) كان على ساحل البحر بطرابلس عدة أبراج حربية شادها المماليك للدفاع عن المدينة أمام غارات الافرنج بعد أن أقيمت المدينة بعيدا عن شاطيء البحر ، وهذه الابراج هي من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي : برج العدس (أو ابي العدس) أو النبط في جهة التعتور عند مصفاة نفط العراق وبرج رأس النهر عند مصب نهر أبي علي في البحر . وبرج السباع وهو المشهور الآن ، ويقول الدكتور أسد رستم ان اسم هذا البرج هو : برج (سباع) أي السابع ، وليس السباع كما يزعم

يتبع ←

وفي سنة ٨٦٥هـ. قام محيي الدين الاويسي ببناء جامع الأويسية .

وفي سنة ٨٧٠هـ. قام أسندمر بن صدقة العنبري ببناء المدرسة التي كانت تعرف بالمدرسة العمرية ، في حارة النصارى .

ماكس فان برشم. (آراء وأبحاث — ص ٤٣) ، وقد اختلف في الاسم القديم لهذا البرج ، فقيل هو برج أيتمش ، وقيل برج الصلاحي. (طرابلس الشام — ص ٤٤. وما بعدها) وجاء في سجل المحكمة الشرعية (برج بارسباه) — رقم ١ ص ٢١ . وفي المكتبة الظاهرية بدمشق نص وقفيـــة لبرج أيتمش كتبت على رق غزال ويوجد في مكتبتي فيلم مصور عنها . وبرج المغاربة ، وكان قديما يسمى برج الفاخورة أو برج القناطر . وبرج التكية المعروف ببرج الشيخ عفان . وبرج الديوان أو برج السراي وهو الذي أقيم مكانه الآن جامع عمر بن الخطاب . وبرج المشتى المعروف ببرج عز الدين ، أو برج الحمام المقلوب ، أو برج المغارة . وأخيرا برج البحصاص أو الجصاص أو الرصاص . وكان لأبراج طرابلس ناظر عرف في العصر العثماني باسم كتخدا أبراج طرابلس ، ووصلنا اسم أحدهم وهو : الحاج علي آغا ابن الحاج سليمان . (انظر سجل المحكمة الشرعية رقم ١ — ص ٨٨) .

انظر عن أبراج طرابلس المصادر التالية :

بحث بعنوان « ملاحظات عن تحصينات ساحل طرابلس » كتبه المستشرق الاستاذ سوفاجيه ونشرته مجلة المتحف الوطني في بيروت التي تصدر باللغة الفرنسية بعددها الثاني لسنة ١٩٣٨ وهو في الصفحات (١ — ٢٥)

Bulletin du Musée de Beyrouth - 11 - Décembre 1938 - Paris. (Notes sur les défenses de la marine de Tripoli - J. Sauvaget - P. 1 - 25.

وانظر بحثا للمستشرق الاستاذ ماكس فان برشم ضمنه سياحته في سورية ونشر في القاهرة بعنوان

Voyage en Syrie - max van Berchem - P. 122 caire 1944

وانظـــر Condé - P. 137 ومشاهدات في لبنان — لويس لورته — ترجمة كرم بستاني — بيروت ١٩٥١ ، رحلة في لبنان — ص ٣٧ ، لبنان الدليل الاخضر — روحي جميل — ص ٢١٢ — بيروت ١٩٤٨ ، نبذة تاريخية — للشيخ كامل البابا — ص ٩ ، ولاية بيروت — رفيق التميمي ومحمد بهجت — ج ٢ — ص١٩٥ ، ومن المصادر التي جاء فيها ذكر بعض أسماء أبراج طرابلس : مسالك الابصار — ج ٢ ق ٣ ص ٤٥٠ ، الدر المنتخب — ص ٢٦٦ ، السلوك — ج ٣ ق ٣ ص ٩٨٣ ، الضوء اللامع — ج ٩ ص ٢٠٩ ، تاريخ ابن قاضي شهبة — ج ٤ ص ١٥٤ ، نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان — ابن الصيرفي — تحقيق الدكتور حسن حبشي — ج ٢ ص ٦٢ — طبعة دار الكتب المصرية ١٩٧١ ، النجوم — ج ١٢ ص ١٨١ ، وغيره .

وقبيل سنة ٨٧٥هـ. قام الأمير سيف الدين الطواشي ببناء المدرسة المعروفة بالطواشية في سوق الصياغين .

وفي أثناء جولة السلطان قايتباي في الشام سنة ٨٨٢هـ. قام بزيارة طرابلس(١) وتفقد تحصيناتها الحربية وأمر أثناء ذلك باقامة برج حربي على ساحل البحـــر يعتقد انه البرج المعروف الآن ببرج رأس النهر .

وبعد ذلك بسنة (٨٨٣هـ.) أقيمـــت الخانقاه المعروفة بخانقاه الست الصالحة عند منتصف طلعة العوينات المواجهة للحمّام الجديد .

وفي هذا القرن أيضاً أقيمت عدة مبان هامة منها : المدرسة الرفاعية ، ومسجد الدباغين ، وخـــان العسكر ، وخـــان الصابون ، وخـــان الشاويش (الجاويش) ، وخان التماسيلي بالميناء والمدرسة الحجيجية ، وكثير من المدارس التي لم تصلنا أسماؤها ولا تواريخها .

وقبل نهاية عصر المماليك قام عبد الله بن شيخ الدباغين بتجديد بناء مسجد الدباغين في سنة ٩١٣هـ.

ومن المدارس التي بنيت في عصر المماليك المدرسة المعروفة الآن بالمدرسة المحمودية ، وقد جدّد بناءها علي آغا الناظر عليها في سنة ٩٩٥هـ.

---

(١) منتخبات من بدائع الزهور في وقائع الدهور — ابن اياس — ج ٥ — ص ٤٧٥ و ٤٧٧ — من سلسلة كتاب الشعب — العدد ٩٩ — القاهرة ١٩٦٠.

نظم البناء في طرابلس المملوكية

في فترة مبكرة من دخول مدينة طرابلس تحت امرة المماليك بدأت تأخذ ملامحها العمرانية بخططها وأسواقها التي كان كل سوق منها يختص بحرفة أو صنعة ، فنشأت السويقة التي كانت تعتبر قلب المدينة المملوكية القديمة ، وعندها كان يقوم سوق السلاح ، ثم امتدت المدينة شمالا وجنوباً وغرباً وأقيمت الأسواق القديمة : سوق الحلاويين ، سوق العقّادين ، سوق النجارين، سوق النحّاسين ، سوق الحريريين وهو الذي يُعرف الآن بسوق البازركان ، سوق الكندرجية (الأحذية) سوق القمح ، سوق الصوّافين ، سوق الطواقية ، سوق الصيّاغين ، سوق العطّارين ، سوق الحدّادين ، وعُرف الصف الغربي منه قديماً بأبي ربه(١) ، سويقة النوري ، سويقة القاضي قرب خان العسكر حيث كان حمّام القاضي القرمي ، سوق الاسلام بالميناء ، سوق السمك ، كما أقيمت القياسر والخانات التي اشتهرت بقيام صناعات أو تجارات فيها مثل قيسارية الافرنج ، قيسارية التجار ، قيسارية أسندمر ، خان الخياطين ، خان المصريين أو العجم ، خان الصابون ، خان الجاويش ، دار الوكالة القديمة ، بالاضافة الى سوق حراج (٢) ، الذي يقابله الآن سوق الجمعة في سويقة النوري . كما أنّ احدى بوابات طرابلس عرفت بباب التبانة ، وأخرى ببوابة الحدادين .

ومن محلات طرابلس القديمة : محلة النصارى المعروفة الآن بحارة النصارى ، وهي بظاهر طرابلس المملوكية ، ومحلة اليهود ، وهي شمالي حارة النصارى بالقرب من خان العسكر ، وكانت أيضاً بظاهر المدينة في عصر المماليك .

وقد رافق اتساع رقعة المدينة حركة ملفتة للنظر في الاكثار من بناء المدارس التي كانت عبارة عن مساجد صغيرة ، زاد عددها في طرابلس بشكل يندر مثيله

(١) انظر نص وقفية جامع طينال

(٢) لعل تسميته بسوق حراج من : حرّج البضاعة في يد الدلال والحراج وقوف البضاعة مع الدلال عند ثمن نهائي .

الا في أمّهات المدن الاسلامية والعواصم .

وتعتبر طرابلس أكثر مدن لبنان كثافة بالمساجد والمدارس ، وهذا يرجع الى ان المدينة كانت عاصمة نيابة السلطنة المملوكية التي كانت تمتد حدودها من جبلة شمالا الى ما بعد جونية جنوباً ، ومن الشرق جبل لبنان ممتداً على ما يليه من مرج الأسد حيث يمتد نهر العاصي(١).

وأثناء زيارته لطرابلس لاحظ الشيخ عبد الغني النابلسي كثرة المدارس والمساجد فيها فأثبت ذلك في رحلته اليها منذ ما يقرب من ثلاثة قرون (١١١٢هـ./١٧٠٠م.) فقال : « ان ببلدة طرابلس المحميّة مدارس وزوايا ومساجد لا تُعدّ ولا تُحصى » . ثم يضيف الى ذلك ما سمع من أهلها « انه كان بها ٣٦٠ مدرسة »(٢) .

ولنا ان نتخيل كيف كانت المدارس تنتشر بشكل كثيف في أسواق ودروب المدينة القديمة بحيث نتصور ان كل مدرسة كانت تفصلها عن المدرسة القريبة منها مدرسة اخرى ، وما زلنا نرى حتى الآن كيف تتزاحم المدارس المتجاورة في رقعة صغيرة لا يزيد طولها عن مائة متر . ففي منطقة النوري تتابع المدارس وتتجاور بشكل كثيف حول الجامع المنصوري الكبير : فالقرطاوية ، والشمسية ، والأثرية والخيرية حسن ، والناصرية ، والنورية ، والطواشية ، والكريمية ، والحنفية ، والبيروتية ، والدهان ، وغيرها من المدارس التي تهدمت وأزيلت أو حوّرت الى متاجر ومساكن وبقيت قبابها دليلا على آثارها ، تقع كلها في المنطقة بين سويقة النوري والصاغة .

وقبل فيضان نهر ابي علي ١٩٥٥ كانت محلة السويقة وباب الحديد تشهد مثل هذه الكثافة بالمدارس والزوايا وغيرها من المباني العمرانية التي أزيل غالبها ، وكان ذلك الفيضان سبباً في تغيير معالم أقدم وأهم أحياء طرابلس المملوكية ، اذ كان يضم الى جانب العديد من المدارس والزوايا والتكايا :

(١) صبح الاعشى — ج ٤ ص ١٤٤

(٢) التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية — الشيخ عبد الغني النابلسي — تحقيق هريبرت بوسه — ص ٧٢ — نشرها المعهد الالماني للابحاث الشرقية في بيروت ١٩٧١

البيمارستان ، وحمّام أسندمر المعروف بحمّام الحاجب(١) ، وخان المنزل ، والبطركية ، وقناطر باكية غانم ، والجسر القديم ، والطواحين ، وقيسارية الافرنج ، بالاضافة الى مسجد البرطاسي والمدرسة الزريقية ، ومدرسة النسر ابن عجبور ، والمدرسة السبسبية ، ومدرسة حسن البشناتي ، والمدرسة الظاهرية ، والمدرسة القادرية ، وغير ذلك من المباني ذات القيمة التاريخية .

واذا كان المماليك قد استعاضوا عن الأسوار لحماية المدينة المحدثه بعد

(١) كان بطرابلس عدد كبير من الحمامات منها حمام أسندمر هذا ويعرف بحمام الحاجب ، وما زالت آثاره قائمة على الضفة اليمنى من النهر في المنطقة التي كانت تعرف سابقا (ما بين النهرين) ، وحمام القاضي القرمي وكان بجوار خان العسكر من الجهة الشرقية وقد أزيل قبل حوالي ٣٠ عاما وحمام عز الدين القائم في سوق البازركان ، وحمام النوري القائم في سويقة النـــوري ، وحمام العطار القائم في طريق السوسية شرقي بركة الملاحة ولم يبق منه سوى الواجهة الغربية ، وحمام النزهة الذي كان يقوم عند الجسر الجديد المعروف بجسر اللحامة بمواجهة جامع التوبة وقد أزيل بعد فيضان النهر ١٩٥٥ ، وحمام الدوادار وهو جنوبي جامع الطحام ويفصل بينهما طريق العوينات وقد تحول هذا الحمام الى مقهى ، ويقال ان عروسا دخلت هذا الحمام قبل زفافها واختفت وان الجان خطفوها !! فتعطل الحمام بعد ذلك ، ثم تحول الى مقهى ، ثم أقفل . وحمام الطواقية ، وحمام القرافيش ، وحمام القلعة وحمام الناعورة ، وحمام العبد . وقد ذكر هذه الحمامات الشيخ النابلسي في رحلته (ص ٧٢) ودخل حمام النوري (٥٠) ، انظر أيضا : الآثار الاسلامية في لبنان في القرن الثامن عشر ـ الدكتور صلاح الدين المنجد ـ ص ١١ و ١٢ ـ بيروت .

ولدى الوجيه الحاج علي السلطي وقفية لحمام العبد يرجع تاريخها الى سنة ١١٣١هـ. وتحمل اسم صاحب الوقفية وهو : الحاج احمد آغا ضابط الراجلين بقلعة طرابلس الشام الشهير نسبه بسلطي زاده ابن الحاج حسن ، وتبدأ الوقفية بهذا النص :

« غرة ربيع الاول الأنور من شهور سنة ثمان وأربعين وماية وألف من هجرة من له العز والشرف، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله وحده » . وجاء في الوقفية ان الحاج احمد آغا اشتاقت نفسه الكريمة الى ذلك فحضر الى مجلس الشريف ووقف « جميع حمام العبد الكاين بمحلة عديمي المسلمين بما اشتمل عليه من آلات ومن قدري النحاس المائي والناري ومن الأقنية المعدة لمصالحه ومن الأقميم يحد كامله قبلة مسجد بني الطواشي .. » . والوقفية من ٤٩ سطرا تحمل ٤٨ توقيعا منها توقيع قاضي طرابلس في ذلك الوقت محمد مخلصي .

وهناك أيضا الحمام الجديد المجاور لجامع الزعيم (المعلق) ، وحمام العظم وحمام كرم بالميناء.

أن هدموا سورها القديم(١) ، باتباع نظـام التعرّج في الدروب(٢) والأزقّة والأسواق والمسالك ، فانهم اتخذوا لها بوابات في جهاتها الشمالية والغربية والجنوبية ، وكانت هذه البوابات تُجدّد كلما زاد امتداد العمران .

ومن بوابات طرابلس نذكر : باب الحديد الذي تُعرف المحلة باسمه . وباب التبّانة ، وهو الباب الذي ما زال قائمـاً عند أول سوق القمح شمالي جامع محمود بك السنجق . وباب الرمل ، وكان يقوم عند الجهة القبلية لجامع أرغون شاه في الطريق المعروفة بصف البلاط والمؤدّية الى مقبرة المسلمين . ثم بوابة الحدادين التي كانت بالقرب من مسجد الشالح وكان يقوم فوقها قبل أحداث سنة ١٩٥٨ مخفر الدرك ، وتؤدّي هذه البوابة الى مقهـى موسى الواقع على طريق بيروت القديمة . ثم بوابة التل حيث كانت تقوم سراي طرابلس العتيقة بالقرب من المدرسة الرفاعية ، ثم بوابة الميناء عند مدخلها الشرقي .

وعلى الأرجح فقد كانت هناك بوابة في محلّة النوري حيث تطـل على شارع الراهبات ، وهذا نستنتجه من مطالعتنا لتاريخ المدينة وأحداثها في عصر المماليك ، وما بعده(٣) .

وكان يُراعى بناء مدرسة أو مسجد عند كل بوابة ، وفي الغالب تقـام مدرستان عند كل بوابة ، احداهما مما يلي البوابة خارج البلد ، والاخرى الى الداخل منها . وتكون المدرسة الخارجية للوافدين على المدينة الذين يصلون بعد اقفال البوابات ، اذ كانت بوابات طرابلس تُقفل أمام كل قادم بعد مغيب الشمس فيبيت خارجها الى الصباح(٤). ومن أمثلة ذلك ان بوابـة الحداديـن كان عندها مدرستان هما : مدرسة الشالح وهي خارج البلـد ، والمدرسة الكورية الى الداخل . وباب الرمل كان بظاهره مدرسة الأمير طقتمر ، والى الداخل زاوية أرغون شاه التي تحوّلت في وقت لاحق الى جامع . وباب التبانة

(١) النجوم ــ ج ٧ ص ٣٢١
(٢) دليل السياحة والتجارة ــ ص ٣١ ــ دمشق ٦٤ ــ ١٩٦٥
(٣) انظر عن بوابات طرابلس القديمة : طرابلس الشام ــ نقلا عن الشيخ البابا ص ٤٣٦ و ٤٣٧ ، وتاريخ طرابلس قديما وحديثا ــ سميح الزين ــ ص ٤٣٠ ــ مطبعة الاندلس ــ بيروت ١٩٧١
(٤) نزهة الفكر في مناقب الشيخ الجسر ــ محمد الجسر ــ ص ٨٨ ــ المطبعة الادبية ببيروت ١٣٠٦هـ.

بظاهره مدرسة القاضي عمر ، والى الداخل مسجد محمود بك السنجق . وبوابة التل بجوارها المدرسة الرفاعية .

وأرجّح ان بوابة طرابلس القديمة كانت تقوم عند منتصف الدرج الموصل الى القلعة ، وما تزال قنطرة البوابة الكبيرة قائمة حتى الآن محتفظة بحصانتها وتناسقها المعماري . ويُلاحظ أيضاً وجود مدرستين عندها ، أولاهما على يمين الصاعد الى البوابة هي المدرسة الأشرفية التي جُدّدت في سنة ١٢٩٢هـ. والثانية على يسار الصاعد مما يلي البوابة هي المدرسة العجمية .

وكذلك رُعي في بناء طرابلس ان تكون المساجد والمدارس والحمّامات والخانات بجوار بعضها لحاجة التجار والمسافرين والوافدين الذين ينزلون في الخان ويذهبون الى الحمّام للنظافة من وعثاء السفر ، ويؤدّون الفرائض مع الجماعة في المسجد أو المدرسة القريبة من مكان نزولهم وتجارتهم . فنجد خان الصابون مثلا بجوار حمّام العبد وبقرب مسجد الطواشية . وخان المنزل بمواجهة حمّام الحاجب والمدرسة الزريقية . وخان الخياطين بجوار حمّام عز الدين وقريب من جامع العطار ، وكذلك خان المصريين وخان الجاويش القريبين من جامع العطار أيضاً ومسجد الحجيجية ، وخان العسكر بجوار جامع التوبة وحمّام القاضي الذي أزيل . وخان التماسيلي بالميناء قريب من الجامع الكبير العالي الذي يوجد تحته حمّام آل العظم .

المدارس والزوايا والتكايا

اما مدارس طرابلس فتختلف في الشكل الهندسي بعضها عن بعض ، وتتفاوت مساحاتها ، وتتميّز الواحدة عن الاخرى بمعالم واضحة ، ومنها ما ينطبق عليها اسم مدرسة ، ومنها ما أطلق عليه اسم مسجد كالبرطاسي والحجيجية وغيرها ، ومنها ما عرف بالمدرسة مجازاً . ومن مدارسها الكبيرة : المدرسة القرطاوية (قرطائي بك) وهي أقرب الى الجامع نظراً لاتساعها

واشتمالها على حوض ماء كبير للوضوء ، ولكنها تخلو من المئذنة والمنبر ، رغم انها تقام فيها صلاة الجمعة .

ومنها مدرسة مسجد الحجيجية التي تمتاز عن بقية مدارس طرابلس بأن لها مئذنة ، غير ان صلاة الجمعة لا تقام فيها .

وهناك مدارس صغيرة وهي عبارة عن غرفة فيها محراب وهو ما يميّزها كبيت للصلاة ، الى جانب القبة التي تعلوها .

والى جانب المساجد والمدارس هناك أماكن اخرى للصلاة تعرف بالمصلّى ويتميّز عن عن المدرسة بأنه من غير سقف أو مفرّغ من الجدران ، فمنها ما هو عبارة عن بلاط مكشوف ينتصب فيه محراب باتجاه القبلة كالمصلّى الذي كان شمالي مقبرة باب الرمل بجوار سبيل المياه الذي أقامه والي طرابلس « محمد باشا » سنة ١١٧٥هـ. وقد سُقف هذا المصلّى منذ فترة قريبة .

ومنها ما هو مسقوف تعلوه القبة ، ولكنه مفرّغ من الجدران ويستند سقفه على دعامات أربعة تقوم على أركان البلاط المرتفع عن الارض ، كالمصلّى الذي كان يتوسط الطريق القديمة بين الميناء والبدة عند المنطقة المعروفة بالمرج.

وهناك مدارس تحتضن في جوانبها قبور أصحابها وتعرف باسم «مزار» مثل مزار المدرسة العجمية ومزار المدرسة الجوهرية ، ومزار المدرسة السبسبية ، ومزار مسجد الوتّار ، وغيرها .

وهناك الزوايا وهي كالمدرسة ، وتقام فيها الاذكار التي يحييها أصحاب الطرق الصوفية والقادرية أو الجيلانية والنقشبندية وغيرها ، ومنها زاوية أرغون شاه التي تحولّت الى الجامع المعروف الآن ، وزاوية الامير كرتاي السيفي التي الحقها بالمدرسة الزريقية ، وزاوية القاضي القرمي صاحب حمّام القاضي ، وغيرها .

ومن المعاهد الدينية التي كانت تقوم بدور المدرسة « التكيّة » ، اذ كانت بمثابة مركز ديني واجتماعي عام لأصحاب الطرق الصوفية وأنظمتها . ومنها تكيّة المولوية التي عرفت في المصادر التاريخية بتكيّة الدراويش وهي تسمية

أطلقها عليها الرحالة الأوروبيون الذين زاروا طرابلس(١). وذكرها النابلسي في رحلته الى طرابلس(٢) . وقد امتدحها كغيره من الشعراء ، ومنهم تلميذه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرزاق والشيخ محمود الشهال الطرابلسي(٣) وغيره . وكانت حلقات الذكر تقام فيها قبل وقت قريب عى الطريقة المنسوبة

---

(١) زار الرحالة البريطاني « جون كارن » مدينة طرابلس في الثلث الاول من القرن التاسع عشر فشاهد التكية وأعجب بموقعها أيما اعجاب فقال : « أما مشهد الدرويشية على ضفة قاديشا بين شجر الزيتون والليمون الحامض فحقا ساحر ، انه لمنسحب من دنيا الهم والتجارب والشهوات الى دنيا من الجمال الرقيق العذب الصامت المنفرد .. ويقال ان الدرويشية اليوم غير مأهولة ، وأغلب الظن انها تكون رحبة بالمسافر حتى المسافر المعتدل الدخل الذي يود أن يحط رحاله أجلا ما في الشرق . ان القيّم على هذا المقام ليكونن" انسانا مغبوطا في منزله الدرويشي هذا مع موقعه في وادي قاديشا حيث تصعد من بساتين الليمون والتوت والشقائق وسائر الشجر والنبات ، روائح تعطر الهواء وتبرده . ليس ن شيء يعوز هذا المكان ليسبغ عليه الطابع البيتي سوى بعض الاثاث الانكليزي والكتب والموسيقى ، فيستطيع ساعتئذ أخو العزلة في دير قاديشا ان يتمشى على سطحه أو في الحديقة أن يتأمل الوادي والنهر والبساتين والمرتفعات الشاهقة على كل جانب . ويستطيع أن يتحدى أقصى تخوم الارض أن توفر له ملاذا أحب من هذا الملاذ يبعد عن المدينة بتجارتها الناشطة ... » (انظر : رحلة في لبنان — ص ٣٧ و ٤٠) .

وفي سنة ١٨٧٥م. زار لبنان الدكتور لويس لورته وكذلك في سنة ١٨٨٠ وعندما عاد الى فرنسا وضع كتابا بعنوان « سوريا اليوم » أتى فيه على ذكر طرابلس وتكية الداروش فوصفها بقوله : « وفي خارج المدينة على مسافة بضع دقائق يمكن السائح أن يزور في الوادي على ضفة النهر ، دير تكية الدراويش الدو"ارين ، القائم في مضيق وحشي عميق . وهذا الدير (كذا) كناية عن بناء مركزي تعلوه قبة بيضاء يحيط بها قباب أنيقة وسطوح تشرف على النهر . ومن ورائه رابية مكسوة حتى قمتها بشجر الزيتون والاشجار المثمرة . (انظر : مشاهدات في لبنان — ص ١٥) .

(٢) يقول النابلسي ان والي طرابلس ارسلان محمد باشا دعاه الى المولوية « ذات الاشجار العطرية » فجئنا اليها فرأيناها كجنة النعيم ، وبها من الماء اللطيف البارد الذي هو شفاء لكل قلب سيقيم ، وهي مرتفعة البنيان عظيمة الاركان ، تجري من تحتها خمسة أنهر ، وهي أشبه ما يكون بالربوة في دمشق الشام . وهناك مقعد لطيف عال يفوق سناه على بدر التمام ، يحاكي صفة العوافي المطلة على تلك الرياض العاطرة الزكية ، والانهار السبعة الجارية .

وأنشد النابلسي في المولوية :

المولوية جنة   في الحر حيث الحر نار
تزهو طرابلس بها   ومن الزهور لها ازار
أيا حسن واديها الذي   كأس النسيم به يدار
ومعاطف الاغصان قد   مالت وأثقلها الثمار

(٣) ديوان عقد اللآل من نظم الشهال — محمود الشهال — ١٣٨ — مطبعة البلاغة — طرابلس١٣١٢هـ.

الى مؤسسها جلال الدين الرومي(١) وكان داخل المولوية لوحة نقش عليها هذان البيتان من الشعر :

بظهر سر مولانا جلال الدين والدنيا   وهمة صاحب الداركاه مللى مصطفى المولى
بناني بيت ارشاد وارخني بما يهوى   وجدد حسن أورادي وأسسني على التقوى

وهي جنة الفقراء أهـ   ـل الله ثم لهم قرار
أوما تراها جاريا   ت تحتها الانهار ؟
وطريقها مثل الصرا   ط وما لسالكه قرار
ورباطها درجاتها   ولسندس النبت اخضرار
كنا مع الاصحاب في   يوم لبهجته افتخار
مع سادة غرر جها   بذة بهم كمل الوقار

وقال أيضا :

قف في طرابلس في سرحة الوادي   وانشد فؤادا الى نلك الربا صادي
واستنشق العرف من ذاك النسيم به   اذا سرى بين أغوار وأنجاد
فالمولوية يزهو زهر روضتها   وماؤها العذب يحلو عند وراد
فيا سقى الله هاتيك الربوع وما   تحويه من نزه للرائح الغادي
مضى لنا فيه يوم مع أحبتنا   ما أن يقاس بعيد أو بأعياد

ثم يصف النابلسي التكية فيقول : « وفي هذه المولوية أماكن مرتفعة منيفة ، وبها ثلاث مقاعد زاهرة لطيفة : المقعد الاول متسع ذو طوان جديد ، يفوق بمحاسنه البدر ، وأمامها فسقية صغيرة من الرخام الابيض ، يفيض منها الماء الى فسقية اخرى ، وأمامه أيضا مكان مرتفع مَعد لاجل سماع الدراويش ، وهو كبير متسع ، عليه قبو عظيم الاركان ، وتحت جداره نهر عظيم الجريان كبير محكم البنيان داخل الى البلدة ولهذا كانت مياهها مرتفعة توجد في أعالي القصور . وبين المقعد وهذا المكان المعد لسماع الدراويش بركة ماء كبيرة طويلة ، ينصب اليها الماء من هذا النهر بأنابيب ، وعدتهم ثمانية عشر انبوبا . وبحذاء هذا المقعد مقعد آخر مرتفع بأيوانين أيضا ، لكن ليس عنده ماء . وتلقاه أيضا ساحة أخرى ، فيها مقعد صغير بأيوان واحد ، يصعد اليه بسلم ، وتحته فسقية من الرخام ، وحواليها بلاط من الرخام . وحول هذه التكية أشجار كثيرة وعرائش العنب وأشجار النارنج ، وفيه أنواع الزهور . وفي أسفل الوادي خمسة أنهار جارية ، وفيه عشر طواحين دائرة على تلك الانهار . وفي ذيل الجبل ممر طويل ضيق كأنه الصراط » . (انظر التحفة النابلسية — ص ٧٣ و ٧٤ و ٧٦ و ٧٧) .

(١) لبنان الدليل الاخضر — ص ٢١١

والتكية الآن معطلة لا تشهد حلقات الذكر ، وتعرضت منذ فترة للهدم فقام الوالد بترميمها سنة ١٩٧١ باشراف دائرة الاوقاف الاسلامية بطرابلس .

وما زالت بوابة التكية تحمل فوقها لوحة كتب عليها :

أحيا الرسوم المولوية بعد ما   درست خلوصي محمد الوزراء
هنوه بالفوز العظيم وارّخوا   باري الهنا يجزيه خير جزاء

سنة ١١٨٤

وبطرابلس تكية القادرية وتقع في الطريق المتفرعة من سويقة النوري المؤدّية الى السراي العتيقة ، قرب منزل آل كاتسفليس . وعلى جدارها القبلي المطل على الطريق لوحة رخامية تحمل هذه الكتابة :

تكية القادرية   أسرارها مبدية
قد اتحفت بالتجلي   من فضل رب البرية
محمد قد بناها   الفستقي سنية
أرخه جاء بناه   تكية القادرية

سنة ١٢٠٤

وكان بطرابلس أيضا تكية ابي الخواتم المعروفة بالاحمدية خارج البلد بأرض الرمل (١) وغيرها .

وحتى نصف قرن تقريباً كانت معظم مدارس طرابلس القائمة تؤدي دورها الديني والثقافي على يد « الكتّاب » الذي يتحلق حوله أبناء الحي ، فيبدأون معه أول خطوة على طريق الحرف والكلمة . وكانت المدينة عامرة بالعلماء والطلبة ، وقد أثبت الشيخ القاياتي المصري الذي زار طرابلس في أواخر القرن الماضي ١٨٨٢هـ./١٣٠٠م. وهو يتحدث عن الشيخ محمود منقاره وأخيه فيقول : « وهما من أهل العلم والفضل مشتغلان بالقراءة والتعليم في مدرسة من مدارس البلد العامرة بالعلماء والطلبة ، فان مدارس طرابلس بالنسبة لغيرها من باقي مدن الشام ما عدا دمشق معمورة مأهولة بأهل العلم ، فترى غالبهم مختصاً بمدرسة لجلوسه وقراءته وتعليمه واجتماعه على اخوانه وأخدانه زيادة على اشتراكه مع أهل العلم في الجامع الكبير »(٢) وفي موضع آخر يتحدث عن الشيخ

(١) سجل المحكمة الشرعية بطرابلس — رقم ٧ — ص ١٣
(٢) نفحة البشام في رحلة الشام — الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي — ص ٧٠ — طبعة جريدة الاسلام بمصر ١٣١٩هـ.

عبد القادر الكلاس فيقول انه زاره في مدرسته فوجده مشتغلا بالقراءة والتعليم » وعنده طلبة يأخذون عليه في كتب متعددة ، ومدرسته المقيم بها مدرسة ظريفة جدا ، مطلّة شبابيكها على بستان عظيم مثمر وكذلك مدارس طرابلس كلها عظيمة »(١) .

وهكذا كانت طرابلس المدينة الوحيدة في لبنان التي انتفعت من نظام المدارس الذي وضعه المماليك(٢) .

أما المدارس التي ما زالت قائمة الى الآن في طرابلس فمنها ما يرجع الى عصر المماليك ومنها ما يرجع الى العصر العثماني ، ومنها ما تقام فيها الصلوات ، ومنها مدارس مهجورة ، ومنها ما شارف على الاندثار .

والمدارس المملوكية التي تقام فيها الصلوات الآن هي :

المدرسة القرطاوية ، وسيأتي الحديث عنها مفصلا ، والمدرسة الحجيجية، والمدرسة النورية ، والمدرسة الطواشية ، والمدرسة السقرقية .

والمدارس المملوكية المعطلة هي :

المدرسة الاثرية ، مدرسة الخيرية حسن ، المدرسة الناصرية ، المدرسة الشمسية ، المدرسة العجمية ، المدرسة الظاهرية ، المدرسة القادرية ، مدرسة سبط العطار ، مدرسة المارداني بالميناء ، المدرسة الرفاعية ، وقد اعدّت دائرة الاوقاف مشروع بناء مسجد مكان المدرسة الرفاعية يبدأ العمل به في الوقت الذي يمثل فيه هذا الكتاب للطبع ان شاء الله بهمة سماحة المفتي الشيخ نديم الجسر ، والسيد عصام سنجقدار رئيس دائرة اوقاف طرابلس بالوكالة .

أما المدارس العثمانية التي تقام فيها الصلاة الآن في طرابلس فهي :

مدرسة القاضي أوغلو ، مدرسة القاضي عمر ، مدرسة الدبها ، مدرسة الشالح ، المدرسة الأفغانية أو الفارسية .

(١) نفحة البشام — ص ٧٢
(٢) لبنان في التاريخ — ص ٤٢٠.

والمدارس العثمانية المعطلة هي :

مدرسة الدايم الله ، المدرسة الرجبية ، المدرسة الدبوسية ، المدرسة المحمودية ، مدرسة ابو النصر اليافي بالميناء ، المدرسة الأشرفية ، المدرسة الكريمية ، مدرسة بلوك باشي ، المدرسة القاوقجية ، المدرسة العمرية أمام سبيل التينة ، المدرسة السبسبية ، مدرسة حسن البشناتي ، المدرسة الجوهرية ، مدرسة الدلبة ، المدرسة القادرية بالتربيعة وتعرف أيضاً بالمدرسة التدمرية(١) ، ومدرسة محمود بك السنجق المجاورة لجامع الاويسية .

(١) كانت بتولية عمر آغا التدمري وبعد وفاته انتقلت توليتها الى السيد منيب عدره ولذلك عرفت بالمدرسة التدمرية ، وما تزال تحمل هذا الاسم حسب لوحة البلدية .

الفصل الثاني

« ١ »

الجامع المنصوري الكبير

تسمية الجامع بالمنصوري

عُرف جامع طرابلس الكبير باسم (الجامع المنصوري) ، وهو منسوب بهذه التسمية الى السلطان قلاوون الملقب بالمنصور ، وهو فاتح طرابلس ومحررها من الصليبيين كما مر .

غير أن الذي أمر ببناء الجامع هو السلطان خليل بن قلاوون الملقّب بالأشرف ، اذ توفي قلاوون في العام التالي لفتح المدينة وبالتحديد في ٦ ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ./١٢٩٠م. وكان من المفروض أن يُسمّى الجامع بالجامع الأشرفي نسبة الى الأشرف خليل ، ولكن ذكرى فتح طرابلس على يد المنصور قلاوون وما صاحب ذلك الفتح من انتصار وفرحة كبرى للمسمين ، كانت عاملا قوياً في اطلاق اسم المنصوري على الجامع تيمّناً باسم الفاتح العظيم . ومع أن هذه التسمية غير مثبتة في النص التاريخي لبناء الجامع ، الاّ أنها وردت في كتاب « صبح الاعشى » للقلقشندي(١) ، الذي وضع كتابه في سنة ٨١٤هـ. والمتوفى سنة ٨٢١هـ./١٤١٨م. وفي السجلات الوقفية . وقد تم بناء الجامع في سنة ٦٩٣هـ./١٢٩٤م. أي في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، بعد مضيّ خمس سنوات على فتح طرابلس .

(١) ج ٢ ص ٤٧٢

والجامع المنصوري أقدم جامع بناه المماليك في طرابلس ، وهو أكبر جوامعها على الاطلاق . ويقع في حي النوري ، حيث يتوسط المدينة . وقد أقيم في منبسط أرضي منخفض نسبياً عن بعض المناطق المجاورة ، فهو عند نهاية منحدر الرفاعية وطريق القلعة ، ويلاحظ انخفاض أرض الجامع عن بعض المناطق الشرقية حيث يُنزل اليه بالدرج من البابين الشرقيين ، كما يُنزل اليه بدرجتين من الباب الرئيسي الشمالي ، ويرتفع مستوى الارض خارج الجامع من الجهة الجنوبية (القبلية) عن مستوى أرض حرم الجامع .

الجامع والكنيسة الصليبية

يعتبر الباب الشمالي الرئيسي للجامع والمئذنة من بقايا الكنيسة الصليبية التي أقيم على أنقاضها الجامع. ويقول البحّاثة والمؤرخون ان مئذنة الجامعكانت في الاساس برجا لومباردي الطراز ، وهو من بقايا كنيسة كانت تُعرف باسم كنيسة القدّيسة ماري دي لاتور(١) وكانت هذه الكنيسة أقيمت في أوائل القرن الثاني عشر ميلادي (أواخر القرن الخامس هجري) ، في الفترة التي كانت طرابلس تُحاصر فيها من قبل الصليبيين بقيادة ريموند دي سان جيل(٢) .

ويكاد المؤرخون الذين كتبوا عن هذه الكنيسة يُجمعون على أنها تهدّمت مع أبنية طرابلس في الزلزال العنيف الذي حدث سنة ١١٧٠م/٥٦٥هـ.(٣) وذلك استناداً الى ما ذكره الرحّالة اليهودي « بنيامين التطيلي » في رحلته ، حين أتى على ما خلفه هذا الزلزال من خراب في طرابلس وكانت آثاره ما تزال ظاهرة حين زارها في سنة ١١٧١م. حيث يقول : « .. وقد أصاب طرابلس قبل مدة وجيزة زلزال شديد أدّى الى هلاك خلق كبير من اليهود وغيرهم . انهارت عليهم الدور والحيطان فطمرتهم »(٤)

ولكن هذه الكنيسة كانت قد تعرّضت قبل ذلك لزلزال عنيف في سنة

(١) لبنان الدليل الاخضر — ص ٢١١ See Lebanon - Condé - Beirut 1960 - P. 538

(٢) تعرضت طرابلس للحصار الصليبي ابتداء من سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م. غير ان الحصار اشتد عليها سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م. حتى سقطت بيدهم سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م.

(٣) طرابلس الشام — ص ٤٠٠ ، الدليل الاخضر — ص ٢١١

(٤) رحلة بنيامين التطيلي — ترجمة عزرا حداد — ص ٨٧ و ٨٨ — طبعة بغداد ١٩٤٥

٥٥٢هـ/١١٥٧م. هلك فيه أكثر أهل طرابلس وخربت المدينة (١) فأعاد الافرنج بناء الكنيسة وما تهدّم منها . كما قام الكونت بوهيموند الرابع باعادة بناء وترميمها تهدّم منها في زلزال سنة ٥٦٥هـ/١١٧٠م. الذي مرّ ذكره . وكانت طرابلس خلال تلك الفترة قد نزعت عنها حكم الاسرة التولوزية(الطولوشية)(٢)، وانضوت تحت حكم امراء انطاكية الذين ينحدرون من جنوب ايطاليا ، وكان هؤلاء أبعدوا الامراء الفرنسيين عن السلطة وحلّ محلهم نبلاء من روما،واستعان بوهيموند بأحد المهندسين الايطاليين ليعيد بناء الكنيسة ، وهكذا ترك المهندس الايطالي طابع بلاده الهندسي على البرج اللومباردي القائم الآن والذي أصبح مئذنة للجامع الكبير .

وفي سنة ٥٩٧هـ/١٢٠١م. أصاب طرابلس زلزال عظيم خرّب محالاً كثيرة فيها(٣) ولا يُستبعد أن تكون الكنيسة تأثرت بهذا الزلزال وأعيد ترميمها من جديد .

وعندما توفي بوهيموند السادس سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٥م. دُفن داخل هذه

(١) انظر عن هذا الزلزال ما ذكره ابن القلانسي في حوادث سنة ٥٥٢هـ. (ص ٣٣٧ — ٣٥٠) — ذيل تاريخ دمشق — بيروت ١٩٠٨ ، وما ذكره ابن الاثير في التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية — تحقيق الدكتور عبد القادر طليمات — ص ١١٠ — القاهرة ١٩٦٣ ، والكامل في التاريخ — ابن الاثير — ج ١١ ص ٢١٨ — بيروت ١٩٦١ ، ومرآة الزمان في تاريخ الاعيان — سبط ابن الجوزي — القسم الاول من الجزء الثامن — ص ٢٢٨ — طبعة حيدر أباد بالهند ١٩٥١ ، والبداية والنهاية — ابن كثير — ج ١٢ ص ٢٣٦ ، وصبح الاعشى — ج ١ ص ٤٥٧ ، وغيره .

(٢) انظر عن هذه الاسرة البحث الذي وضعه الاستاذ جون ريشارد بعنوان (كونتية طرابلس في ظل الاسرة التولوزية) ١١٠٢ — ١١٨٧م. — وطبع في باريس سنة ١٩٤٥ وهو في ٩٥ صفحة من القطع الكبير . Le Comté de Tripoli sous la Dynastie Toulousaine (1102 - 1187) - Jean Richard - Paris 1945

(٣) التأريخ المنصوري (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان) — ابو الفضائل الحموي — نشره بطرس غريازينويج — ص ٢٣٤ (الصورة ١١٣ ب) — طبعة معهد الشعوب الآسيوية بموسكو ١٩٦٣ ، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير — ابن الساعي الخازن (ت ٦٧٤هـ.) — ٩ ص ٥٣ نسخه وعلق عليه وصححه الاستاذ مصطفى جواد — طبعة بغداد — ١٩٣٤ ، المختصر في اخبار البشر — ج ٣ ص ١٠١ وغيره .

الكنيسة(١). ثم ما لبثت أن تهدّمت عند حصار قلاوون للمدينة ، ولم يبق من آثارها سوى البرج والبوابة الرئيسية ذات الطراز القوطي .

ويذكر الدكتور السيد سالم نقلا عن الاستاذ بروس كوندي(٢) ان الكنيسة تأثرت بزلزال سنة ١٢٨٧م. أحدث فيها أضراراً جسيمة . غير أنه ليس في المصادر التاريخية ما يشير الى وقوع زلزال في تلك السنة . ولم أعرف المصدر الذي اعتمد عليه كلّ من الاستاذين في اثبات ذلك .

البرج ــ المئذنة

والبرج أو المئذنة حاليا ذات أربعة طوابق ، الطابق الاول خال من النوافذ، أما الثاني فله نافذتان في جهاته الاربع ، والطابق الثالث به عشرة نوافذ ، ثلاثة منها في الجهة القبلية ، وثلاثة في الجهة الشمالية ، وفي كل من الجهتين الشرقية والغربية نافذتان ، وكذلك في الطابق الرابع . والنوافذ عبارة عن قناطر ترتكز على أعمدة رخامية ذات طراز صليبي في الطابقين الثاني والثالث فقط .

والمئذنة ليست مربعة الشكل كما قد يخيل للناظر ، بل هي مستطيلة نوعا ما ، ولذا نجد في الجهتين الشرقية والغربية نافذتين ، بينما نجد في الجهتين الاخريين ثلاثة نوافذ(٣) .

أما قمة المئذنة فتأخذ شكلا يشبه القمع ، في أسفله دائرة تحيط بالبرج الاسطواني الذي يعلوه الشكل القمعي . وهذا القسم حديث البناء .

ويوجد جنوبي المئذنة فوق الاروقة الشمالية غرفة صغيرة تعلوها قبة صغيرة أيضاً ، وعلى يمينها في أعلى واجهة الاروقة الشمالية المطلة على صحن الجامع لوحة بها خطوط تمثل ساعة شمسية كان يتوسطها من أعلى قضيب حديدي غليظ هو بمثابة عقرب الساعة . ومن المحتمل أن هذه الغرفة كانت في وقت ما مخصصة لمؤقت الجامع حيث يراقب ظل الشمس على اللوحة الشمسية القريبة منه ، ليعطي الاشارة الى المؤذنين باعلان وقت الصلاة .

---

(١) البداية والنهاية ــ ج ١٣ ص ٢٦٩ عقد الجمان ــ ج ٢٠ ق ٤ ص ٥٩٧ ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجري ــ ابو شامة المقدسي الدمشقي ــ ص ٢٩ ــ القاهرة ١٩٤٧

(٢) طرابلس الشام ــ ص ٤٠١ ، Condé - P. 30

(3) P.34

الباب الرئيسي للجامع

يقع الباب الرئيسي للجامع في الجهة الشمالية حيث يطل على محلة سويقة النوري . وعلى جانبي هذا الباب مدرستان : الاثرية وهي على يمين الداخل الى الجامع ، والشمسية على اليسار . وفي مواجهة هذا الباب مباشرة على مسافة قليلة المدرسة الناصرية .

ومن المرجّح أن هذا الباب كان باباً للكنيسة الصليبية التي أقيم الجامع مكانها ، وقد أبقى عليه المماليك مع الجدار الشمالي للكنيسة والبرج . ويذهب الدكتور سالم الى أن البوابة كانت في موضع آخر فانتزعت من الكنيسة القديمة ووُضعت في مدخل الجامع لتكون شاهداً ماثلا يسجل انتصار المسلمين على الصليبيين ، ويستشهد على ذلك بما فعله الأشرف خليل بعد ذلك ببوابة كنيسة سان جان بعكا التي انتزعها الأمير علم الدين الدواداري متولّي تخريب عكا وصور وعثليث وغيرها من قلاع الصليبيين التي فتحها الأشرف خليل وحملها الى القاهرة حيث نصبها العادل زين الدين كتبغا في المدرسة التي نُسبت فيما بعد الى الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة(١).

ومن آثار البوابة القديمة للكنيسة العمودان الرخاميان القائمان عند طرفيها تتوجّهما الزخرفة القوطية . وعليهما يرتكز افريزان لقوسين أسفل العقد الذي يعلو البوّابة ، ثم يلي العمودين عضاضتان في كل ناحية ، الاولى أكثر ضخامة من الثانية ، ويقوم فوق العضاضتين الأوليين افريزان بارزان بخط زيكزاك وفي الزاوية التي تتوسط بين العضاضة الاولى والثانية يوجد افريز آخر بارز يفصل بين خطي الزيكزاك السابقين وخطين زيكزاك آخرين يقومان فوق العضاضة الثانية ، وتشكّل هذه الأفاريز والخطوط أقواسا فوق البوابة .

أما اللوحة التاريخية لبناء الجامع فهي تعلو الباب وترتكز على افريزين ناتئين ، ويبلغ طول اللوحة ٢٦٠سم. وعرضها ٣٩سم.(٢) نقش عليها ثلاثة

---

(١) طرابلس الشام ــ ص ٤٠١ بالهامش .

(2) Corpus Inscriptionum Arabicarum - Sobernheim (Mortiz) T.XXV. (25) - P. 50 - Institut Français de Caire 1909

أسطر بالخط النسخي المملوكي هذا نصها :

س١ « بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بانشاء هذا الجامع المبارك مولانا السلطان الاعظم سيد ملوك العرب والعجم وفاتح الامصار وُمبيد الكفّار س٢ الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين خليل قسيم أمير المؤمنين بن مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي خلّد الله ملكه س٣ في نيابة المقرّ العالي الأميري الكبيري العزّي عز الدين أيبك الخزندار الأشرفي المنصوري نائبالسلطنة بالفتوحات والسواحل المحروسة عفا الله عنه وذلك في سنة ثلاث وتسعين وستماية . والحمد لله وحده » (١) .

وعند نهاية هذا النص بأعلى العضاضة اليسرى للباب يوجد نقش آخر بنفس الخط من ثلاثة أسطر ذُكر فيه اسم المهندس الذي تولّى عمارة الجامع ، وهذا نصّه :

س١ « تولاّ (٢) عمارة هذا الجامع المبارك العبد الفقير س٢ لله(٣) تعالى سالم الصهيوني س٣ ابن ناصر الدين العجمي(٤) عفا الله عنه » .

وفوق عتبة الباب توجد كتابة عثمانية هي : لا اله الا الله محمد رسول الله .

ترجمة السلطان الاشرف خليل باني الجامع

هو الأشرف خليل بن قلاوون سلطان مصر والشام . جلس على تخت السلطنة في شهر ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ./١٢٩٠م. بعد موت والده . واستفتح ُملكه بالجهاد حيث سار لمنازلة عكا ، وكان نائبه حينئذ على طرابلس الامير سيف الدين بلبان الطباخي فسار اليه بعساكرها وعساكر الحصون التابعة لها ، واجتمع معه عليها سائر نواب المماليك الشامية حتى افتتحها وطرد الصليبيين منها . وأخذ نصف الشام من الفرنج . ثم سار في السنة الثانية

(1) Sobernheim - P. 49

(٢) هكذا في الاصل .

(٣) أثبتها زوبرنهايم خطأ « الى الله » . ص ٥٠

(٤) لم أقف له على ترجمة .

فنازل قلعة الروم وحاصرها ٢٥ يوماً حتى افتتحها ، وفي السنة الثالثة جاءته مفاتيح قلعة بيسان من غير قتال وهو سائر الى دمشق . ويقول ابن شاكر الكتبي انه « لو طالت مدته لملك العراق وغيره » . ويصفه بأنه كان شجاعاً مقداماً مهيباً عالي الهمة ، يملأ العين فيرجف القلب ، وكان ضخما سمينا ، كبير الوجه ، بديع الجمال ، مستدير اللحية ، على صورته رونق الحسن وهيبة السلطنة(١). وكان جواداً يبذل الاموال في أغراضه الى ما لا نهاية ، تخافه الملوك في أقطارها ، أباد جماعة من كبار الدولة ، وكان منهمكاً على اللذّات لا يعبأ بالتحرّز على نفسه لشجاعته ، حتى قتله أمراؤه يوم السبت في ١٣ محرم سنة ٦٩٣هـ. بالقرب من الاسكندرية . وكان معه الامير شهاب الدين احمد بن الأشل . ومات الأشرف خليل بعد أن حكم ثلاث سنين وشهراً وخمسة أيام ، ولم ُيحدث خلالها مظلمة ولا استجدّ ضمان مكس (ضريبة). وكان يحب الشام وأهله . وفيه يقول شمس الدين ابن غانم .

مليكان قد لقبا بالصلاح   فهذا خليل وهذا يوسف (٢)
فيوسف لا شك في فضله   ولكن خليل هو الأشرف

وكان الأشرف ُمغرى بالهدم ، هدم عكا بعد فتحها كما فعل أبوه قلاوون حين هدم طرابلس بعد فتحها . كما هدم الأشرف الأماكن المجاورة للميدان بدمشق .

قال ابن كثير : ان الناس قد تألموا لفقده وأعظموا قتله ، وكان قد عزم على غزو العراق ، واسترجاع تلك البلاد من أيدي التتار واستعدّ لذلك ونادى به . وكانت فتوحاته هي : عكا وصور وصيدا وبيروت وقلعة الروم وبيسان وجميع الساحل ولم يترك للفرنج فيها معلماً ولا حجراً(٣) .

ومما ُيروى عن الأشرف خليل أنه كان جالساً في بعض الايام في الميدان بالقاهرة والقرّاء يقرأون القرآن الكريم بين يديه ، وكان والده الملك المنصور

(١) فوات الوفيات — ج ١ ص ٣٠٠ وما بعدها

(٢) يعني بذلك السلطان يوسف المشهور بصلاح الدين الايوبي

(٣) البداية والنهاية — ج ١٣ ص ٣٣٥

يومئذ يحاصر طرابلس ، فقال الأشرف : « في هذه الساعة أخذت طرابلس » . وشاع عنه ذلك وذاع وملأ الأفواه والأسماع ، فلم يبق الا" مدة مسافة الطريق حتى وردت الاخبار بفتح طرابلس في الساعة المذكورة ، وكان الامر كما قال وذلك لأمر كشفه الله لذهنه وأطلعه عليه(١) .

ترجمة الامير عز ألدين أيبك الخزندار

هو الامير عز الدين أيبك بن عبد الله الطويل الخزندار المنصوري . ولي نيابة السلطنة بطرابلس في شهر محرم سنة ٦٩٢هـ. وهو ثالث نواب طرابلس في عصر المماليك ، وكان يليها قبله الامير سيف الدين طغريل الايغاني(٢). وظل أيبك الخزندار في نيابة طرابلس حتى عُزل عنها سنة ٦٩٤هـ. حيث اعتقل ثم أفرج عنه بعد ذلك ، وحج في نفس السنة . واستمر بعد ذلك ديّناً مواظباً على الطاعة الى أن توفى في ١١ شهر ربيع الاول سنة ٦٠٧هـ. بدمشق .

كان أولا أحد الامراء بدمشق ومن قبلها كان بمصر ، وقد استنابه الأشرف خليل في الملك مدة غيابه وهو يحاصر عكا . قال ابن تغري بردي : « وكان ديّناً ، كثير الصدقات والبرّ والمعروف »(٣). خلف ولداً يدعى محمد ، وولّي شدّ الساحل ثم امرة صفد وتوفى بها سنة ٧٤٩هـ.

وبعد أن عُزل الخزندار من نيابة طرابلس وليها الامير عز الدين أيبك الموصلي ، وستأتي ترجمته في موضعها .

أروقة الجامع

عندما تدخل من الباب الرئيسي للجامع تواجهك بركة الوضوء الكبيرة التي تتوسط صحن الجامع حيث تعلوها قبة كبيرة ترتكز على أربع عضاضات ضخمة . والبركة من الرخام الابيض تتوسطها نافورة بثلاث طبقات ، وجنوبي البركة مصلّى يرتفع عن أرض صحن الجامع حوالي المتر ، وفي جهته القبلية

(١) ابن الفرات — ج ٨ ص ١٦٥ و ١٦٦
(٢) ابن الفرات — ج ٨ ص ١٥٣
(٣) ابن الفرات ، السلوك ج ٢ ق ١ ص ٣٠ ، الدرر — ج ١ ص ٤٥٢ ، النجوم — ج ٨ ص ٢٢٤

محراب صغير . وهذا البناء مفرّغ من الجدران ، يتألف من ست عضاضات تشكل قناطر تقوم على أربعة منها القبة . وكان في الطريق بين طرابلس والميناء مصلّى عند المنطقة المعروفة بالمرج يشبه بناؤه بناء هذا المصلى .

وعلى يمين الداخل من البوابة الشمالية ، وفي صحن الجامع ينتصب عمودان من الحجارة الجرانيتية بارتفاع حوالي متر ونصف ، والى اليمين منهما بمحاذاة الرواق الغربي توجد بئر معطّلة كانت تستخدم قبل تمديد المياه بقساطل .

وفوق مدخل البوابة المطلّة على الرواق الشمالي يوجد قوس من الزخرفة بشكل صلبان نافرة متتابعة ، يقول الاستاذ بروس كوندي انها زخرفة للقديس « أندرو »؟؟(١).

وتحيط بصحن الجامع من جهة الشمال والشرق والغرب رواقات أمر ببنائها السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٥هـ. وتقوم هذه الأروقة على عضاضات ضخمة ، مربعة القاعدة ، تتشكل منها عقود وقناطر مثلثة الرؤوس . ويتألف الرواق الشمالي من سبعة عقود ترتكز على ٨ عضاضات لها افريز بارز على علو مترين باتجاه الصحن . أما الرواقان الشرقي والغربي فيتألف كل منهما من خمسة عقود ، غير أن هذه العقود أكثر اتساعاً من عقود الرواق الشمالي .

وعلى احدى العضاضات في الرواق الشرقي توجد لوحة صغيرة نُقشت فيها خطوط منحنية مهمتها تحديد وقت أذان العصر . والى اليمين منها توجد اللوحة التاريخية لبناء الأروقة مندمجة في واجهة الرواق الشرقي(٢) نُقش فيها تسعة أسطر بالخط النسخي المملوكي هذا نصها :

س١ « بسم الله الرحمن الرحيم (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله

(1) Condé - P. 34
(٢) أخطأ سوبرنهايم في تحديد موضعها فجعلها على الرواق الشمالي (ص ٥٣)

واليوم الآخر) (١) أمر بانشاء هذه س٤ الرواقات تكملة الجامع المبارك مولانا السلطان س٥ الملك الناصر العالم المجاهد س٦ المظفر المنصور ناصر الدنيا والدين محمد ابن قلا س٧ ون خلّد الله ملكه في نيابة المقر الشريف السيفي كستاي الناصري كافل المملكة الشريفة الطرابلسية أعز الله س٨ أنصاره بأشارة المقر العالي البدري محمد ابن (٢) ابي بكر(٣) شادّ الدواوين المعمورة أدام الله نعمته . وكان الفراغ منه في س٩ شهور سنة خمس عشر وسبعماية . وصلى الله على سيدنا محمد . تولاّ(٤) عمارته العبد الفقير الى الله تعالى(٥) احمد بن حسن البعلبكي(٦) .

ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاوون باني الرواقات

ولد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٦٨٤هـ. وتولى حكم دولة المماليك بعد مقتل أخيه الأشرف خليل وهو ما يزال في التاسعة من عمره ، ولكنه ما لبث أن خُلع بالملك كتبغا المنصوري الملقّب بالعامل في شهر المحرم سنة ٦٩٤هـ. وهو لم يتمّ السنة في الحكم ، فتوجه الى الكرك ، وأقام هناك حتى أعيد الى الحكم بعد مقتل المنصور حسام الدين لاجين في سنة ٦٩٨هـ. فدام في الحكم حتى سنة ٧٠٨هـ. ثم خلع نفسه وتوجه الى الكرك من جديد ، فتسلطن

(١) ما بين الحاصرتين لم يثبته الاستاذان/كومب وسوفاجيه في مجموعة النقوش العربية . انظر : Répertoire Chronologique D'epigraphie Arabe - T. 14 ér. Combe, K.A. C. Créswell. R. Ettinghausen. Ahmed Fikri.. ét. Combe, J. Sauvaget, et G. Wiet - P. 101 - Le caire imprimerie de l'institut francais d'archéologie orientale.

(٢) هكذا عند زوبرنهايم ، أما عند سوفاجيه فهي (بن) بحذف الالف .

(٣) لم أقف له على ترجمة ، ولم يقع لي هذا الاسم فيمن تولى شد الدواوين بطرابلس . وكان صاحب ديوان طرابلس في تلك الفترة أو بعدها القاضي عماد الدين الانصاري المصري المعروف بابن النويري محمد بن محمد بن يعقوب المتوفى بها في شعبان سنة ٧١٧ هـ. انظر : نثر الجمان — ج ٤ ص ١٢٠أ ، السلوك — ج ٢ ق ١ ص ١٨٠ ، اعيان القصر في اعيان النصر — الصفدي — ج ٦ ق ٢ ص ٣٣٦ — نسخة مصورة عن مخطوطة الاسكوريال محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٩١ تاريخ .

(٤) هكذا في الاصل .

(٥) عند سوفاجيه (تع) .

(٦) لم أقف له على ترجمة .

مكانه بيبرس الجاشنكير ، ثم خُلع بيبرس وعاد الناصر محمد للمرة الثالثة في شوال سنة ٧٠٩هـ. واستبدّ منذ ذلك الوقت بالأمر من غير معارض الى أن مات في ٢١ ذي الحجة سنة ٧٤١هـ. فكانت مدة حكمه الثالثة ٣٢ سنة ، وهي أطول مدة حكم فيها سلطان مملوكي حيث بلغ مجموع السنوات التي حكمها نحواً من ٤٢ سنة . وكان أعظم سلاطين المماليك مهابة وأغزرهم عقلا وأحسنهم سياسة وأكثرهم دهاء وأجودهم تدبيراً وأقواهم بطشاً وشجاعة وأحذقهم تنفيذاً ، فهو سلطان ابن سلطان وأخو سلطان ووالد ثماني سلاطين من صُلبه والملك في ذرّيته وأحفاده وعقبه ومماليكه ومماليك مماليكه . فهو أجلّ ملوك المماليك وأعظمها بلا مدافعة . كان متجمّلا يقتني من كل شيء أحسنه . وكانت حرمته ومهابته وافرة قد تجاوزت الحد ، حتى أن الامراء كانوا اذا وقفوا بالخدمة لا يجسر أحد منهم أن يتحدث مع رفيقه ولا يلتفت نحوه خوفا من مراقبة السلطان لهم . وله المواقف المشهودة لمّا لقي غازان ملك التتار على فرسخ من حمص ، والوقعة العظيمة مع التتار أيضا بشقحب حيث انتصر فيها المسلمون ودخلوا بلاد سيس . وغزا ملطية وأخذ مدينة أياس من بلاد الارمن . وجزيرة أرواد من الافرنج ، وغزا بلاد اليمن . وعمّر قلعة جعبر ، وأجرى نهر حلب الى المدينة ، وخُطب له بماردين وجبال الأكراد وحصن كيفا وبغداد وغيرها من بلاد الشرق . وأتته الهدايا من ملوك الغرب والهند والصين والحبشة والسودان والروم والفرنج والترك .

وفي أثناء سلطنته الثانية (٦٩٨ — ٧٠٨هـ.) تم فتح جزيرة أرواد سنة ٧٠٢هـ. وتحررت من الصليبيين . وشارك في هذا الفتح نائب طرابلس في ذلك الوقت الامير سيف الدين أسندمر الكرجي ، حيث أمدّ الاسطول المصري بستين مقاتلا من المماليك سوى البحرية والمتطوعة ، كما جهّز مركبا وضع فيه جماعة من الجند وسيّره مع الاسطول ، ثم قاد بنفسه القوات البرّية ونزل قبالة الجزيرة بالبر الشرقي فأحاط الاسطول بالجزيرة واستولى عليها .

وفي أيامه أيضا قام أسندمر بتأديب العصاة والخارجين على الدولة في جبال كسروان سنة ٧٠٥هـ.

ترجمة الامير كستاي الناصري

هو الامير سيف الدين كستاي الناصري أمير سلاح ، نائب السلطنة بطرابلس والمتوفى بها سنة ٧١٦هـ. وكستاي بضم أوله وسكون المهملة بعدها مثناة . ترقّى في خدمة الناصر حتى صار أمير سلاح وتمكّن من السلطان

وفوّض اليه نيابة طرابلس في سنة ٧١٤هـ. (١) فاستعفى من النيابة فلم يُعف، فتوجّه على كره منه ، ووصل الى دمشق في ١٢ جمادى الاولى ومن ثم توجه الى طرابلس فباشرها بعد نائبها تمر الساقي بعفّة وُحرمة مدة شهرين ثم طلب من الناس التقادم (الهدايا) واخذها . وعن ذلك يقول النويري : « توجه من طرابلس لكشف الملكة الطرابلسية وما هو مُضاف اليها من الحصون وأظهر النزاهة عن قبول تقادم النواب فكان من قدّم له شيئاً من الخيل والقماش عرضه وأمر بكتابته واعاده على من قدّمه ، ولما سمع نواب الحصون بذلك اكثروا في التقادم وارادوا بذلك التجمّل عنده ، وعلموا أن ذلك يعود اليهم . وكان من عزم على تقدمة شيء ضاعفه واستعار بعضهم من بعض ولم يزل الامر على ذلك الى أن وصل الى ثغر لاذقية وهو آخر العمل ، فقدّم له الامير بدر الدين بكتوت القاضي مقدّم العسكر بالثغر تقدمة جليلة من الأقمشة والبخاتي (الابل) وغير ذلك ، وتجمّل ، وظن أن ذلك يُعاد اليه كما اعيد على غيره ، فقبل جميع ذلك وقال : أنت خوشداشي ولا يليق أن أردّه عليك . ولما عاد من لاذقية مرّ على واد هناك به عدّة من البخاتي للأمير بدر الدين بكتوت التاجي المذكور ، فانتقى ثلاثين بُختياً من خيارها ، وأرسل اليه يقول : انني مررت على جمالك واخذت منها خمس قطر اخر لضرورة التقدمة للسلطان ، فأرسل ولدك لتقرير ثمنها وقبضه . ثم كتب الى سائر من كان قدّم له تقدمة يطلبها بجملتها . وكان من استعار من النواب قماشا من صاحبه قد أعاده عليه، فاضطروا الى ارسال قصّادهم الى حماه وغيرها لابتياع عوض ما كانوا استعاروه ، وكمّلوا تقادمهم وارسلوها اليه ، وحصل لهم الضرر بذلك ، ولم تطل مدّته بعد ذلك ، ووجد الجميع في تركته ، وكانت تركة طائلة ، وورثه أخواه : الامير سيف الدين فجليس أمير سلاح ، وسيف الدين أولاق ، وزوجته ، ولم يتعرّض السلطان من تركته الى شيء »(٢)

وقال المقريزي : « وكان جسورا ، قوي النفس ، معجبا بنفسه ، شديد الكبر » (٣) .

---

(١) في السلوك — ج ٢ ق ١ ص ١٤٤ استقر في محرم ٧١٥هـ. وفي الدرر الكامنة — ج ٣ ص ٣٥٣ استقر في ربيع الآخر ٧١٥هـ.

(٢) نهاية الارب — مجلد ٣٠ — ص ٩٤ و ٩٥

(٣) السلوك — ج ٢ ق ١ ص ١٥٩

وقال ابن حجر العسقلاني : « كان حسن السيرة ، وشديد البأس ، قوي البدن ، كان يأخذ العظم الكبير من الشاة فيكسره بيده قطعتين ، وكان معجبا بنفسه شديد الغضب ، ويقال ان الناصر سمّه في زمانه »(١) .

وقبل وفاته مرض نحو عشرين يوما . وكانت وفاته في ليلة الاربعاء ١٩ جمادى الآخرة سنة ٧١٦هـ. بطرابلس ودُفن فيها . واستقر عوضه الامير شهاب الدين قرطاي .

حرم الجامع

يقع الحرم في الجهة الجنوبية من الجامع ، مع ميل قليل نحو الشرق ، وواجهته المطلّة على الصحن تتألف من سبعة عقود أو سبعة أبواب كبيرة ، وهي أكثر اتساعاً من عقود الرواق الشمالي . ومنها عقد يُفضي الى الرواق الشرقي من الناحية الجنوبية ، وخمس عقود الى الصحن ، أما العقد السابع فقد أقيمت عنده غرفة تعرف بغرفة الأثر الشريف .

ويتكوّن سقف الحرم من ١٤ اسطوان ، تعلوه قبوات متعارضة ما عدا أسطوان المحراب فتعلوه قبّة قائمة على مقرنصات مقوّسة . وفي وسط حرم الجامع تقوم سبع عضاضات ، منها واحدة مندمجة في الجدار الغربي للجامع (٢،٠٠ × ٠،٧٥) سم . والستة الاخرى كلّ منها (٢،١٥ × ٢،٠٠) سم . وتواجه هذه العضاضات سبع عضاضات أخرى في الناحية الشمالية وهي المطلّة على الصحن .

أما الحرم فيبلغ طوله (٥١،٥٠ مترا) ، وعرضه (١١،٣٠ مترا) ، ويتألف من ثلاثة أقسام ، قسمان مرتفعان على جانبي الحرم ، وقسم منخفض وهو في الوسط بمستوى أرضية الصحن الخارجي . أما القسم الغربي لجهة اليمين والذي يمتد من الجدار الغربي حتى نهاية العضاضة الثانية فهو مرتفع بمستوى الرواق الغربي .

---

(١) الدرر الكامنة — ج ٢ ص ٣٥٣ و ٣٥٤

وأما القسم الشرقي والذي يمتد من أول العضاضة السابعة حتـــى الجدار الشرقي للجامع فهو أكثر ارتفاعاً من القسم الغربي ، وكذلك أكثر ارتفاعاً من الرواق الشرقي ، اذ يرتفع عن أرض الحرم الاوسط بحوالي ثلاثة أرباع المتر . بينما يقل ارتفاع القسم الغربي عن نصف متر . وبالقسم الشرقي فسحة منخفضة بمستوى الرواق الشرقي تبدأ من الباب . وهي بطول (٤،٥٠ أمتار) وعرض (٢،٥٠ م) .

المحراب والمنبر

في منتصف الجدار الجنوبي (القبلي) يقوم المحراب الذي يبدو بارزاً عن مستوى الجدار الخارجي للجامع . ويقوم عى جانبي المحراب عمودان رخاميان تتوّجهما زخرفة رشيقة تشبه النبات الشوكي . وفوق المحراب نُقشت دائرة كبيرة داخل الجدار وأحيطت بثلاثة خطوط دائرية متعرّجة بشكل زيكزاك ، وهذه الخطوط على طبقات بحيث تشبه مع الدائرة الغائرة في وسطها وردة مفتّحة أو زهرة دوّار الشمس .

وعلى يمين المحراب ينتصب منبر الجامع الخشبي بطول ثلاثة أمتار وعرض متر واحد ، تزيّنه زخرفة هندسية لطيفة ، وما زال هذا المنبر منذ أن أقيم في سنة ٧٢٦هـ. يحتفظ حتى الآن بجماله ومتانته وزخارفه ، كما لا يزال يحمل تاريخ بنائه ضمن نصّ من سطرين نقشا فـــوق مصراعي البـــاب . وبين السطرين توجد لوحة زيتية رسم عليها منظر تقريبي للكعبة المشرفة .

ويقع السطر الاول تحت زخرفة من المقرنصات التي هي بمثابة تاج لباب المنبر ، أما السطر الثاني فيقع تحت اللوحة فوق مصراعي باب المنبر مباشرة ، وكُتبا بالخط النسخي المملوكي هذا نصهما :

س١ « أمر بانشاء هذا المنبر المبارك العبد الفقير الى الله تعالى قرطاي بن عبد الله الناصري أثابه الله س٢ فأقام من ماله بكتوان بن عبد الله الشهابي(١)

(١) لم أقف له على ترجمة .

تقبّل الله منه وذلك في شهر ذو(١) القعدة سنة ستة وعشرين وسبعمية » .

ترجمة الامير قرطاي باني المنبـــر

هو الامير شهاب الدين قرطاي بن عبد الله الناصري الصالحي الأشرفي الجوكندار الحاجب(٢). نائب السلطنة بطرابلس . ولي نيابتها مرتين في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون . الاولى في شهر رجب سنة ٧١٦هـ. واستمر بها حتى شهر جمادى الاولى سنة ٧٢٦هـ. ووليها عوضا عنه الامير سيف الدين طينال ، ثم عاد قرطاي فولي نيابة طرابلس للمرة الثانية في شهر ربيع الاول سنة ٧٣٣هـ. واستمر بها حتى توفى في ١٨ صفر سنة ٧٣٤هـ. بعد أن جاوز الستين من عمره(٣). ودفن بمدرسته التي أنشأها بطرابلس وهي المشهورة بالقرطاوية .

ولّي قرطاي في أول أمره حجوبية حلب ثم نيابة طرابلس ، ثم انتقل أميراً بدمشق ، وأعيد الى طرابلس حتى توفي .

ترجم له الصفدي فقال : « كان معدوداً في الابطال ، ومسروداً في عـــداد أبي محمد البطّال ، قد مارس الحروب ، وعرف الاماكن والدروب ، وتمرّن في الحصارات ، وتدرّن جسمه بعد التنعّم في الأغارات ، وكان كثير الاحتشام ، عزيز المكارم والتي تُنتجع بُروقها وتشام . معروفاً في مصر والشام ، مشهوراً بالحلم والأناة ،

تشف على جسم الزلال صفاته   وتلطف عن روح النسيم شمايله(٤)

ويجمع المؤرخون الذين ترجموا له على بطولته وفروسيته وتعظيم الملك الناصر له . ويشيدون بكثرة انفاقه في سبيل الخير . ومن ذلك أنه دفع مبلـــغ

(١) هكذا في الاصل .

(2) Sobernheim - P. 56

(٣) السلوك — ج ٢ ق ٢ ص ٣٧٦

(٤) اعيان العصر — ج ٨ ص ٥٨ب

ستين ألف درهم(١) منحها للأمير الذي جاءه بمرسوم تعيينه على طرابلس في المرة الثانية . كما ترك أوقافاً كثيرة ، وصنعات ، وبراً ، وصلات(٢). وكان كاتبه بطرابلس القاضي الرئيس فخر الدين محمد بن ناصر بن علي الحريري ، أقام معه مدة وعمّر بها أملاكاً ، ولم يكن لاحد معه فيها حديث . وتوفي سنة ٧٥١هـ.(٣) .

وفي السنة الثانية من نيابته الاولى ظهر رجل في قرية تسمّى (قرطياوس) من أعمال جبلة ، زعم انه محمد بن الحسن المهدي ، وادّعى انه بينما هو قائم يحرث اذ جاءه طائر أبيض فنقب جنبه وأخرج روحه ، وأدخل في جسده روح محمد بن الحسن ، فاجتمع عليه من الجماعة القائلين بالهية علي بن ابي طالب نحو الخمسة آلاف وأمرهم بالسجود له فسجدوا ، وأباح لهم الخمر وترك الصلوات ، وصرّح بأن لا اله الاّ علي ولا حجاب الا محمد ، ورفع الرايات الحمر وشمعة كبيرة تقد بالنهار ويحملها شاب أمرد زعم أنه ابراهيم بن ادهم ، وانه أحياه وسمّى أخاه المقداد ابن الأسود الكندي ، وسمّى آخر جبريل ، وصار يقول له : اطلع اليه وقل كذا وكذا ، يشير الى الباري سبحانه وتعالى ، وهو بزعمه علي بن أبي طالب ، فيخرج المسمّى جبريل ويغيب قليلا ثم يأتي ويقول : افعل رأيك . ثم جمع هذا الدعيّ أصحابه وهجم على جبلة يوم ٢٠ من ذي القعدة سنة ٧١٧هـ. فقتل وسبى ، وأعلن كفره ، وسبّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فجرّد اليه قرطاي الامير بدر الدين بيليك المحسني(٤) في ألف فارس من جند طرابلس فقتله في نواحي جبلة وقتل معه نحو عشرين ألفاً وتحصّن الباقون بالجبال ، وراسلوا ملك الامراء والتزموا أن يعطوه ديناراً عن كل رأس ان هو حاول ابقاءهم ، وكان الخبر قد طُيّر به الحمام الى الملك الناصر وصدر جوابه أن يُحمل عليهم السيف ، فراجعه ملك الامراء قرطاي ، وألقى له انهم

(١) تاريخ الجزري — ج ٢ ص ٢٩٤
(٢) البداية والنهاية — ج ١٤ ص ١٦٨ ، ابن الوردي — ج ٢ ص ٣٠٤ ، الدرر — ج ٣ ص ٣٣٢
(٣) اعيان العصر — ج ٧ ق ١ ص ٣٧ ، الدرر — ج ٥ ص ٤١ و ٤٢
(٤) لقب ببدر الدين وسيف الدين ، وهو بيليك بن عبد الله المحسني العثماني المنصوري . كان واليا على القاهرة ثم أصبح من جملة امراء طرابلس وظل بها حتى توفي سنة ٧٣٩هـ. انظر السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٤٧١ ، النجوم — ج ٩ ص ٣٢١

عمال المسلمين في حراثة الارض وانهم ان قتلوا ضعف المسلمون لذلك ، فأمر بالابقاء عليهم(١) .

ومن الحوادث التي وقعت في عهده هذه الحادثة الغريبة التي يرويها النويري ، قال : « في الاربعاء ثاني صفر سنة ثمان عشرة وسبعمائة ثارت ريح شديدة وقت صلاة الظهر بأرض الجون(٢) من بلاد طرابلس ومرّت على بيوت الامير علاء الدين علي بن الدرساكي مقدّم أمير التركمان في الجون بين قريتي الوكيل والمعيصرة ، وكان خروجها من جهة البحر فكسرت أخشاب بيوته ، ثم تقدّمت الى بيوت الامير علاء الدين طوّالي بن البكي ، فلما انتهت اليه تكونت عموداً أغبر متصلا بالسحاب صورة يقين ، وبقي ذلك العمود على بيوته ساعة ، يمرّ عليها يميناً وشمالا ثم يعود فما ترك ذلك العمود في البيت شيئاً ولا منها الاّ أهلكه واحتمله ، فحكي عن طوّالي انه لما عاين ذلك قال : يا رب قد أخذت جميع الرزق وتركت العيال بغير رزق ، فأيّ شيء تركت لهم حتى أطعمهم ، فعاد ذلك العمود من الريح بعد خروجه عنه الى بيوته فأهلكه وأهلك زوجته وابنته وابنتي ابنته وجاريته وأحد عشر نفساً ، وخرج ثلاثة أنفس من ملاقات الاخشاب والحجارة عند هبوب تلك الريح . وحملت الريح جملين ورفعتهما في الجوّ مقدار عشرة أرماح . وتقطّع القماش والاثاث وحملته الريح حتى غاب عن العين وطويت القدور والنحاس والصاجات الحديد فصار بعضها على بعض . وحملت الريح جارية طوالي من مكان الى مكان آخر مسافة ، وكان الى جانب بيوت طوالي بيوت عرب فاحتملت الريح لهم أربعة أحمال وارتفعت في الجو وعادت قطعاً . وهلك دواب كثيرة ، ووقع بعد ذلك برد ومطر زنة القطعة من البرد ثلاثة أواق ودونها . ورسم نائب السلطنة بكشف هذه الحادثة وندب من جهته من توجّه لكشفها فكشفت ، ونظم بصورة الحال محضراً وقّع الأشهاد فيه على من شاهده وجُهزت نسخة المحضر الى الابواب السلطانية وغيرها »(٣) .

(١) السلوك — ج ٢ ق ١ ص ١٧٤ و ١٧٥ ، مهذب رحلة ابن بطوطة — احمد العوامري ومحمد احمد جاد المولى — ج ١ ص ٦٥ و ٦٦ ، وانظر عن النصيرية الفصل الممتع الذي عقده النويري — مجلد ٣٠ ص ١٠٥ .
(٢) جون عكار .
(٣) نهاية الارب — ج ٣٠ ص ١١٩ ، السلوك ج ٢ ق ١ ص ١٨١ و ١٨٢ ، ابن الوردي ج ٢ ص ٢٦٧ ، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر — ابن ايبك — تحقيق هانس روبرت رويمر — ص ٢٩١ — القاهرة ١٩٦١ .

وفي سنة ٧٢٠هـ. أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بتجريد العساكر لقتال صاحب سيس بعد انقضاء الهدنة بينهما ، فتجرّدت جماعة من عسكر دمشق ، ومن صفد ، ومن حلب ، ومن السواحل وتجرد عسكر طرابلس

بجملته ، وتولى الامير قرطاي قيادة جميع العسكر ، ودخل بلاد سيس حتى وصل الى نهر جان ، وهناك غرق من العسكر نحو الف فارس أكثرهم من عسكر طرابلس(١) .

وفي أيام قرطاي أيضاً أصاب بلاد الشام قحط شديد سنة ٧٢٤هـ. فتجهز الامراء من مصر بالغلال الكثيرة ، ونقلوها في البحر الى بيروت وطرابلس ومنهما ُوزّعت على أنحاء الشام(٢) .

المحراب الشرقي بالجامع

عند القسم الشرقي المرتفع من الحرم يقوم محراب ثان للجامع من الرخام، فوقه قوس من الحجارة البيضاء والسوداء . وفوقه لوحة رخامية بيضاء (٥٥×٢٨ سم) نقش عليها أربعة أسطر بالخط النسخي المملوكي هذا نصها :

س١ « أمر بترخيم هذا المحراب المبارك العبد الفقير الى الله تعالى س٢ أزدمر الأشرفي كافل المملكة الشريفة الطرابلسية س٣ المحروسة أعز الله أنصاره في أيام مولانا وسيدنا قاضي القضاة س٤ الشافعي(٣) الامام في مستهل ربيع الآخرة سنة ثلاث وثمانين بمباشرة محمد الشاد »(٤) .

(١) نهاية الارب — ج ٣٠ ص ١٣٧ ، نثر الجمان — ج ٣ ص ١٢٣ب
(٢) السلوك — ج ٢ ق ١ ص ٢٥٤
(٣) لم أقف على اسم قاضي القضاة الشافعي والامام بطرابلس في هذه السنة
(٤) لم أقف على اسمه الكامل .

ترجمة الامير أزدمر

هو نائب طرابلس الامير أزدمر بن مزيد الظاهري جقمق قريب السلطان الاشرف قايتباي . تولّى نيابتها في شهر جمادى الاولى سنة ٨٨٠هـ. عوضاً عن الامير يشبك البجاسي(١) . واستمر بها حتى شهر ربيع الاول سنة ٨٨٤هـ. حيث ُنقل الى نيابة حلب ، واستقر عوضه الامير بردبك المعمار(٢) . وكانت وفاته في سنة ٨٩٩هـ.

قال السخاوي انه كان أمير عشرة ثم صار أتابك حلب ثم انتقل الى نيابة صفد ثم نيابة طرابلس بعد القبض على نائبها يشبك البجاسي فدام بها سنين الى أن ُنقل الى نيابة حلب . وشهد وقعة الرها مع الدوادار الكبير وقطع بها أنفه وشفته ووقع في الاسر ثم أفرج عنه وجيء به الى القاهرة وأعطي بها امرة مجلس ثم سافر على رأس تجريدة لقتال ابن دلغادر في سنة ٨٨٨هـ. وأعيد الى نيابة حلب ، فابتنى بها حمّاماً هائلا ، وربعاً ، وتربة بعد موت زوجته . كما قام ببناء خان عظيم بالقرب من سوق الصابون(٣) .

وقال ابن اياس : « كان انساناً حسناً لا بأس به . وتولّى عدة وظائف سنية منها نيابة طرابلس ونيابة صفد ونيابة حلب وامرية مجلس بمصر وغير ذلك من الوظائف والنيابات ومات وهو في عشر الستين . وكان في أوائل عمره في قلة وخمول وأقام على ذلك دهراً طويلا ، فلما تسلطن السلطان قايتباي ظهر انه من قرابته فجاءت اليه السعادة بغتة فأقام فيها مدة ومات . وكان أصه من مماليك الظاهر جقمق »(٤) .

(١) و (٢) ابن اياس — ج ٤ ص ٤٥٩ و ٤٨٦
(٣) الضوء اللامع — ج ٢ ص ٢٧٥
(٤) ابن اياس — ج ٥ ص ٥٧٧

باب الحرم الشرقي

يقع هذا الباب عند الجهة القبلية من المدرسة القرطاوية ، وهو منخفض عن مستوى الطريق الخارجية ولذا يُنزل اليه بالدرج (٨ درجات) كما يُنزل منه بثلاث درجات الى حرم الجامع . وعلى يمين الداخل من هذا الباب الى الحرم يوجد درج يوصل الى حرم المدرسة القرطاوية من جهتها الغربية .

وتعلو الباب من الخارج لوحة نُقش عليها مرسوم أصدره السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودي في سنة ٨١٧هـ. يُبطل فيه المظالم المحدثة على اهل طرابلس ، وهو من خمسة أسطر بالخط النسخي المملوكي وهذا نصه :

س١ « الحمد لله رسم بالامر العالي السلطاني الملكي المؤيدي ابي النصر شيخ س٢ أعلاه الله تعالى وشرّفه وأنفذه وصرّفه بابطال المظالم المحدثات على أهل س٣ طرابلس من التحجير على قوت العباد من القمح واللحم والخبز والطرح وغير ذالك(١) س٤ بحيث لا يعود . ويبطل ذلك جميعه في هذه الايام الزاهرة خلد الله سلطانها وأدام قدرته س٥ على المسلمين بتاريخ خامس عشر شهر ربيع الاول سنة سبعة عشر وثمانماية والحمد لله »(٢) .

وهناك صورة أخرى لهذا المرسوم نُقشت في جامع التوبة بنفس النص . ومن الملاحظ أن المرسوم يقتصر على ذكر السلطان المؤيد شيخ ، ولا يشير الى نائب السلطنة بطرابلس . اذ كان نائبها في ذلك الوقت هو الامير قمش بن عبد الله الظاهري ، وهو من قبل الامير نوروز الحافظي نائب دمشق الذي أعلن العصيان على السلطان . وكان قمش ولي طرابلس في شهر صفر من سنة ٨١٦هـ.(٣). واشترك مع نوروز في مقاومة السلطان المؤيد شيخ الذي

(١) هكذا في الاصل

(2) Sobernheim

(٣) النجوم — ج ١٤ ص ١٢

حاصرهما في دمشق في شهر ربيع الاول سنة ٨١٧ حتى قُتل في ٢٢ ربيع الآخر من نفس السنة مع نوروز(١). ووليها بعده الامير سودون بن عبد الرحمن .

ومن مراجعتنا لتاريخ كتابة المرسوم نجد أنه يصادف وقت محاصرة السلطان المؤيد لمدينة دمشق ، مما يجعلنا نميل الى أن المرسوم صدر قبل ذلك ، وصادف انه نُقش في التاريخ المذكور . ولذا جاء المرسوم خالياً من ذكر نائب السلطنة اذ كان نائب السلطنة مناوئاً له . وليس لأن طرابلس كانت خالية من النواب منذ أن صار السلطان المؤيد أتابكاً ثم سلطاناً كما يقول جرجي يني(٢).

ترجمة الملك المؤيد صاحب المرسوم

هو سلطان دولة المماليك شيخ المحمودي أبو النصر الجركسي الساقي الملقّب بالمؤيد . كان نائباً للسلطنة في طرابلس قبل ان يصبح سلطاناً . وقد ولي نيابة طرابلس ثلاث مرات ، الاولى في شهر شعبان سنة ٨٠٢هـ. عوضاً عن يونس بلطا . واستمر بها حتى سنة ٨٠٣ حيث وقع في الاسر عند تيمورلنك ، فوليها بدلا عنه الامير آقبغا الجمالي الظاهري الأطروش ، ثم عاد شيخ الى طرابلس في شهر رمضان سنة ٨٠٣ بعد أن تخلّص من الاسر ، واستمر بها حتى ٦ من شهر ذي القعدة سنة ٨٠٤هـ. حيث عزل واستقر عوضه الامير دمرداش المحمدي وظل شيخ بعيداً عن نيابة طرابلس حتى وليها للمرة الثالثة في سنة ٨١٠هـ.(٣) وكان السلطان فرج بن برقوق مغاضباً له ، فأخذ شيخ بمراسلته حتى استطاع ان يحصل منه على تقليد بنيابة دمشق ، ولذا لم تطل مدة نيابته على طرابلس في المرة الثالثة أيضاً . ثم أصبح سلطان المماليك في سنة ٨١٥هـ.

ومن الحوادث الهامة التي وقعت أثناء نيابته على طرابلس ، انه خرج في شهر ربيع الاول سنة ٨٠٣هـ. بسبعمائة فارس لقتال جيش تيمورلنك والتقى به ظاهر حلب ، والتتار في نحو ثلاثة آلاف فتراموا بالنشاب واقتتلوا واستطاع

(١) ص ٣٠

(٢) مجلة المباحث — مجلد ١٤ — ج ٣ — ص ١٦٨ — كانون اول ١٩٢٢

(٣) النجوم — ج ١٣ ص ٦٩

شيخ ان يأسر أربعة من التتار فعلّقهم على أبواب مدينة حلب(١). وبعد أيام لحق به نواب الشام ، ووقعت موقعة فاصلة في ١١ ربيع الآخر حيث خرجوا بالعساكر ومعهم عامة أهل حلب الى ظاهر المدينة ، ووقف شيخ في قلب العسكر ، وزحف تيمورلنك عليهم بجيوش سدّت الفضاء ، فثبت شيخ وسودون نائب دمشق وقاتلا قتالا عظيماً حتى وقعا في الاسر . واستطاع شيخ أن يهرب من الاسر عندما كان التتار يغادرون دمشق ، اذ اغتنم وقت رحيلهم فألقى نفسه بين الدوابّ وسار من هناك الى قرية من نواحي صفد ومنها الى طرابلس حيث ركب البحر الى مصر(٢). وفيما هو هناك قدم على السلطان خمسة أمراء من أمراء طرابلس بكتاب أسندمر نائب الغيبة بها يخبره بأن أمير التركمان وغيره ساروا الى حلب وانتزعوها من التيموريين وقتلوا منهم أكثر من ثلاثة آلاف فارس . وان تيمورلنك بعث الى طرابلس عسكراً فثار بهم أهل القرى وقتلوهم عن آخرهم بالحجارة لدخولهم بين جبلين(٣) .

وقد أصاب الذعر سكان بلاد الشام أثر هجمة التتار وأعمالهم الفظيعة التي ارتكبوها ، فخلتْ المدن من ساكنيها وركب أهل طرابلس(٤) ونواحيها البحر هرباً الى مصر بما فيهم نائب المدينة آقبغا الذي وليها مدة غياب شيخ في الاسر .

وفي نيابة شيخ الثانية على طرابلس أغار الافرنج على الميناء يوم السبت في ١٢ صفر سنة ٨٠٤هـ. حيث قدموا اليها في عدة مراكب ، فخرج الناس لحربهم ، وكان بالميناء مراكب لتجار أفرنج ، فاجتمع هؤلاء مع المغيرين من أبناء جلدتهم وهاجموا مراكب المسلمين التي كانت مشحونة بالبضائع على وشك الاقلاع ، واستولوا على مركبين منها وغنموا ما فيهما من أموال وأسروا ٨٥ مسلماً بعد قتال شديد ، وفي اليوم التالي جرت المفاوضات بين الطرفين على أن يُطلق سراح المأسورين مقابل فدية من المال ، وعندما ذهب اليهم حامل الفدية أسروه مع رفاقه ، وظلّوا عند الميناء حتى ليلة الخميس ١٥ صفر حيث رحلوا

(١) السلوك — ج ٣ ق ٣ ص ١٠٣٠

(٢) الضوء اللامع — ج ٣ ص ٣٠٨ و ٣٠٩

(٣) السلوك — ج ٣ ق ٣ ص ١٠٣٨ ، النجوم — ج ١٢ ص ٢٣٤

(٤) نزهة النفوس — ج ٢ ص ٨٥

الى قرية من سواحل طرابلس ونزلوا عليها ، فقاتلهم أميرها واستطاع أن يقبض عليهم ونقلهم الى طرابلس حيث سُجنوا ، واستردّ المسلمون المركبين(١)

وُلد المؤيد شيخ حوالي سنة ٧٧٠هـ. وتوفى سنة ٨٢٤هـ. وكان شهماً شجاعاً عالي الهمّة كثير الرجوع الى الحق محباً للعلماء مكرماً لهم يميل الى العدل ويحسن الى أصحابه يحب الهزل والمجون ، وحدّث بصحيح البخاري عن السراج البلقيني ، وفتح حصوناً . قال العيني : لما مات كان في الخزانة ألف دينار وخمسمائة ألف دينار من الذهب ، وجمع ابن ناهض سيرته في مجلد حافل قرّظه له كل عالم وأديب . وكان يجلّ الشرع ولا ينكر على من مضى من بين يديه طالباً للشرع بل يعجبه ذلك وينكر على أمرائه معارضة القضاة في أحكامهم غير مائل الى شيء من البدع ، له قيام في الليل(٢). ويقول ابن تغري بردي انه كان طروباً يميل الى سماع الشعر والأصوات الطيبة على انه كان يحسن أيضاً أداء الموسيقى ، ويميل الى الرقّة الادبية ويفهمها بسرعة ، قيل انه نظر مرة الى اسمه وهو مكتوب على بعض الحيطان وقد كتب الدهّان الشين من اسم شيخ بجرة واحدة ، فلما نظر المؤيد قال : مسكين شيخ بلا سنينات(٣).

أما المقريزي فيضع عليه في ترجمته ويقول : انه كان بخيلا مسيّكاً يشحّ حتى بالأكل ، لجوجاً ، غضوباً ، نكداً ، حسوداً ، معيانا ، يتظاهر بأنواع المنكرات ، فحّاشاً ، سبّاباً بذيئا .. وهو أكثر أسباب خراب مصر والشام لكثرة ما كان يثيره من الشرور والفتن أيام نيابته بطرابلس ودمشق . ثم ما أفسده في أيام ملكه من كثرة المظالم ونهب البلاد وتسليط أتباعه على الناس يسومونهم الذلة ويأخذون ما قدروا عليه بغير وازع من عقل ولا ناه من دين ». ويقول انه اتفق في أمر المؤيد موعظة فيها أعظم عبرة « وهو انه لما غُسل لم يوجد له منشفة يُنشّف بها فنشف بمنديل بعض من حضر غسله ، ولا وُجد له مئزر تُستر به عورته ، حتى أخذ له مئزر صوف صعيدي من فوق رأس بعض جواريه فستر به ، ولا وُجد له طاسة يُصبّ عليه بها الماء وهو يغسل مع

(١) السلوك — ج ٣ ق ٣ ص ١٠٧٩

(٢) انظر سيرة الملك المؤيد شيخ التي وضعها له بدر الدين العيني — تحقيق نعيم محمد شلتوت — القاهرة ١٩٦٧ ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع — الشوكاني — ج ١ ص ٢٨٣ و ٢٨٤

(٣) النجوم — ج ١٤ ص ١١٠ و ١١١

كثرة ما خلفه من أنواع الاموال »(١).

ويعلق ابن تغري بردي على قول المقريزي فيقول : « وكان يمكنني الرد عليه في جميع ما قاله بحق ، غير أنني لست مندوباً الى ذلك ، فلهذا أضربت عن تسويد الورق وتضييع الزمان .. »(٢) .

ونحن نميل الى الشك في صحة ما ذكره المقريزي عن شيخ ، ولا نستطيع ان ننكر له هذه المأثرة التي سجلها في أكبر مسجدين بطرابلس بالمرسوم الذي أثبتنا نصه آنفا ، اذ من الواضح أن الحكام بها كانوا يمنعون الناس من شراء أقواتهم من منتجيها مباشرة ، وانما كان اولئك الحكام يشترون الاقوات ويحتكرونها ثم يبيعونها للناس بالسعر الذي يحددونه ويطرحونها على أنها من المكوس (الضرائب) ليكسبوا بذلك الارباح . وقد شعر شيخ بظلامة أهل طرابلس من ذلك أثناء نيابته عليها ، وعندما أصبح سلطانا ذكر للمدينة وقوفها معه ونصرتها له في حروبه وأيامه بالشام .

ومهما يكن من أمر فان اصداره لهذا المرسوم الذي أبطل فيه التحجير على أقوات الناس ، يعد عملا بارزا يناقض ما ذهب اليه المقريزي من وصف عهده بكثرة المظالم .

ومن مآثره الجامع الذي بباب زويلة بالقاهرة الذي قيل انه لم يعمر مثله في الاسلام بعد الجامع الاموي . وله مدارس وسبل ومكاتب وجسور (٣) .

وهناك لوحة مندمجة في جدار أحد المنازل في الطريق الواقعة بين مدرسة الشهداء وبركة الملاحة وعلى جانبي اللوحة نقش رنك الدوادار . وقد أزيلت الكتابة التي كانت عليها وهي من سطرين ولم يبق سوى تاريخها في نهاية السطر الثاني وهو : **« مستهل سنة عشرين وثمانماية »** . وكان على نيابة طرابلس في ذلك التاريخ الامير يشبك المشد المعروف بشاد الشرابخاناه . وكان الملك المؤيد اشتراه وهو نائب طرابلس بألف دينار ثم ولاّه طرابلس في سنة

(١) **السلوك** — ج ٤ ق ١ ص ٥٥٠ و ٥٥١

(٢) **النجوم** — ج ١٤ ص ١١٠

(٣) **البدر الطالع** — ج ١ ص ٢٨٤

٨١٨هـ. ثم نقله في سنة ٨٢٠ الى حلب فمات بها في سنة ٨٢٤هـ.(١) .

ويوجد فوق مرسوم الملك المؤيد المنقوش فوق باب الجامع كتابة بخط بارز وأحرف كبيرة من الخشب هذا نصها :

« لا اله الا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق »

والكتابة تعود الى العصر العثماني . وفوق هذه الكتابة بحوالي المترين ونصف تنفتح نافذتان لهما قنطرتان مثلثتا الرأس وبينهما القنطرة الرئيسية التي يرتكز اليها سقف هذا القطاع المفرغ من الباب ، وعلى السقف ما تزال زخرفة ورسوم ترجع الى العهد الصليبي .

الباب الشرقي المؤدي للصحن

يقع هذا الباب شمالي المدرسة القرطاوية ، ويُنزل اليه بالدرج (١٣ درجة) ويؤدي الى الرواق الشرقي المطل على صحن الجامع ، وتعلو هذا الباب زخرفة تشكل قوساً نصف دائري وتحت هذا القوس قوس آخر يشبه في زخرفته الحبل المجدول ، ويعتبر « كوندي » هذه الزخرفة بيزنطية (٢) . ويرتكز القوسان على بلاطة هي عتبة الباب ترتكز بدورها على دعامتين ونتوءين يشبهان النتوءين في الباب الشمالي الرئيسي . ونقش على هذه البلاطة ثلاثة أسطر بالخط النسخي المملوكي ، وفي وسط البلاطة نقشت دائرة رسم فيها زهرة الاقحوان من ١٢ ورقة ، وعلى هذا يكون كل سطر من الكتابة على قسمين : أول وثان تفصل بينهما الدائرة المذكورة .

وتتضمّن الكتابة ابطال بعض المظالم عن أهالي طرابلس ، وتحمل تاريخ سنة ٩٠٨هـ. أي أنها ترجع الى أواخر عهد الدولة المملوكية . والكتابة مبتورة من أولها وتخلو من ذكر اسم نائب طرابلس الذي أمر بكتابتها مما يدل على أن النص الذي وصلنا هو جزء من كتابة طويلة . والنص الباقي هو :

(١) **الضوء** — ج ١٠ ص ٢٧٩ ، **نزهة النفوس** — ج ٢ ص ٥٢٢ ، **النجوم** — ج ١٤ ص ٣٧ و ٣٨ و ١٧٧

(2) Condé - P. 34

س١ « ... برسم الدخان وما يستأديه من يكون متكلماً في ديوان الحجوبية الكبرى واستادارية الديوان الشريف من سكر وخلّ وغير ذالك(١) وباعفائها من ذلك جميعه ومن طرح الصابون والزيت والبلس(٢) ومن جميع ما يحدث من ديوان النيابة والديوان الشريف س٢ وغيرها ومن جميع الكلف والمخادم الجارية بها العادة قديماً والحادثة مستقبلا ومنع خازندار الكافلي من التعرض الى ذالك وأخذ شيء منه واستقرارها في حماية سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم س٣ على حكم المربّع الشريف وأن(٣) يُنقش ذالك في رخام جامع الكبير بطرابلس بأمر الكافلي المشار اليه بالمملكة الشريفة وأن يسطر ذلك بتاريخ ثاني شهر الله المرم(٤) الحرام سنت(٥) ثمان وتسعماية والحمد لله » (٦) .

ترجمة الامير دولتباي صاحب المرسوم

أما نائب طرابلس في ذلك التاريخ فهو الامير دولتباي بن أركماس قريب السلطان العادل طومان باي . وكان وليها مرتين الاولى في أوائل سنة ٩٠٤هـ. ولم يستمر فيها سوى فترة قصيرة ، اذ اجتمع على المدينة الامراء : تنبك الجمالي ، وباش المماليك الرماح ، والامير آقبردي الدوادار وجماعته ، وهم عاصون للسلطان ، وطلبوا الصلح وسعوا في أن تُعطى طرابلس الى آقبردي بتعلقاتها ويعزل عنها نائبها الجديد بها دولتباي(٧). فانتقل دولتباي الى نيابة حلب في ١٥ صفر سنة ٩٠٥هـ.(٨) .

(١) هكذا في الاصل
(٢) البوتاس
(٣) عند الدكتور سالم « اخذ ». ص ٤٠٧
(٤) هكذا في الاصل وصحتها المحرم ، وقد أسقطها الدكتور سالم
(٥) هكذا في الاصل
(6) Soubernheim
(٧) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان — شمس الدين طولون — تحقيق محمد مصطفى — القسم ١ ص ٢١٧ و ٢١٨ — القاهرة ١٩٦٢
(٨) المصدر نفسه — ج ٢ ص ٢٢٣

وكانت نيابته الثانية عليها في شهر ربيع الآخر سنة ٩٠٧هـ.(١) وجاء في بدائع الزهور في أول حوادث سنة ٩٠٨هـ. « .. وقُرر دولات باي قرابة العادل في نيابة طرابلس ، وكان قبل ذلك نائب الشام وفر ثم عاد وقُرر في نيابة طرابلس »(٢). وكان يليها قبله الامير « جانم بن قجماس » .

وفي شهر جمادى الآخرة من سنة ٩١٠هـ. وصل دولتباي الى حمص وقبض على صهره أركماس نائبها ، وتوجه في نحو الف من العساكر الى حماه(٣) ، ففر منها نائبها الى دمشق ، ودخل دولتباي حماه واستخدم فيها خلقاً كثيراً ، ومن ثمّ توجه الى حلب والتفّ على نائبها « سيباي » وتوجّها معاً الى دمشق وحاصراها وأشرفا على أخذها . وبقيت طرابلس شاغرة مدة حتى تولاّها الامير « قانصوه روح لو » وكان نائباً على غزة(٤). وفي سنة ٩١٢هـ. ذهب دولتباي الى مصر مستسلماً للسلطان وهو يحمل كفنه تحت ابطه(٥) وهي عادة درج عليها المماليك ، فعفا السلطان عنه . الى أن توفي سنة ٩١٧هـ.(٦) .

الجامع في كتب الرحلات

يقول رمضان العطيفي الدمشقي الذي زار طرابلس ووضع رحلته اليها في سنة ١٠٤٣هـ./١٦٣٣م. عن الجامع المنصوري الكبير :

« .. وأما جامعها الكبير ، وسراجها المنير ، فهو جامع حسن البناء ، غزير الماء ، لطيف الهواء ، في خارجه بركة ماء ، في وسطه بناء يُتوصّل اليه في سلم ، وعليه قبّة معقودة بالحجارة ، مُعد ذلك المكان للمؤذنين في أيام الشتاء ، وبالجامع من جهة الشرق والغرب أصول حمض كبار تدهش الابصار »

(١) نفسه — ج ١ ص ٢٥٠.
(٢) ابن اياس — ج ٧ ص ٧٠٤
(٣) مفاكهة — ج ١ ص ٢٨٣
(٤) نفسه — ج ١ ص ٢٨٦
(٥) ابن اياس — ج ٧ ص ٧٤٦
(٦) مفاكهة — ج ١ ص ٣٥٥

وقال يذكر الجامع بعد عودته من رحلته الى دمشق :

.. واني لمشتاق لها ولأهلها وجامعها المعمور عز مناره(١)

* * *

وفي سنة ١١١٢هـ./١٧٠٠م. زار الشيخ عبد الغني النابلسي مدينة طرابلس واعطانا وصفاً بسيطاً للجامع كما رآه فقال :

« الجامع متسع الجهات ، قيل ان أصله كنيسة ، وله في فنائه صفف ورواقات ، وله في كل جانب من جوانبه الأربع باب عظيم . وهو في وسط المدينة ، وفي وسط فنائه بركة ماء كبيرة ، عليها قبة عظيمة بأربع عضائض ، كل عضاضة يحوطها أربع رجال »(٢) .

ويذكر النابلسي انه التقى بالشيخ ابراهيم الميقاتي في خلوته بالجامع(٣). وهو مؤقت الجامع . ويقول عبد الله نوفل في تراجمه لعلماء طرابلس ان هذه الوظيفة كانت لجد هذه الاسرة الشيخ محمد الميقاتي الذي عهد اليه سلطان المماليك بهذه الوظيفة(٤). أما الآن فيشغل هذه الوظيفة فضيلة الشيخ ناصر الميقاتي .

* * *

وزار طرابلس الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي في سنة ١٣٠٠هـ./١٨٨٢م. وقال عن جامعها الكبير :

« .. وجامع البلد الكبير في متوسّطها ، له صحن واسع مثل صحن الازهر، أو أكبر ، وفي دائره أروقة ولواوين من كل جانب ، وخلاوي للمعلمين والمدرسين، وأعظم خلوة به خلوة الشيخ علي افندي رشيد (الميقاتي)(٥) ، فيها مكتبة عظيمة وساعات دقاقة لمعرفة الأوقات .. »(٦) .

---

(١) رحلة الى طرابلس الشام — رمضان بن موسى العطيفي — نشرها الاستاذ ستيفن فيلد — ص ٢٢١ — وهي مفردة عن « رحلة المطيفي الى لبنان في ١٠٤٣ — ١٦٣٤ — سلسلة الابحاث في جامعة بيروت الامريكية — سنة ١٩٧٠ »
Al-utaifi's Journey to Lebanon in 1043 - 1634 - Stefan Wild-Beirut 1970

(٢) التحفة النابلسية — ص ٧٢

(٣) المصدر والصفحة السابقة

(٤) تراجم علماء طرابلس الفيحاء وأدبائها — عبد الله نوفل — ص ٥٦ — طرابلس ١٩٢٩

(٥) اضافة على النص للتوضيح

(٦) نفحة البشام — ص ٧٠

محاولة تحويل الجامع الى كنيسة

في شهر ذي القعدة من سنة ٧٩٣هـ. استقر الامير سيف الدين فخر الدين اياس الجرجاوي(١) ابو يزيد ، في نيابة طرابلس عوضاً عن الامير سيف الدين اينال من خجا علي ، واستمر بها حتى مطلع سنة ٧٩٥هـ.(٢) حيث نقله السلطان الظاهر برقوق الى أتابكية دمشق . بعد أن ظلم أهلها وآذاهم الى ما لا نهاية له ، وذكر عنه أشياء توجب كفر قائلها(٣) .

وقد حاول هذا النائب ان يستولي على الجامع الكبير ويسلّمه للافرنج ليعيدوه كنيسة . وفي ذلك يقول المؤرخ ابن صصرى : « انه لما كان نائب طرابلس سنة أربع وتسعين وسبعمائة ، أراد يأخذ جامع طرابلس يعطيه للأفرنج يعيدوه كنيسة ، وكانوا قد أوعدوه بذهب كثير وهو طمّاع »(٤) .

وازاء هذا الامر الخطير قام عليه قضاة المدينة(٥) وكبار البلد ، والعوام ، وأرادوا أن يرجموه . ومن الطبيعي أن يكون خطباء المساجد قد هاجموه في خطبهم وعبّأوا الناس ضدّه وكتبوا الى السلطان عن ظلمه وجوره ، فرسم بعزله ونقله الى دمشق .

---

(١) عند العيني « الجرجي » — انظر : السيف المهند في سيرة الملك المؤيد — ص ٢١٨

(٢) يذكر ابن تغري بردي ج ١٢ ص ١٥٥ انه ولي نيابة طرابلس ثلاث مرات وليس لذلك صحة

(٣) ابن الفرات — ج ٩ ق ٢ ص ٣٣١ ، نزهة النفوس — ج ١ ص ٤٥٢

(٤) الدرة المضية في الدولة الظاهرية — محمد بن محمد بن صصرى — نشره الاستاذ وليم برينر — ج ٢ ص ١٩٢ طبعة لوس انجيليس بالولايات المتحدة الامريكية ١٩٦٣ بعنوان « تاريخ دمشق ١٣٨٩ — ١٣٩٧م. »
A chronicle of Damascus 1389 - 1397 - William M. Brinner

(٥) من قضاة طرابلس في ذلك الوقت : قاضي الشافعية ويعرف بالمعري وقد ولي القضاء في ٢٨ جمادى الاولى سنة ٧٩٣هـ. وقاضي الاحناف واسمه الجمال محمود العجمي وكان بها حتى سنة ٧٩٩هـ. انظر : السلوك — ج ٣ ق ٢ ص ٧٣٨ و ٨٧٢

وعلى وصوله الى دمشق يعلّق ابن صصرى بقوله : « ... ثم استهل شهر صفر وحضر في أوله أمير اياس من طرابلس على خبز نائب الشام تنبك أمير كبير — لا كبّره الله تعالى — ما كان أقبح فعاله وخافت الناس منه ، فانه مشهور بالظلم معروف به »(١) .

ويحكى عن اياس أشياء كثيرة من أفعاله القبيحة في طرابلس ، فقيل انه كان يحب الافرنج كثيراً ويقرّبهم اليه ويمجّد قدرهم ، وظهر طمعهم في المسلمين في أيامه ، حتى انه كان يعبر اليه الرجل من أهل العلم فلا يلتفت اليه ، ويدخل اليه الافرنج فيقف لهم ويجلسهم الى جانبه ويودّهم ويقضي حوائجهم . وعندما انتقل الى دمشق استمر على أفعاله هذه . وقيل ان في بعض بلاده قطعة أرض كانت وقفاً لمسجد بلا وقف . وقيل انه قطع في بلاد الغور سبعين يداً ظلماً ، وكان سبباً في خراب الغور ، وظل أهل دمشق في ضيقة منه وهو لا يسمع قولا من نائب ولا من حاجب .

ومن عجيب أحكامه أن فلاحين من فلاحينه تضاربا فقتل أحدهما الآخر ، فأمسك أهل القتيل بالقاتل وجاءوا به اليه يطلبون القصاص منه ، فلما مثلوا أمامه سألهم عما يريدون فقالوا : هذا قتل أخانا . فقال : من أين هو ؟ فقالوا : الاثنان من فلاحينك ، فقال : عجيب ، ذاك قتل ، وتريدون ان أقتل أنا الآخر ؟ ثم انتهرهم وطردهم ، وعندما أظهر أهل القتيل امتعاضهم منه وشغبوا عليه أمر برميهم وضربهم بالعصي ثم سجنهم وأطلق سراح القاتل(٢) .

ويبدو أن أهل دمشق كتبوا الى السلطان بأعماله المنكرة ، ولذا طلبه الى مصر وصادره وأهانه حتى مات سنة ٧٩٩هـ.(٣) وتمثل أحد الشعراء بهذه الابيات عن ضرب السلطان له فقال :

أبا حسن هذا جزاء الذي جنت ... يداك فذقه والق ما انت لاقيه
شفى غلتي أني رأيتك شاربا ... بكاس من الظلم الذي أنت ساقيه

(١) ابن صصرى — ص ١٢٣
(٢) ص ١٩٢
(٣) الدرر — ج ١ ص ٤٤٩ ، انباء الغمر بأنباء العمر — ابن حجر العسقلاني — تحقيق الدكتور حسن حبشي — ج ١ ص ٥٢٣ — القاهرة ١٩٦٩ ، السلوك — ج ٣ ق ٢ ص ٨٨٢

وقال آخر :

قلت لـه لما قضى نحبه ... لا درّك الرحمان من هالك
أما وقد فارقتنا فانتقل ... من ملك الموت الى مالك(١)

ويذكر ابن تغري بردي انه لما أهين كان في يده خاتم سم فمصّه فمات من وقته وقيل غير ذلك ، وكان بشع المنظر ظالماً غشوماً ، حدّ المزاج ، كريه المعاشرة ، يُرمى بعظائم ، قيل انه قال له رجل مرة : يا وجه القمر !! بعد أن دعا له كما هي عادة العوام فضرب الرجل ضرباً مؤلماً ، وقال : أنا أعرف بنفسي منك(٢) .

الجامع المنصوري والفتنة الكبرى

في سنة ٨٠٢هـ. وقعت في طرابلس فتنة كبرى راح ضحيتها مئات القتلى بينهم قضاة المدينة وأعيانها ، وشهد الجامع المنصوري احداث هذه الفتنة وكان له دوره المؤثر في تسيير الحوادث التي عصفت بالمدينة .

وقعت هذه الفتنة في السنة الاولى من حكم السلطان الناصر فرج بن برقوق ، في أيام نائب السلطنة الامير « يونس بلطا الرماح » .

فقد تولى السلطان الناصر فرج الحكم في سنة ٨٠٢هـ. وهو لم يكن قد تجاوز الثالثة عشرة من عمره ، وجاء توليه لمقاليد السلطنة في فترة كانت الفوضى فيها تعمّ أرجاء دولة المماليك في مصر والشام ، وكان صغر سنه دافعاً لازدياد الفتن والاضطرابات في البلاد ، اذ فقدت الدولة هيبتها ، وتطلّع امراء المماليك الى التمرّد والخروج عن طاعة السلطان ، وتزايد الخلاف بين أكابر الأمراء وبين الأمراء الخاصكية ، واشتدت الوحشة بين الطائفتين(٣) . وشرعت كل من الطائفتين تدبّر على الأخرى ، وكان الأمراء الخاصكية يتخوّفون من الامير « تنم الحسني » نائب الشام ، وحتى يكسبونه الى صفهم أرسلوا

(١) ابن صصرى — ج ٢ ص ١٩٣ و ١٩٤
(٢) النجوم — ج ١٢ ص ١٥٦
(٣) النجوم — ج ١٢ ص ١٨٠

اليه يفوّضونه في أمور بلاد الشام بأن يعزل من شاء ويولي من شاء ويطلق من شاء من المساجين ، ووجد « تنم » بذلك فرصته السانحة لاعلان استقلاله بالشام ، فبادر الى دعوة نواب البلاد الشامية الى طاعته والخروج على السلطان ، وأجابه الى ذلك نائب طرابلس الامير يونس بلطا الذي كان يلي نيابتها منذ سنة ٨٠١هـ. كما استجاب له نائب صفد ، وقام تنم باطلاق سراح بعض الأمراء المحبوسين ، ومن طرابلس أطلق سراح الأمير « أزدمر أخي اينال اليوسفي »(١) ومحمد بن اينال اليوسفي(٢) ، وأحضرهما اليه في دمشق . ثم بعث الى نائب طرابلس يطلب منه أن يقوم بتجهيز شيني ليسافر من الميناء الى ثغر دمياط ، ويحمل فيه الامير نوروز الحافظي وغيره من الأمراء المحبوسين هناك(٣). فبادر « ناصر الدين محمد بن بهادر المؤمني »(٤) — من أهالي طرابلس — الى الاستيلاء على برج الأمير أيتمش (برج السباع حاليا) ، وأعلن معارضته لموقف النائب وانحيازه الى جانب تنم . ثم ركب البحر الى دمياط ، ومنها انتقل الى القاهرة وأطلع امراء الدولة في مصر بما قصده تنم وما وقع من امور ، وطلب المساعدة على اقصاء يونس بلطا عن نيابة طرابلس ، وأن يبذل السلطان الأمان لأهل المدينة . فاستجاب السلطان والامراء لذلك وكتب على يده عدة ملطفات الى الأمير « قرمش » حاجب حجّاب طرابس ، والى القضاة والأعيان مفادها أن يقوم قرمش على يونس بلطا ويقتله ، ويلي هو نيابة طرابلس عوضه . وعاد ابن بهادر من مصر ومعه نحو عشرة أنفس مغاربة وغيرهم ، ومعهم الكتب من السلطان الناصر ومن الخليفة العباسي ومن أمراء

(١) يعرف بعز الدين ، برز بعد الفتنة مع ابنه يشبك في عدة من الفرسان لمقاتلة التتار ، وظهر منه ومن ابنه من الاقدام ما تعجب منه كل احد ، وقاتلا قتالا عظيما ، فقتل أزدمر وفقد خبره ، وثخنت جراحات ابنه يشبك وصار في رأسه فقط زيادة على ثلاثين ضربة بالسيف سوى ما في بدنه فسقط بين القتلى ثم أخذ وحمل الى تيمورلنك فلما رأى ما به من الجراح تعجب من اقدامه وثباته غاية العجب وأمر بمداواته فيما قيل . انظر : السلوك — ج ٣ ق ٣ ص ١٠٣٢ ، النجوم — ج ١٢ ص ٢٢٣ ، الضوء — ج ٢ ص ٢٧٤

(٢) كان أبوه اينال نائبا على طرابلس ومات سنة ٧٩٤هـ. الدرر — ج ١ ص ٤٦٢

(٣) النجوم — ج ١٢ ص ١٨١

(٤) ورد ذكره في سنة ٧٦٩ أثناء غزوة الافرنج لطرابلس وعرف بالحاج محمد بن بهادر ، وكان تاجرا. انظر : الالمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام والامور المقضية في واقعة الاسكندرية — النويري السكندري نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٤٩ تاريخ — ص ٦٥

مصر الى أهل طرابلس وقضاتها والأمير قرمش حاجب الحجاب ليتولى النيابة الى جانب الحجوبية ، ووصل ابن بهادر الى ميناء طرابلس في ليلة السبت ١٦ تشرين الثاني ، فاتفق ان يونس النائب قبض على قرمش الحاجب وقتله قبل وصوله ، ثم غادر طرابلس ليكون بقرب تنم قبل وصول ابن بهادر ، ووضع نائباً له في غيابة الامير « قجفار » وكان يشغل وظيفة دوادار النائب .

ولما اقترب ابن بهادر من ساحل طرابلس بعث بما كان معه من الملطفات الى أهلها يبشّرهم بالأمان من السلطان ، فوصلت الملطفات اليهم قبل قدومه ، ثم وصل هو بمن معه الى الشاطيء ليلا ، فظنّه نائب الغيبة أنه من الافرنج ، ولذا خرج اليه في نحو ٣٠٠ فارس من أجناد المدينة ، وعندما تبين له أنه من المسلمين طلبه بمن معه ليأتوه مستسلمين ، فلم يجيبوه الى ما أراد ، ووقع القتال بين الطرفين ، واستطاع نائب الغيبة ان يضايق ابن بهادر ويهزمه وأن يقتل جماعة ممن معه ، فالتجأ ابن بهادر الى برج ايتمش وتقوّى به ، وفي اليوم التالي كان خبر الموقعة قد انتشر في المدينة فتحرّك القضاة وعقدوا اجتماعاً عاماً في الجامع الكبير وتداولوا في أمر تنفيذ مضمون كتاب السلطان ، وتولّى القاضي ابن الأذرعي(١) الحاكم والمحدث بطرابلس أمر الدعوة الى هذا الاجتماع ، وانتهى بقرار مخالفة نائب السلطنة واعلان الطاعة للسلطان ، واتفقوا على قراءة كتاب السلطان والملطفات على الناس ، ووقف خطيب الجامع « شرف الدين محمود »(٢) والقى خطبة أعلن فيها ولاء طرابلس لسلطان مصر وحرّض فيها على قتال نائب الغيبة قجفار ، وكان لخطبته الأثر الفعّال فامتلأت نفوس العوامّ حماسة وانطلقوا من الجامع الى بيت نائب الغيبة ونهبوه ، وشرعوا في قتاله حتى هزموه ، ففر منهم الى ناحية حمص ، ونهبوا ما كان معه ، وعاثوا فساداً في المدينة ، وتوجّهوا نحو القلعة ، فكسروا أبوابها ودخلوها ونهبوا ما فيها من حواصل النائب يونس بلطا . وعندما تأكد ابن بهادر ومن معه من المغاربة من فرار قجفار ، خرجوا من برج أيتمش وشاركوا العوام في النهب ، واستمرّوا على هذا الأمر الى آخر النهار حتى نودي بالأمان ، وشرع القضاة في الحكم والولاية والعزل واحتاطوا على أموال الأمراء الغائبين

(١) ستأتي ترجمته في موضعها (محدثي الجامع) .

(٢) ستأتي ترجمته في موضعها من خطباء الجامع .

مع النائب يونس ، ثم انصرف الأهالي الى تحصين البلد ، وجمعوا آلات الحرب والدفاع ، واطلقوا ألسنتهم في النائب ، وتهيأوا لدفعه اذا عاد ، وأقفلوا أبواب المدينة الجدد .

وكان تنم نائب الشام قد خرج في ٦ من ربيع الأول يريد حلب ، فاستولى على حمص ، ثم توجه الى حماه ، فوافاه في الطريق الأمير يونس ومعه عسكر طرابلس ، ونزلوا على حماه ، فامتنع نائبها الامير دمرداش المحمدي بها ، وقاتل تنم قتالا شديداً ، وقتل من أصحاب تنم أربعة أنفس . وفي تلك الاثناء وصل تجفار هارباً من طرابلس وأخبر بما وقع عليه من أهالي المدينة ، فقرر تنم أن ينتقم من أهلها أما يونس فبعث رسلا لعقد الصلح مع الامراء والقضاة المناوئين له ، ولكن أهل البلد رفضوا ذلك وتهيّأوا للقتال ، وعند ذلك أرسل تنم أحد أمراء دمشق المقدّمين ويدعى « صرق » وانضم اليه من أمرائها الجي بغا الحاجب ، وخضر الكريمي في طائفة ، مع تجفار نائب الغيبة على رأس عسكر كبير لقتال أهل طرابلس ، فتوجه الامير صرق ومن معه نحو طرابلس ووصلها يوم الاربعاء ١٩ ربيع الاول ، وأحاط بالبلد من كل جانب ، فتصدّى له العوامّ ودار قتال رهيب بين الطرفين ، وكان القضاة يتقدمون المقاتلين لبث الحماس في النفوس ، فحمل عليهم المهاجمون وردّوهم هاربين ، وثبت القاضي ابن الاذرعي وظل يرمي ويقاتل ، ووقعت عمامة القاضي الشافعي وارتدّ بدونها ، واستمر القتال الى ما بعد العصر ، وعندما حلّ الظلام رجع العسكر الى خيامه، وعاد القتال من جديد في صباح اليوم التالي الخميس ، وكذلك في يوم الجمعة ، وكان القتال يدور قريباً من أبواب المدينة على أشدّه ولذلك تعطّلت صلاة الجمعة في الجامع الكبير وبقية الجوامع الأخرى(١) ، لقربها من تلك الأبواب ، ولم تقم صلاة الجمعة الاّ في الجامع البرطاسي(٢) .

---

(١) كانت الجوامع التي تقام فيها خطبة وصلاة الجمعة في ذلك الوقت هي : الجامع الكبير ، التوبة ، العطار ، السيد عبد الواحد ، طينال ، البرطاسي ، ومن المحتمل جامع الطحام أيضا .

(٢) يعتبر الجامع البرطاسي أبعد الجوامع عن بوابات المدينة ، اذ يقع على ضفة النهر ، وقد جرى الاصطلاح في الكتابات الوقفية أن تحدد موقعه بباطن طرابلس. (راجع سجلات المحكمة الشرعية) .

وهكذا استمر القتال الشديد مدة تسعة أيام صمد فيه الأهالي ولم يمكنوا الامير « صرق » ومن معه من دخول البلد . وعندما بلغت الاخبار تنم جهز الامير يونس نائب طرابلس وأرسله في طائفة كبيرة من العساكر ، فسار اليها يونس واستطاع أن يقتحمها ويبذل السيف في أهلها ، ووقع في الأسر كل من القاضي ابن الأذرعي ، والقاضي الحنفي الحاكم(١) ، والقاضي الحنبلي(٢) ، ومفتي البلد(٣) ، وخطيبها شرف الدين محمود وابنه شمس الدين محمد(٤) ، وقاضي المالكية السابق بها ابن شاشي المعزول قبل هذه الواقعة(٥). وغيرهم كثير .

وأما القاضي الشافعي شرف الدين مسعود(٦) فانه كان احتاط لنفسه ونقل ماله وقماشه الى برج أيتمش ، وتوجه اليه ، فلما نشب القتال نزل في قارب هو وابن بهادر المؤمني ، وبدر الدين البلدي نقيب الأشراف ووكيل بيت

---

(١) هو القاضي شمس الدين محمد بن البجاصي الحنفي الحاكم ، قال ابن الصيرفي انه قتل في شهر جمادى الآخرة !! من السنة ، وكان شافعي المذهب ثم انتقل الى مذهب ابي حنيفة لاجل القضاء ، وكان خاليا من العلم ، وتولى عوضه شمس الدين ابن الصفدي . انظر : نزهة النفوس — ج ٢ ص ٦٨ ، ابن شهبة — ج ٤ ص ١٥٥ ، الضوء — ج ٢ ص ٢٥٦

(٢) هو القاضي موفق الدين محمد بن المحب أحمد بن نصر الله الحنبلي ، كان أبوه أحمد قاضي القضاة بدمشق سنة ٨٠٣هـ. — الضوء — ج ١١ ص ١٦٦ ، ابن شهبة — ج ٤ ص ١٥٥ ، السلوك — ج ٣ ق ٣ ص ٩٩١ ، النجوم — ج ١٢ ص ١٩١

(٣) هو جمال الدين ابن النابلسي الشافعي. السلوك ، ابن شهبة ، النجوم

(٤) نزهة النفوس — ج ٢ ص ٦٨

(٥) ابن قاضي شهبة — ج ٤ ص ١٥٥

(٦) ستأتي ترجمته في مدرسي الجامع الكبير .

المال بطرابلس(١) وهربوا الى ثغر دمياط وسط أمواج البحر والمطر الشديد ، وحدّثوا هناك بما وقع في طرابلس على يد نائبها ، وذكروا انه قتل من أهلها حوالي ٧٠٠ شخصاً(٢) .

وعندما تم ليونس بلطا دخول المدينة تهيّأت له الفرصة لينتقم من أهلها جزاء خروجهم عليه وعلى نائبه ، وولائهم لسلطان مصر ، ولذا أطلق لعساكره الحرية في النهب والسلب فنبهوا الاسواق وعاثوا في جنبات البلد فساداً ، ونهب يونس أموال الناس كافة وسبى حريمهم ، وفعل في طرابلس وأهلها ما لا تفعله الكفرة ، وارتكب كل قبيح . ثم أتى بالقضاة المأسورين وأمر بذبحهم فذبحوا ، وقتل نحواً من عشرين رجلا من أعيان البلد ، وأخذ من القاضي المعزول المالكي مالا وأودعه السجن ، ونهب البلد نهباً ذريعاً وهرب أهلها كل مهرب ، ومن سلم من القتل ولم يهرب صودر على مال كثير ، ولو دخل الفرنج الى طرابلس لم يصلوا الى ذلك(٣). وقيل انه أراد أن يحرق البلد فاشتريت منه بثلاثمائة

(١) هو بدر الدين محمد بن جمال الدين البلدي ، ذكر ابن القاضي شهبة انه باشر في شهر صفر سنة ٨٠٥ وكالة بيت المال بحلب بإذن النائب عوضا عن الشريف عدنان وكان قد قدم من طرابلس ساعيا بها اعادته الى وظيفة ناظر الجيش وهو منتظر الجواب وبينه وبين النائب آقبغا الجمالي الأطروش صحبة من طرابلس ج ٣ ص ٢٠٤ وكان أبوه يتولى قبله وكالة بيت المال بطرابلس ومات في سنة ٧٩٥هـ. انباء — ج ١ ص ٤٦٣ .

(٢) مختصر التواريخ — شهاب الدين احمد السلامي — نسخة بخط محمود حمدي — بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٠٥١ ح — ص ٤٦٦

(٣) ابن قاضي شهبة — ج ٤ ص ١٥٥

وخمسين ألف درهم ُجبيت ممن بقي من أهلها(١) .

وذكر ابن حجر العسقلاني(٢) وابن تغري بردي(٣) ان اقل من قتل في هذه الواقعة ألف نفس . وقال غيرهما انه قتل بها ألف وسبعمائة واثنان وثلاثون نفساً(٤) .

وصادف في حين اشتعال اوار هذه الفتنة أن كان بطرابلس الكاتب « ابن حجّة الحموي »(٥) قادماً اليها من حماه في طريقه الى ثغر اسكندرية لزيارة شيخه عبد الدين الدماميني ، فاحتجز فيها بسبب الحروب التي دارت براً وبحراً ، ووقع في القبض من جملة من قبض عليهم النائب يونس ، وتأثر مما شاهده من اقتتال وتأسّف لما أصاب المدينة من الخراب « وقد عضّت على أنياب الحرب بثغرها من أهوال برّها وبحرها ، وذلك في منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة » . وعندما أطلق سراحه ركب البحر وأثناء رحلته كتب

(١) و (٢) و (٣) انباء الغمر — ج ١ ص ٤٩٧ — نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٢٤٧٦ تاريخ ، النجوم — ج ١٢ ص ١٩٢

(٤) ابن قاضي شهبة — ج ٤ ص ١٥٥ ، السلوك ج ٣ ق ٣ ص ٩٩٦

(٥) هو ابو المحاسن تقي الدين ابو بكر علي بن عبد الله بن حجة الحموي القادري ، ولد بحماه سنة ٧٦٧هـ. كان رئيس ادباء عصره ، ورحل في طلب العلم الى الموصل ودمشق والاسكندرية والقاهرة وغيرها ثم عاد الى بلده ومات سنة ٨٣٧هـ. له عدة مؤلفات أشهرها : خزانة الادب وثمرات الاوراق وتأهيل الفريب وغيره. (تاريخ آداب اللغة العربية — جرجي زيدان — ج ٢ — ص ١٣١ و ١٣٢ — بيروت ١٩٦٧) وله في وادي رشعين بظاهر طرابلس :

أرض وادي رشعين مفتوحة العين لها نقطة على النيرين
ما حللنا هناك الا وقالت اجلسوهم على محاجر عيني

وقال بوادي المنافس بظاهرها أيضا :

وادي المنافس من مفنى طرابلس بطيب أنفاسه أبدى نفائسه
وكاد يلحق بالشقرا وأبلقها فلا تلوموا اذا قوى منافسه

وله أيضا لغز في قصب السكر الذي اشتهرت به طرابلس . انظر : خزانة الادب وغاية الارب — ص ٤٢١ و ٤٨٦ و ٤٨٧ — طبعة بولاق ١٢٩١هـ.

رسالة الى شيخه يصف فيها ما أصابه من ذعر ، وما عانته طرابلس من تلك الفتنة ، يقول فيها :

« ... وأبرح ما يكون الدهر يوماً اذا دنت الديار من الديار ، وصول الملوك الى مصر محتمياً بكنانتها وهو بسهام البين مصاب ، مذعور لما شاهده من المصارع عند مقابلة الفرسان في منازل الاحباب ، مُكلماً من ثغر طرابلس الشام بأسنّة الرماح ، محمولا على جناح غراب ، وقد حكم عليه البين أن لا يبرح من سفره على جناح ، وكان في البين ما كفاني فكيف بالبين والغراب ؟؟ يا مولانا ، لقد قُرعت من هذا الثغر بأصابع السهام ، وقلع منه ضرس الامن ، ولم يبق له بعدما شعر به البين نظام ، وكشّرت الحرب في ثناياه عن أنياب ، واقتلعنا منه مع انهم لم يتركوا لنا فيه ثنية ولا ناب ، وأمست شُهبُ الرماح قافية على آثارنا ، والسابق السابق منا الجواد ، ولزمت الرويّ من دمائنا لئلا يظهر لقافيتها عند نظم الحرب سناد ، وفسد انسجام تلك الأبيات المنظومة على ذلك البحر المديد ، وبُدلّت جنتها بنار الحرب التي كم تقول لها : هل امتلأت ؟؟ وتقول هل من مزيد؟؟(١) ونفذ حكم القضاء ، وكم جرح خصم السيف في ذلك اليوم شهودا ، واتصل الحكم بقضاء القضاة فلم يسلم منهم الا" من كان مسعودا ،(٢)، ووقع غالبنا في القبض من عروض حربهم الطويل ، وتبدلت محاسن طرابلس الشام بالوحشة فلم نفارقها على وجه جميل ، وتالله لم يدخلها الملوك في هذه الواقعة الا مُكرهاً لا بطل ، وكم قلت لسارية العزم لما كشف لي عن مضيق سهلها يا سارية الجبل ، ولم يطلق الملوك عروس حماته الا" جبراً أظهروا به كسره ، والعلوم الكريمة محيطة كيف يكون طلاق المكره ... »(٣) .

(١) قرآن كريم — سورة ق — الآية رقم ٣٠

(٢) يشير بذلك الى أن الذي نجا من القضاة في هذه الواقعة هو القاضي شرف الدين مسعود .

(٣) ثمرات الاوراق في المحاضرات (على هامش كتاب المستطرف في كل فن مستظرف) — ج ٢ ص ٦٥ — ٦٧ طبعة مصر ١٣٨٥هـ.

وكتب ابن حجة رسالة الى صاحب دواوين الانشاء بالممالك الاسلامية على لسان قاضي القضاة شرف الدين مسعود الشافعي وأعيان طرابلس بعد أن وصلوا الى الديار المصرية في البحر قسراً مما عاينوه من أهوال تلك المحنة المشهورة ، وضمّن الرسالة أسماء سور القرآن الكريم فقال :

« ... والقول يا نظام (الملك) قد دهمهم من لم يفرّق بين التحليل و (التحريم) الى ان صرّحوا بـ (الطلاق) ووقعوا في (التغابن) وشمت (المنافقون) ومُنعوا في (الجمعة) (الصف) وأمست فرقتهم (الممتحنة) في (الحشر) ولم يُسمع لهم (مجادلة) لمّا فزعوا بـ (الحديد) في هذه (الواقعة) ولكنْ منّ (الرحمن) وطلع (قمر) الامن ولاحظهم (نجم) السعد ، وصعدوا (طور) النجاة ، وكفكفوا (ذاريات) الدموع ، وطُردت عنهم العداة الى (قاف) لما دخلوا (حجرات) مصر ، وحظوا من مولانا السلطان بعد سدّ المذاهب بـ (الفتح) »(١) .

وفيما كان تنم خارج دمشق وضع والده الامير جركس نائباً للغيبة عليها ، فطرح هذا السكر على الناس واحتكره ، فكثر الدعاء عليه بسبب ذلك ، وكان الفساد قد عمّ بوصول العساكر الى دمشق ونزل بالناس الساكنين خارج البلد ظلم فاحش من العسكر الذين نزلوا في الخانات والدور والحوانيت والبساتين بغير أجرة ، وعاثوا فيها وأفسدوا كثيراً لا سيما عسكر طرابلس(٢).

وبينما كان تنم ينازل حماه ويحاصرها اذ بأتابك العساكر في مصر الامير أيتمش البجاسي صاحب البرج المعروف باسمه في طرابلس ، قد جاء منها قاصداً دمشق وهو شاقق على السلطان الناصر فرج ، ومعه الامير تغري بردي والد المؤرخ أبي المحاسن صاحب النجوم الزاهرة ، فلما وصل خبرهما الى تنم ترك حصار حماه وعاد الى دمشق للقائهما ، واستطاع الامير تغري بردي فيما بعد أن يستميل الامير دمرداش صاحب حماه الى طاعة تنم ، فجاء الى دمشق بعساكر حماه ، ووصل بعده نائب حلب الامير آقبغا الجمالي الاطروش ، ثم

(١) خزانة الادب — ص ٥٦٨ — طبعة بولاق سنة ١٢٧٣هـ.

(٢) السلوك — ج ٣ ق ٣ ص ١٠٠٥.

قدم الامير يونس بلطا نائب طرابلس بعساكرها ومعه الامير أحمد بن يلبغا وكان يقيم بها بعد أن كان أمير مجلس في مصر(١) . واجتمع عند تنم امراء وعساكر البلاد الشامية وراح يقيم المواكب ويستعرض عساكر دمشق وحلب وطرابلس وحماه ، وجماعة كبيرة من عظماء أمراء الديار المصرية ، وأذعن الجميع له بالطاعة ، حتى انه لم يشكّ أحد في سلطنته بمن فيهم أمراء مصر أخصامه الذين كاتبوه في الصلح غير مرة .

ووصلت الاخبار الى مصر بخروج تنم ومن معه من دمشق وهم يقصدون مصر ، فتجهّزت العساكر للخروج صحبة السلطان الناصر ، وعند غزة وقع أول صدام بين الطائفتين ، كانت الغلبة فيه لقوات الناصر الذي دخل بعد ذلك مدينة غزة . وكان تنم لا يزال في الرملة ، ثم وقع الصّدام الثاني بين غزّة والرملة وأسفر عن هزيمة تنم ومن معه ووقوعه في الأسر ومعه نائب حلب ونائب طرابلس ، وكتبت البشائر بذلك الى مصر وبلاد الشام ، فدقّت البشائر وفرح الناس بخذلان تنم . وفي يوم الخميس الرابع من شهر رمضان سنة ٨٠٢هـ. تخلّص السلطان من تنم وقتله في محبسه بقلعة دمشق ، وقتل معه الامير يونس بلطا(٢) نائب طرابلس خنقاً بعد أن استصفيت أموالهما بالعقوبة ، ثم سُلمّا الى أهلهما(٣). وولي نيابة طرابلس بعده الامير شيخ المحمودي الذي مرت ترجمته .

****
****
******

(١) هو احمد بن يلبغا شهاب الدين العمري الخاصكي الحسني صاحب الكيس واستاذ الظاهر برقوق ، كان معظما في الدولة احد المقدمين بمصر في أيامه ثم أمير مجلس ثم نفاه الى الشام وأقام بطالا في طرابلس وآل أمره الى أن ذبح في ١٤ شعبان ٨٠٢هـ. وقد زاد على الاربعين ، وكان مشهورا بالشجاعة والاقدام . الضوء — ج ٢ ص ٢٤٦ ، النجوم — ج ١٣ ص ١٤

(٢) قال السخاوي : يونس الظاهري برقوق ويعرف ببلطا الرماح ، وكان من أعيان خاصكية استاذه ثم رقاه لنيابة حماه ثم طرابلس . وبلطا بضم الموحدة ولام ساكنة ثم مهملة هو باللغة التركية اسم للمسحة ، والآلة التي يحفر بها . الضوء — ج ١٠ ص ٣٤٥

(٣) النجوم — ج ١٢ ص ٢١٢

خطبـاء الجـامع الكبير

وأئمتـــه

نص مرسوم توجيه الخطابة والامامة في الجامع الكبير

كانت المهام الدينية الرئيسية في الجامع المنصوري الكبير ، وكذلك في جامع التوبة بطرابلس ، توجّه الى القائمين بها بموجب أمر شريف يرسمه نائب السلطنة ، وقد أورد القلقشندي نص مرسوم لتعيين خطيب وامام الجامع الكبير ، وهذا النص ينسج على منواله لمن توجّه عليه هاتان المهمّتان في عصر المماليك .

وفيما يلي توقيع بالخطابة والامامة كتب به لاحد الخطباء ويدعى « جمال الدين ابراهيم »(١) وهو :

« رُسم بالأمر الشريف — لازال عود منابر الاسلام بماء احسانه رطيبا ، وبُرْد شعائر الدين الحنيفي في أيامه الزاهرة قشيبا ، ومواهبه ومناقبه تقيم لمادحه في كل واد شاعرا ، ولحامده في كل ناد خطيبا — أن يرتب المجلس السامي ، الامام العامل — رحم الله تعالى السلف ، وزاد مجد الخلف — خطيباً واماماً بالمسجد الجامع المعمور المنصوري بطرابلس المحروسة ، عوضاً عن فلان ، وعلى عادته وقاعدته وبمعلومه الشاهد بـه الديوان المعمور المستقر

(١) لم أقف له على ترجمة

باسمه الى آخر وقت : رعاية لأهليته الواضحة الدلائل ، وفضيلته الناطقة الشواهد الصادقة المخايل ، وأوصافه الجميلة التي بها تعرف من أبيه الشمائل ، ولأنه الصدر ابن الصدر النجيب ، والخطيب الامام ابن الامام الخطيب ، والولد النجيب الذي حذا حذو والده في الصلاح ما خاب ولا يخيب ، والنجل النبيه المهذب الذي أشبه اباه في الدين والورع ومن أشبه اباه فما ظلم في النباهة والتهذيب .

فليباشر هذه الخطابة والامامة التي هو ابن جلاّها ، وطلاّع ثناياها ، زائناً حلاها ، زائداً ُعلاها ، وليرْق ذروة هذا المنصب الذي هو أعلى المناصب الدينية ، وليتلقّ نعم الله عز وجلّ بالشكر الذي يوجب المزيد ويُكسب المزيّة ، وليقمْ مقام والده في هذه الرتبة السنيّة ، باخلاص العمل وصدق النيّة ، مجليا في مضمار البيان الذي ُسلّمت اليه أعنّته ، وألقيت اليه أزمّته ، ُمحليا بقلائد المواعظ وفرائد الأمثال أعواد المنبر الذي لو أمكنه لسعى اليه ، مشنفا الاسماع بجواهر الأوامر وزواهر الزواجر التي يصدع بها عليه .

وليسرْ كسيرة والده في الطريقة المثلى وسلوك المنهج الأسدّ وليجتهدْ في احياء رسومه في العبادة واقتفاء آثاره في العلم والزهادة حتى يقول الناس : هذا الشبل من ذاك الأسد ، جارياً على أفضل العوائد في ديانته ، سارياً بأجمل القواعد من صيانته ، وليوصَل اليه معلومه الشاهد به الديوان المعمور المستقر الى آخر وقت ، على عادة من تقدّمه وقاعدته : لاستقبال مباشرته أحيان الوجوب وأزمان الاستحقاق ، رزقاً داراً ، ساراً ، هنيّاً ، مرضيّاً ، من غير تنفيص ، ولا تنقيص ، والاعتماد على العلامة الكريمة أعلاه ، وثبوته ان شاء الله تعالى))(1) .

---

(1) صبح الاعشى — ج ١٢ ص ٤٧٢ — ٤٧٤

من أشهر خطباء الجامع

انّ وضع ثبت تاريخي متسلسل بأسماء من ولي مهام الخطابة والأمامة والتدريس والحديث في مساجد طرابلس يكاد يكون متعذراً بسبب عدم توفر الوثائق والمصادر التي تساعدنا على ذلك ، وليس بين أيدينا سوى ما نعثر عليه من تراجم بعضهم الموزّعة هنا وهناك في كتب التاريخ والتراجم ، وقليل من تلك المصادر ما يشير الى خطيب أو مدرّس أو محدّث بأحد مساجد طرابلس ، والسبب الرئيسي الذي نأسف له ونحار له في وقت واحد ، هو أن هذه المدينة العريقة في تاريخها والتي أخرجت العلماء في مختلف العلوم والفنون ، لم يخرج منها مؤرّخ واحد يؤرّخ لأحداثها أو يترجم لرجالها طوال حقبة العصور الوسطى وما بعدها ، وتبقى لنا بارقة أمل في أن نعثر على مخطوطة لم تمتد اليها يد حتى الآن لتجدها من الضياع وتزيح الستار عنها وتنشرها ، ونرجو أن يكون هذا الحلم حقيقة .

وبناء على ما سلف فسيأتي استعراضنا لأسماء خطباء وأئمة ومدرّسي ومحدّثي الجامع الكبير غير مكتمل الحلقات . ونأمل أن نستطيع مستقبلا من سدّ هذه الثغرات بالكشف عن مصادر لم نتمكن من الاطلاع عليها الآن ، أو مصادر ما تزال مخبوءة قد يُكشف النقاب عنها في وقت لاحق .

وقد توصّلتُ خلال البحث الى معرفة بعض الذين تولّوا مهمة الخطابة في الجامع الكبير ومنهم :

ابن المقرىء

هو : عمر بن علي بن ابي بكر زين الدين بن المقريء المتوفى سنة ٧٨٤هـ.(1) ذكر كل من ابن قاضي شهبة ، وابن حجر العسقلاني انه كان خطيب طرابلس .

---

(1) ابن قاضي شهبة — ج ٢ ص ٢٨٠ ، انباء الغمر — ج ١ ص ١٩٤ و ٢٦٨

ووُلد سنة نيف وعشرين وسبعمائة . وكان من أهل الحديث ، وله اعتناء بضبط رجاله ، كما كان له اشتغال في العربية . ويبدو أنه كان يقوم بمهمة قراءة صحيح البخاري ، فقد ذُكر عنه انه قرأ صحيح البخاري في الأشهر الثلاثة (رجب ، شعبان ، ورمضان) قراءة حسنة . وجرت له مع قاضي طرابلس مبارعة في بعض المسائل وبسبب ذلك ترك طرابلس وانتقل الى حماه وقرأ بها صحيح البخاري في جامعها . وتوفي هناك في شهر محرم سنة ٧٨٤هـ. وقد جاوز الستين من عمره .

شرف الدين محمود

هو : شرف الدين محمود الطرابلسي . خطيب خطباء الجامع الكبير ، وقد لعب دوراً هاماً في تأليب أهالي طرابلس على النائب يونس بلطا حين خرج على طاعة السلطان الناصر فرج ، حيث القى خطبة دعا فيها للجهاد ومقاتلة النائب وأنصاره ، ورفع الأعلام على المنبر ، واشترك في قتال نائب الغيبة حتى وقع في الأسر ، ثم كان مصيره الذبح مع ابنه شمس الدين محمد في سنة ٨٠٢هـ.(١).

الشمس ابن زهرة

هو : محمد بن يحيى بن أحمد بن دغره بن زُهرة ، الشمس الحبراضي الاصل ، الدمشقي الطرابلسي ، الشافعي ، والدالتاج عبد الوهاب . ويعرف بابن زُهرة بضم الزاي .

ويعتبر الشمس ابن زُهرة أشهر خطباء الجامع المنصوري الكبير في عصر المماليك ، بل هو من أشهر علماء طرابلس في ذلك العصر . فقد قام بمهمة

(١) الضوء — ج ١٠ ص ١٥٠ ، السلوك — ابن قاضي شهبة ، النجوم

الخطابة مدة طويلة ، وكان الى جانب ذلك يُقرىء ويفتي ويحدّث حتى صار شيخها وعالمها ، وانتفع به الناس طبقة بعد طبقة ، واعتقده أهلها وغيرهم وتبرّكوا بدعائه . وقُصد بالفتاوى من الجهات البعيدة . وتعصّب له أهل طرابلس عندما خالف قاضيها السراج الحمصي بسبب ابن تيمية ، حيث وقفوا الى جانبه حباً به ، مما اضطر القاضي الحمصي الى الفرار من المدينة . ولم يرجع اليها الاّ بعد صدور مرسوم سلطاني باعادته الى منصبه .

وُلد الشمس ابن زهرة ببلدة حبراض سنة ٧٦٠هـ.(١) وانتقل منها وهو صغير الى طرابلس فنشأ بها وقرأ القرآن ، وحفظ العمدة ، والتنبيه ، والمنهاج الأصلي ، وألفية ابن معطي ، وتفقه بكل من النجم بن الجابي ، والشمس ابن قاضي شهبة صاحب التاريخ المعروف به ، وكان هذا خاتمة أصحابه وقال عنه انه انتفع به كثيرا . وهو الذي قرّر في قلبي اعتقاد الامام أبي الحسن الأشعري. كما تفقه على الصرخدي ، والشرف الغزّي ، والصدر الياسوفي ، والشريشي ، والزيد القرشي ، وعنه أخذ التفسير . وقيل انه وقع بينه وبين الشرف الغزي خلاف بعد أخذه عنه فصار الغزي يتكلم فيه .

وعندما قدم البلقيني مع الظاهر برقوق الى دمشق ، التقى به وأخذ عنه ، وكان يسمّيه شيخ الروضة ، وأخذ الأصول عن الشهاب الزهري ، والصرخدي، وعنه أخذ العربية أيضاً ، وسمع على ابن صدّيق ، والكمال بن النحاس ثالث حديث أبي علي بن خزيمة ، وعلى التاج محمد بن عبد الله بن أحمد بن راجح ، وكان يذكر انه سمع على ابن قواليح ، والمحبّ الصامت .

وتكسّب ابن زهرة بالشهادة مدة ، وتصدّر بالجامع الأموي بعد موت شيخه ابن الجابي ، وباشر ذلك بخير واستقامة ، فلما وقعت بها الفتنة ضاق به الحال وتوجّه الى عجلون ، ثم رجع الى دمشق وبعدها جاء طرابلس فأقام بها يقرىء ويحدّث ويفتي ويخطب ، وأثرى ، وصار شيخ تلك البلاد ، وحجّ مراراً ، وزار بيت المقدس في سنة ٨٣٦هـ.

(١) وقيل سنة ٧٥٨هـ. انظر : الضوء ج ١٠ ص ٧٠

ذكر ابن حجر عنه أنه كان اماماً عالماً ديّناً جليلا فقيها شيخ الشافعية في بلده بلا مدافع تصدّى لنشر العلم ٥٠ سنة وانتفع به الناس طبقة بعد أخرى . وممن أخذ عنه : البرهان السوبيني الذي ولي قضاء الشافعية بطرابلس(١) ، والشمس البلاطنسي المتوفى سنة ٨٦٣هـ.(٢) وقد لازمه بطرابلس وتفقه به ، والعلاء البرلسي البلطيمي الضرير المتوفى سنة ٨٧٤هـ.(٣) والصلاح الطرابلسي المتوفى في أوائل القرن العاشر الهجري(٤). وكان الصلاح حنفياً ، وعندما جاء طرابلس لم يكن بها فقيه حنفي ، فأخذ يحضر دروس عالمها ابن زهرة وقرأ عليه في بعض تصانيفه قبل وفاته ، ثم لم يلبث ابن زهرة ان توفي .

وممن أخذ عنه أيضاً : الشهاب السليماني ، حيث أخذ الفقه والعربية والتفسير وغيره وسمع عليه(٥). وعبد القادر بن حمزة الطرابلسي الذي كان اماماً لقانصوه في حلب(٦). وأحمد بن الباريني الطرابلسي(٧) ، وكان تلميذا له وغيره .

قال السخاوي : « كان حسن التعليم ، حظيت به طرابلس وخطب بجامعها المنصوري مدة طويلة واعتقده أهلها وغيرهم وتبركوا بدعائه . وقصد بالفتاوى من الجهات البعيدة ، وصنف شرحاً للتنبيه في أربع مجلدات احترق في الفتنة ، وشرحاً للتبريزي في ثلاث مجلدات ، فيه فوائد ، وتفسيراً في نحو

(١) ستأتي ترجمته في محدثي الجامع الكبير

(٢) الضوء — ج ٨ ص ٨٦ و ٨٧ ، النجوم — ج ١٦ ص ١٩٩ و ٢٠٠

(٣) الضوء — ج ٥ ص ١٩٨ و ١٩٩

(٤) الضوء — ج ١٠ ص ٢٩ — ٣١

(٥) الضوء — ج ١ ص ٣٠٢ و ٣٠٣

(٦) الضوء — ج ٤ ص ٢٦٧

(٧) الضوء — ج ٢ ص ٧٨

عشر مجلدات سمّاه (فتح المنّان في تفسير القرآن)(١) ، وتعليقاً على الشرح والروضة في ثماني مجلّدات ، وغير ذلك . وله تعليقة في مجلّد كبير كالتذكرة يشتمل على تفسير وحديث وفقه وعربية ووعظ وغير ذلك » . ويضيف صاحب ايضاح المكنون بأنّ له (الشرح العزيز على الوجيز) للامام الغزالي(٢) .

وكان يتولّى قضاء الشافعية في أيامه الشيخ سراج الدين عمر بن موسى الحمصي(٣) وكان الحمصي مناصراً لابن تيمية ، وصدف أن كان في دمشق حين ورده سوآل من طرابلس منظوم شعراً ، عن الحكم فيمن يُكفّر ابن تيمية ، وأول الأبيات المنظومة :

ما قول أهل علوم الشرع والحسب	فيمن يكفّر شيخ العلم والادب ؟
تقيّدين اله العرش شهرته	بابن تيمية حرّاني النسب(٤)

وكان الحمصي على نية السفر الى طرابلس في ذلك الوقت ، فكتب بعض الجواب ، ثم انشغل عنه وأهمله ، وفيما هو بطرابلس اذ وردت عليه اسئلة وفتاوى من علماء مصر فوقف على بعضها وأكمل ما كان كتبه ، فجاء جوابه في ٩٧ بيتاً من الشعر (٥) حكم فيه بتكفير من يكفّر ابن تيمية فقال :

... ثم القياس جليّ أن نكفّر من	أخرج من ديننا شخصاً بلا سبب

فعلم ابن زهرة بفتوى الحمصي ، وكان يميل الى الاعتقاد بالامام ابي موسى الأشعري ، واعتبر ان هذا الحكم ينال منه شخصياً ، ولذلك هاجم القاضي الحمصي في احدى خطبه وصرّح بتكفيره . ووقف أهل طرابلس الى

(١) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون — اسماعيل باشا البابانى — ج ١ ص ٣٠٢ — طبعة اسطنبول ١٩٤٥

(٢) المصدر نفسه — ج ٢ ص ٤٥

(٣) الضوء — ج ٦ ص ١٣٩ — ١٤٢ ، النجوم — ج ١٦ ص ١٨٥ ، ابن اياس — ج ٤ ص ٣٦٣ و ٣٦٤ قضاة دمشق (الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام) — ابن طولون — تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد — ص ١٦٦ و ١٦٧ — دمشق ١٩٥٦

(٤) الرد الوافر — ناصر الدين الدمشقي — تحقيق زهير الشاويش — ص ١٨٩ — بيروت ١٣٩٣هـ.

(٥) راجع القصيدة بكاملها في الرد الوافر — ص ١٩٠ — ١٩٤

جانب عالمهم الكبير وتعصّبوا له حباً فيه ، وعندما شعر القاضي الحمصي بأن الرأي العام في المدينة غير مؤيّد له خاف سوء العاقبة ، ولم يسعه الاّ الفرار الى بعلبك ومن هناك راح يكاتب المصريين حتى جاء المرسوم الى طرابلس بالكفّ عنه واستمراره على قضائه(١) ، فسكن الامر .

ويقول السخاوي في ختام ترجمته : « .. كل هذا مع حسن الاخلاق ولين الجانب ، والاقتصاد في ملبسه ، بحيث يلبس الملوطة والعمامة الصغيرة ، والمحاسن الجمّة . ومات بعد أن أضرّ واقبل على العبادة ، وأنسي ليلة الجمعة ١٨ جمادى الاولى سنة ٨٤٨هـ. بطرابلس ، وُدفن بتربة الجامع(٢) وتأسّف الناس على فقده ، ولم يخلف بعده بها مثله(٣) » .

التاج ابن زهرة

توفي الشمس ابن زهرة وخلفه ابنه التاج عبد الوهاب في خطابة الجامع المنصوري والتدريس . وقد ولد التاج في أحد الربيعين من سنة ٨٠٦هـ.(٤) بطرابلس ونشأ بها فقراء القرآن عند الشيخ محمد الاعزازي(٥) ، وحفظ المنهاج

(١) نشب الخلاف بين ابن زهرة والسراج الحمصي سنة ٨٣٥هـ. وكان نائب طرابلس في هذه السنة الامير طرباي الظاهري الاتابك (٨٣١ — ٨٣٨هـ.) .

(٢) كانت تربة الجامع تقع خارج الحرم من الجهة الغربية ، وقد أزيلت منذ فترة قريبة .

(٣) الضوء — ج ١٠ ص ٧٠ و٧١ ، البدر الطالع — ج ٢ ص ٢٧٦ و ٢٧٧ ، التبر المسبوك في ذيل السلوك — السخاوي — ص ١١٣ — طبعة بولاق ١٨٩٦ ، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم — عبد الباسط بن خليل بن شاهين — ج ١ ص ٩٧ — نسخة مصورة في ميكرو فيلم بدار الكتب المصرية — رقم ٥٨٧٩ محفوظ بالخزانة التيمورية عن النسخة رقم ٢٤٠٢ المصورة عن نسخة الفاتيكان .

(٤) هكذا عند السخاوي في الضوء — ج ٥ ص ١١٣ وعند ابن شاهين ٨٠٧ أو ٨٠٨ — ج ١ ص ٩٧

(٥) ما زال في محلة قبوة الحتة شمالي جامع الطحام تربة يسمي العامة صاحبها بـ « سيدي الاعزازي » .

الفرعي والأصلي وجمع الجوامع وألفية النحو ، وعرض على أبيه واشتغل عليه في الفقه وأصله وغيرهما ، وقرأ في العربية على العلاء المقسي ، وفي أصول الدين على الشمس ابن الشمّاع ، ولازمه ، وانتفع به ، وصحب الزيني الخافي ، وسمع أباه ، والشهاب ابن الحبّال ، وابن ناصر الدين ، وحكى عن والده انحرافاً عنه كغيره من شافعيّة الشام لاجل ابن تيمية . وحج ودخل الشام صحبة والده في سنة ٨٢٦هـ. وأقام بطرابلس متصدّراً للتدريس والافتاء ، وجمع على كل من المنهاجين والتنبيه والزبد شرحاً سمّاه : بهجة الوصول وتذكرة المحتاج في شرح المنهاج للنووي(١). وتذكرة النبيه ، وكل منهما في خمس مجلّدات ، والمعتمد ، وعمل مختصراً سمّاه « المختار في فقه الابرار » .

ذكر السخاوي انه وقف على غيرها « ولسرعة الانفصال عنه لم أتدبّر في علمه والأقرب انها كانت مُعتمدة ، فهي لوالده . نعم هو انسان حسن الصورة ، كثير التواضع ، له فضيلة في الجملة ، ولجماعة من أهل بلده فيه كلام ، وقد لقيته ببلده وكتبت عنه قوله :

عيون حبيبي النرجسيات أتلفت ... فؤاد المعنى بالفتور وبالسحر
وأرمت سهاما صائبات نصولها ... لقلب الذي قد مات بالصب والهجر(٢)

وفي سنة ٨٦٢هـ. جاء طرابلس المؤرخ عبد الباسط بن خليل بن شاهين الحنفي المتوفى بحدود سنة ٩٠٠هـ. فالتقى بالتاج ابن زهرة وتتلمذ على يديه حتى سنة ٨٦٥هـ.(٣). وتحدّث ابن شاهين عن ذلك في تاريخه الذي سماه « الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم » فقال : « الشيخ تاج الدين عبد الوهاب بن زهرة ، فقيه طرابلس الآن ومفتيها وخطيبها وابن خطيبها ومفتيها

(١) ايضاح المكنون — ج ١ ص ٢٧٦

(٢) الضوء — ج ٥ ص ١١٣ و ١١٤

(٣) كان أبوه على امرة عشرين بطرابلس في ذلك الوقت . انظر : الروض — ج ١ ص ٨٨

وهو ممن أخذت عنه بل وقرأت عليه ، وحضرت دروسه بجامع طرابلس ، وكان بها في سنة ٨٦٢هـ. وما بعدها الى أن خرجنا منها في سنة ٨٦٥ أو قبلها بيسير . وهو ذات حسنة وسمت حسن . ولد تقريباً في سنة ٧ أو ٨ من هذا القرن بطرابلس وبها نشأ في كنف أبيه فقرأ القرآن الكريم وحفظ المنهاج وغيره ، واشتغل على أبيه ولازمه ، وأخذ عن غيره أيضا ، وانتهت اليه رياسة مذهبه بطرابلس بعد أبيه ، وولي خطابة الجامع بها عوضاً عنه ، وأفتى ودرّس ، وعلى ذهنه بعض من أنواع الفروسية من الرمي بالنشاب وغير ذلك . وله نظم وسط . أستحضر منه هذا البيت من قصيدة وهو قوله :

نحن المحبّين قد ضاقت مذاهبنا   فالقرب ينعشنا والبعد يفنينا

وصنّف وألّف ، وله تفسير القرآن اختصر فيه تفسير والده وضم اليه أشياء من غيره ، فسمّاه « التطريز في تفسير القرآن العزيز » رأيته بخطّه في مجلّدين ضخمين ، وله شروح عدّة على بعض مختصرات مذهبه كالمنهاج ، والتنبيه ، والزبد ، وغير ذلك . وهو الآن بتلك البلاد بصدد نفع الطلبة واشتغالهم وقد كبر سنّه ، وكان يُلمس بشيء يشينه الله أعلم بصحتّه . وكان ذلك في تلك الامكنة . وأما الآن فيذكر عنه الخير والدين والقيام في نفع المسلمين والصدع بالحق في خطبه والتبكيت على الظلمة فيها لا سيما ونواب طرابلس انما يصلّون بجامعها الأكبر ، بل انما يعتبر له بهذا في تلك الازمان ، فانه كان كثيرا ما يبالغ في خطبه ويسمع النواب ما ينكيهم ، فجزاه الله خيراً على ذلك»(١)
وتوفي بطرابلس سنة ٨٩٥هـ.(٢) وقد شاخ . وعندما وصلت الاخبار بوفاته الى دمشق صُلّي عليه صلاة الغائب بالجامع الأموي يوم الجمعة في ٨ شعبان .

(١) الروض الباسم — ج ١ ص ٩٧

(٢) ذكر ابن طولون وفاته في حوادث سنة ٨٩٣هـ. ، انظر : مفاكهة الخلان — ج ١ ص ٩٦

ابن هبة الله الحنفي

وفي النصف الاول من القرن الحادي عشر وبالتحديد سنة ١٠٤٣ قام رمضان العطيفي بزيارة طرابلس والتقى بخطيبي الجامع المنصوري الكبير ، أحدهما شافعي والآخر حنفي المذهب ، كما كان بها مفتيان : شافعي وحنفي .

يقول العطيفي : « ومن اجتمعت به محمد افندي ابن هبة الله خطيب الجامع الكبير ويتولّى نيابة الباب . يتكلم بالعربية والتركية ، وله فصاحة ووجاهة وحسن سلوك يليق بمجالس الملوك . وهو الخطيب الحنفي بالجامع الكبير . وله صوت حسن وتأدية لطيفة في الخطابة والقراءة(١) » .

وفي سجلات المحكمة الشرعية بطرابلس نطالع اسم هبة الله كخطيب للجامع الكبير وذلك ابتداء من السجل رقم (١) الذي يتضمّن كتابات تبدأ بسنة ١٠٧٧هـ.

وفي سنة ١١١٢هـ. زار طرابلس الشيخ النابلسي والتقى بأحمد بن هبة الله ، وقال انه كان مفتي المدينة يومئذ(٢). وفي موضع آخر من رحلته يقول : « وقد كان دعانا حضرة سليل الأئمة الأعلام وفخر الافاضل الكرام ، السيد أحمد أفندي ابن فخر المدرّسين السيد هبة الله المفتي المتقدّم ذكرهما . فذهبنا بعد أن صلّينا الظهر في محلّه الشريف ومقامه المنيف . فرأينا بمجلسه عدّة من الأفاضل ذوي الآداب والفضائل . فجرى بيننا وبينهم أبحاث شريفة ومسائل فقهية وأدبية لطيفة . ومما أنشدنا حضرة السيد أحمد المذكور لما طالعنا عنده في كتبه ، ومن جملة ذلك « البحر الرائق » المشهور ، هذين البيتين :

على الكنز في الفقه الشروح كثيرة   بحار تفيد الطالبين لآليا
وكل بهذا البحر صارت سواقيا   ومن ورد البحر استقل السواقيا(٣)

(١) رحلة العطيفي — ص ٢١٩

(٢) التحفة النابلسية — ص ٤٩

(٣) نفس المصدر — ص ٨٦

مصطفى الشافعي

ذكره العطيفي مع ابن هبة الله فقال : « ومنهم بحر الصفاء وكنز الوفاء الأخ في الله تعالى الشيخ مصطفى الشافعي خطيب الجامع الكبير شركة ابن هبة الله الحنفي المتقدم ذكره ، وامام الجامع المذكور ، عالم جليل وفاضل نبيل مع محبة للناس وأنس ، ليس فيه ايحاش ، مكبّ على القراءة والاقراء ، وجمع الفوائد والفرائد ، وله خط حسن ، وجميع أوقاته مصروفة في الخير . كنت أزوره في حجرته الغربية بالجامع الكبير فأرى من الطافه ورقّة طبعه ما يدهش العقول . ولم أنشده شيئاً الاّ وينشدني بأمثاله وبمقابله ، فمن ذلك أن صلّيت المغرب مرّة بالجامع المذكور فأدخلني معه الى الحجرة لننتظر صلاة العشاء فتحادثنا الى ان انشدته بمقتضى المقام :

الشرق شيء مليح   فقل لمن يزدريه
الشمس تطلع منه   والبدر يكمل فيه

فقال متمثلا في الحال :

الغرب أحسن منه   ولي بهذا أدلّه
الشمس تسعى اليه   ومنه تبدو الأهلّه

وتناشدا الأشعار في مجلس آخر فقال العطيفي :

ان شئت تحظى بالسعادة فاستقم   تنل المراد وترتقي أعلى سما
ألف الكتابة وهو بعض حروفها   لمّا استقام على الجميع تقدّما

فأنشد الخطيب في الحال متمثلا يقول :

من يستقم يحرم مناه ومن يزغ   يختص بالاسعاف والتمكين
انظر الى الألف استقام ففاته   عجم وخص به اعوجاج النون

وعندما عاد العطيفي الى دمشق كتب اليه رسالة ضمّنها هذه الابيات :

سلام على أطرابلوس ومن بها   سلام محبّ عزّ عنها اصطباره
يقضي لياليه بنوح وأدمع   ويمضي كما تمضي الليالي نهاره
فأدمعه حمر بأصفر وجنة   حكاها شقيق الروض ثم بهاره
اذا خطرت في فكره صفو عيشة   تقضّت بذاك الشعبطار قراره
واني لمشتاق لها ولأهلها   وجامعها المعمور عز مناره
ولا سيما شيخ العلوم خطيبه   سميّ نبيّ الله زاد اقتداره
هو المصطفى المولى الذي نور علمه   توقّد في كل الجهات شراره
محبّك يقريك السلام مع الصبا   يؤرّجه شيح الربا وعراره
عليك سلام الله ما ذرّ شارق   وهاج محبّاً للحبيب ادكاره(١)

محمد السندروسي

وفي القرن الثاني عشر الهجري تولى الشيخ السندروسي مهمة الخطابة والتدريس في الجامع الكبير الى جانب افتاء الحنفية .

ذكره المرادي في سلك الدرر وترجم له مرتين ، وهو : « السيد محمد بن محمد بن علي الحسيني المعروف بالسندروسي الحنفي الطرابلسي الفاضل النجيب الفقيه (٢). تفقه في المسائل ، والف كتاباً في أسماء الصحابة وعارض به كتاب « الأصابة في تمييز الصحابة » لابن حجر وسمّاه « الشموس المضيّة في ذكر أصحاب خير البريّة » في مجلّد(٣). وصنف كتاباً آخر سماه « الفجر

(١) رحلة العطيفي — ص ٢٢٠ و ٢٢١

(٢) سلك الدرر — ج ٤ ص ٢٤ و ١١٣ ، تراجم علماء طرابلس — ص ٣٥ ، الاعلام — خير الدين الزركلي — ج ٧ ص ٢٩٦

(٣) ايضاح المكنون — ج ٢ ص ٥٧ ، الحركة الادبية في بلاد الشام — الدكتور أسامه عانوتي — ص ١٤٧ — بيروت — منشورات الجامعة الاميركية ١٩٧١

المنير في ذكر أسماء اهل بدر ذي المقام الخطير »(١). وله « الكشف الألهي عن شديد الضعف والموضوع والواهي »(٢) في الحديث أيضا وفرغ منه في سنة ١١٤٦هـ.

وذكر له جعفر الكتاني : « الرسالة المستطرفة » وهو مصنّف جمع فيه الأحاديث الشديدة الضعف والواهية والموضوعة ، ورتّب أحاديثه على حروف المعجم، وجعل في كل حرف ثلاثة فصول لكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة فصل(٣).

قال المرادي انه تطلّب افتاء الحنفية كشيخه الخليلي فتوجّه عليه افتاء طرابلس الشام ، فما استقامت مدة يسيرة الا وعزل عنها ، فكدر عيشه وكثر طيشه ، فتطلّب منصب نيابة حكم الشرع فكانت سببا لأحراق داره ، وبعد ذلك رجع وتاب وتبع طريق الحق والصواب الى أن مات . وكانت وفاته في سنة ١١٧٧هـ.

نجيب الزعبي

في القرن الثالث عشر الهجري كان خطيب الجامع المنصوري الشيخ نجيب الزعبي الجيلاني الطرابلسي ، وهو جد خطباء هذا الجامع من أسرة الزعبي .

ترجم له عبد الله نوفل فقال : « علم من أعلام العلم والفضل . تلقّى علومه الابتدائية في طرابلس ثم سافر لمصر ودخل في سلك طلبة الازهر وأقام هناك أعواماً ثم رجع الى وطنه طرابلس . وكان واقفاً على المذاهب الأربعة ، فتعيّن خطيباً في طرابلس بجامعها الكبير المعروف بالمنصوري ، وعكف على التدريس فيه ، فكانت الطلبة تأتيه من سائر الجهات لوافر علمه وشهرته

(١) ايضاح — ج ٢ ص ١٧٩ ، الحركة الادبية — ص ٢١٥
(٢) ايضاح — ج ٢ ص ٣٥٧ ، الاعلام — ج ٧ ص ٢٩٦
(٣) الحركة الادبية — هامش ص ١٤٧

الواسعة . ومن مشاهير طلبته العلامة الشيخ عبد الغني الرافعي مفتي طرابلس قديماً ، والعالم القاضي بطرابلس سابقاً المرحوم أحمد أفندي سلطان وأمين أفندي سلطان وغيرهم من أجلاّء شيوخ العلم . وكان رحمه الله رحب الصدر ، عالي الهمّة ، مرجعاً يرجع اليه أبناء وطنه في المعضلات ، وللاستفادة من علمه الواسع . ولا زال هكذا دأبه الى أن وافاه أجله المحتوم . ولم أقف على سنة وفاته »(١) .

وقد ذكر الشيخ حسين الجسر انه توفي بعد والده الشيخ محمد الجسر بعدة سنين(٢). وخلف محمداً ، وكان الشيخ محمد الجسر قد توفي سنة ١٢٦١هـ./١٨٤٥م.

عبد الفتاح الزعبي

وفي الربع الاخير من القرن الثالث عشر الهجري وأوائل القرن الحالي كان خطيب الجامع الشيخ عبد الفتاح الزعبي .

ذكره الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي في رحلته التي سمّاها « نفحة البشام في رحلة الشام » وقام بها في ١٠ ربيع الاول سنة ١٣٠٠هـ./١٨٨٢م. وزار طرابلس خلالها وأدّى صلاة الجمعة في الجامع الكبير واستمع الى الشيخ الزعبي فقال عنه انه « فصيح اللسان ، واضح البيان . يخطب من انشائه لا من دواوين غيره . فلله درّه من خطيب ماهر لبيب ، حضرنا صلاة الجمعة عنده بالمسجد الجامع بحضور والي الولاية الأكرم حضرتلو دولتلو أحمد باشا حمدي الافخم ، فأطنب في الوعظ حتى خشع الجمع وأنصتوا له السمع ، وحث على الطاعة والتقوى ، والتمسك بما هو السبب الأقوى من استعمال العدل والانصاف وترك الجور والاعتساف »(٣) .

(١) تراجم علماء طرابلس — ص ٦٧
(٢) نزهة الفكر — ص ١٢٥
(٣) نفحة البشام — ص ٧٠

كان الشيخ عبد الفتاح متوليّاً على وقف البيمارستان وخان الخياطين ، كما كان نقيباً للأشراف ، وشيخاً للطريقة العلية القادرية الجيلانية وصاحب زاويتها(١) . وضع مصنّفاً في خُطب الجمعة . ومن شيوخه الشيخ محمود بن محمد بن عبد الدائم نشابه المتوفى سنة ١٣٠٨هـ .

وخلف الشيخ عبد الفتاح ابنه الشيخ علي الذي تولّى وظيفة الخطابة بعده الى جانب الأمامة وقتي الظهر والعصر . وظلّ مواظباً على الخطابة حتى شاخ . وكان عندما يصعد المنبر لالقاء خطبته ظهر الجمعة يحمل سيفاً قديماً(٢) وعندما شاخ وضعف جسمه ترك حمل السيف أثناء الخطابة ، ومنذ ذلك الوقت ألغي ذلك التقليد .

وخطيب الجامع الآن هو الشيخ المعتصم بالله بن علي بن عبد الفتاح الزعبي . وقد باشر الخطابة قبل وفاة والده بفترة قصيرة ، وهو الامام الأول في الجامع أيضاً لوقتي الظهر والعصر ، واعتباراً من أول شهر آذار ١٩٧٤ أضيفت اليه مهمة امامة وقتي المغرب والعشاء بعد وفاة الشيخ توفيق الشلبي .

(١) تقع بجوار حمام أسندمر (الحاجب) في السويقة ، وتحولت الآن الى بيت للسكن .

(٢) كان هذا التقليد يقوم به خطباء المساجد في المدن الاسلامية المفتوحة قسرا .

محدّثو الجامع الكبير

ومدرّسوه

نص مرسوم توجيه الحديث والتدريس في الجامع الكبير

ذكر القلقشندي نسخة توقيع بوظيفة قراءة الحديث النبوي الشريف في الجامع المنصوري وقال ان هذه النسخة لمن اسمه « يحيى »(١) يُستضاء به في ذلك ، وهي :

« رُسم بالأمر الشريف — لا زال رميم الفضل بأرواح عنايته يحيا ، وأحاديث منّنه الحسان تعيها أذُن واعية من طيب السماع لا تعيا ، ولا برحت أولياء خدمه تُثني على صدقاته بألسنة الأقلام ، وتدير على الأسماع من رحيقها كئوساً مسكية الختام — ان يستقر في كذا استقراراً ترشف الأسماع ، كئوس روايتها فلا تُروى ، ورُتب كماله يقصر عن طلوعها كل باع ، فمناواته لا تنوى ، وربوع معروفه لا تبيد ، وآيات صلاته ينطق بتلاوتها كل بليغ فيبديء ويعيد ، لانه العالم الذي أحيا من مدارس العلوم ما درس ، والفاضل الذي أضاء ببصر علومه ليل الجهل ولا غرو ، « فطرّةٌ الصبح تمحي آيةالغلس »» والكمال الذي لا يشوب كماله نقيصه ، والأمثل الذي أتته المعالي رخيصة ، والأمام الذي تأتمّ وراءه الأفاضل ، وتأخّر عصره ففاق الأوائل ، ما درّس الاّ وجمع من فوائد أبي حنيفة وابن ادريس ، ولا عرّس بليل الطلب الاّ حمد عند ادراك طلبه ذلك التعريس ، ولا أعاد الدروس للطلبة الاّ وترشّحت منه بالفوائد ، ولا جمع ما فصّله العلماء الاّ وأتى بالجمع الذي لا نظير له في الفرائد .

فليباشر هذه الوظيفة مباشرة أنوارها لا تخمد ، وليلازمها ملازمة تشكره عليها الألسنة وتحمد ، وأنت — أدام الله تعالى فوائدك — لا تحتاج الى الوصايا اذ أنت بها عالم ، وبأسبابها متمسّك ، وبالقيام بها يقظ غير نائم ، لكن التقوى أولى بمن عرف الأمور ، ولباس سوابغها يبعد كل محذور ، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه »(٢) .

(١) من المحتمل انه يحيى بن احمد بن دغرة بن زهرة والد الشمس محمد الذي مرت ترجمته .

(٢) صبح الاعشى — ج ١١ ص ١٨٧ و ١٨٨

أشهر المحدثين والمدرسين في الجامع

من أشهر المحدّثين والمدرّسين في الجامع المنصوري الكبير وصلتنا أسماء الأعلام الآتية :

محمد بن مشرف

هو : محمد بن أبي العزّ مشرّف بن بيان الانصاري الدمشقي ، الشيخ الجليل المسند المعمّر شهاب الدين البزّاز ، شيخ الرواية بالدار الأشرفية بدمشق . روى الصحيح غير مرّة عن ابن الزبيدي وحدّث . وأخذوا عنه في بعلبك ودمشق وطرابلس وغيرها ، وعاش ٨٧ سنة وتوفي سنة ٧٠٧هـ. في شهر ذي الحجة(١). وممن سمع عليه : الصلاح العلائي الذي كان سماعه في صحيح البخاري سنة ٧٠٤هـ.(٢) وقاضي القضاة تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة ٧٥٦هـ.(٣) والعلامة الحافظ خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي المتوفى سنة ٧٦١هـ.(٤) .

واذا كانت المراجع التاريخية التي بين أيدينا لا تنصّ على أن ابن مشرّف حدّث في الجامع المنصوري بالذات ، فانّ ذلك لا يقف حائلا أمام التحقيق التاريخي . فابن مشرّف توفي كما مرّ في سنة ٧٠٧هـ. وحتى هذا التاريخ لم يكن بطرابلس سوى الجامع المنصوري الكبير ، وجامع السيد عبد الواحد ، والمدرسة الزريقية . والذي يجعلنا نرجّح — انْ لم نؤكد — ان ابن مشرّف حدّث في الجامع الكبير هو قول الذهبي أن أسندمر الكرجي نائب طرابلس سمع الصحيح من ابن مشرّف بطرابلس(٥). ومن المعروف أن نواب السلطنة كانوا يحضرون للصلاة وسماع الحديث في الجامع الكبير ، وعلى هذا فانّ

(١) أعيان العصر — ج ٦ ق ١ ص ٧٨ و ٧٩
(٢) التنبيه والأيقاظ لما في ذيول تذكرة الحفاظ — احمد رافع الطهطاوي — ص ١٩ — دمشق ١٣٤٨هـ.
(٣) ذيل تذكرة الحفاظ — ابو المحاسن الدمشقي (ت ٧٦٥هـ.) — ص ٣٩ — دمشق ١٣٤٧هـ.
(٤) المصدر نفسه — ص ٤٣
(٥) المشتبه في الرجال — الحافظ الذهبي — تحقيق علي محمد البجاوي — ج ٢ ص ٥٤٧ — مصر١٩٦٢

سماع أسندمر لابن مشرّف كان بالجامع الكبير ، الى جانب من تردّد عليه وأخذ الحديث عنه بطرابلس ومنهم قاضيها محمد بن المجد عيسى البعلي المتوفى سنة ٧٣٠هـ.(١) وكان قاضياً للشافعية ، وذكر ابن حجر أن ابن المجد سمع بنفسه الكثير من ابن مشرّف . كما سمع عليه ابنه محمد بن محمد بن المجد المتوفى سنة ٧٦٨هـ. وولي قضاء طرابلس بعد أبيه ، وكان سماعه عليه في سنة ٧٠٦هـ.(٢) .

بهادر القرمي

وفي النصف الاول من القرن الثامن الهجري كان بطرابلس محدّثها « سيف الدين بهادر القرمي » ، وكان من موالي الحسن بن رمضان القاضي القرمي المتوفى سنة ٧٤٦هـ. صاحب حمّام القاضي بطرابلس(٣) . ومن المحتمل انه كان يدرّس في الجامع الكبير في الفترة من سنة ٧١٦هـ. الى سنة ٧٢٣هـ. وهي الفترة التي كان فيها مولاه القرمي يتولّى قضاء الشافعية بطرابلس .

عرّفه السخاوي بأنه « مسند طرابلس » . وذكر أن أحمد بن البدر المغربي الأصل المتوفى سنة ٨٣٠هـ. روى عنه(٤) .

وترك ابن بهادر ذرّية وصلنا منها « محمد بن محمد بن محمد بن بهادر الكمال أبو الفضل المؤمني الطرابلسي ثم القاهري الشافعي » المتوفى سنة ٨٧٧هـ.(٥) ذكره السخاوي وقال انه ذهب مع أمه وأخيه الى القاهرة فقطنوها مع ابن بلدهم التقيّ أبي بكر الطرابلسي المتوفى سنة ٨٤١هـ.(٦) ومن المحتمل

(١) المختصر — ج ٤ ص ١٠١ ، ابن الوردي — ج ٢ ص ٢٦٣ ، البداية — ج ١٤ ص ١٤٨ و ١٥١ ، الدرر ج ٤ ص ٢٤٨
(٢) الدرر — ج ٤ ص ٢٤٨ و ٣٢٨ و ٣٢٩
(٣) تاريخ ابن قاضي شهبة — ج ١ ص ٧٦
(٤) الضوء — ج ١ ص ٢٤٧
(٥) الضوء — ج ٩ ص ٢٠٩
(٦) نفسه — ج ١١ ص ٦٧

ان « ناصر الدين محمد بن بهادر المؤمني » الذي ورد ذكره في فتنة ٨٠٢هـ. المارّ ذكرها هو ابن بهادر المحدّث .

ومن محدّثي الجامع الشمس ابن زهرة الذي مرت ترجمته في الخطباء ، ومن بعده ابنه التاج أيضاً ، ومن المحتمل أن يحيى بن زهرة والد الشمس كان محدّثاً بالجامع أيضاً .

مسعود بن شعبان

هو شرف الدين مسعود بن شعبان بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن اسماعيل ابن مسعود بن علي بن محمد بن عبيد بن هبة الله الشرف ابو عبد الله الحساني الطائي الحلبي الشافعي .

قال ابن حجر في أنبائه : « أصله من دير حسّان ونشأ فتفقه قليلا ثم صار ينوب في أعمال البرّ عن القضاء ثم ولي قضاء حلب عوضاً عن ابن أبي الرضا ثم عُزل وأعيد ثم عزل بابن مهاجر سنة ٧٩٠ ثم ولاّه الشهاب الزهري قضاء حمص وكان جاهلا مقداماً يعرف طرق السعي ، وله دربة في الاحكام، واشتهر بأخذ المال من الخصوم ، فحكى لي نائب الحكم جمال الدين ابن العراقي الحلبي ، وكان خصّيصاً به ، انه أوصاه أن لا يأخذ من أحد الخصمين الاّ من يتحقق انه الغالب . وسار مع كمشغبا لمّا توجه للظاهر عند خروجه من الكرك، فلم يزل صحبة الظاهر الى أن دخل القاهرة ، فرعى له ذلك ، فلما استقرّت قدمه في الملك ولاّه قضاء دمشق بعد قضاء حمص ، وكذا ولي في الفتنة أيضاً قضاء دمشق وغيرها ، وتنقّل في الولايات الى أن استقرّ بطرابلس ومات بها في رمضان سنة تسع (٨٠٩هـ.) قال العلاء ابن خطيب الناصرية في تاريخ حلب انه كان رئيساً كريماً حسن الاخلاق محتشماً يحب أهل العلم ويكرمهم(١) .

---

(١) أنباء الغمر — المخطوط — ج ١ ص ٧٤٣ ، اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء — الطباخ الحلبي — ج ٥ ص ٥١٦ و ٥١٧ — المطبعة العلمية بحلب ١٩٢٥ ، السلوك — ج ٤ ق ١ ص ٥٠.

ويبدو أن شرف الدين مسعود ولي قضاء طرابلس قبل سنة ٨٠٢هـ. اذ كان بها في الفتنة المشهورة التي مرّ ذكرها ، وقد شارك في مقاتلة نائب الغيبة ، ثم هرب من طرابلس مع ابن بهادر الى مصر ، وأعيد اليها في ٥ شعبان ٨٠٢هـ(١) وفي أثناء غيابه بمصر ولي القضاء عوضاً عنه صلاح الدين يوسف بن العفيف(٢). وقبل وفاته سنة ٨٠٩هـ. سمع عليه ابن خطيب الناصرية(٣) وكتب عنه شيئاً من شعر غيره(٤) .

البرهان السوبيني

من مشاهير محدّثي طرابلس وعلمائها في القرن التاسع الهجري ، القاضي الشافعي « ابراهيم بن عمر بن ابراهيم البرهان الحموي الأصل السوبيني الطرابلسي . ويعرف بالسوبيني نسبة الى سوبين من قرى حماه(٥). فقد ولي قضاء الشافعية بطرابلس وغيرها واشتغل في فقه الشافعية والحنفية حتى بات عالمها .

وُلد قُبيل سنة ٨٠٠هـ. بسوبين وقرأ بعض القرآن بها ، وسائره بحماه ، ثم انتقل الى طرابلس وتفقه بالشمس ابن زهرة ، والشهاب احمد بن البدر فقرأ عليه الفرائض والوصايا(٦). واخذ عن التقي ابن الجوبان المتوفى سنة ٨٤١هـ. والشمس النويري وولده السراج ، وسعد الدين الآمدي ، والشمس الهروي وعنه أخذ علم التجنيس والغبار ، كلاهما في الحساب ، وعلى الأولين

---

(١) انباء الغمر — ج ١ ص ٥٠٤ — المطبوع

(٢) قال ابن قاضي شهبة وابن حجر انه كان يلبس الجندية ثم باشر في الديوانية وولي نظر الايتام ثم اخرج منه لسوء تصرفه وافتقر جدا فتوجه الى قاضي طرابلس يرجو نوال قاضيها فجرى ماجرى وسعى عند نائبها فولاه قضاء الشافعية وهو عار من الفضيلة بالكلية وكتابته حسنة . انظر : ابن قاضي شهبة — ج ٤ ص ١٥٥ ، انباء الغمر — المخطوط — ج ١ ص ٤٩٧ ، نزهة النفوس — ج ٢ صفحة ١١٥

(٣) و (٤) الضوء اللامع — ج ٥ ص ٣٠٣ — ٣٠٧ ، اعلام النبلاء — ج ٥ ص ٢٢٤

(٥) قال ابن طولون انها من أعمال طرابلس — قضاة دمشق — ص ١٧٥

(٦) الضوء — ج ١ ص ١٠٠

والشهاب ابن الجبّال سمع الحديث ، بل وأخذفقـه الحنفية عـن الشمس الصفدي القاضي وبحث عليه جميع المختار وغيره ، وعنه أخذ العربية ، وكذا أخذها مع الصرف عن الشهاب احمد بن يهود المتوفى سنة ٨٢٠هـ.(١) وأخـذ الفرائض والوصايا عن الشهاب احمد المغربي المالكي ، وقدم القاهرة غير مرة . وأخذ الجبر والمقابلة والمساحة والمقنطرات في الوقت ، وغيرها عن الشهاب ابن المجدي ، وابن القاياتي ، وابن البلقيني ، وابن حجر الذي أكثـر من ملازمته حتى نوّه به فوليّ قضاء الشافعية بمكة عوضا عن المحب الطبري في أوائـل رجب سنة ٨٤٨هـ. وأنعم عليه السلطان فيما قيل بما ارتفق به ، ولم يلبث ان انفصل في شوال سنة ٨٤٩ واستقر في صفر من سنة ٨٥٠ في قضاء حلب ، ثم ولي قضاء الشام وحمدت سيرته في ذلك كله ، لكن لصقت به أشياء فيها مزيد تنطع مع غفلة وسذاجة ويبس وعدم دربة بالجملة . وفي يوم الخميس ٨ ذي الحجة سنة ٨٥٣ رسم باستقراره في قضاء الشافعية بطرابلس عوضا عـن قاضيها الشهاب الزهري(٢). وعزل عنه يوم الخميس عاشر ربيع الاول سنة ٨٥٤ واستقر عوضه تقي الدين عبد الرحمن بن حجي بمال بذله ، فانتقل الى دمشق واستقر في قضائها يوم الاثنين ٥ جمادي الاولى من السنة المذكورة ولم يلبث ان ُعزل في ١١ شعبان ثم حبس بقلعة دمشق(٣). وفي سنة ٨٥٥ أعيد الى قضاء طرابلس (٤) فكان عالمها وفقيهها .

قال السخاوي في ترجمته : « وكان كثير الاستحضار للفقه مع معرفـة بالفرائض والحساب ولكنه لم يكن في التحقيق وحسن التصور بالبلوغ . ولـه تصانيف كثيرة منها مما كتبته جزئين في مسائل تكون مستثناة من قاعدة لا ينسب لساكت قول، ترضه شيخنا(٥) وغيره من الأئمة ، وتعقب أكثرها بهامش من

(١) نفسه — ج ٢ ص ٢٤٦ ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة — السيوطي — ص ١٧٥ — مصر ١٣٢٦

(٢) التبر المسبوك — ص ٢٧٠

(٣) نفسه — ص ٣٠٦

(٤) نفسه — ص ٣٥٢٦

(٥) ابن حجر العسقلاني

نسختي شيخنا ابن خضر ، وقد راج أمره على شيخنا فانه قال : انه شافعي المذهب ، كثير المعارف في عدة علوم ، رأس في الفرائض ، وهو اليوم عالـم طرابلس يشتغل في فقه الشافعية والحنفية ، الى ان قال : وذكر لي ان جده لأمه الشيخ عمر السوبيني كان صالحا له كرامات . انتهى . وكان كثير العبادة والتلاوة والتهجد والأفعال المرضية والتواضع الاّ مع المتكبرين وسلامة الفطرة غالبة عليه . وقد أطلت ترجمته في معجمي ، وأفحش البقاعي في شأنه مـات بدمشق بعد ان زار بيت المقدس في ذي الحجة سنـة ٨٥٨هـ. ودفـن بمقبرة الفراديس من جهة الشمال . وكانت جنازته حافلة حسبما كتب اليّ به بعـض الدمشقيين . قال : وكان من أوعية العلم ، مطرح التكلف على طريقة السلف ، له عدة تصانيف »(١) .

وقال ابن طولون : « ترك استعارة الكتب الاّ بأجرة معينة ، وترك الأكل في الولائم الا بالثمن . لكن ُحكي انه لا يوفي الأجـرة ، ويشتري الصحن مـن الطعام النفيس بالثمن الخسيس ، ومع ذلك فلا يرضيه . وكان له محبة في أهل العلم ، كثير المعارف في عدة علوم ، وحكم بدمشق في كائنة ابي الفتح الطيبي صبي ابي الخير النحاس بحقن دمه فرسم السلطان باعتقاله وحبسه بقلعـة دمشق ، ثم أتى مرسوم بأن لا يحكم فيها الا المالكي . ثم قدم القاهرة و ُعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس ، ثم ولي قضاء طرابلس وتوفي سنة ٨٥٨هـ بدمشق(٢)

ذكر صاحب « نظم العقيان » بعضا من مصنفات البرهان السوبيني منها : « شرح فرائض المنهاج » في أربع مجلدات ، وأربعة شروح اخرى كل منها مجلد . و « الابهاج في لغات المنهاج » في ثلاث مجلدات ، وهو شرح منهاج الطالبـين للنووي(٣) .

وله شرحان على الشامل الصغير ، ذكرهما صاحب الايضاح الاول : شرح الشامل في بحر الكامل في الجبر والمقابلة ، وسماه « الكامل في شرح الشامل »

(١) الضوء — ج ١ ص ١٠٠ و ١٠١

(٢) قضاة دمشق — ص ١٧٥ و ١٧٦

(٣) ايضاح المكنون — ج ٢ ص ٥٨٧

في ٣ مجلدات (١) ، والثاني : « الضياء الكامل في الشرح الشامل »(٢). وله « توضيح واقدار الرائض على الفتوى في الفرائض » و « الألغاز الكبرى » على ترتيب أبواب التنبيه ، و « الألغاز الصغرى » على ترتيب المنهاج ، و « شرح على المنهاج » شرع فيه ، وشرح على التمييز ، وصل فيه الى الرهن . وكراسة في مسائل ينسب فيها الى الساكت قول وقد وقف عليها الشيخ برهان ابن خضر فرد عليه فيها(٣) .

ومن تلاميذه الذين حضروا دروسه بطرابلس : ابو بكر ابن اسماعيل بن عمر التقي الطرابلسي ، المتوفى قبيل سنة ٨٦٠هـ.(٤) وعلي بن ابي بكر بن احمد بن شاور العلاء البرلسي البلطيمي الضرير المتوفى سنة ٨٧٤هـ. وقد أخذ عنه الفرائض(٥). وعلي بن ايوب بن ابراهيم بن عمر نور الدين البرماوي الاصل ، المكي الشافعي المعروف بابن الشيخة المتوفى سنة ٨٧٨هـ. وقرأ عليه صحيح البخاري(٦). وخليل بن عبد الله بن محمد بن داود بن عمرو بن علي بن عبد الدائم الكناني العسقلاني الاصل المتوفى سنة ٨٩٨هـ.(٧) .

عمر بن مصطفى بن كرامه

هو : عمر بن مصطفى بن ابي اللطف الحنفي الطرابلسي ، الشهير بابن كرامة . ذكره المرادي فقال : « الشيخ الفاضل الاديب المفتنّ العالم الفاضل ، كان من أفاضل العلماء . قرأ بمصر ودرّس بطرابلس في جامعها ، وولي افتاء

(١) ايضاح المكنون — ج ٢ ص ٣٩

(٢) نفسه — ج ٢ ص ٧٦

(٣) نظم العقيان في أعيان الاعيان — السيوطي — حرره فيليب حتي — ص ٢٣ و ٢٤ — المطبعة السورية الامريكية في نيويورك ١٩٢٧ ، الاعلام — ج ١ ص ٤٩

(٤) الضوء — ج ١١ ص ٢٧

(٥) نفسه — ج ٥ ص ١٩٨ و ١٩٩

(٦) ج ٥ ص ١٩٥ و ١٩٦

(٧) ج ٣ ص ١٩٨ و ١٩٩

طرابلس . وله من المؤلفات « نظم متن السراجية » وشرحها . وله « رسائل في العروض » ، وغيره . وصحب أخاه في الرحلة الى مصر ، وكان معمرا عاش ١١٥ سنة وتوفي بعد سنة ١١٦٠هـ. »(١) .

عبد القادر الرافعي

هو : الشيخ العلامة عبد القادر بن عبد اللطيف الرافعي البيساري العمري الحنفي الطرابلسي أول من تلقب بالرافعي اذ قال له أحد مشايخه الكبار « أنت من رافعي لواء العلم » ، فلقب بذلك . وينتسب الى جده عمر البيساري صاحب الزاوية المعروفة به في محلة العوينات .

كان من أكابر العلماء العاملين ، سافر الى مصر وأخذ عن علماء عصره ولازم الشيخ محمود الكردي المتوفى سنة ١١٩٥هـ.(٢) وسلك على يديه طريق الخلوتية ، وكان لشدة اعجابه بشيخه يكتب توقيعه هكذا : عبد القادر الرافعي خادم القطب الكردي . ووضع له ترجمة طويلة ذكرها الجبرتي في تاريخه . وبعد وفاة شيخه الكردي عاد الرافعي الى طرابلس وتوجهت عليه مهمة التدريس في الجامع المنصوري ، فكان من علماء المدينة الكبار . وكان يتعاطى التجارة الى جانب اشتغاله بالعلم .

له في الادبيات والتصوف شعر رائق ونثر فائق ، وحدث أن عتب عليه حاكم طرابلس في أيامه علي باشا الاسعد لعدم مجاوبته على كتاب أرسله اليه ، فأجابه معتذرا :

لا والذي رفع السماء بلا عمد   ودحا بساط الارض من ماء جمد
لكن يدي اليمنى أضرَّ بها الأسى   وسوى يميني ليس للسر أحد

وله قصيدة يمدح فيها شيخه الكردي من ٧٤ بيتاً ذكرها الجبرتي(٣). وله

(١) سلك الدرر — ج ٣ ص ١٩٢ ، تراجم اعلام طرابلس — ص ٣٥

(٢) عجائب الآثار في التراجم والاخبار — الجبرتي — ج ٢ ص ٦١ — طبعة بولاق ١٢٩٧هـ.

(٣) المصدر نفسه — ص ٦٤ — ٦٦

في النثر مقالة بديعة أرسلها الى علي باشا الاسعد يصف له فيها هياج البحر وريحه العاصف . وله مقامة في المفاخرة بين حمص وحماه أتى فيهـا بأبدع النكات ، وعارضها الشيخ امين الجندي الحمصي المتوفى سنة ١٢٥٦هـ.(١) وله تشطير البردة ، وشرح طويل على حكم شيخه الكردي ، وقد طُبعا .

توفي الرافعي بطرابلس في سنة ١٢٣٠هـ. ورثاه الشعراء ومنهم الشيخ عبد الله الحلبي الذي قال فيه :

دروس العلم بعدك دارسات   وأفـلاك المعالـي سافرات

وأنشد الشاعر بطرس كرامة فيه قصيدة منها :

... وأنا شديد الحب الثم راحة   تهمي بدر كلما فكر رعـد(٢)

محمود نشابه

هو : الشيخ محمود بن محمد بن عبد الدائم نشابه . من علماء طرابلس الاعلام . نشأ بها وتعلم ثم سافر الى مصر وهو في الحادية عشرة من عمـره فجاور بالازهر حتى عاد الى بلده سنة ١٢٦٦هـ. وأخذ الاجازة عـن ابراهيم السقا ، وابراهيم الباجوري ، وغيرهما ، وقد كتب اليه صديقه احمد سليمان النقشبندي يدعوه للحضور الى طرابلس ليعلّم فيها ويفيد ، وأرسل اليه ٥٠ قطعة ذهبية لينفقها في سفره ، فرجع وتولّى التدريس في الجامـع المنصوري الكبير ، وأفاد كثيرا في العلوم الشرعية والعقلية . ومن أشهر تلامذته مصطفى كرامة وكان مفتياً على طرابلس ، ثم ابنه رشيد ، والشيخ عبد الفتاح الزعبي خطيب الجامع الكبير . ومن مؤلفاته « حاشية على متن البيقونية في مصطلح

(١) كتاب منظومات الشاعر الفاضل امين الجندي — ص ٢ — المطبعة الادبية ببيروت ١٨٩١ ، وله أبيات يمدح فيها طرابلس ومما قاله فيها :

... فوالله ما سارت ركابي ولا سعت   لأنزه منها في البريـة اقدامـي
فكـم عالـم فيهـا تصـدى بدرسـه   لدفع اعتراض أو الى رفع ابهام

(٢) تراجم علماء طرابلس — ص ٤٠

الحديث » وهي مطبوعة ، وحاشية علقها على همزية البوصيري ، وتعليـق على شرح الضناوي في المنطق . والعقود الدرية على الاسئلة النحوية للشيخ عبد الغني الرافعي وطُبع سنة ١٣٠١هـ. ، وله « نثر الدراري على شـرح الفناري » طبع في استانبول ١٣١٢ و « الدر الثمين في أحكام تجويد الكتـاب المبين » وطُبع في طرابلس سنة ١٣١٠هـ. وهو من ١٤ صفحة . وقرظه نائب طرابلس محمد منيب الهاشمي ، وترجم قانون كاتب العدل الموقت من التركية الى العربية وطبع في طرابلس سنة ١٣٢٩هـ. وكانت وفاته في سنة ١٣٠٨هـ. بعد ان بلغ الثمانين من عمره(١). ولقيه الشيخ القاياتي أثناء زيارته لطرابلس سنة ١٣٠٠هـ. وقال انه كان مجتهدا في التعليم بالجامع ويشتغل في أغلـب أحواله على مذهب الامام ابن ادريس(٢).

وخلفه في التدريس ابنه الشيخ عبد اللطيف نشابه المتوفى في ٢٣ آب سنة ١٩٣٢م. وبوفاته نقلت وظيفة تدريس الشافعية من الجامع المنصوري الـى المدرسة القرطاوية . وتحول تدريس الشافعية الى الحنفية التي وجهت على الشيخ عبد الكريم عويضه بموجب قرار من المجلس العلمي لأوقاف طرابلس .

عبد الكريم عويضة

هو : الشيخ عبد الكريم بن محمد عويضه ، أشهر مدرّسي الجامع الكبير في منتصف هذا القرن ، اذ كانت حلقته وخاصة في شهر رمضان المبارك من أكبر الحلقات ، حيث كان يجلس على السدّة السفلى المواجهة للمحراب ، وتمتاز دروسه بروحه المرحة التي تجذب اليه المتحلقين حوله .

وقد وضع تلميذه الدكتور الشيخ صبحي الصالح نائـب رئيس المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى ترجمة مطولة لشيخه جمعها في كتاب سماه « نثر اللآلي في ترجمة ابي المعالي » ، وأختصر منه هذه الترجمة :

(١) تراجم علماء طرابلس — ص ٩٤ و ٩٥

(٢) نفحة البشام — ص ٦٩

ولد الشيخ عبد الكريم عويضه في شهر ذي القعدة سنة ١٢٨٢هـ. فقرأ القرآن على الشيخ عبد الدائم نشابه في مدرسة قاضي أوغلي(١) ، ثم درس عند الشيخ محمد الميقاتي . وفي سنة ١٢٩٩هـ. دخل المدرسة الوطنية التي أسسها الاستاذ حسين الجسر ودرس الدين واللغتين التركية والفرنسية . ثم درس في مدرسة الرجبية(٢) على يد الجسر أيضا . وكان معه السيد رشيد رضا العالم المشهور ، والشيخ عبد القادر المغربي . وفي سنة ١٣٠٧هـ. انشأ مجلة اسبوعية تسمى « روضة الأدب » ولم يسبقها بطرابلس سوى مجلة المباحث لجرجي يني ، ثم جاور في الازهر وتلقى العلم على يد الشيخ عبد القادر الرافعي شيخ رواق الشام ، والذي أصبح فيما بعد مفتيا للديار المصرية ، وحضر أيضا على الشيخ مسعود النابلسي ، وعلى الشيخ احمد الرفاعي وغيره مما يربو عن ٢٠ شيخا .

وعندما عاد الى بلده اتخذ مدرسة الخاتونية(٣) مقراً لتدريس الطلبة الوان العلوم من نقلية وعقلية . وكان عددهم يربو على الستين . وتعيّن أول الامر للتدريس في الجامع الحميدي(٤) لكونه خارج البلدة في ذلك الوقت ، وخشية هجران الناس له . ثم نقل في الشتاء الى جامع البرطاسي ، ومن تلاميذه الذين يزيدون على المائة ، الشيخ كمال الأدهمي والشيخ محيي الدين الملاّح والشيخ رفعت الضناوي والشيخ رامز ملك امين فتوى طرابلس الآن (الآتي) . ثم قام بالتدريس في بيروت سنة ١٣٢٢هـ. ثم عاد للتدريس في طرابلس بمدرسة « برهان الترقي » التي انشأها الشيخ صالح الصيداوي . ثم انتقل الى المدرسة الوطنية وهي قرب دار العجم . وعندما ذهب وفد الشام من العلماء الى الباب العالي كان هو يتولى الكلام والخطابة . وفي سنة ١٣٥٥هـ. انتدب

---

(١) ما تزال قائمة حتى الآن وهي في سوق الكندرجية ، وامامها الحالي الشيخ علاء الدين كباره

(٢) تقع في محلة الدبابسة ، وهي مغلقة تشتمل على ضريح الشيخ رجب

(٣) سيأتي الحديث عنها

(٤) كان يعرف قديما بجامع التفاحي وهو الآن « حميدي البلد » لوجود جامع آخر بهذا الاسم في الميناء

للتدريس في كلية التربية والتعليم الاسلامية ، ثم عين عضوا في مجلس المعارف ، ومديرا للمدرسة العلمية من قبل المجلس . وفي سنة ١٣٢٧هـ. عين عضوا في مجلس أوقاف طرابلس الاداري وظل عضوا مدة تزيد عن أربعين سنة ثم نائبا عن المفتي في المجلسين الاداري والعلمي ، وعندما تجاوز التسعين اعتذر عن حضور جلسات المجلسين(١) .

ومن تلاميذه الذين أنفق عليهم من ماله الخاص في سبيل العلم : الشيخ رامز ملك ، عالم طرابلس الآن وأمين فتواها ، والشيخ ناصر العمادي رحمه الله ، والشيخ الدكتور صبحي الصالح الذي انفق عليه وهو بمصر ثم لما سافر الى فرنسا وحصل على دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة السوربون .

ونال رحمه الله عدة أوسمة منها : باي ازمير من السلطان رشاد ، والميدالية الجهادية من السلطنة العثمانية ، وساعة ذهبية من انور باشا ، وبندقية سريعة الطلقات من مصطفى كمال اتاتورك ووسام أرز لبنان من رئيس الجمهورية اللبنانية بشاره الخوري .

وله أشعار كثيرة منها هذا التخميس :

يا عزيز الجوار عز النصير   وتخلى عن العشير العشير
بك مما ألمّ بي أستجير   لي من ذمة الجوار مجير
ان يكن جاري البشير النذير
لعلاه شكوت تبل اعتلالا   فسقاني كأس الشقاء زلالا
أقنوطاً واليوم أشكو عضالا   وبظني وان أسأت فعالا
ان حظي من جاهه موفور

وتوفي الشيخ عبد الكريم عويضه في سنة ١٩٥٥ رحمه الله .

---

(١) نثر اللآلي في ترجمة ابي المعالي — الشيخ صبحي الصالح — طبعة طرابلس ١٩٥٦

رامز ملك

هو : الشيخ رامز بن محمود بن يوسف بن محمد بن عبد اللطيف البركة الشهير بالملك . ينتمي الى جده الأعلى حسن البركة . ولـد في حي الرمانـة بطرابلس سنة ١٩٠٣ ، ودرس في المدرسة العلمية(١) على الشيخ محيي الدين الخطيب العلوم الشرعية والتفسير والحديث والأصول والفقه والبلاغة والعربية، كما درس على الشيخ وهيب البارودي والشيخ فخر الدين القاوقجي . ولازم الشيخ عبد الكريم عويضه وأخذ عنه اللغة العربية . وأكمل دراسته في سنة ١٩٢٤ ثم تولى الخطابة في جامع « الداكيز » بالميناء(٢). ثم سافر الى الاردن سنة ١٩٢٧ للتعليم في ثانوية مدينة عمان العاصمة وأمضى بها خمس سنوات ، عاد بعدها الى طرابلس ، فأقام سنة واحدة سافر بعدها الى مصر وانتسب الى كلية اصول الدين بالأزهر كمستمع لمدة سنتين في أيام عميدها الشيخ عبد المجيد اللبان . ثم عاد الى طرابلس وتولى امامة مدرسة سبط العطار(٣) لمدة سنتين ، وكذلك تدريس جامع الزعيم المعروف بالمعلّق ، ثم انتقل الى المدرسة الخاتونية ، ومنها الى التدريس في الجامع المنصوري وفي ١١ شباط ١٩٣٩ عيّن مديرا للأيتام في المحكمة الشرعية ، وفي سنة ١٩٥٥ طلب منه مفتي طرابلس السابق الشيخ كاظم الميقاتي رحمه الله ان يتحول الى امانة فتوى طرابلس ، وهو يشغل هذا المنصب منذ ذلك التاريخ . ثم أصبح عضواً في المجلسين العلمي والاداري لأوقاف طرابلس ، وهو الآن نائب لرئيس المجلس الاداري سماحة مفتي طرابلس الشيخ نديم الجسر .

ألّف كتاباً مدرسياً بعنوان « الفقه الحديث من الحديث » . وله ٣ رسائل ، الاولى : رسالة في حل الأوقاف الذرية طبعت بطرابلس سنة ١٣٥٦هـ.

(١) كانت تقع في شارع التل ، ثم تحولت الى مخفر للدرك ، ثم أزيلت وأقيم مكانها بناء يعود ريعه لطلبة القسم الشرعي بدار التربية والتعليم الاسلامية .

(٢) أزيل هذا الجامع بعد حوادث ١٩٥٨ وأقيم مكانه الآن جامع « عمر بن الخطاب » على البحر .

(٣) سيأتي الحديث عنها

وهي من ١٩ صفحة تتضمن ثلاثة مواضيع هي : مشروعية الوقف ، معنى الوقف ، أقسام الوقف . والثانية : نظرة فيما جاء في نقض جمعية العلماء بدمشق ، طبعت في طرابلس سنة ١٣٥٧هـ. وهي من ١٦ صفحة . والثالثة : « راي فضيلة شيخ الأزهر في الأوقاف الذرية » ، طبعت بطرابلس أيضا في سنة ١٣٥٧هـ. وهي من ١٦ صفحة . وكان شيخ الازهر وقتها مصطفى المراغي. وله مقالة في زراعة الأعضاء وحكمها في الاسلام ، ومقالة في الضمان والتأمين في الاسلام ، وقد نشرتا في مجلة الفكر الاسلامي التي تصدر عن دار الفتوى الاسلامية في بيروت . وله رسالة غير مطبوعة في مصطلح الحديث ، وتفسير الجزء التاسع من القرآن ورسالة حول النبي عيسى عليه السلام .

ويعتبر الشيخ رامز ملك الآن أعلم علماء طرابلس على الاطلاق ، ومن أوعية العلم ، مشارك في كثير من العلوم النقلية والعقلية ، يمتاز بقوة الحافظة ، وسعة الاطلاع في الفقه والاصول والحديث ، والأدب والبلاغة ، والتفسير ، والمنطق ، والميراث ، والتوحيد ، والفلك والهندسة والجبر والفلسفة ، متعمّق في الدراسات الفلسفية والانسانية ، كتب رسالة فلسفية وهو في العشرين من عمره تدل على تفوقه في هذا المضمار ، استعرض فيها فلسفات الامم ودياناتها المشهورة ، وهو على اطلاع دائم بالاتجاهات الفلسفية الحديثة . يحفظ متون الكتب وأقوال العلماء وآرائهم ويدلي بدلوه فيها . لطيف في مجلسه ، متواضع في نفسيته ، لا يتكلف في مظهره ، تغلب عليه روح المرح ، حديثه طريف ، يتردد عليه في بيته طلبة العلم للاستفادة من سعة علمه ، ويملك مكتبة عامرة بمختلف المصنفات يرجع اليها كل باحث . وهو الآن مدرّس الجامع المنصوري الكبير ، حيث يعقد حلقته بين وقتي المغرب والعشاء من كل يوم جمعة ، حفظه الله .

المؤقتون في الجامع الكبير والمؤذنون

المؤقتون

في سنة ٧١٥هـ. تم بناء رواقات الجامع الكبير التي أمر ببنائها السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وعلى واجهة الرواقين الشرقي والشمالي نقش مهندس البناء ساعتين شمسيتين لمعرفة أوقات الصلاة من انعكاس ظل الشمس على الخطوط المنقوشة في اللوحتين ، والتي روعي في وضعها موقع المدينة من خطي الطول والعرض ، وطرابلس تقع عند الدرجة ٣٥ من خط الطول ، والدرجة ٣٤ من خط العرض(١). وجاء في منجم العمران انها عند الدرجة ٣٥ والدقيقة ٤٤ و ٢٠ ثانية من الطول الشرقي ، و ٣٤ درجة و ٢٦ دقيقة و ٢٦ ثانية من العرض الشمالي(٢).

وعندما بُني الجامع كانت مهمة التوقيت لمواعيد الأذان ودخول أوقات الصلاة من المهمات الرئيسية التي يُناط بصاحبها مراقبة الأوقات واعطاء الأشارة للمؤذنين لرفع الأذان . اذ كانت بقية مساجد المدينة تقتدي في أذانها بالأذان المنطلق من الجامع الكبير ، وكانت وسيلة الأعلام بدخول الوقت هي رفع العلم على السارية المثبتة في رأس المئذنة .

---

(١) صورة الارض من المدن والجبال والبحار والجزائر والانهار ـ ابن موسى الخوارزمي ـ صححه هانس فون مزيك ـ ص ١٩ ـ طبعة فيينا ١٩٢٦ ـ نشر في بغداد طبعة مصورة ١٩٦٢ ، عجائب الاقاليم السبعة الى نهاية العمارة ـ تصنيف سهراب ـ صححه هانس فون مزيك ـ ص ٢٥ ـ طبعة فيينا ١٩٢٩

(٢) منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان ـ محمد امين الخانجي ـ مطبعة صبيح ـ القاهرة ١٩٠٧ ، ج ٢ ص ٢٩٢ ، دائرة معارف البستاني ـ ج ١١ ص ٢٤٠ ـ مادة طرابلس الشام ـ جرجي يني

وقد تولى مهمة التوقيت في الجامع الكبير منذ بنائه شيوخ عُرفوا بأبناء الميقاتي ، وجدهم الأعلى هو الشيخ محمد الميقاتي الذي عهد اليه بمهمة التوقيت لغزارة علمه وفضله ، وهو دفين مقبرة الجامع . واليه ينتسب الشيخ عبد الحي الميقاتي . وعبد الحي هذا هو والد الشيخ مصطفى الميقاتي الذي وقف مكتبة عظيمة للجامع في سنة ١٠٨٨هـ.

وفي رحلته الى طرابلس ذكر الشيخ النابلسي اثنين من آل الميقاتي هما : الشيخ ابراهيم النقشبندي الميقاتي ، وأخوه الشيخ الامام يحيى الميقاتي(١). وقال ان للشيخ ابراهيم خلوة في الجامع الكبير(٢) .

محمد رشيد الميقاتي

واشتهر من هذه الاسرة الشيخ محمد رشيد الميقاتي الذي وضع له حفيده محمد رشدي كتابا سماه « الأثر الحميد في مناقب الشيخ محمد رشيد » . وترجم له بقوله :

« هو الشيخ محمد رشيد ابن الشيخ مصطفى ابن الشيخ ابي بكر ابن الشيخ ابراهيم ابن الشيخ مصطفى ابن الشيخ عبد الحي وهو آخر ما عثرت عليه على طريق التسلسل ، والا فان انتهاء النسب هو متصل يقينا بدفين المقبرة التي هي في الجامع الكبير وهو الشيخ محمد الميقاتي الذي كان أحضره من مصر المرحوم السلطان قلاوون(٣) الى طرابلس حينما بنى جامعه الكبير فيها سنة ٦٩٣هـ. وعهد اليه بجميع وظائفه لعلمه وشهرته في الفضل اذ ذاك وبالأخص علم التوقيت ، وكان مرجعا فيه لجميع مساجد طرابلس كما كنت أسمع ذلك مراراً من سيادة سيدي العم المرحوم الشيخ علي أفندي وخلافه . وأما ترجمة الشيخ عبد الحي وابنه الشيخ مصطفى المار ذكرهما فانهما قد كانا فيما بين أواخر القرن العاشر وأواسط القرن الحادي عشر ، وقد كان الشيخ مصطفى وقف مكتبة عظمى كانت تتنافس بها طرابلس يومئذ وتفتخر بها على

---

(١) التحفة النابلسية ـ ص ٤٨

(٢) المصدر نفسه ـ ص ٧٢

(٣) ليس هناك ما يؤكد هذا القول اذ ان قلاوون لم يشهد بناء الجامع وقد توفي قبل بنائه باربع سنوات

البلاد المجاورة لها لأهميتها وجسامتها ، وقد عثرت على نفس حجة وقفيتها عيناً وذاتاً وهي عندي اليوم محفوظة بيدي وعليها ختم وامضاء نفس قاضي طرابلس يومئذ السيد عبد الله وامضاء مفتيها بالذات كذلك السيد هبة الله ومفتي زاده السيد محمد افندي وكثير من علماء وموظفي مساجد طرابلس ، وهي تنبيء تاريخياً عن عظم مكانة المومأ اليهما في عصرهما اذ ذاك لوفور احترام القاضي والمفتي لهما وتوقيع امضائهما وأختامهما على ذلك مما يدل عليه ما نقلته منها حرفيا بحرف وذلك انه قد ذكر بعد مقدّمة الخطبة المعتادة فيها ما قاله بها : « ورغب في هذه المثوبة العظمى وقصد الاتصاف بهذه الأوصاف الحسنى العالم العامل والفاضل الكامل مولانا وسيدنا الشيخ مصطفى ابن مولانا وسيدنا الشيخ عبد الحي الميقاتي الامام والخطيب في الجامع المنصوري بطرابلس الشام » « ثم انه بعد ان ذكر وقفية الكتب وبيّن عددها مفصلة فيها وذكر بعض أماكن في طرابلس قد وقفها أيضا على ذريته قال : وجرى ذلك في ختام ذي الحجة الشريفة سنة ١٠٨٨ » (١) .

وعن الشيخ ابي بكر ابن الشيخ ابراهيم فذكر انه كان من أكابر الصالحين ومن العلماء العاملين . وكان معاصرا للعالم الشهير الشيخ عبد اللطيف البغدادي ، الذي كان يتردد عليه في الجامع .

أما الشيخ مصطفى بن ابي بكر فقد ذكر انه كان منقطعاً لخدمة الامامة والتوقيت في الجامع ، وكان فقيهاً كبيراً(٢) .

ووضع الشيخ عبد القادر الرافعي مفتي الديار المصرية ترجمة للشيخ محمد رشيد ، وكان الرافعي سبطاً له ، فذكر ولادته في سنة ١١٩٨هـ. وأنه توفي يوم الثلاثاء ٣ رجب سنة ١٢٨٢هـ.(٣) وممن أخذوا عنه : الشيخ عبد الغني الرافعي المتوفى سنة ١٣٠٨هـ. ، والشيخ محمود نشابه ، والشيخ

(١) الأثر الحميد في مناقب الشيخ محمد رشيد ــ محمد رشدي ــ ص ٨ و ٩ ــ مطبعة البلاغة بطرابلس ١٣٤١هـ.

(٢) المصدر نفسه ــ ص ١٠

(٣) نفسه ــ ص ١١

عبد اللطيف كرامة ، والسيد شريف بك اليكن ، والشيخ مصطفى الميقاتي ، والشيخ عبد القادر نجا ، والشيخ مصطفى كرامة مفتي طرابلس ، والشيخ محمد اعرابي الزيلعي ، والحاج علي الشهال ، والسيد شاكر الملك ، والسيد محمد الحالومي ، والسيد مصطفى سعيد عدره ، وأبو حسن المنلا ، ومحمد سليم الذوق وغيرهم .

ومن مشايخه الشيخ يحيى المسالخي الحلبي(١) حيث لم يكن في ذلك التاريخ من كان متصدرا للتدريس سواه. وكان يلازمه ويسافر معه ويسير حيث سار حتى أتم التحصيل ثم أمره بالاقامة في وطنه آذناً له بالتدريس والافادة(٢) والشيخ عبد الله الدبها الحلبي صاحب مدرسة الدبها قرب جامع السيد عبد الواحد ، وقد تلقى عليه علم الميقات والحساب حتى اشتهر في هذا العلم شهرة تامة وأصبح مرجعا لكل البلاد المجاورة(٣).

خلف بعد وفاته ستة من المشايخ هم : مصطفى وعبد اللطيف وعبد الله رشيد وعلي رشيد ومحيي الدين وخير الدين(٤) . وقد ترك ابن هذا الأخير (محمد بن خير الدين الميقاتي) مولدا سماه « مولد أزكى المخلوقات » . وهو مطبوع في بيروت سنة ١٣٢٦هـ.

وعندما جاء الشيخ القاياتي الى طرابلس سنة ١٣٠٠هـ. كان الشيخ علي رشيد بن محمد رشيد يتولى مهمة التوقيت في الجامع الكبير ، ووصف خلوته في الجامع فقال : « وأعظم خلوة به خلوة الشيخ علي افندي رشيد فيها مكتبة عظيمة وساعات دقاقة لمعرفة الأوقات حيث انه الموقت المعد لاعطاء المؤذنين النداء على أوقات الصلاة ودخولها(٥) .

ويتولى مهمة التوقيت الآن في الجامع الشيخ ناصر الميقاتي ، الى جانب مهمة حفظ الأثر الشريف ، والامامة الثانية في الجامع .

(١) انظر ترجمته في : روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ــ محمد جميل الشطي ــ ص ٢٥٨ و ٢٥٩ ــ طبعة ١٩٤٦

(٢) و (٣) الأثر الحميد ــ ص ٣٠ و ٣١

(٤) تراجم علماء طرابلس ــ ص ٥٦ ــ ٥٨

(٥) نفحة البشام ــ ص ٧٠

المؤذنون

كان بالجامع الكبير ١٢ مؤذناً موزعين على هذا النحو :

مؤذن واحد للفجر الأول ، وكان يعرف بالبارودي .

مؤذن واحد لصلاة الصبح .

تسعة مؤذنين لأوقات الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، كل ثلاثة منهم يؤذنون عشرة ايام من الشهر .

رئيس المؤذنين .

ويجتمع جميع المؤذنين قبل صلاة الجمعة ويصعدون المئذنة للتذكير والتبليغ وأذان الظهر ، ثم يقومون بالتلبية وراء الأمام لاسماع المصلّين في صحن الجامع .

وللمؤذنين في الجامع الكبير وقف يعرف باسم « وقف المؤذنين » ما زال يصرف حتى الآن . ولهذا الوقف عقارات في ساحة الكيال بالتل ، وحوانيت داخل البلد ، وجنينة تعرف باسم « جنينة اللظن » عند برج رأس النهر ، وغيرها .

ومن مؤذني طرابلس لم يصلنا سوى اسم مؤذن في أوائل القرن الحادي عشر الهجري هو « محمد البعلي » ذكره البوريني في كتابه وهو يترجم للشيخ عبد النافع الحموي المتوفى سنة ١٠١٦هـ. وكان المؤذن البعلي من أصحاب عبد النافع ، وكان عبد النافع مطارداً من الامير يوسف بن سيفا والي طرابلس بسبب هجوه له ، وعندما جاء رجال ابن سيفا للقبض عليه فر واختفى ، فما كان منهم الا ان قتلوا صاحبه المؤذن محمد البعلي وصلبوه قريباً من بابه (١) .

وحدثني فضيلة الشيخ نصوح البارودي — وكان مؤذناً للجامع الكبير — ان طرابلس أصيبت بجفاف شديد في أوائل هذا القرن نتج عنه وباء مخيف ، فضج الناس لانحباس المطر ، وعندما طالت مدته صعد المئذنة ٤٠ رجلا كان اسم كل واحد منهم « محمد » ، ورفعوا الأذان لصلاة العصر ، وبعد أداء الفريضة صلّى امام الجامع بالمصلين صلاة الاستسقاء وابتهلوا الى الله ان يسقيهم ، ولم يأت المغرب حتى أمطروا واستسقى الناس .

(١) تراجم الاعيان من أبناء الزمان — البوريني — تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد — ج ٢ ص ٣٤٤ — دمشق ١٩٦٣

ومن أشهر مؤذني الجامع الكبير خلال النصف الأول من القرن الحالي الشيخ علي كباره والد الشيخ ظافر كباره الامام بجامع محمد الامين بأبي سمراء وخطيبه والمدرس بجامع ظهر المغر ، والشيخ محمد صلاح الدين كباره الحافظ للقرآن الكريم وشيخ القراء ، والسيد برهان كباره الخطاط المعروف والخبير المحلف لدى الدولة ، والشيخ علاء الدين كباره الامام بمدرسة القاضي أوغلي.

كان الشيخ علي يمتاز بصوته القوي الذي كان يُسمع من مسافات بعيدة ، مع حلاوة وعذوبة ، وكان قارئا للمولد النبوي الشريف ، ودعاء نصف شعبان في جامع محمود بك السنجق ، وتوفي في ٨ تموز سنة ١٩٤١ وخلفه في الأذان ابنه السيد برهان كباره .

وليس للجامع الآن سوى مؤذنين هما : السيد صديق بربور ، الحافظ للقرآن الكريم ، والسيد واثق شربجي .

غرفة الاثر الشريف

في سنة ١٣٠٨هـ. تم تجديد بناء جامع الحميدي المعروف قديما بجامع التفاحي ، والذي يعرف الآن بجامع حميدي البلد . وليجري الاحتفال بافتتاح الجامع بعد تجديده ، طلب مسلمو طرابلس من السلطان العثماني « عبد الحميد » أن يأذن لهم بذلك ويصدر براءة بتعيين خطيب للجامع ، فاغتنم السلطان هذه الفرصة وأهدى أهل طرابلس شعرتين من أثر الرسول صلى الله عليه وسلم تقديرا لولائهم للدولة العلية ، ووضعت الشعرتان في علبة من الذهب الخالص وأرسلت مع أحد الباشوات في فرقاطة خاصة ، وعندما وصلت الى الميناء خرج أهالي المدينة ، من مسلمين ومسيحيين لاستقبالها ، وكانت فرحة عمّت المدينة بأسرها ، وعندما نزل الباشا العثماني حاملا العلبة ، تناولها منه الشيخ حسين الجسر رحمه الله ووضعها على رأسه وحملها الى الجامع الكبير .

وكان الأثر الشريف مُهدى في الأصل ليوضع في جامع الحميدي ، ولكن الشيخ علي رشيد الميقاتي أقنع رجالات البلد بأن يوضع الأثر الشريف في الجامع المنصوري الكبير ، لكونه أكبر مساجد المدينة ، ولكون جامع الحميدي بظاهر البلد في ذلك الوقت . وهكذا شهد الجامع المنصوري احتفالا كبيرا حضره

الآلاف من المسلمين الذين تقاطروا من أنحاء طرابلس للتبرك برؤية الأثر الشريف وتقبيله ، وظلت شوارع طرابلس مزينة لمدة سبعة أيام ، والموالد تقرأ في المآذن والبيوت احتفالا بهذه الهدية الشريفة .

وقد بنيت في الجهة الجنوبية من الرواق الغربي غرفة (٧،٣٠ x ٤،٣٠م) . عرفت بغرفة الأثر . يجلس فيها القراء والحفظة ويتلون القرآن الكريم بعد صلاة العصر طوال أيام شهر رمضان المبارك من كل عام ، ويختمونه في اليوم التاسع والعشرون منه .

ومن قراء غرفة الأثر الشريف : الشيخ محمد بارودي المتوفى سنة ١٣٤٥هـ. والشيخ الحافظ الحلاق ، والشيخ محمود الصائغ الذي عيّن عوضا عن الشيخ عبد الله بك الشريف في ١١ آب ١٩٤١ ، والشيخ المقريء محمد صلاح الدين كباره ، وقد شاركت في القراءة مدة خمس سنوات حسبة لله تعالى كانت آخرها سنة ١٩٧٢ .

ويحتفل بزيارة الأثر الشريف الآن مرتان في السنة ، وذلك خلال شهر رمضان المبارك ، الاولى عقب صلاة يوم الجمعة الأخير من الشهر ، والثانية بعد صلاة الصبح من اليوم السابع والعشرون منه ، حيث يصادف ليلة القدر ، ويجري الاحتفال بحضور مفتي المدينة .

وفي هذه الغرفة يجري الاحتفال بعد صلاة عيد الفطر السعيد وعيد الأضحى المبارك بارتداء خطيب الجامع الخلعة التي تقدمها بلدية طرابلس ، بحضور سماحة المفتي ، ورئيس البلدية ، ومحافظ المدينة أو نائبه .

وفي غرفة الأثر الآن ساعات كبيرة تسير على التوقيتين الشرقي والغربي لمعرفة أوقات الأذان .

وفي الجهة الشمالية من الجامع اقيمت صالة كبيرة تعرف ببهو الجامع الكبير ، بناها مفتي طرابلس السابق الشيخ كاظم الميقاتي رحمه الله ، للاحتفالات الدينية ، والاعياد والمناسبات ، والمحاضرات ، وحبذا لو أقيمت فيها مكتبة اسلامية تكون مكتبة الجامع التاريخية نواتها فتحفظ لهذه المدينة تراثها .

الفصل الثالث

« ٢ »

جامـع التوبـة

تاريخ بناء الجامع

يقع في محلة الدباغة ، على الضفة اليسرى من النهر حيث كان الجسر الجديد المعروف بجسر « اللحّامة » (بائعي اللحم) ، بجوار خان العسكر .

ُبني هذا الجامع بأمر من سلطان دولة المماليك(١) ونحن وان كنا لا نملك نصاً صريحاً بذلك فاننا نستطيع أن نؤكد أن الجامع تم بناؤه بأمر من الناصر محمد بن قلاوون . وقد مرّ أن الناصر محمد تولى الحكم ثلاث مرات ، الاولى (٦٩٣ — ٦٩٤) والثانية (٦٩٨ — ٧٠٨) والثالثة (٧٠٩ — ٧٤١هـ.). ومن المرجّح ان البناء تم خلال سلطنته الثالثة والأخيرة (٧٠٩ — ٧٤١) ويُحتمل أن يكون مهندس البناء هو نفس المهندس الذي قام ببناء رواقات الجامع الكبير للشبه الكبير بين الجامعين(٢) .

---

(١) جاء في تقرير بعثة اليونسكو الى لبنان سنة ١٩٥٣ ان هذا الجامع يرجع الى العصر العثماني . انظر في ذلك بحثا بعنوان « الآثار في طرابلس » ، نشرته مجلة « التراث والغد » .

Les Monuments de Tripoli - P. 19 - Bulletin Patrimoine et Lendemains - Beyrouth, Liban 1963

(٢) لم يفرد الدكتور السيد عبد العزيز سالم لهذا الجامع دراسة مفصلة كغيره من مساجد المماليك في طرابلس ، ولكنه أشار اليه في هامش كتابه (ص ٤١٧) وذكر انه أقيم في عصر دولة المماليك اذ ان نظام بنائه يشبه نظام بناء الجامع الكبير ، ثم وصفه بقوله : انه يمتاز بقبته المفصصة وبكتاباته الاثرية التي ترجع الى عهد المؤيد شيخ المحمودي .

وجامع التوبة هو الجامع الثاني الذي بُني بأمر من سلطان المماليك بعد الجامع المنصوري الكبير . أما بقية الجوامع والمدارس بطرابلس فقد بُنيت كلها على يد نواب السلطنة أو الأمراء أو الأثرياء من المسلمين .

والذي يجعلنا نؤكد القول بأن الجامع بُني بأمر سلطاني هو ما أورده القلقشندي من نص خطبة توجيه وظيفة الخطابة بالجامع ، اذ ان القلقشندي لم يذكر في كتابه سوى نص مرسوم خطيب ومحدّث الجامع المنصوري الكبير ، ونص مرسوم خطيب جامع التوبة فقط . مما يدلّ دلالة واضحة على ان هذا الجامع مثل الجامع الكبير بُني بأمر من السلطان ، ولذا كان تعيين الخطيب للجامعين يصدر بمرسوم من قبل نائب السلطنة بطرابلس .

وكما دُعي الجامع الكبير باسم « المنصوري » نسبة الى المنصور قلاوون ، فقد دُعي جامع التوبة بالجامع « الناصري » نسبة الى الناصر محمد بن قلاوون ، وقد نُسي هذا الاسم وظل اسم التوبة هو المشهور . وقد ذكر القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ. وهو يورد نص مرسوم تعيين خطيب لهذا الجامع فقال انه « الجامع الناصري المعروف بجامع التوبة »(١).

ومن مراجعة ألقاب سلاطين دولة المماليك نجد أن ثلاثة منهم لقّبوا بالناصر وهم : محمد بن قلاوون ، حسن بن محمد قلاوون ، وفرج ابن الظاهر برقوق .

والذي يجعلنا نؤكد ان الناصر محمد بن قلاوون هو الآمر ببناء الجامع الناصري — التوبة ، ما نخلص اليه بعد اجراء التحقيق التاريخي .

فمن السلاطين الملقّبين بالناصر يخرج الناصر فرج بن برقوق ، اذ انه تولى مقاليد حكم دولة المماليك في سنة ٨٠٢هـ. وهذا بطبيعة الحال بعد بناء الجامع بمدة طويلة ، وعلى هذا تسقط نسبته اليه .

ويبقى الناصران : محمد وابنه حسن .
وقد تولى الناصر حسن بن محمد الحكم مرتين : الاولى (٧٤٨ — ٧٥٠هـ.)

---
(١) صبح الاعشى — ج ١٢ ص ٤٧٤

والثانية (٧٥٥ — ٧٦٢) وفي حكمه للمرة الاولى كان صغيراً لا يتجاوز أحد عشر عاماً ، وهذا يُسقط احتمال أمره ببناء الجامع في ذلك السن .

أما في فترة حكمه الثانية فكان قد جاوز سن البلوغ وقام ببناء جامع كبير بالقاهرة يشتهر حتى الآن باسمه .
ونحن لا نظن ان جامع التوبة بُني في عهده لعدة حقائق :

أولها : ان القلقشندي يورد اسم أحد خطباء الجامع وهو « صدر الدين الخابوري » . وهذا توفي في سنة ٧٦٩هـ. وجاء في نص المرسوم الصادر بتعيينه في هذه المهمة ما يلي :

« لقد أصبح شمل هذا الجامع بهذا الفاضل الذي طال ارتقابه له جامعاً ، وأمسى وقد ظفرت يمناه من اليمن والبركة بما لم يكن شيء منه في هذه الايام طامعاً » .

ومن مراجعتنا للفقرة المذكورة نستشف ان الجامع كان مبنياً قبل توجيه مهمة الخطابة على الخطيب المذكور بمدة طويلة .

ثانيها : ان نظام بناء الجامع ، وخصوصاً بناء الحرم ، هو شديد الشبه بحرم الجامع المنصوري الكبير ، وهذا ما يجعلنا نميل الى احتمال ان يكون المهندس واحدا للجامعين .

ثالثها : ان أوقاف جامع التوبة مشتركة مع أوقاف الجامع الكبير ، وهذا مثبت في السجلات الوقفية .

وبما ان الجامع المنصوري تم بناؤه في سنة ٦٩٣هـ. في عهد الناصر محمد ابن قلاوون ، ووُقفت له الاوقاف في عهده ، ولكون جامع التوبة يشترك في أوقافه مع أوقاف الجامع الكبير ، فان المرجّح أن الجامع بُني في عهد الناصر محمد .

رابعها : ان رواقات الجامع الكبير تم بناؤها في سنة ٧١٥هـ. بأمر من السلطان الناصر محمد ، ومن المحتمل ان جامع التوبة بني في هذا التاريخ تقريباً . وهناك قول يذكره كبار السنّ لا نعرف مدى صحته وان كنا لا نستطيع ان نُنقص من أهمية القول المتواتر الذي يُبنى على شيء من الحقيقة غالبا .

يقول بعضهم : ان الذي أوكل اليه أمر بناء الجامع المنصوري الكبير اختلس من أموال الجامع ولذا جاء خاليا من الزخرفة ، وعندما اكتشف أمره تعهّد للسلطان ببناء جامع آخر ، وبُني هذا الجامع المعروف بالتوبة فجاء على شكل الجامع الكبير . وربما سُميّ بالتوبة لان بانيه كان قد تاب بعد ان اختلس من أموال بناء الجامع الكبير . ومن هنا يتضح لنا قول القلقشندي بأنه « الجامع الناصري المعروف بجامع التوبة » . وهذا يعني ان تسميته بالناصري لم تستمر طويلا اذ غلب عليه اسم « التوبة » في وقت مبكّر .

ومن المرجح ان الجامع كان يحتفظ في أحد جنباته بلوحة تاريخية تثبت تاريخه واسم السلطان الذي أمر ببنائه على غرار ما في جوامع طرابلس الاخرى، ولكن هذه اللوحة ذهبت على الارجح في أحد الفيضانات التي تعرض لها هذا الجامع بسبب وقوعه على النهر .

الفيضانات والجامع

قد يكون أول فيضان تعرّض له جامع التوبة في سنة ٧٤٥هـ. اذ حدث في هذه السنة ان فاضت مياه النهر وأحدثت تخريباً واسعاً وقتلت كثيراً من الناس. وكان من بين ضحايا هذا الفيضان ناظر الجيش بطرابلس وأخوه موقع الدّست بها(١). وهما ابنا صاحب ديوان الانشاء بطرابلس وكاتب سرّها القاضي تاج الدين البارنباري المتوفى سنة ٧٥٦هـ.

قال الصفدي في ترجمة البارنباري : « وفي سنة ٧٤٥ كان في الشتا نايماً هو وأولاده فجاء سيل عظيم ، وكانت داره على النهر ، وكان للسيل ضجّة من الناس وضوضاء ، فقام من فراشه ليعلم ما الخبر ، وعاد فلم يجد لا داراً ولا سكاناً ، وراح البيت وولداه ، وأحدهما موقع ، والآخر ناظر الجيش ، وجميع ما في البيت الى البحر ، وانتبه الناس لهذه المصيبة العظمى ، وركب النايب وتوجهوا الى البحر ، الى ان طلع الضوء وقذف الموج ولديه وهما ميتان فأخذوهما ، وعمّر لهما تربة عظيمة هناك ، وصدّعت واقعته قلوب الناس في الشام ومصر ، وأما هو فانه داخلهُ هلع عظيم ، واختلط عقله ، وبعث الى مصر يسأل الاعفاء والاقالة »(٢) .

---

(١) و (٢) المختصر — ج ٤ ص ١٤٣ ، الوافي بالوفيات — ج ١ ص ٢٤٩ ، أعيان القصر — ج ٦ ق ٢ ص ٣١٣ الدرر — ج ٥ ص ٣١٥ ، النجوم — ج ١٠ ص ٣٢٠ ، السلوك — ج ٣ ق ١ ص ٢٣

وذكر ابو الفداء ان الفيضان حدث في شهر رمضان من سنة ٧٤٥ هـ. ووصف ذلك الفيضان بالسيل العظيم وقال انه هلك فيه خلق .

وفي سنة ٩٠٩هـ./١٥٠٣م. حدث سيل عظيم وفاض نهر طرابلس وخرب المساكن والحوانيت وكان السيل عاما في بلاد الشام . وأتى ابن سباط على ذكر هذا السيل فقال : « وفي هذه السنة جاء سيل عظيم ومطر عمّ الاقطار ، واستمرت الامطار نحواً من ٢٧ يوماً من ذلك خمسة أيام بلياليها لم يُر فيها شمس ولا قمر ، وزادت الانهار زيادة عظيمة ، وأخذ نهر دمشق المسمى بردى كثيراً من البيوت وهلك جماعة كثيرة من الغرق ، وكذلك الدوابّ ، وهدمت البيوت والحوانيت ، وكذلك العاصي نهر حماه أخرب كثيرا من النواعير والبساتين بحماه وحمص ، وزاد نهر البقاع زيادة عظيمة وأخذ كثيرا من العمائر التي بقربه ، وأهلك كثيراً من الدوابّ والمواشي ، وذهب بجسر القرعون ، وكان من الحجر المتين العالي وكذلك نهر طرابلس أخرب المساكن والحوانيت وغير ذلك ، وزاد نهر صيدا المسمى نهر الفريديس وذهب بكثير من الاشجار .. »(١).

وجاء في تاريخ الامير حيدر الشهابي ان نهر طرابلس أخرب بنايات كثيرة من المدينة ، وهدم بيوتا كثيرة من القرى لزيادة المطر (٢) .

وفي سنة ١١٦٢هـ./٤٨—١٧٤٩م. فاض نهر طرابلس وخرّب البيوت وقتل الناس ، وجاء عن هذا الفيضان في الاوراق اللبنانية ما يلي : « فاض نهر طرابلس في ثلاثة أيام خلت من شهر ربيع الاول وهو شباط الرومي سنة١١٦٢هـ. وكان فيضانه مع الفجر صبيحة نهار الجمعة ، وقتل خلقاً كثيراً ، وخرّب بيوتاً كثيرة . وعلا فوق الجسرين مقدار اثني عشر ذراعا حتى غطّى جميع الطواحين، ما بقي باين منهم أثر ، ولو ما أدرك العالم لطف من الباري جلّ وعلا والاّ كان أهلكهم بفيضه » (٣).

---

(١) تاريخ ابن سباط — حمزه بن سباط — ج ٢ ص ٢٠٠أ — نسخة مصورة محفوظة بمكتبة الجامعة الامريكية ببيروت عن نسخة الفاتيكان — رقم (11 3 TA 956.9) رمز (MS)

(٢) نزهة الزمان في تاريخ جبل لبنان — الامير حيدر الشهابي — ج ١ ص ٥٥٥ — طبعة مصر ١٩٠٠ ، تاريخ الطائفة المارونية — اسطفان الدويهي — ج ١ ص ١٤٤

(٣) مجلة أوراق لبنانية — يوسف ابراهيم يزبك — ج ١ — ص ٣٠ — السنة الثانية،كانون الثاني١٩٥٦

وبعد مرور ما يقرب من قرن حدث فيضان آخر ، ننقل هنا هذا النص الذي كتبه أحد شهود العيان باللغة العامية :

« يوم الاثنين في ٦ رمضان سنة ٥٨(١) الواقع في ٢٨ ايلول ١٨٤٢(٢) الساعة تسعة من النهار فاض النهر ابو علي ، وعلى (علا) الما (ء) فوق الجسر ووصل لباب الحديد ، وعدم كامل السويقة والمسلخ وسوق الحراج والملاحة ، ووصل لمحل حارة النصاره بزخم قوي جداً ، وعلى (علا) في الاسواق فوق الدكاكين حتى لا عاد يظهر في محلات السقف . وبعض محلات على الهز هدمها بأصحابها وكامل ما بها . كذلك جاب (جلب) أبقار وخيل وحمير وجمال كثيرة ودلب وحور كل شجرة قد حارة كبيرة . وغرق رجال ونسا وأولاد بالاسواق وماتوا . وحكم (تقريبا) ثلث البلد خربت . راح كامل ما هو موجود بمحلات المتقاربة للما (ء) من أثاث ونحاس وفرش ولحف ومونة وسيفة (مصاغ) ودراهم شي يبلغ ثلاثة آلاف كيس . هذا من داخل البلد .

والذي خارج البلد من بساتين وجنينات وطواحين شي ينوف عن الفين كيس . وأخذ من ... نسا ورجال وأولاد . ومات حكم ماية حرمة (امرأة) من الرعب ، حيث هذا الامر غريب بأيامنا . وعلى (علا) فوق الجسر الما (ء) لقامة . وكل ذلك حكم نصف ساعة . ولولا الله ما درك الخلق كانت هلكت الناس بالما(ء) . ولكن لحد الساعة عشرة همد النهر ورجع لاصله . والما (ء) الذي اجا (جاء) مثل ما (ء) الطين أسود تقيل جداً ، وعناية المولا (المولى) لطف بالخلق . فلو استقام الفيضة بزيادة ربع ساعة راحت تلتين البلد . ولو كانت بالليل كان الامر كذلك . ولكن المولا قدر ولطف بالخلق ولولا قدرة الله اعاننا لكانت أنفسنا هلكت مع بقيت (بقية) الناس . ولله الحمد على كل حال الآن والى أبد الدهر آمين »(٣) .

---

(١) مجلة أوراق لبنانية — العدد السابق نفسه — ص ٤٢ — سنة ١٢٥٨هـ. — انظر الهامش

(٢) سنة ١٨٤٢م.

(٣) ص ٤٢ و ٤٣

وفي نهاية سنة ١٩٥٥ أصيبت طرابلس بكارثة الفيضان في مساء ١٧ كانون الاول ذهب فيه عشرات القتلى من الرجال والنساء والاطفال . فقد انهمر المطر بشدة وقت المغرب وتضخمت كمية المياه المتدفقة في النهر بفعل الامطار الغزيرة، وجرفت مياه النهر معها وهي في انحدارها من الجبال الاشجار والاحجار ، وارتطمت الاشجار ذات الجذوع الضخمة بالقناطر القديمة المعروفة بـ « قناطر البرنس » ، فاحتقنت المياه عندها بعد أن سُدت المنافذ بالاشجار والاوساخ ، وأزاء ضغط المياه الشديد تحطّمت بعض القناطر وتدفقت المياه بقوة لتجرف ما يصادفها من أشجار وبيوت خشبية حيث ارتطمت بجسر السويقة القديم ، واحتقنت المياه عنده من جديد وعلا منسوب المياه فطافت على البيوت الواقعة على ضفتي النهر ، ودخلت تكية المولوية ، وغمرت الطواحين المنتشرة على الجانبين ودخلت حرم الجامع البرطاسي والمحلات القريبة منه ، والبيمارستان القائم أمامه ، ودخلت المدرسة البتركية وقناطر (باكية) غانم ، حتى ارتفعت الى محلة باب الحديد ، وهدمت قسماً من جسر السويقة ، كما هدمت الجسر الجديد (اللحامة) ، ودخلت المياه جامع التوبة وغمرته ، كما غمرت مسجد الدباغين ، والمدارس القريبة من المسلخ ، وكذلك خان المنزل وحمّام الحاجب والمدرسة الزريقية ، وحمّام العطار ومدرسة سبط العطار ، والمدرسة الجليلانية ، ومدرسة النسر بن عجبور ، وسوق حراج ، وحمّام النزهة ، وجميع البيوت والمحلات الواقعة على جانبي النهر ، وسارت المياه المتدفقة بين دروب المدينة القديمة وأسواقها حتى وصلت حارة النصارى ومحلة الزهرية ، وجرفت معها كثيراً من جثث القتلى وأثاث البيوت من أسرّة وفرش وأدوات وأواني ، وحملت الحاجيات من المحلات ، ودب الذعر في نفوس الاهالي ، وارتفع الصراخ ونداءات الاستغاثة من الذين حاصرتهم المياه ورفعتهم الى أسقف بيوتهم ومحلاتهم ، وارتطمت الجثث بالاشجار التي بقيت منتصبة بظاهر طرابلس شمالي النهر قريباً من البحر ، وعلقت بها ومنها ما تقاذفته أمواج البحر مع الاثاث ، وتحوّلت مياه البحر الى اللون الاحمر الداكن من الطين الذي جرفه النهر ، وضربت أمواج البحر الجثث الى جون عكار ، ومنها ما وصل الى طرطوس .

وعن هذا الفيضان كتب العالم والشاعر الكبير سماحة الشيخ نديم الجسر قصيدة عصماء أتى فيها بالوصف الدقيق لهذا الفيضان المروّع وهي :

تزول وتنقضي غصص الليالي   وغصتك الاليمة لا تزول
بلغت من الاذاة « ابا علي »(١)   حدود الحقد يسعفه الغليل
بجيران بواديك استكانوا   وعن مرعى ضفافك لم يميلوا
فهل كنا الالى قتلوا عليا   فطل دماءنا ذاك القتيل ؟
ونحن على محبته نشأنا   ولسنا عن مودته نحول
بشيعته « بني عمار »(٢) سدنا   وساد المجد والكرم الاصيل
فغنتهم وغنتنا الليالي   مدائح في النجوم لها هديل
يعدد سيد الشعراء فيها   مكارم(٣) قصرت عنها الفحول
بها حسد السماء(٤) الارض دهرا   فمج سمومه الحسد القتول
بكتنا وهي تقتلنا حنوا   وابكت وهي من عطف تسيل
وبعض الغيث يهلك ان تمادى   وبعض الوبل مرتعه وبيل

* * *

توارت قبل موعدها وغمت   علينا الشمس فاسود الاصيل
كأن الشمس أبصرت الرزايا   وراء الغيث غادرة تغول
ففرت لا ترى جثث الضحايا   مبعثرة تكفنها الوحول
على الاطلال في بلد امين   يلوذ بظل نعمته النزيل
فيحبسه الجمال عن ارتحال   ويأسره اذا ارتحل الجميل
وجلجلت الرعود كأن برجا   تقوض في السماء له صليل
وفتحت السماء كأن سدا   تفجر في جوانبها يسيل
وزمجرت الرياح كأن أسدا   وغيلانا بمأسدة تصول
وجاءت ظلمة لو سار فيها   شعاع الشمس ضل به السبيل

* * *

(١) نهر (ابو علي) الذي أغرق فيضانه المدينة

(٢) سبق الحديث عنهم في ص ٥ من الكتاب

(٣) و (٤) اشارة الى قصيدة المتنبي الشهيرة التي يقول فيها :

اكارم حسد الارض السماء بهم   وقصرت كل مصر عن طرابلس

التي يمتدح بها عبيد الله بن خراسان الطرابلسي

واقبل من « فم الميزاب »(٥) سيل   جذوع الارز في فمه تجول
يحط جلامدا ما كان فيها   لغير النسر مرقى أو نزول
ويدفعها كأن الصخر أمسى   غثاء يستخف به الحميل
فضاق بها من الوادي خناق   وغص بها من الشعب المسيل
وطم الماء حتى عاد سدا   مهولا دونه (العرم) المهيل
ولما حم امر الله دكت   « قناطره »(٦) وزلزت الاصول
فاهوى السيل ينقض انقضاضا   كأن صواعقا فيه تسيل
فيجتاح الجنان وما عليها   فتغدو صفصفا فيها الحقول
ويجترف البهائم في خضم   به الثيران تطفو والخيول
ويكتسح الجسور بما اقلت   فلا تبقى لها الا طلول
ويقتلع البيوت بما اظلت   ويبتلع العيال ومن يعول ...

* * *

ورددت الضفاف صدى ضجيج   تلاقى بالخوار به الصهيل
وانصتت السفوح الى عجيج   به اختلط التفجع والعويل
فلا ندري ايوم البعث وافى   ام انعكست على الفلك السبيل

* * *

وحار الناس في تعليل رزء   تتيه بسر حكمته العقول
وكادوا في الضلالة ان يهيموا   وكادوا في الغواية ان يجولوا
وكادوا في العناية ان يشكوا   وكادوا في المقدر ان يقولوا ...
وما كان الذي ذقناه بدعا   ولا شيئا يعز له المثيل
وما هي قسوة الاقدار لكن   هو الاهمال منا والخمول :
جوار النهر والسلطان مغفى   ينام بظله الخطر المهول
فلا تدري متى تأتي المنايا   ولا تدري متى تطغى السيول(٧)

* * *

(٥) فم الميزاب قمة فوق الارز مباشرة وهي أعلى قمة في لبنان بعد (ظهر القضيب) كما لا يخفى

(٦) اشارة الى (قناطر البرنس) التي احتقن أمامها السيل ثم انهارت فكانت الكارثة .

(٧) جريدة الجريدة — العدد ٩٦١ — بيروت ١٩ شباط (فبراير) ١٩٥٦

وصف الجامع

يقوم بناء الجامع فوق حفرة منخفضة عن مستوى الارض المحيطة بـه ببضعة أمتار . اذ ينزل اليه بالدرج من البابين الشرقي ، والشمالي .

وللجامع بابان ، شرقي وشمالي ، والشرقي هو الباب الرئيسي ، وهـو يفضي الى ممر جنوبي الجامع بمحاذاة الحرم ، تقوم فوقه قبة صغيرة مفصّصة شرقي المئذنة . ويتصل هذا الممر بفناء الجامع . وفي نهاية الممر يوجد على الجدار المواجه للباب لوحة نقش عليها نص مرسوم أصدره السلطان الملك المؤيّد شيخ المحمودي سنة ٨١٧هـ. وهو نفس المرسوم المنقوش فوق الباب الموصل الى حرم الجامع المنصوري الكبير . غير ان النص الموجود في جامع التوبة لا يحمل تاريخا لكتابته ، وهو هنا في أربعة أسطر على النحو التالي :

« س١ الحمد لله رسم بالامر العالي السلطاني الملكي المؤيدي ابي النصر شيخ أعلاه س٢ الله تعالى وشرّفه وأنفذه وصرّفه بابطال المظالم المحدثات على أهل طرابلس من التحجير على س٣ قوت العباد من القمح واللحم والخبز والطرح وغير ذالك(١) بحيث لا يعود . ويبطل ذلك س٤ جميعه في هذه الايام الزاهرة خلد الله سلطانها ودام(٢) قدرته على المسلمين » .

وقد مرت ترجمة شيخ المحمودي عندما أوردت هذا المرسوم في موضعه من الحديث عن الجامع المنصوري الكبير . فليراجع هناك .

يُفضي الممرّ كما قلنا الى فناء الجامع الذي يحيط به رواقان من الجنوب والغرب يقومان على عضاضات ضخمة تتشكل منها عقود وقناطر . وفي الزاوية الواقعة بين الرواقين تنتصب مئذنة الجامع السداسية الشكل والمبنية بالحجارة الرملية ، وفي أعلاها يقوم برج مستطيل ، اذ ان واجهتيه الشمالية والجنوبية أكثر اتساعاً من الواجهتين الأخريين ، وفي كل واجهة نافذتان . وقد رمم هذا

(١) هكذا في الاصل

(٢) هكذا في الاصل ، وصحتها (أدام)

القسم منذ سنوات قليلة . وفي أعلى البرج يقوم اسطوان يغطّيه سقف يشبه المظلة مثمنة الأضلاع وفوقها قمع المئذنة النهائي .

وفي أعلى واجهة الرواق الغربي توجد لوحة نقشت عليها خطوط متوازية تشكل ساعة شمسية شبيهة بالساعة الشمسية الموجودة على واجهة الرواق الشمالي في الجامع المنصوري الكبير . غير أن الساعة في جامع التوبة لا تبدو الا لمن دقق النظر فيها ، وهي لتحديد وقت الشروق والظهر والعصر فقط .

وفي وسط الفناء يقوم اسطوان من ٤ قناطر على ٤ أعمدة تعلوها قبة شبيهة بالقبة التي في صحن الجامع الكبير . والقنطرتان الشمالية والجنوبية أكثر اتساعاً من القنطرتين الآخريين ، وتتفق بذلك مع برج المئذنة .

وتحت قبة هذا البناء كانت تقوم بركة رخامية لها نافورة في وسطهـا يتوضأ منها الناس ، وقد أزيلت في عهد قريب .

وفي الزاوية الشمالية الغربية من الفناء تقوم مدرسة قديمة متهدّمة لها باب في الجهة الشرقية ينفتح على فناء الجامع ، وباب شمالي خارج الجامع . وقد تهدّم سقف المدرسة بعد فيضان ١٩٥٥ حيث أراد القائمون على تحقيق مشروع تقويم مجرى النهر أن يزيلوا الجامع والمدرسة من مكانهما ، وكذلـك جامع البرطاسي ، ولكن مفتي طرابلس السابق الشيخ كاظم الميقاتي رحمه الله ، تصدّى لتلك المحاولات بعد ان كان بُوشر في هدم سقف المدرسة .

وبجوار المدرسة يقوم الباب الثاني للجامع ، وهو يُفضي الى الفناء ايضا ، وتقوم فوقه قبّة مضلّعة ترتكز على قنطرة تنفتح على فناء الجامع ، وتستند في الجهة الشرقية على الجدار الغربي للحرم ، وفي الغرب على جـدار المدرسة الشرقي .

وعلى يسار الداخل من الباب الشمالي توجد لوحةبرونزية(١) نقش عليها سبعة أسطر بالخط النسخي العثماني . وفي أسفل الكتابة يوجد خط متعرج تتدلى منه

(1) Sobernheim - P. 134

زخرفة تشبه القنابل . ويقول المستشرق سوبرنهايم ان هذه اللوحة هي اللوحة البرونزية الوحيدة من بين لوحات طرابلس الكتابية التاريخية .

والكتابة المنقوشة في هذه اللوحة تؤرخ لفيضان النهر الذي أصاب الجامع يوم ١٦ ذي القعدة سنة ١٠٢٠هـ. وتسبب في هدم جداره ومنبره ومحرابه وسبيل مائه . وتجديد بناء ما تهدّم في السنة التالية ١٠٢١هـ. أيام ولاية الامير حسين بن يوسف سيفا وهذا نصها :

س١ « الحمد لله الذي منّ على عبده من جزيل(١) فيض فضله ويسّر هذا الخير على يده وهداه الى العمل بقوله س٢ سبحانه وتعالى انّما يعمرُ مساجد الله من آمن بالله(٢) فجدّ(٣) وجدّد هذ(٤) الجامع الشريف حسبة(٥) س٣ لوجه الله الكريم بعد هدم جداره ومنبره ومحرابه وسبيل مائه من الفيضة الكبرى في سادس عشر س٤ شهر ذي القعدة سنة عشرين بعد ألف . الواثق بالملك البـــاري أحمد بن محمـــد الشربداري(٦) الانصاري كتخداي(٧) س٥ حضرت(٨) حسين باشا ابن يوسف باشا السيفي أمـــير الامراء بطرابلس(٩) أيّد الله تعالى س٦ الدولة والسعادة عليهم وعفا عنهم وعن المسلمين اجمعين آمين . وتم بنايه(١٠) س٧ في شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وألـــف ُختمت بالخير » .

---

(١) عند سوبرنهايم (جريان) والصحيح كما أثبتناها

(٢) قرآن كريم — سورة التوبة — الآية رقم ١٨

(٣) عند سوبرنهايم (فحل) ، والصحيح كما أثبتناها

(٤) هكذا في الاصل بدون الالف

(٥) اسقط سوبرنهايم كلمة (حسبة) من النص

(٦) لم أقف على ترجمة له

(٧) ناظر أو مشرف

(٨) هكذا في الاصل

(٩) كانت تكتب هكذا في معظم المصادر التاريخية العثمانية

(١٠) هكذا في الاصل

ترجمة الامير حسين بن يوسف السيفي

هو أمير طرابلس وكافلها في حياة والده يوسف باشا سيفا(١) ثم ُعزل عنها ثم ولي كفالة الرها ثم تركها من غير عزل . وقدم حلب وكافلها محمد باشا قره قاش فحضر الامير حسين مسلّما عليه فأكرمه واحترمه ثم دعاه الى وليمة فجاء مع جماعة قليلة فاحتاطت به جماعة قره قاش وأمرهم استاذهم بالقبض عليه فمسكوه ورفعوه الى القلعة مسجوناً ووضع في مسجد المقام يحتاط بــه الحرّاس فبعث قره قاش الى السلطان يخبره بذلك ، وبلغ والده الخبر فبعث جماعته ووعد السلطان بمائة ألف قرش ان عفا عنه ، فلم يجبه الى ذلك ، وبعث أمراً بقتله ، فجاء الجلاّد ، فقال بقلب جريء وجنان قوي : أيليق ان أكون من الباشوات ويقتلني الجلاّد ؟ ثم انه أشار الى رجل معظم من أتباع قره قاش ان يقتله ، وقال له : اصبر عليّ حتى أكتب مكتوباً الى والدي وأوصيه بعض وصايا ، فكتب ورقة أوصاه بأولاده وعزّاه في نفسه ، ثم صلّى ركعتين واستغفر الله وقال : ربّ اني ظلمت نفسي وعملت سوءاً بجهالة فتب عليّ انك انـــت التواب الرحيم . ووضع محرمته في عنقه وأمر ذلك الرجل بخنقه فخنقه . وبكى

---

(١) هو أول باشا على طرابلس في العصر العثماني تولاها سنة ١٥٧٩م. واستمر عليها ٤٥ عاما . وكان حكمه متقطعا بسبب المنازعات المستمرة بينه وبين الامير فخر الدين المعني الثاني . توفي في ٢٠ تموز سنة ١٦٢٤ وكان شيخا طاعنا في السن . كان شجاعا كريما يقرب اليه الشعراء . انظر عنه : خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر — محمد المحبي — ج ٣ ص ١٣٥ وما بعدها — المطبعة الوهبية — مصر ١٢٨٥هـ. ، تراجم الاعيان من ابناء الزمان — الحسن البوريني — ج ١ ص ٢٢٨ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد — دمشق ١٩٥٩ ، والجزء الثاني منه — ص ٢٧٢ وما بعدها — دمشق ١٩٦٣ ، نزهة الزمان — الشهابي — ج ١ ، اخبار الاعيان في جبل لبنان — طنوس الشدياق نشره الدكتور فؤاد افرام البستاني — ج ١ و ٢ — منشورات الجامعة اللبنانية — بيروت ١٩٧٠ ، تاريخ الامير فخر الدين المعني — الخالدي الصفدي — نشره الدكتوران : أسد رستم وفؤاد افرام البستاني منشورات الجامعة اللبنانية — بيروت ١٩٦٩ ، تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني — عيسى اسكندر المعلوف — نشـــره رياض المعلوف — المطبعة الكاثوليكية — بيروت ١٩٦٦ وغيره .

عليه جماعة كثيرة لحسنه وكونه شاباً ، وكان شجاعاً بطلا الا انه كان يبالغ في ظلم العباد . حكى قره قاش : اني كنت في خدمة السلطان احمد وقد خرج الى الصيد فعرضوا عليه طيور الصيد ، ثم جاؤه بطير عظيم لا نظير له فتعجّب منه وقال : من بعث هذا ؟ قالوا عبدك حسين باشا ابن يوسف سيفا أمير الامراء بطرابلس . فقال السلطان : آه آه آه من خيالة مماليكي ، الامر لله ، الى هذا الحين هذا الكافر بالحياة . فأسرّها قره قاش في نفسه وصاد بطيره . وكان قتل حسين بن يوسف باشا سيفا في ١٤ ربيع الاول سنة ١٠٢٦هـ. وعمره قريب من الثلاثين(١). وكان تزوّج في سنة ١٦٠٠م. من ابنة علي باشا ابن جانبولاد(٢) ، واليها تنتسب كل امرأة من بيت جنبلاط وتأوي اليها(٣) .

حرم الجامع

يتكوّن حرم جامع التوبة من اسطوان يبلغ طوله ٣٦،٨٠ مترا ، وعرضه ٦،٦٠ أمتار ، تعلوه قناطر تقوم على ٦ عضاضات في الجهة الغربية ، وترتكز على جدار الجامع القبلي . وفوق محراب ومنبر الجامع تقوم قبة الجامع ذات النوافذ المفتوحة في جهاتها الاربع . وتتفتح القناطر الخمسة على فناء الجامع .

والحرم بقناطره وعضاضاته وقبته ، صورة مصغرة عن حرم الجامع المنصوري الكبير ، وهو خال من كل زخرفة . وفوق محراب الجامع لوحة نقش عليها « **كلما دخل عليها زكريا المحراب** »(٤) ولا تبدو الكتابة الا لمن يدقق النظر لطمسها بالدهان .

أما منبر الجامع فبه زخرفة لطيفة ، ويبلغ طوله ٢،٨٠ متران ، وعرضه تسعون سنتيمتراً .

وفي أقصى الجهة الشمالية الشرقية من الحرم توجد غرفة امام الجامع .

(١) خلاصة الاثر — ج ٢ ص ١٢٠ و ١٢١

(٢) اخبار الاعيان — ج ١ ص ١٣٧

(٣) تاريخ الامير فخر الدين — المعلوف — هامش الصفحة ٨٦

(٤) قرآن كريم — سورة آل عمران — الآية رقم ٣٦

الجامع في رحلة العطيفي

من بين الجوامع التي ذكرها العطيفي في رحلته الى طرابلس سنة ١٠٤٣هـ. جامع التوبة وتأتي زيارته له بعد الفيضة في سنة ١٠٢٠هـ. وهو يلاحظ الشبه بينه وبين الجامع الكبير فيقول : « وبها جامع يقال له جامع التوبة ، وهو جامع قريب من الجامع الكبير في الشكل » .

ثم يصف المكان المجاور له فيقول : « بطرفه من الجانب الشرقي بناء حسن يُسمى المحمودية(١) ، شكل ايوان مطلّ على النهر المزبور ، وعلى الجسر الذي يمر عليه من الطرف الشرقي الى الغربي ، ويجتمع الناس هناك ، وبه ماء جار في ساقية مبنيّة ، يجتمع ماؤها في بركة ثم ينصبّ الى النهر ، فكنت غالب أيام اقامتي أذهب الى هذا المكان وأجلس فيه لأختلي بالعبادة ، وأنزّه الطرف وأفرّح القلب »(٢) .

وقبل فيضان نهر ابي علي سنة ١٩٥٥ كان يقوم شرقي الجامع حمّام يعرف بحمّام النزهة ، ويقع على الجسر الجديد ، وقد أزيل هذا الحمّام بعد ذلك ، كما أزيل الجسر . وكان هذا الجسر قد تهدّم قبل ذلك في أحد الفيضانات وربما تهدّم في فيضان سنة ١٠٢٠هـ. وأعيد بناؤه ولذا عُرف بالجسر الجديد ، كما كان يُعرف بجسر اللحامة لوجود محلات لبائعي اللحم عليه ، ولقربه من المسلخ القديم للمدينة .

وكان بمواجهة الباب الشرقي للجامع بركة كبيرة تتوسط ساحة الدباغة أزيلت منذ فترة قريبة ، وعند بركة الملاحة(٣) يوجد سوق يُعرف بـ « السوق الجديد » ومن المرجّح أن هذا السوق تأثر أيضاً بالفيضان وتعرّض للهدم ، وعندما أعيد بناؤه عُرف بهذا الاسم ولا يزال .

(١) لعلها المدرسة الواقعة شمالي الجامع

(٢) رحلة العطيفي — ص ٢٢٢

(٣) كانت بركة الملاحة وبركة الدباغة تملآن عصير الليمون والخروب أو عرق سوس ليشرب منها الاهالي وذلك احتفالا بذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم

نص مرسوم خطيب الجامع

أورد القلقشندي نص المرسوم الذي كان يصدر عن نائب طرابلس في عصر المماليك بتعيين خطيب لجامع التوبة ، مما يؤكد أن هذا الجامع كالجامع الكبير بني بأمر من سلطان المماليك ، وقد ذكر نسخة عن المرسوم الصادر الى الشيخ صدر الدين الخابوري ، وهذا نصه :

« رُسم ...... — لا زالت أيامه الشريفة تضع الاشياء في محلّها ، وتفوّض المناصب المنيفة الى أهلها ، وتشرّف صدور المحافل بصدر العلماء في حزّنها وسهلها — ان تفوّض الى فلان الخطابة بالجامع الناصري المعروف بجامع التوبة بطرابلس المحروسة وجوبا وتعيّنا ، اقتضى في تقدم الفاضل على المفضول تيقناً وتبيّناً ، لانه الحبر الذي لا يُجارى في فضائله ، والبحر الذي يجود فيجيد بفواضله ، والصدر الذي مُلئت بفوائده وفرائده بزمانه محافل صدوره وصدور محافله ، كم نطقت السن الاقلام بأفواه المحابر بفضله في الاقاليم والآفاق ، وكم من عبارة بفصاحة وبلاغة حققه انه بها فات الفصحاء والبلغاء وفاق . لقد أصبح شمل هذا الجامع بهذا الفاضل الذي طال ارتقابه له جامعا ، وأمسى وقد ظفرت يمناه من اليمن به والبركة بما لم يكن بشيء منه في مثل هذه الايام طامعا ، فلذلك بادر منبره المنيف وحلّ به حقوته مسارعا ، ووطئاً — لامتطائه اياه — صهوته ، وغفر للدهر بهذه الحسنة الجميلة فيما سلف منه هفوته ، وعلم انه الخطيب الذي استقر يطالع المنابر من خطبته بما يفجّر من العيون منابع المدامع ، ويشوّق الى الآخرة : من ألفاظ يشنّف بها المسامع وان قسّا لا يُقاس به في خطبه وعظاته ، وان سحبان يودّ من خجله ان يسحب ذيله على مآثره المأثورة عنه ليعفّي آثار فلتات كلماته ولفتات لفظاته .

فليباشر هذه الوظيفة المباركة بالله تعالى مذكّرا ، ولما أمر عباده ونهاهم عنه على أسماعهم مكرّرا ، ويعلم انه في المحراب مناج لربّه ، واقف بين يدي من يحول بين المرء وقلبه ، فليعتصم بالله عزّ وجلّ في قوله وفعله ، وليتيقّن ان الكلمة اذا خرجت من قلب لا تقع الا في مثله .

وفي احاطة علمه المشهور ، وفضله المشهود المشكور ، ما يغني عن وصيّة بها يتذكّر وتذكرة في صحيفة فكره تُرقم وتُسطر ، وليوصّل اليه معلومه على هذه الوظيفة الشاهد به الديوان المعمور وليوفّر خاطره من التبذّل في تحصيل معلومه الجاري له وطلبه ، وليعامَلْ بما يليق من الاجلال والاعظام بوظيفته الشريفة والمحل العالي الرفيع من منصبه ، والعلامة الكريمة أعلاه ، حجّة بمقتضاه ان شاء الله تعالى »(١) .

صدر الدين الخابوري

وُجهت عليه خطابة جامع التوبة كما جاء في المرسوم الآنف ذكره ، وترجم له ابن قاضي شهبة بقوله :

« محمد بن ابي بكر بن عياش(٢) بن عبد الله(٣) الامام العلاّمة القاضي صدر الدين ابو عبد الله ، ابن القاضي الامام جمال الدين المعروف بابن الخابوري الشافعي شيخ طرابلس وخطيبها ومفتيها .

اخذ بدمشق عن الشيخ برهان الدين الفزاري والشيخ كمال الدين ابن الزملكاني ، ودخل مصر واجتمع بالشيخ زين الدين الكتّاني وغيره ، وسمع من يوسف الختني وغيره . سمع منه ابو الفضل ابن العراقي ، والهيثمي ، وغيرهما ، وولي قضاء صفد ، وكانت تأتيه الفتاوى من البلاد البعيدة ، ثم نقل الى قضاء طرابلس ثم عُزل منه ، واستمر على الخطابة والتدريس الى ان توفي . قال ابن رافع حدّث ، وتفقه ، وبرع ، ودرّس ، وأفتى ، واشتغل عليه جماعة وانتفعوا به ، ودخل دمشق غير مرّة وحدث بها . وقال ابن كثير : وكان فقيهاً جيداً مستحضراً للمذهب من قواعده وضوابطه ، وفروعه ودقايقه ، له اعتناء جيد بذلك جدا . وقد أذن لجماعة بالافتاء . توفي بطرابلس في المحرم عن نيف وسبعين سنة »(٤) .

---

(١) صبح الاعشى — ج ١٢ ص ٤٧٤ و ٤٧٥

(٢) في الدرر — ج ٤ ص ٩٣ (عباس)

(٣) في الدرر — ج ٤ ص ٢٦ و ٩٣ (بن عسكر)

(٤) ابن قاضي شهبة — ج ٢ ص ١٩٥

وذكره ابن حجر فقال انه ولد في حدود سنة ٧٠٠هـ. وذكر من شيوخه برهان الدين بن الفركاح . ويقال ان رجلا جاء الى الفخر المصري بفتيا ، فقال : من أين أنت ؟؟ قال : من صفد ، قال : أليس عندكم الشيخ صفي الدين الخابوري ؟ هو أعلم مني فسله ، ورد عليه الفتوى . حكاها العثماني قاضي صفد ، وكان مشاركاً في عدة علوم . وكان الطلبة يقصدونه ليأذن لهم في الافتاء وقد أذن لجمع كثير . ومات وهو عالم طرابلس ومفتيها بعد الوقعة الكائنة بها مع الفرنج في ١٧ محرم سنة ٧٦٩هـ.(١) وكان والده قاضياً لبعلبك . وقال ابن كثير انه كان أكبر أصحاب الشيخ تاج الدين الفزاري المتوفى بدمشق سنة ٧٢٣هـ.(٢) .

وممن أخذ عنه : عيسى بن عثمان بن عيسى بن غازي شرف الدين الغزي، الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٧٩٩هـ. قال ابن حجر انه رحل الى صدر الدين الخابوري بطرابلس وأذن له في الفتوى(٣). وكتب عنه بطرابلس عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن ابي بكر بن ابراهيم الكردي الرازياني ثم المصري الشافعي الامام الاوحد العلامة العراقي المتوفى سنة ٨٠٦هـ.(٤) .

ابن النيني

هو : محمد بن عمر بن احمد بن سيف بن احمد الطرابلسي الشافعي ويُعرف بابن النيني . ولد في سنة ٧٦٩ أو التي بعدها ، وسمع في سنة ٧٨٩ بطرابلس على محمد بن ابراهيم بن ابي المواهب الشافعي المتوفى سنة ٨٤١هـ.(٥) وفي سنة ٧٩٠هـ. سمع ببعلبك على الشريف احمد بن محمد بن المظفر الحسيني ، ومحمد بن علي بن احمد بن اليونانية ، ومحمد بن محمد بن احمد الجردي القطّان ثم على ابن صدّيق صحيح البخاري .

وعاد الى بلده وحدّث بها وسمع منه الفضلاء وخطب بجامع التوبة ، وعرض عليه في سنة ٨٤٨هـ. محمد بن محمد بن يوسف بن سعيد المعروف بالصلاح الطرابلسي الحنفي المتوفى سنة ٨٩٩هـ.(٦) وكتب له ابن النيني اجازة

---

(١) الدرر — ج ٤ ص ٢٦ و ٩٣

(٢) شذرات الذهب — ج ٦ ص ٢١٦ ، البداية والنهاية — ج ١٤ ص ١٠٧

(٣) الدرر — ج ٣ ص ٨٣ و ٨٤ ، انباء الغمر — ج ١ ص ٥٣٨

(٤) لحظ الالحاظ — ابن فهد الهاشمي المكي — ص ٢٢٤ — طبعة دمشق ١٣٤٧هـ.

(٥) الضوء اللامع — ج ١١ ص ٦٧

(٦) الضوء اللامع — ج ١٠ ص ٢٩ ، ابن اياس — ج ٥ ص ٥٧٩

وصف فيها العراقي بشيخنا ولكنه غلط في اسمه وسمّاه أبا حفص عمر ، وهو ابو بكر ابن محمد بن ابراهيم التقيّ العراقيّ الاصل الطرابلسي الشافعي المعروف بابن الجوبان . وكانت وفاة ابن النيني حوالي سنة ٨٤٨هـ.(١) .

محمود المغربي

الشيخ محمود المغربي العالم الفاضل . ولد في طرابلس سنة ١٢٥٦هـ. وشب فيها على تحصيل العلم فأدرك منه قسطاً وافراً . وله آثار علمية تدل على أدبه وفضله . كان حنفي المذهب ، مشربه الاتّباع لا الابتداع ومما قرأه درساً : حاشية رد المحتار على الدر المختار مرة أو مرتين . وكان نزيه النفس ، نبيلا محترماً ، عُيّن عضواً في محكمة الحقوق بطرابلس وأميناً للفتوى ، وكان معروفاً باقتداره ونزاهته ، وفيه رغبة حارة لمساعدة من يلوذ به فينحاز اليه بكليته . تولى افتاء مدينة جبلة ، وعندما وقعت اضطرابات في المنطقة العلوية عُيّن قائمقاماً في صافيتا لتدارك الامور ، وذلك لما كان يتمتع به من مركز مرموق وكلمة مسموعة ، ورئيسا للجنة جمع التبرعات لانشاء خط حديدي يصل دمشق بالمدينة المنوّرة . ونال وساماً من السلطان عبد الحميد تقديراً لجهوده ، وهذا الوسام ما يزال محفوظاً عند حفيده الشيخ عاطف المغربي .

كان خطيباً بجامع التوبة ، وتوفي سنة ١٣٢٨هـ.

سعيد شعبان

هو : الشيخ سعيد شعبان جراد . ولد في بلدة البترون سنة ١٩٣٠ وقضى مرحلة التعليم الاولى في مدارس المقاصد الخيرية والفرير ومدارس الرهبان الروم الارثوذكس بالبترون . ثم انتقل الى طرابلس سنة ١٩٤٧ والتحق بالمدرسة السلطانية (٢) وفيها نال الشهادة الابتدائية باللغتين : العربية والفرنسية ، ثم التحق بالقسم الشرعي في كلية التربية والتعليم الاسلامية حيث

---

(١) الضوء اللامع — ج ٨ ص ٢٣٦ و ٢٣٧

(٢) تعرف الآن بالمدرسة الجديدة الرسمية للبنين .

حصل على شهادة القسم الشرعية في سنة ١٩٥٣ ثم سافر الى مصر ودخل كلية اللغة العربية وتخرج منها سنة ١٩٥٦ سافر بعدها الى المملكة المغربية وقام بالتعليم في مدينة تطوان لمدة ثلاث سنوات في المعهد الاسلامي العالي كاستاذ للتاريخ والفلسفة والعربية . ثم انتقل الى العراق سنة ١٩٦١ وقام بتدريس اللغة العربية والفلسفة وأصول التدريس والتربية في مدينة الرمادي في دار المعلمين . ثم عاد الى وطنه سنة ١٩٦٥ كمدرّس متعاقد مع وزارة التربية اللبنانية للأدب العربي في كل من ثانوية حلبا بعكار وثانوية الملعب البلدي بطرابلس ، ثم انتقل الى ثانوية المنية وأخيرا ثانوية القبّة .

تولّى الخطابة والتدريس والامامة في جامع التوبة كامام منفرد في أول نيسان ١٩٧٣ وهو أحد الاعضاء المؤسسين لجمعية التربية الاسلامية ومدرّس اللغة العربية فيها . وعضو في الجماعة الاسلامية وأحد مؤسسيها .

« ٣ »

جامع
السيد عبد الواحد

تاريخ بناء الجامع

يعتبر جامع السيد عبد الواحد أقدم جوامع طرابلس بعد الجامع المنصوري الكبير ، اذ تم بناؤه في سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٦ — ١٣٠٧م. أي في أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون الثانية ، وفي نيابة الامير أسندمر الكرجي .

والجامع متواضع البناء ، يقع شرقي سوق الصاغة ، وبقربه أقيمت مدرسة الدبّها . بناه الشيخ عبد الواحد المكناسي المغربي أحد الصالحين الفضلاء . وهو مغربي الاصل نزل طرابلس بعد فتحها وتحريرها من الصليبيين

ويروي الطاعنون في السن ان الجامع كان في الاصل خاناً يملكه أحد النصارى ، وعندما جاء الشيخ عبد الواحد الى طرابلس نزل فيه ، غير ان النصراني لم يستضفه ، فغضب الشيخ من سوء استقباله له وعرض عليه شراء الخان ، فأتى له النصراني بطبق كبير وطلب ملأه مالا ثمناً له ، فملأه له الشيخ وكان غنياً ، ومن ثم حوّل الخان الى جامع .

وهذه الرواية متواترة عن الاقدمين ، وطراز بناء الجامع قريب الى نظام بناء الخانات المنتشرة في طرابلس ، اذ يوجد في الجهة الشمالية من الجامع غرف تعلوها قناطر تطل على صحن الجامع ويصعد اليها بالدرج القائم على يسار باب الجامع . ويسكن هذه الغرف الآن مواطنون أصلهم من المغرب عملا بوقفية الجامع .

وعلى يمين مدخل الجامع الخارجي يقوم ضريـــح عبد السلام المغربي المشيشي الذي يتصل نسبه بالسيد عبد الواحد . وللضريح نافذة غربية مطلة على الطريق يضع فيها الأهالي الآس ويوقدون الشموع ويتبركون به .

ويبدو أن السيد عبد الواحد تحوّل الى مصر بعد بناء جامعه في طرابلس، فقد التقى به الرحّالة ابن بطوطة أثناء رحلته التي قام بها فيما بين ١٣٢٥ — ١٣٤٩م. في مدينة أسنا بصعيد مصر سنة ٧٢٦هـ. ، أي بعد أكثر من عشرين عاماً من بناء جامعه ، وقال انه كان على هذا العهد صاحب زاوية بقوص ، وهي مدينة تقع بين قنا والاقصر في صعيد مصر أيضا(١) .

ذكر ابن حجر اسم أحد أحفاده وهو : يوســـف بن علي بن عبد الواحد المكناسي ، وقال : قال ابن الخطيب : ولد سنة ٧٠١ وكان حسن الخط ، صدراً من صدور المشيخة ، وانتهت اليه المعرفة بتجليد الكتب في زمانه ، ومشيخته متعددة(٢) .

ولم يذكر سنة وفاته .

وبامكاننا القول ان الشيخ عبد الواحد المكناسي زار طرابلس في أوائل القرن الثامن هجري وقام ببناء جامعه ثم تحوّل الى مصر فيما بعد وأقـــام في صعيدها وتوفّي هناك مخلفا ذرية ، منها هذا الذي ذكرناه .

وصف الجامع

يُدخل الى حرم الجامع من بابه الغربي ، وعلى يسار الداخل يقوم صحن الجامع حيث توجد فسحة سماوية وعندها توجد الميضأة .

(١) رحلة ابن بطوطة — ص ٥٢
(٢) الدرر — ج ٥ ص ٢٤١

وينفتح بيت الصلاة على صحن الجامع من جهتين : جنوبية وشرقية ، ويقوم البناء على عقود تستند على ٤ عضاضات ضخمة منها عضاضة مربعة (٢،١٠ × ٢،١٠) وثانية (٢،١٠ × ١،٨٠) وثالثة أقل حجماً مستطيلة الشكل (١،٨٠ × ٠،٨٥) أما الرابعة فهي (١،٨٠ × ١،٢٠) . وهـــذه العضاضات تقوم في منتصف الحرم تقريباً فتشكل قسمين من بيت الصلاة .

ويبلغ طول حرم الجامـــع (١٦) متراً وستون سنتيمتراً ، وعرضه (٦) أمتار وستون سنتيمتراً . وتعلو بيت الصلاة قبوات متعارضة تقوم علـــى العضاضات المذكورة ، وهي شبيهة بعقود مساجد المغرب . كما يحيط بفنـــاء الجامع ثلاث مجنبّات تعلوها أسقف مائلة من الآجرّ على نحو النظام الشائع في مساجد المغرب أيضاً(١) .

وسدّة الجامع التي يجلس عليها القاريء أو المؤذن تقع بين عضاضتين بمواجهة المنبر والمحراب في وسط الحرم ، ويصعد اليها بسلّم خشبي أزيل في وقت غير معروف ، وتمتاز هذه السدّة بأنها السدّة الوحيدة في مساجد طرابلس التي تتوسّط الحرم بعكس النظام الشائع حيث تقوم السدّة فوق باب الحرم الرئيسي .

وليس في حرم الجامع قبة ، وانما تقوم القبة فوق الضريح خارج الجامع شرقي المئذنة ، وهي مضلّعة من الخارج وترتكز على رقبة من طابقين ، الاول أكثر ارتفاعاً من الطابق الثاني ، وتنفتح في الطابق الاول ٤ نوافذ كبيرة ، بينما تنفتح في الطابق الثاني ٨ نوافذ صغيرة . وتقوم القبة من الداخل على خوذة تشتمل على ١٦ فصاً ترتكز على طابق مثمن الشكل ، في اركانه الثمانية جوفات مقوّسة ، والقبة شبيهة بالقباب التونسية(٢) .

أما مئذنة الجامع فتمتاز عن جميع مآذن طرابلس بصغر حجمها ، وقلـــة ارتفاعها ، وطراز بنائها . فهي عبارة عن ساق صغيرة الحجم مثمّنة الشكل تقوم فوق الجدار الغربي المطلّ على الطريق التي يقوم عندها مدخل الجامع . وتنفتح في نهاية الساق ٨ نوافذ ، يعلوهـــا افريز بارز مثمّن الشكل أيضـــاً لحمايتها من المطر ، وفوق الساق تقوم قبة نصف دائرية هي الوحيدة من نوعها ، اذ ان جميع مآذن طرابلس تنتهي بشكل قمعي ، أو بسقف افقي .

(١) طرابلس الشام — ص ٤٠٨
(٢) المصدر نفسه .

اللوحة التاريخية لبنـــاء الجامع

منذ سنوات قليلة كان يتوسّط صحن الجامع حوض ماء للوضوء تتوسطه نافورة صغيرة ، وكان على احدى جوانب الحوض لوحة تاريخيـــة ، وعندما ازيل الحوض أبقي على اللوحة ثم ثُبّتت على الوجه الشمالي لاحدى عضاضات الحرم المطلّة على الصحن وهي من ثلاثة أسطر بالخط المغربي ، هذا نصّها :

س١ « اسا(١) هد(٢) المكان المبارك العبد(٣) الفقر(٤) الى الله س٢ تعالى عبد(٥) الواحد المكناسي(٦) غفر الله له ولو لديه(٧) س٣ ولمن كان(٨) السبب فيه وللمسلمين(٩) في تاريخ سنه(١٠) خمس(١١) وسبعمايه(١٢) » .

عبد الحميد الحافظ

كان خطيب وامام جامع السيد عبد الواحد في القرن الماضي الشيخ عبد الحميد ابن الشيخ اسماعيل بن احمد الاحمدي المصري . نزل جده أحمـــد المعروف بالاحمدي طرابلس في سنة ١١٨٥هـ. وأتى معه بالطريقة الاحمدية واشتهر بها ثم ذهب الى القسطنطينية وتوفي هناك سنة ١١٩٢هـ. ولم يبلـــغ

---

(١) هكذا في الاصل وهي (أنشأ)

(٢) هـــذا

(٣) العبد

(٤) الفقير

(٥) عبـــد

(٦) المكناسي

(٧) لوالديه

(٨) كـــان

(٩) للمسلمين . وقد أثبتها سوبرنهايم(ذلك) بدلا من (للمسلمين) نقلا عن جرجي يني ، اذ لم يتحقق من قراءة النص بنفسه P.85 ثـــم نقل الدكتور سالم عن سوبرنهايم فأثبت (ذلك) بدلا مـــن (للمسلمين). انظر ص ٤٠٨

(١٠) و (١١) و (١٢) سنة خمس وسبعماية .

من العمر سوى ثلاثين سنة(١). فخلفه بطرابلس ابنه الشيخ اسماعيل الذي حفظ القرآن الكريم في صغره ولذا اشتهر بالحافظ وتوفي سنة١٢٨٨هـ.(٢) ثم خلفه ابنه الشيخ عبد الحميد صاحب هذه الترجمة .

قال نوفل : « ولد سنة ١٢٧٠هـ. علّمه أبوه ، وبعد وفاته قرأ علـــم الفرائض على المرحوم الشيخ اسماعيل الخطيب . وقرأ العربية وشيئاً من فنون الادب على الشيخ عبد الحميد الخطيب . وظهرت آثار ذكائه ، وعرف بين اخوانه بجودة الفهم ودماثة الاخلاق وُعلوّ النفس ثم لازم دروس الشيخ عبد الرزاق الرافعي فأحرز قسطاً وافرا من العلوم الشرعية ، وتوجّهت عليه وظيفـــة التدريس في المدرسة الخاتونية ، ووظيفة الخطابة والامامة في جامـــع سيدي عبد الواحد فقام بوظائفه هذه قياماً حسناً . وكان ميّالا بطبعـــه الى الادب ، ُمكثراً من حفظ الخطب والاشعار وله شعر قليل ، ولكنه جيـــد ويـــدل على شاعريته ، من ذلك قوله معتذراً عن مجانبته بعض اخوانه :

وأخ قطعت وصاله لا عن قلى	يفضي الى نسياني الميثاقـــا
لكنني ما زلـــت اعتـــب ودّه	حتى جعلت من العتاب فراقا

وله غير ذلك من أبيات حسنة . توفي سنة ١٣٠٣هـ. »(٣) .

وخلفه ابنه الشيخ اسماعيل الذي تعلم بالازهر واشترك مع عبد الحميد الزهراوي في انشاء جريدة الحضارة بالاستانة . وتولّى بعد الحرب العامـــة الاولى رئاسة مجلس استئناف المحاكم الشرعية بالقدس . وتوفي بطرابلس سنة ١٣٥٩هـ./١٩٤٠م. وكان خطيباً واماماً لجامع السيد عبد الواحد ، وعندما ُتوفي ُوجّهت وظائفه في الجامع على ابنه محمد أمين الحافظ وهو ما يـــزال قاصراً ، ثم استعفى منها . ودرس في مصر ثم حصل على درجة الدكتوراه في الاقتصاد . وانتخب نائبا عن مدينة طرابلس ، وكلّف في سنة ١٩٧٣ بتأليف

---

(١) سلك الدرر — ج ١ ص ٢١٦ و ٢١٧

(٢) الاعلام — ج ١ ص ٣٠٤ ، تراجم علماء طرابلس — ص ٢٥٦ وستاتي ترجمته في موضعها .

(٣) تراجم علماء طرابلس — ص ٢٥٧

وزارة ، ولكن وزارته لم تنل الثقة من مجلس النواب فاستقالت بعد تشكيلها دون ان تحضر جلسة الثقة .

نصوح البارودي

هو : الشيخ محمد نصوح البارودي ابن الشيخ مصطفى وهيب . خطيب جامع السيد عبد الواحد الآن . حفظه الله .

ولد سنة ١٣١٣هـ./١٨٩٥م. وقرأ على أبيه العلوم الفقهية على المذهب الشافعي . وأخذ القراءات على الشيخ محمد أبي السعود الحكيم جد السيد عدنان الحكيم عضو البرلمان اللبناني عن بيروت سابقاً . وذلك في سنة ١٣٣٣هـ. بالجامع الكبير ، وقرأ عليه سبع ختمات خلال ٢١ يوماً ، في كل ثلاثة أيام ختم .

وكان أبوه الشيخ مصطفى وهيب مديراً للمدرسة العلمية بطرابلس وموظفاً بالمعارف قبل ذلك . ثم انتقل الى بيروت ودرّس في مدارس المقاصد الخيرية ، وبعد وفاة المفتي الشيخ مصطفى نجا رُشح للافتاء بتزكية وجوه بيروت له فلم يقبل .

عمل الشيخ نصوح مدرّساً في مدارس طرابلس ومنها : السلطانية ، والقلمون ، وباب التبانة ومدرسة النموذج(1) وتولّى نظارتها . وكانت أطول مدة قضاها في هذه المدرسة (٢٩ سنة) وكان يذهب بطلبة مدرسته وقت الظهر الى المدرسة القرطاوية ليؤدوا الصلاة . وظل في سلك التعليم حتى أحيل للتقاعد . ووُجهت عيه امامة مدرسة الخاتونية فلبث بها ما يقرب من ١٢ عاماً . ودرّس بالقسم الشرعي في كلية التربية والتعليم الاسلامية حوالي سنة ١٩٤٠ ولبث فيها ما يناهز ١٥ عاماً ، وكان من تلامذته : المقريء الشيخ محمد صلاح الدين كباره ، وصديق بربور الحافظ للقرآن الكريم والمؤذن في الجامع الكبير حالياً ، والشيخ محمود الصائغ الامام بجامع ابي سمراء القديم ، والشيخ عارف العارف الكاتب المؤلف ، والشيخ الدكتور صبحي الصالح ، والشيخ نور الدين البكري خطيب جامع العطار ، وقاضي شرع طرابلس الشيخ عبد اللطيف زياده ، وقاضي شرع حلبا وعكار الشيخ طه الصابونجي خطيب جامع الصدّيق ، والدكتور الشيخ مصطفى الرافعي خطيب جامع الزعيم سابقاً ،

(1) هي مدرسة الفيحاء حاليا في أول الرفاعية

والشيخ ناصر الميقاتي مؤقت الجامع الكبير حالياً ، والشيخ عاطف المغربي امام المدرسة الكريمية سابقاً ، والسفير الدكتور مدحت فتفت ، والشاعر علي شلق ، والدكتور الشاعر اسماعيل الرافعي ، وغيرهم .

أصبح عضواً في مجلس أوقاف طرابلس الاداري ابتداء من سنة ١٩٥١ ، وهو الآن امام ومدرّس مدرسة القرطاوية ، وخطيب جامع السيد عبد الواحد ، وتالي القرآن في المساجد ، ومن قرّاء غرفة الاثر الشريف في الجامع الكبير طوال شهر رمضان المبارك . وكان عضواً في المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى سنة ١٩٦٠ .

أجيز من الشيخ محمد الحسيني سنة ١٣٥٦هـ. بثبته المتصل الى الرسول (ص) وهو في علوم الحديث والعربية والادب . وكان ينيبه للتدريس في الدبها .

سلك طريق الصوفية الشاذلية والخلوتية والرفاعية والنقشبندية والقادرية

وتمتاز خطبه بالتخفيف على المصلين اذ لا تستغرق خطبته أكثر من خمس دقائق ، ولذا يمتليء الجامع بالمصلين . ختم القرآن الكريم في صلاة التراويح بالقرطاوية ٥٣ ختمة ، وفي صلاة الصبح كذلك . وهو من السلف الصالح قرأت عليه سبعة أجزاء من القرآن الكريم في القرطاوية . مواظب على مهامه رغم تقدّم سنّه ، سخيّ الدمع ، جريء في انتقاده لكل تصرف لا يعجبه صريح به ، سريع العودة عن الغضب . حفظه الله .

« ٤ »

جامع طينال

تاريخ بناء الجامع وتسميته

يعتبر جامع طينال اجمل جوامع طرابس وافخمها على الاطلاق ، ومن أهمها بعد الجامع الكبير وجامع التوبة . وهو بزخارفه الرائعة نسخة عن مساجد القاهرة الفخمة .

يقع جنوبي المدينة بين الطريقين المؤديين الى مدينة بيروت ، وسط البساتين وجنوبي مقبرة باب الرمل . ويعتبر حتى الآن بظاهر طرابلس ، وكان قديماً خارج بواباتها(١) .

يسميه العامة (جامع طيلان) وهو تحريف لطينال ، وطينال اسم صاحب هذا الجامع وكان نائباً للسلطنة في طرابلس . وقد اخطأ في تسميته ابن بطوطة في رحلته(٢) ، والسخاوي(٣) ، والعطيفي(٤) ، والنابلسي(٥) ، والشهابي(٦) ، والشدياق(٧) .

(١) عند سوبرنهايم ان الجامع يقوم عند بوابة طيلان

(٢) ص ٦٤

(٣) الضوء — ج ٧ ص ٦٦

(٤) الرحلة — ص ٢٢٢ — ويسميه (طيلون)

(٥) الرحلة — ص ٧٢

(٦) نزهة الزمان — ج ١ ص ٦٠٨ — ويسميه (طليان)

(٧) اخبار الاعيان — ج ١ ق ١ ص ٧٩

بُني هذا الجامع في سنة ٧٣٦هـ./١٣٧٧م. على انقاض كنيسة صليبية كانت مهدّمة بعد فتح طرابلس(١) بقيادة السلطان المنصور قلاوون ، وظلّت هذه الكنيسة المتهدّمة مهجورة خارج المدينة حتى تولّى الامير سيف الدين طينال الحاجب نيابة طرابلس فقام بتحويل أنقاضها الى جامع عُرف باسمه .

ويذهب الاستاذ حسّان سركيس الى أن الجامع قد احتلّ المكان الذي يقوم عليه معبد زيوس الروماني ، حيث كانت الاعمدة وقواعدها وتيجانها ما تزال قائمة في مكانها عند بناء الجامع(٢) . وقد سجّل طينال تاريخ بنائه للجامع على الواجهة الشمالية للبوابة التي تفصل بين الحرمين في عشرة أسطر ، خمسة منها الى اليمين ، والخمسة الاخرى الى اليسار ، يفصل بينها كتابة كوفية متداخلة ببعضها بشكل هندسي تفنّن بها المهندس فجاءت قطاعاً مستطيلا مستقيم الاضلاع ، وقد تمكنت من قراءة الاسماء التالية :

« محمد — ابو بكر — عمر — عثمان — علي — عبد الرحمن — سعد — سعيد — عمرو — ... ، ... ، ... »(٣) .

أما النص التاريخي فهو :

س١ بسم الله الرحمن الرحيم	س٦ الشريفة بطرابلس
س٢ امر بانشاء هذا الجامع	س٧ المحروسة اتماما
س٣ المبارك المقر الاشرفي(٤)	س٨ في ايام الملك الناصر
س٤ العالي المولوي الاميري	س٩ في شهر رجب سنة ست و
س٥ الناصري نائب السلطنة	س١٠ ثلاثين وسبعمايه

(١) لبنان الدليل الاخضر — ص ٢١٠

(2) Histoire de Tripoli - Hassan Sarkis - P.97 - (Les cahiers de l'oronte, No. 10 - - Liban 1971 - 1972).

(٣) هناك ثلاثة اسماء لم أتأكد من حقيقتها .

(٤) عند سوبرنهايم (الاشرف) بغير ياء P. 86

ترجمة الامير طينال

قال الصفدي : « طينال ، بفتح الطاء المهملة ، وسكون الياء ، آخر الحروف ، وبعدها نون وألف ولام »(١) .

وقال الفيومي : « الامير سيف الدين طينال الحاجب ، فوّضت اليه نيابة السلطنة بالملكة الطرابلسية في يوم الخميس رابع جمادى الآخرة عوضا عن الامير شهاب الدين قرطاي الصالحي العلاي ، وخلع عليه ، ولم يجز في التشريف على عادة من تقدّمه فانه خلع عليه طرد وحسن ، وعادة نايب هذه المملكة : الاطلس المعدني بالطرز المزركش »(٢) .

كانت نيابة طينال الاولى على طرابلس في سنة ٧٢٦هـ. حيث عُزل عنها في شهر ربيع الاول سنة ٧٣٣ وتولّى عوضه الامير شهاب الدين قرطاي ، واستقر طينال في نيابة غزة . وكان عزله عن طرابلس بسبب شكوى نائب دمشق الامير سيف الدين تنكز ، وأعطي نيابة غزة اهانة له اذ كانت نيابة طرابلس أهم منها . وفي ذلك يقول المقريزي : ان البريد قدم من تنكز نائب الشام الى السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وهو يشكو من الامير طينال نائب طرابلس لترفّعه عليه وخرق حرمته ، واعراضه عما يكاتبه فيه ، فأجيب بالشكر والاذن له بالحضور ، وعُزل طينال واستقر الامير قرطاي عوضه ، ونقل طينال الى نيابة غزة اهانة له ، وركب الامير بيغرا البريد لتقليد الاميرين على نيابتهما ، وكان السلطان أوصاه بأن يقبض على طينال ويحضر به مقيّداً ان رأى منه كراهية لنيابته غزة(٣) .

وكان طينال قد باشر نيابة طرابلس بعظمة وكبر وحمق(٤) حتى كثرت عليه الشكاوى واضطر في سنة ٧٢٩ ان يذهب الى مصر ليحضر امام شكاته ويحاققهم ، وساعده الامراء في ذلك حتى عاد الى طرابلس في الخامس والعشرين من الشهر رجب بعد ان قدّم هدية للسلطان .

(١) أعيان العصر — ج ٢ ق ١ ص ١٦٦

(٢) نثر الجمان — ج ٣ ص ٢٠٧ ب

(٣) السلوك — ج ٢ ق ٢ ص ٣٥٧

(٤) الدرر — ج ٢ ص ٣٣٤

وقد ترك حضور طينال الى مصر أثراً سيئاً بالنسبة لارباب الصلات والرواتب المقيمين بالديار المصرية الذين يتقاضون رواتب من خراج طرابلس وضواحيها حيث قطع ذلك عنهم ، وفي ذلك يقول الفيومي : « في يوم الخميس ١٠ رجب ٧٢٩ وصل الى الابواب السلطانية طينال الساقي نايب السلطنة بمملكة طرابلس وخُلع عليه تشريف أطلس احمر وشاش رقم وكلوتة زركش وحياصة ذهب مجوهرة ، وانعم عليه بثلاثة ارؤس خيل ، وأقام في الخدمة السلطانية الى يوم الخميس ٢٤ الشهر وتوجه الى طرابلس على عادته في يوم الجمعة ٢٥ الشهر المذكور . وأثر حضوره أثراً سيئاً ، وذلك انه شكى للسلطان ان على المملكة الطرابلسية من الكلف ما لا يحصى كثرة ، وان خالصها لا يقوم بالمرتب الذي عليها ، وحسّن للسلطان قطع ما على المملكة المذكورة من الرواتب لأرباب الصلات المقيمين بالديار المصرية ، فقطع جميع ذلك من طرابلس وعمّ هذا القطع ما هو مرتب على غيرها من الممالك الشامية في ذلك الوقت ، فحصل بذلك الضرر التام ، ثم أخذ الزيادة لنفسه على ما بيده من الاقطاع ، فأنعم عليه بزيادة ثلاثين ألف درهم في كل سنة أو نحوها من المتوفر بطرابلس »(١).

وفي شهر جمادى الآخرة من سنة ٧٣٥ أعيد طينال الى نيابة طرابلس للمرة الثانية ، وكان عليها في ذلك الوقت الامير جمال الدين آقوش الاشرفي(٢)، وكانت اعادته بعد مكاتبة تنكز في ذلك ، وقد وطّن نفسه على طاعته وصار يكاتبه ، واذا احتاج الى مكاتبة السلطان أرسل مطالعته مفتوحة ليقف عليها تنكز قبل ان تصل الى السلطان(٣). وفي نيابته الثانية هذه تم بناء الجامع .

ومن الحوادث التي جرت أثناء نيابته هذه ، وقوع زلزلة في شهر رجب من سنة ٧٣٩ هلك فيها ستون انساناً بطرابلس تحت الهدم(٤) .

(١) نثر الجمان — ج ٣ ص ٢٤٥آ

(٢) السلوك — ج ٢ ق ٢ ص ٣٧٩

(٣) الدرر — ج ٢ ص ٣٣٤

(٤) الذيل التام بدول الاسلام — السخاوي — ص ١٨٩ ، السلوك — ج ٢ ق ٢ ص ٤٧٠

وفي سنة ٧٤٠ هبّت سموم ورياح عاصفة بجبل طرابلس وسقط نجم اتصل بالارض ، مع رعد قوي الى الغاية ، وعلقت منه نار في أراضي الجون أحرقت عدة أشجار ومنازل(١) .

وفي مطلع سنة ٧٤١ في شهر محرم عزل طينال عن طرابلس ونقل الى دمشق أميراً بها . واستقرّ مكانه الامير سيف الدين ارقطاي(٢) .

ثم أعيد طينال الى طرابلس في شعبان ٧٤٢ باشارة الامير قطلوبغا الفخري، فجاء الامر من السلطان بنقله منها ، فاعتذر الامير الفخري بأن طينال في شغل مع الفرنج لتحرّكهم(٣) .

وهكذا استمر طينال على نيابة طرابلس للمرة الثالثة حتى شهر صفر ٧٤٣ حيث نُقل بعده الى نيابة صفد في سلطنة الصالح اسماعيل فأقام بها ١٩ يوماً ثم ما لبث ان توفي في يوم الجمعة ٤ ربيع الاول . وتولّى طرابلس بعده الامير طقتمر الاحمدي(٤) ودُفن طينال في مغارة النبي يعقوب عليه السلام بصفد(٥). وليس في جامعه بطرابلس كما يقول الدكتور سالم(٦) .

قال الصفدي في ترجمة طينال انه « كان أميراً كبيراً ، دربا بالامور ، خبيراً ، ما أقام ببلد الاّ وأحبّه أهلها وانتفع العرفان بها وانتفى جهلها(٧). وقال ابن تغري بردي نقلا عن الشجاعي انه كان تتري الجنس قصير القامة حسن الوجه ، جيّد الاحكام ، محباً لجمع المال ، شحيحاً »(٨). وهو صاحب

(١) السلوك — ج ٢ ق ٢ ص ٤٩٥ ، مرآة الجنان — ج ٤ ص ٣٠٣
(٢) السلوك — ج ٢ ق ٢ ص ٥٠٨
(٣) السلوك — ج ٢ ق ٣ ص ٥٩٦ ، النجوم — ج ١٠ ص ٥٤
(٤) السلوك — ج ٢ ق ٣ ص ٦٢٣ ، النجوم — ج ١٠ ص ١٠٣
(٥) سوبرنهايم — ص ٩٠
(٦) طرابلس الشام — ص ٤١٠
(٧) اعيان العصر — ج ٣ ق ١ ص ١٦٦
(٨) الدرر — ج ٢ ص ٣٣٥ ، سوبرنهايم — ص ٩٠

القاعة العظيمة بالقرب من الجامع الازهر(١). وداره بدمشق هي المدرسة الطينالية(٢). وذكر ابن حجر أحد أبناء طينال وهو : ناصر الدين محمد بن طينال ، كان أمير طبلخاناه بدمشق وقال انه كان بديع الجمال حتى أنهم اخرجوا قماشا سمّوه « خدود ابن طينال » لحسن وجنته واحمرار خدّيه ، وورث من ابيه مالا جزيلا فأذهبه في الترف ومات شاباً في رمضان سنة ٧٥٠هـ.(٣) .

وقد زار ابن بطوطة طرابلس في السنة الاولى من نيابة طينال سنة ٧٢٦ وكان الجامع لم يُبن في ذلك الوقت ، ولكنه وصف لنا موكب الامير في ذلك العصر فقال : « ... وبهذه المدينة نحو أربعين من أمراء الاتراك ، وأميرها طيلان الحاجب المعروف بملك الامراء ومسكنه منه بدار السعادة ، ومن عوائده ان يركب في كل يوم اثنين وخميس ، ويركب معه الامراء والعساكر ويخرج الى ظاهر المدينة فاذا عاد اليها وقارب الوصول الى منزله ترجّل الامراء ونزلوا عن دوابّهم ومشوا بين يديه حتى يدخل منزله ، وينصرفون ، وتضرب الطبلخانة عند دار كل أمير منهم بعد صلاة المغرب من كل يوم وتوقد المشاعل »(٤) .

وقال ان الفقيه الفاضل « جلال الدين عبد الحق المصري المالكي تعلّق بطيلان ملك الامراء فولاّه قضاء اللاذقية . وقد جرت لهذا القاضي حادثة طريفة في أيام طينال ثم أيام الامير قرطاي وهو نائب على طرابلس ، وحكاها ابن بطوطة فقال :

« كان باللاذقية رجل يعرف بابن المؤيد ، هجّاء لا يسلم احد من لسانه ، مُتّهم في دينه ، مستخفّ ، يتكلم بالقبائح من الالحاد ، فعرضت له حاجة عند طيلان ملك الامراء فلم يقضها له ، فقصد مصر وتقوّل عليه اموراً شنيعة ، وعاد الى اللاذقية ، فكتب طيلان الى القاضي جلال الدين ان يتحيّل في قتله بوجه

(١) الدرر — ج ٢ ص ٣٣٥
(٢) سوبرنهايم — ص ٩٠
(٣) اعيان العصر — ج ٦ ق ١ ص ٧ — نسخة مصورة رقم ١٠٩١ تاريخ ، الدرر — ج ٤ ص ٨١
(٤) ابن بطوطة — ص ٦٤

شرعي . فدعاه القاضي الى منزله وباحثه ، واستخرج كامن الحاده ، فتكلّم بعظائم أيسرها يوجب القتل ، وقد أعدّ القاضي الشهود خلف الحجاب ، فكتبوا عقداً بمقاله ، وثبت عند القاضي وسجن وأعلم ملك الامراء بقضيته ثم أخرج من السجن وخُنق على بابه . ثم لم يلبث ملك الامراء طيلان ان عُزل عن طرابلس ووليها الحاج قرطية !! من كبار الامراء وممن تقدّمت له فيها الولاية وبينه وبين طيلان عداوة ، فجعل يتبع سقطاته ، وقام لديه اخوة ابن المؤيد شاكين القاضي جلال الدين ، فأمر به وبالشهود الذين شهدوا على ابن المؤيد فأحضروا وأمر بخنقهم وأخرجوا الى ظاهر المدينة حيث يُخنق الناس ، وأجلس كل واحد منهم تحت مختنقه ، ونُزعت عمائمهم ومن عادة امراء تلك الديار انه متى أمر أحدهم بقتل أحد من الناس ، يمر الحاكم من مجلس الامير سبقاً على فرسيّه الى حيث المأمور بقتله ، ثم يعود الامير ، فيكرّر استئذانه ، يفعل ذلك ثلاثاً ، فاذا كان بعد الثلاث انفذ الامر ، فلما فعل الحاكم ذلك قامت الامراء في المرة الثالثة وكشفوا رؤوسهم وقالوا : ايها الامير هذه سُبّة في الاسلام ، أيُقتل القاضي والشهود ؟؟ فقبل الامير شفاعتهم وخلّى سبيلهم »(١) .

وصف الجامع

يُدخل الى جامع طينال من بابه الشرقي المطل على الصحن الخارجي ، وينتصب عند المدخل عمودان من الجرانيت على اليمين وعلى اليسار . ويفضي الباب الى صحن الجامع المستطيل الشكل من الشمال الى الجنوب ، وفي أقصى الشمال من الصحن على يمين الداخل توجد بركة مربعة الشكل للوضوء تقوم على ايوان مرتفع عن أرضية الصحن وتطالع الداخل من البوابة الى الصحن اربع قناطر لاربع قاعات متجاورة في الجهة الغربية من الصحن . أما على يسار الداخل الى الصحن في الجهة الشرقية فتوجد غرفة صغيرة أقيمت تحت قنطرة أعتقد انها كانت لحرس الجامع المكلفين بفتح الباب الخارجي واغلاقه . وبجوار هذه الغرفة من ناحية الجنوب توجد بئر معطّلة الآن .

(١) ابن بطوطة — ص ٨١ و ٨٢ ، وتوفي القاضي جلال الدين عبد الحق المالكي سنة ٧٤٠ ، أما ابن المؤيد شرف الدين ابو بكر الواعظ المحتسب فكان نائب الوكالة باللاذقية . (المختصر — ج ٤ ص ١٣١) .

وجنوبي الصحن تقوم قنطرة مربعة الشكل تستند الى واجهة حرم الجامع الشمالية ، وتقوم تحت هذه القنطرة بوابة بيت الصلاة الاول ذات الحجارة البيضاء والسوداء الشائعة في ابنية المماليك . وبيت الصلاة هذا يبلغ طوله من الشرق الى الغرب (١٣،٢٠ متراً) ومن الشمال الى الجنوب (١١،٥٠ متراً) ، وهو المعتقد انه اقيم على انقاض كنيسة قديمة ، ويُستدلّ على ذلك من الاعمدة الجرانيتية الموجودة فيه حيث تتوّجها زخرفة قوطية الطراز ، منها عمودان على جانبي باب بيت الصلاة الثاني ، وآخران في وسط بيت الصلاة الاول .

وعلى يمين بيت الصلاة يوجد رواق مرتفع حوالي نصف متر عن أرض الحرم ، وفي زاويته الجنوبية الغربية توجد غرفة مربعة ، يقول سوبرنهايم انها غرفة خطيب الجامع(١) . أما الجدار الشرقي من بيت الصلاة هذا فهو ينحرف في الجنوب الى جهة الغرب .

ويعتقد الاستاذ فان برشم ان الكنيسة القديمة التي اقيم الجامع عليها كانت بنفس اتجاه الجامع الحالي ، حيث تبدأ من الباب الشمالي وتنتهي عند باب بيت الصلاة الثاني ، ويشكل البلاط عند الرواق المرتفع الى اليمين في الغرب ، والبلاط الى اليسار في الشرق عند الجدار المنحرف ، رواقي الكنيسة الجانبيين(٢) .

أما الاستاذ بروس كوندي فيرى العكس ، فهو يعتبر ان الكنيسة القديمة كانت تتجه من الشرق الى الغرب ، وان البوابة الواقعة بين بيتي الصلاة قد فُتحت في الجدار الجنوبي للكنيسة ، وان البوابة المقابلة لها في الشمال قد اقيمت في الجدار الشمالي للكنيسة(٣) .

(١) سوبرنهايم — ٨٦

(٢) طرابلس الشام — ص ٤١ .

(3) Condé - P. 48

وفي الجدار الخارجي لبيت الصلاة الاول يلاحظ انه كان به ٨ نوافذ اغلقت بالحجارة في وقت غير معروف ، ويستطيع المعن في النظر ان يرى ذلك ، فهناك آثار ٤ نوافذ اغلقت في الجدار الواقع على يمين القنطرة الخارجية ، و ٤ أخرى في الجدار على يسار القنطرة المذكورة ولبيت الصلاة هذا قبتان : شمالية وتنفتح بها ٥ نوافذ ، وجنوبية وهي أكبر من الاولى وأعلى منها وبها ٣ نوافذ ، وبين تجويف القبتين قنطرة من الشرق الى الغرب تنفتح في وسطها نافذة .

وصف الباب الداخلي

أما الباب الواقع بين بيتي الصلاة فيبلغ طول ممره من الشمال الى الجنوب متران ، وينفتح بعرض ٢٫٤٠ مترين . ويعتبر من أجمل بوابات مساجد طرابلس وأفخمها .

والباب قطاع مستطيل الشكل ، مجوّف ، يقوم داخل التجويف وعلى جانبيه مصطبتان ترتفعان عن الارض حوالي ٦٠سم. وتزين البوابة صفوف متناسقة من الحجارة البيضاء والسوداء ، وتتوسط العتبة التي تعلو الباب زخرفة ، وفوقها مثلث متسع الاضلاع نقش داخله كتابة هي :

« من بنى ابدله الله قصرا في الجنة(١) » .

وفوق هذا المثلث يقوم عقد مخفّف للضغط ، به سنجات متعاشقة متداخلة في بعضها يتناوب فيها اللونان الابيض والاسود ، وفوق العقد بلاطة بيضاء ثم شريط أسود تعلوه زخرفة رائعة في الوسط مستطيلة الشكل من أعلى الى أسفل ، وعلى جانبي الزخرفة قطاعان من الرخام الابيض والاسود بشكل هندسي متناسق ، وفوق هذه الزخرفة شريط اسود آخر فوقه قطاع مستطيل في العرض نقش فيه النص التاريخي لبناء الجامع . وبمستوى هذه اللوحة توجد فجوتان في زاويتي البوابة تقوم فوقهما مقرنصات مجوفة ، ثم طبقة مجوفة اخرى تنتهي بمدلّيات ثم طبقة ثالثة من المجوفات فوقها شريط أسود في باطن القوس ، وفوق هذا الشريط خط متعرج (زيكزاك) باللون الاحمر ثم خط

(١) لم يذكر سوبرنهايم هذه الكتابة .

متعرج باللون الاسود وأخيرا خط متعرج باللون الاحمر ليشكل الزاوية النهائية للعقد المنكسر للبوابة .

وعلى جانبي البوابة ، وعند نهاية الاطار العرضي لها نقش خطّان متعرجان من أعلى الى أسفل .

نص وقفية الجامع

على واجهة البوابة اليمنى نقشت أربعة أسطر تمتد الى باطن الجدار الغربي تتضمّن وقفية الجامع وهذا نصها :

« س١ بسم الله الرحمن الرحيم امر بانشاء هذا الجامع المعمور بذكر الله تعالى مولانا المقر الاشرفي(١) العالي المولوي الكافلي السيدي المالكي المخدومي السيفي طينال الملكي(٢) الناصري كافل الممالك الشريفة الطرابلسية بلّغه الله آماله س٢ وتقبّل في الصالحات أعماله ووقف عليه لمصالحه المعيّنة في كتاب وقفه جميع البستان المعروف بالحموي بظاهر طرابلس وجميع الحانوتين الملاصقين لبابه وجميع البستان المعروف قديما بالطنطاش بسقي طرابلس س٣ وجميع الحانوتين الملاصقين لسوق السلاح بجوار الحمّام المعروف بأسندمر وهي الآن ملك الواقف وجميع ثلث الخان المعروف بدار الوكالة القديمة وجميع القرية المعروفة بأرزونية(٣) من عمل عرقا بجون طرابلس وشرط انه مهما فضل من ريع س٤ هذا الوقف عن ارباب وظائفه ومصالحه المعينة في كتابه(٤) يصرف للفقراء والمساكين المقيمين بطرابلس والواردين اليها حسب ما يراه الناظر في ذلك من غير ان يرتّب لاحد مرتباً في كل شهر أو كل يوم ومن غيّر ذلك أو بدّله أو رتّب شيئاً مستمراً كانت عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

(١) عند سوبرنهايم (الاشرف) . — ص ٨٧

(٢) في طرابلس الشام (المالكي) . — ص ٤٧٥

(٣) في طرابلس الشام — (ازرونية) بتقديم الزاي على الراء — ص ٤٧٥

(٤) المصدر السابق — (كتاب) .

وقفية تربة طينال

وعلى الواجهة اليسرى من البوابة وفي باطـــن جدارها الشرقي نقشت أربعة أسطر تتضمن نص وقفية تربة طينال التي بناها لنفسه ولم ُيدفن فيها وهذا نصها :

« س١ بسم الله الرحمن الرحيم و(١) امر بانشاء هذه التربة المباركة رحم الله ساكنها مولانا ملك الامراء المشار اليه أثابه الله وتقبل منه وجزاه خيراً ورضي عنه ووقف على مصالحها وأرباب وظائفها المعيّنة في كتابتها جميع الطبقة المجاورة لها من الشرق وتعرف بالخطيب س٢ وجميـــع القيسارية المستجدة المجاورة لمسجد ارزني من الغرب بسكن الخلعيين وعدة حوانيتها ست عشرة وطباقها ست عشرة وجميع الحانوتين بطرف سوق الحدادين من الصف الغربي المعروف قديماً بأبي ربه وجميع الحوانيت والطباق انشاء الواقفبالعرصةالقديمةوجميع الست حوانيت س٣ المستجدة انشاء الواقف وتعرف قديمـــاً بمظفر بسويقة القاضي والثلث طباق الراكبة عليها(٢) وجميع الحاكورة المجاورة لهذا الجامع من القبلة (وجميع الارض المجاورة للميدان من القبلة)(٣) وشرط انه مهمـــا فضل من ريع هذا الوقف عن أرباب وظائفه ومصالحه المعينة في كتاب الوقف س٤ يصرف للفقراء والمساكين المقيمين والواردين كما شرط في وقف الجامع من غير ترتيب ومن رتّب لاحد مرتباً مستمراً أو جدّد لاحد شيئاً على سبيل الراتب (المستمر)(٤) كان الله محاربه ومحاسبه ومكافيه وحشره مع الأخسرين (أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا)(٥) ».

---

(١) اسقط سوبرنهايم حرف (و) من النص — ص ٨٨ ، وهي واو العطف للكتابة السابقة .

(٢) في طرابلس — (عليه) .

(٣) الكلمات المحصورة بين القوسين اسقطها الدكتور سالم .

(٤) الكلمة المحصورة بالقوسين ، اسقطها الدكتور سالم .

(٥) أسقطها الدكتور سالم — وهي آخر الآية ١٠٣ وكامل الآية ١٠٤ من سورة الكهف .

وصف الحرم الجنوبي

يتكون الحرم الجنوبي الذي يضم المحراب والمنبر مـــن تسعة أساطين أكبرها الاسطوان الاوسط وهـــو بمستوى أرضية الحرم الشمالي ، أما بقية الاساطين المحيطة بهذا الاسطوان فترتفع عنه بحوالي ٤٠سم. وعلى أركان الاسطوان الاوسط تقوم أربع عضاضات كل منها (١،٨٠×١،٤٠) ترتكز عليها قبة الجامع الثالثة .

وهناك قبة رابعة تقوم فوق اسطوان المنبر والمحراب على ثلاث حطّات من المقرنصات المجوّفة في الزوايا مجموع فصوصها ٢٤ فصاً ، وهذه القبـــة أصغر قباب الجامع . وفي جوفتها خطوط مضلّعة وتنفتح بها نافذتان الى الشرق والغـــرب .

أما أرضية الحرم فتكسوها زخرفة من الفسيفساء الملون في غاية الروعة والجمال ذات الاسلوب الاسلامي الخالص . وفي الحرمين الشمالي والجنوبي ُفتحتان تتوسطان بركتين من الزخرفة الرخامية مهمتهما تصريف الميـــاه عند تنظيف الجامع .

ويبلغ طول الحرم الجنوبي من الباب الى المحراب ١٦،٨٠ متراً ، بعرض ١٦ متراً . وتعلو مدخل الحرم سدّة خشبية ُيصعد اليها بسلّم خشبي فـــي الجهة الشرقية ، وقد ُزيّنت جوانب السدة برسوم جميلـــة ملونة . وتكسو حوافي الاساطين المحيطة بالاسطوان الاوسط أحجار رخامية بيضاء وسوداء .

أما محراب الجامع فهو من الحجارة الرملية التي ُبني بها الجامع ، يقوم على جانبيه عمودان من الرخام الابيض متوّجين بزخرفة بسيطة .

وعلى يمين المحراب يقوم منبر الجامع الخشبي المزخرف ، وفي أعـــلاه ُحفرت كتابة بتاريخ اتمامه وهي حيث يجلس الخطيب عند الخطبة . هذا نصها :

س١ « بسم الله الرحمن الرحيم س٢ انما يعمر مساجد الله من آمن بالله

واليوم الآخر وأقام الصلاة واتا(١) الزكاه ولـم يخش س٤ الا الله فعسي(٢) أوليك(٣) ان يكونو(٤) من المهتدين س٥ تكمل هذه(٥) منبر(٦) في شهر ذو(٧) القعده(٨) سنه ست وثلاثين وسبعماية))(٩) .

ويبدو من النص السابق ان المنبر تم بعد اتمام بناء الجامع بثلاثة أشهر . أما واجهة المنبر التي تعلو بابه فقد حفر عليها سطر يوضح اسم المعلم الذي قام بصنعه ، ونصه :

((عمل المعلم محمد الصفدي رحم الله من ترحّم عليه)) .

وفي الجدار الغربي من الحرم الجنوبي ثلاثة نوافذ كبيرة بمستوى أرض الرواقات تعلوها نوافذ أصغر ، فتحتها في الداخل أكثر اتساعا من فتحتها في الخارج . أما في الجهة الشرقية فيوجد بابان أولهما صغير هـو باب المئذنة الداخلي ، والآخر أكبر يحيط به اطار من الرخام الابيض والاسود ، يفضي الى غرفة تحتوي على قبرين تعلوهما قبة .

---

(١) هكذا في الاصل ، وأخطأ سوبرنهايم في كتابتها ــ انظر : ص ٩٣ ، وصحتها ((آتى)) .

(٢) هكذا في الاصل ، بوضع نقطتين تحت الالف المقصورة ، وبدون نقطة فوق الفاء .

(٣) هكذا في الاصل ، وأخطأ سوبرنهايم في كتابتها فجعلها ((أولائك)) .

(٤) هكذا في الاصل بدون ألف .

(٥) هكذا في الاصل ، وصحتها ((هذا)) .

(٦) هكذا في الاصل ، وصحتها ((المنبر)) .

(٧) هكذا في الاصل ، وأثبتها سوبرنهايم ((ذي)) .

(٨) أثبت سوبرنهايم (الهاء) بين حاصرتين ووضع لها نقطتين ، باعتبار أنها ساقطة من النص ، والواقع أنها موجودة في النص كما أثبتناها بدون نقطتين .

(٩) جاءت هذه الكلمات الاربعة الاخيرة بدون تنقيط في النص .

المئذنــة

تمتاز مئذنة جامع طينال عن مآذن طرابلس بطرازها المعماري ، وبوجود سلمّين حجريين داخلها ، احدهما يوصل الى حرم الجامع ، والآخر يفضي الى الخارج ، وهما غير متقابلتين بحيث اذا صعد اثنان في وقت واحد الى السلمين لا يلتقيان ولا يريان بعضهما(١) .

والمئذنة مربعة الشكل في القسم الاسفل منها الذي تبدو عليه آثار أربعة نوافذ في جهاتها الاربع اغلقت في وقت غير معروف ، ويوجـد تحت أقـواس النوافذ المذكورة زخرفة بشكل وسائد ، هي صورة مصغّرة عـن الوسائد الموجودة على الجدار الغربي للمدرسة الشمسية الملاصقة للجامع المنصوري الكبير .

وبأعلى المئذنة شرفة مستديرة بارزة عن جدار الساق المربع المرتكز على أربع مثلثات قاعدتها الى أعلى ، وبناء الشرفة يشبه البرج الحربي ، وهذا ما يجعل بعض الاثريين يعتقدون ان المئذنة كانت في الاصل برج الاجراس للكنيسة الكرملية(٢) . وتنفتح في هذا البرج أربعة نوافـذ عريضة . وفي أعلى جـدار الشرفة ُثبتت أحجار بيضاء متميّزة عن الحجارة الرملية التي ُبنيت بها المئذنة . وقد ُنقش على اثنين منها رنك الساقي (الكأس)(٣) وهما في الجهة الشمالية . وللمئذنة شرفة اخرى أصغر من الشرفة الاولى وفي وسطها يقوم رأس المئذنة السداسي الاضلاع الذي ينتهي بقبة صغيرة بيضاوية الشكل يعلوها الهلال .

---

(١) خطط الشام ــ ج ٦ ص ٥٣

(2) Condé - P.50

(٣) الساقي هو الامير الذي يتولى سقي السلطان على الموائد والاشراف على مد السماط وتقطيع اللحم وسقي المشروب بعد رفع السماط ــ صبح الاعشى ج ٥ ص ٤٥٤ ، العصر المماليكي ــ عاشور ــ ص ٤٢٤ .

الجامع في كتب التاريخ والرحلات

جاء في كتاب الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٣هـ./ ١٤٤٩م. ما يلي : « جامع طينال الذي بطرابلس ، رأيته وصلّيت فيه كثيراً ، وهو من أحسن الجوامع ، وهو عبارة عن مصلّى العيد بطرابلس ، فان فيه صحراء عظيمة جانبه ، وبها منبر لصلاة العيد ، وهو المعروف بجامع طيلان ». ونقل عن بدر الدين العيني قوله عن الامير طينال : « وأنشأ بظاهر طرابلس جامعاً مليحاً لما كان نائباً بها »(١) . ويقول كل من ابن قاضي شهبة وابن تغري بردي أنه عمّر بظاهرها جامعاً حسناً(٢). أما السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ./ ١٤٩٧م. فلم يأت على وصف الجامع وانما قال انه التقى بأحد الذين ترجم لهم في الضوء اثناء رحلته الى طرابلس ، والمترجم له هو : محمد بن محمد بن خلف الزين ابو الخير القاهري الشافعي ويُعرف بابن الفقيه وبابن النحاس المتوفى سنة ٨٦٤ وقال عنه : لقيته بجامع طيلان من طرابلس في رحلتي اليها وبالغ في الاكرام والاحترام وارسل اليّ بدراهم لها وَقع فامتنعت من قبولها بحيث انه لما قدم القاهرة حكى ذلك لغرضه ، وأكثر حين اجتماعي به من التعجّب من كوني لم أجيء اليه أيام عزّه وأنشدني ما زعم انه خاطب به العلاء بن اقبرس فقال :

أجّج النحاس نارا   احرقت فلس ابن اقبرس
فلذا صار ينادي   احرق الناس ذا الفلس(٤)

وفي موضع آخر يذكر السخاوي ان ابا بكر بن محمد بن ابراهيم التقي العراقي كان يسكن خارج المدينة عند جامع طيلان ، وقال انه كان يتقشّف في الملبس والانقطاع عن الناس وعدم مزاحمتهم في الوظائف . وقد مات بالطاعون

(١) الدرر — ج ٢ ص ٣٣٥ وبهامش ص ٣٣٤
(٢) تاريخ ابن قاضي شهبة — ج ١ ص ٤٦ ، سوبرنهايم — ص ٩٠
(٣) الضوء — ج ٧ ص ٦٣ — ٦٦ وكان ابن النحاس قد قدم طرابلس في سنة ٨٥٧ بعد ان افرج عنه من السجن بالقاهرة — ابن اياس — ج ٣ ص ٣٥٢ .

الذي أصاب طرابلس سنة ٨٤١ ودفن قريباً من الجامع المذكور(١) .

وقال العطيفي في رحلته الى طرابلس : « وبها جامع يقال له جامع طيلون في الطرف الغربي من جهة البحر ، وهو جامع كبير ، ومعهد خطير ، مُعدّ لمصلّى العيدين ، وللاجتماع في الامور العظائم وغير ذلك . وبالقرب اليه خارج المدينة رمل احمر مفروش مد البصر يقال انه كان بعيداً عن المدينة والآن قد صار قريباً ، ويقولون انه يكون سبباً لخراب هذه المدينة »!!(٢)

وقال النابلسي وهو يذكر جوامع طرابلس التي تقام فيها صلاة الجمعة : « الثاني جامع طيلان وهو جامع لطيف نيّر ، واقع خارج البلدة ، قريب من الجبّانة . واسلوبه عجيب وتكوينه غريب »(٣) .

ثم قال في موضع آخر « .. فلما حانت صلاة الجمعة ذهبنا الى جامع طيلان المتقدم ذكره والمشرق بهاتيك الانوار بدره . ثم بعد أن صلّينا زرنا هناك تلك الجبّانة ، وقرأنا الفاتحة لمن فيها من السكان ، وحذاء هذا الجامع مدفن متّسع بديع البنيان مشرق بالانوار ، وفيه من جميع الازهار فدخلنا هناك الى قبة جديدة مدفون فيها المرحوم فلان بيك ابن الوزير المكرّم ارسلان محمد باشا . فقرأنا له الفاتحة ولمن جاوره ودعونا الله تعالى . ثم خرجنا فدخلنا الى مكان آخر فسيح فيه أنواع الزهور مدفون فيه المرحوم ابراهيم بيك اخو حضرة الباشا المذكور .. وخرجنا فرأينا قباباً اخرى مدفون فيها وزراء وأمراء وغيرهم من أهل الصلاح ... »(٤) .

ويلاحظ ان أعيان المدينة كانوا يدفنون بالقرب من جامع طينال او في ظاهر المدينة بعيداً عن مقبرة باب الرمل ، بدليل العثور على مدفن لنائب طرابلس « أيتمش الناصري » المتوفى سنة ٧٥٥هـ. في المكان الذي اقيم عليه جامع الصديق غربي جامع طينال .

(١) الضوء — ج ١١ ص ٦٧ .
(٢) الرحلة — ص ٢٢٢ .
(٣) رحلة النابلسي — ص ٧٢
(٤) الرحلة — ص ٩٣

وأقدم القبور الموجودة الآن شرقي الجامع يرجع تاريخه الى شهر ربيع الاول سنة ١٢٢٧هـ. وَدفن فيه الامير محمد ابن الامير علي ؟؟

وفي ظاهر الجامع من جهته القبلية يوجد قبر يظهر من شكله انه من عصر المماليك ولكنه خال من الكتابة .

احداث هامة في تاريخ الجامع

شهد جامع طينال احداثاً هامة في تاريخه ، اذ كان على ما يبدو مقراً لنواب السلطنة في عصر المماليك يجلسون فيه للقضاء بين الناس ، واستمر ذلك في أيام الولاة في العصر العثماني .

ومن أهم الاحداث التي شهدها الجامع ، حادثة احراق بطريرك انطاكية « جبرائيل الحجولاي » في أول سنة ٧٦٧هـ./١٣٦٥م. أيام نيابة الامير قشتمر المنصوري(١) .

وتفصيل ذلك ان بطرس دي لوزنيان صاحب قبرص كان ينوي القيام بهجوم على مدينة الاسكندرية ولذلك قام بهجوم تمهيدي على سواحل الشام ليختبر قوة المماليك الدفاعية ، وشاركه في حملته هذه فرسان جزيرة رودس ، والبنادقة ، واستطاع ان يدخل مدينة طرابلس في أول سنة ٧٦٧ وأشعل النيران في أبنيتها ، ثم تحول الى اللاذقية وأنطرطوس وهاجمهما ، وفي ٢١ محرم وصل باسطوله الى ميناء الاسكندرية . واستطاع ان يدخل المدينة ويضرم النار في عدة أماكن منها ، وانضم اليه من كان بالثغر من النصارى وعملوا ادلة له ولجنوده ، ونهبوا الاغنياء وقتلوا وأسروا وسبوا ونهبوا وأحرقوا ، وأقاموا ثمانية أيام على ذلك وعادوا منها ومعهم خمسة آلاف أسير(٢) .

(١) يذكر الدكتور سالم (ص ٣٤٣) ان هذه الحادثة وقعت في نيابة الامير منجك اليوسفي ، وهذا خطأ اذ ان الحادثة وقعت في أول سنة ٧٦٧ وكان على نيابة طرابلس خلال تلك المدة وحتى شهر شعبان الامير قشتمر المنصوري ، ثم ناب عليها بعده الامير اشقتمر ، ثم منجك في آخر السنة ، وكان منجك نائبا على دمشق اثناء ذلك . انظر : السلوك — ج ٣ ق ١ ص ١٢٠.

(٢) السلوك — ج ٣ ق ١ ص ١٠٦ .

وعلى اثر ذلك أخذ المماليك يتتبعون النصارى ، فقبضوا على جميع من بديار مصر وبلاد الشام وغيرهما من الافرنج ، وأحضر البطريرك والنصارى وألزموا بحمل أموالهم لفكاك أسرى المسلمين من أيدي الفرنج(١) . وكتب بذلك الى البلاد الشامية .

ويبدو أن البطريرك الانطاكي جبرائيل الحجولاي كان من بين الذين قدّموا المساعدة لصاحب قبرص في هجومه على طرابلس وسواحل الشام ، وعندما صدر الامر بتعقّب النصارى في مصر والشام اختفى في قريته حجولا ، فقام الامير قشتمر نائب طرابلس بالقبض على عدد من انصاره وطلب منهم ان يسلّموه البطريرك ، فأحضروه اليه وقام باحراقه عند جامع طينال .

يقول الدويهي في حوادث سنة ١٣٦٥م. : « وفيها كان على الكرسي الانطاكي البطريرك جبرائيل(٢) ، وفي أيام الاضطهاد اختفى في قريته حجولا ، من أعمال جبيل ، فكتب نائب دمشق بسببه الى نائب طرابلس فقبض هذا على أربعين رجلا من أهل حجولا وأمرهم باحضاره ، وفي أول نيسان أمر بحريقه خارج طرابلس عند طيلان »(٣) .

وجاء في زجلية ابن القلاعي ان هذا البطريرك لقي حتفه بناء على شهادات زور أدّاها ضده فريق من اليعاقبة الماردين الاصل(٤) .

وبعد ان دخل الاتراك بلاد الشام ، استأجر منهم محمد آغا ابن شعيب مدينة طرابلس وتسلّمها ، وهو من أهالي عرقة . وكان على عداوة ومنافسة شديدة مع امراء بني سيفا الاكراد . وفي سنة ٩٣٥هـ./١٥٢٨م. وقع قتال شديد بينه وبين بني سيفا ، وأفرط الشعيبيون في الجور حتى اضطروا السيفيين الى مغادرة بلاد عكار ، ورحلوا الى الباروك ودخلوا في حماية الامير قرقماز

(١) المصدر السابق .

(٢) تولى بطريركية انطاكية مدة عشر سنوات .

(٣) تاريخ الطائفة المارونية — ج ١ ص ١٢٨

(٤) بطاركة الموارنة — الخور اسقف يوسف داغر — ص ٣٨ — المطبعة الكاثوليكية — بيروت ١٩٥٨

ابن معن فانتصر لهم الامير منصور العسّافي ، ووجّه معهم ٣٠٠ شخصاً فباغتوا علي الشعيبي في عرقا وقتلوه . وتولّوا على عكار من جديد . فعظم ذلك على محمد آغا ابن شعيب وحنق على الامير منصور وأرسل اليه يطلب منه مالا ، فوجّه اليه الامير منصور الشيخ يوسف والشيخ سليمان ابني حبيش، مع الامير عبد المنعم وصحبتهم خمسمائة شخصاً ، وكمنوا عند حارة النصارى (وقيل حارة الحصارنة) ثم دخل عبد المنعم والشيخان يوسف وسليمان جامع طينال ، ومثلوا أمام القاضي للمحاسبة مع محمد آغا شعيب ، وفيما كان القاضي ينظر في قضيتهم ، وثب عبد المنعم ورفقاؤه على محمد آغا وقتلوه مع ابنه (وقيل مع ابنيه) ثم أصلحوا أمورهم مع القاضي ، فأصدر فتوى بأنهم كانوا أبرياء في قتله ، وان ابن شعيب هو الذي ألجأهم الى ذلك(١) .

حسين الجسر

هو والد المرحوم الشيخ محمد الجسر الذي تولى رئاسة مجلس النواب اللبناني . ووالد الشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس الآن .

ولد الشيخ حسين ابن الشيخ محمد ابن الحاج مصطفى الجسر ، في محلة الحدادين ليلة الاربعاء في ٢٣ من شهر رمضان المبارك سنة ١٢٦١هـ. فنشأ يتيماً ، اذ توفي والده الشيخ محمد الملقب بأبي الاحوال وهو لم يكمل السنة الاولى من عمره . وكانت وفاة أبيه في اللد بفلسطين وكان يُعتبر من الاولياء الصالحين .

قرأ الشيخ حسين القرآن الكريم على الشيخ أحمد عبد الجليل أحد قرّاء طرابلس وحفّاظها المشهورين في عصره ، كما أخذ الدروس الدينية واللغوية على الشيخين الرافعيين : عبد القادر وعبد الرزاق ، ثم تردّد على حلقة الدروس في مدرسة الشيخ أحمد عرابي ، وأخذ عنه مبادىء النحو والصرف والفقه . وفي سنة ١٢٧٩ سافر الى مصر وجاور بالازهر الشريف ومكث هناك خمس سنوات انكبّ خلالها على التحصيل وظهر نبوغه وذكاؤه حتى اشتهر بين أساتذته ورفاقه من الطلبة ثم عاد الى طرابلس سنة ١٢٨٤هـ. فكان رجلها

(١) اخبار الاعيان — ج ١ ق ١ ص ٧٩ ، نزهة الزمان — ج ١ ص ٦٠٨ ، تاريخ الطائفة المارونية ـ ص ١٥٨

في عصره ، علماً ووجاهة وفضلا ، تولّى التدريس في الجامع المنصوري الكبير وفي جامع طينال والمدرسة الرجبية . ثم لما رأى أن التدريس في المساجد كما جرت عادة العلماء لا يفي بالغاية لانه غير منهجي ، أسس بمفرده الكلية الوطنية التي تُدرّس فيها كل علوم الدين واللغة العربية على غرار الازهر ، والافرنسية والعلوم الطبيعية والرياضية والآداب على غرار دراسة البكالوريا الآن . وهي الكلية التي تخرّج منها جمهور من أكابر العلماء ولم يدرسوا في معهد سواها أبدا وأشهرهم :

السيد رشيد رضا صاحب المنار ، الشيخ صالح الرافعي ، الشيخ عبد القادر المغربي عضو المجمع العلمي العربي في دمشق ، الشيخ عبد المجيد المغربي أمين فتوى طرابلس سابقاً ، الشيخ سعيد كرامي ، الشيخ محمد البارودي ، الشيخ وهيب البارودي ، الشيخ محمد رحيم ، الشيخ كامل الميقاتي امين الفتوى سابقاً . ومن تلاميذه المتأخرين في السن : الشيخ اسماعيل الحافظ ، وقد أتم دراسته في الازهر . وكذلك الشيخ عبد الكريم عويضه . والشيخ أمين عز الدين الذي بدأ طلب العلم على يد الشيخ محيي الدين الخطيب ، ثم أتم دراسته على الشيخ حسين الجسر .

ثم سلك الشيخ حسين الجسر من طرق الهداية طريق التأليف ، فألّف كتابه الشهير الرسالة الحميدية ، وقد ترجم الى اللغة الاوردية في باكستان ، وكتاب الحصون الحميدية في علم الكلام ، وغيرهما من المصنفات التي بلغت ٤٧ مصنفاً عدد صفحاتها ٥٥١٥ صفحة ، طبع بعضها ، والبعض الآخر ما زال مخطوطاً . أما مؤلفاته التي لم تطبع فأشهرها كتاب « الكواكب الدرية في الفنون الادبية » ، ويبحث في علم البديع والقرض والانشاء ، ويعتبر من أبدع ما كتب في الادب العربي ، وفي مكتبتي نسخة غير مكتملة منه ، نشرت دراسة عنها في جريدة «التمدن» الطرابلسية (١) .

وعندما وجد أن أساليب الهداية والارشاد في التدريس في المساجد وفي الكلية تنحصر الفائدة فيهما بعدد محدود من طلاب العلم ، كما أن الكتب المؤلفة

(١) العدد الصادر في ٨ أيلول ١٩٧٣ — ص ١٠

تنحصر الفائدة منها بعدد من المتعلمين الذين يستطيعون استيعاب ما فيها . وان هداية العامة من الشعب وارشادهم يفتقر الى طريقة أخرى أعمّ وأوسع انتشاراً وأيسر فهماً وهو طريق الصحافة ، فأنشأ جريدة « طرابلس » بالاشتراك مع المرحوم محمد بك البحيري ، وهي أول جريدة انشئت في مدينة طرابلس ، وصدر العدد الاول منها في شهر آذار سنة ١٨٩٣ ، وتولّى الشيخ الجسر رئاسة تحريرها ، وكتب فيها من المقالات الدينية والعلمية والتهذيبية والادبية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والصحية ، مقالات ُجمعت بعد ذلك في مجلدات ضخمة من عشرة أجزاء تحت اسم « رياض طرابلس »(١) .

وهكذا أتيح للشيخ حسين الجسر أن يمسك بيديه جميع أساليب الهداية والارشاد بحذافيرها ونجح في كل منها نجاحا لم يسبق له مثيل على يد فرد واحد ، وهي أعمال تقوم بها الدولة عادة أو المجامع العلمية والدينية . فليس في تاريخ طرابلس ، ولا حتى بلاد الشام ومصر ، عالم ديني أتيح له أن يجمع كل طرق الهداية والارشاد والتعليم والتهذيب والتصوف على اختلاف أنواعها وأساليبها مثلما اجتمع للشيخ حسين الجسر . فأكابر علماء الاسلام ، منهم من اشتهر بالتدريس في المساجد ومنهم من اشتهر بالتأليف ، ومنهم من اشتهر بالتعليم في الجامعات ، ومنهم من اجتمعت له الطرق المذكورة الثلاث كالامام الغزالي ، ومنهم من أتيح له نشر الهدى عن طريق الصحافة . أما الشيخ حسين الجسر فقد أتيح له أن يجمع كل هذه الطرق والاساليب الاربعة كلها في آن واحد . هذا مع اتجاهاته الفلسفية ، وفكره التقدّمي المتحرر غير المألوف في عصره ، وان من يتصفح مقالاته في جريدة « طرابلس » المذكورة ، يقف على اتجاه الشيخ حسين الجسر التقدّمي المتحرر المتطلع الى الاخذ بالعلم في كل الامور ، ونبذ الخرافات والاعتقادات التي لا تقوم على المنطق والمفهوم العلمي الصحيح . فهو بحق موسوعة علم وفكر وأدب ولم تشهد طرابلس في كل تاريخها عالماً ومفكراً مثله .

توفي ليلة الجمعة سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م (٢) .

---

(١) اطلعت عليها في دار الكتب المصرية تحت رقم ٤٤٩ معارف عامة .

(٢) انظر ترجمته في : تاريخ الآداب العربية ـ لويس شيخو ـ ص ٤٩ ـ بيروت ١٩٢٦ ، الرسالة الحميدية ـ نشرها محمد الجسر ـ ص : ب ز ـ طبعة الشام ١٣٥٢هـ ، الكواكب الدرية ـ مخطوطة في مكتبتي ـ ص ٤٩ ، تاريخ آداب اللغة العربية ـ جرجي زيدان ـ ج ٤ ص ٢٢٥ ، الاعلام ـ ج ٢ ص ٢٨٣ ، نوفل ـ ص ١٦٧ ـ ١٧٢ .

محمد الجسر

تولّى الشيخ محمد ابن الشيخ حسين الجسر وظيفة التدريس في جامع طينال بعد أبيه الشيخ حسين ولكن اقامته في اسطنبول تارة ، وفي بيروت تارة اخرى ، حالت دون قيامه بالتدريس بصورة منتظمة .

تولّى رئاسة تحرير جريدة طرابلس بعد والده الشيخ حسين وانصرف بكلّيته الى السياسة ، فانتخب نائباً عن طرابلس في عام ١٩٠٨ في مجلس (المبعوثان) في اسطنبول ، ثم انتخب رئيساً لمجلس الولاية العمومي في بيروت ، ثم وزيراً للداخلية ، ثم وزيراً للمعارف . ولما أعلن استقلال لبنان الكبير انتخب رئيساً لمجلس الشيوخ . ثم لما توحد مجلس الشيوخ مع مجلس النواب انتخب رئيساً للمجلسين الموحّدين . وبقي في رئاسة مجلس النواب المذكور عدة سنوات متوالية الى أن رشّح نفسه في عام ١٩٣٢ لرئاسة الجمهورية بما يشبه الاجماع من قبل النواب النصارى والمسلمين . ولكن الحساسيات الطائفية تحركت ، فما كان من المفوّض السامي الافرنسي الا أن اتخذ قرارا بحل مجلس النواب اللبناني وتعطيل الحياة النيابية ليحول دون وصول الشيخ محمد الى منصب الرئاسة . وقد توفي الشيخ محمد رحمه الله في عنفوان الكهولة وهو في الخامسة والخمسين من عمره ، وكان مشهوراً بالذكاء والعلم ، وعمل المعروف مَع الناس ، والحلم والصبر والاناة ، والوقار واللطف . وبهذه الاخلاق العالية اكتسب محبة الناس جميعاً على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم وأحزابهم .

نديم الجسر

هو : الشيخ عبد الله نديم الجسر ابن الشيخ حسين الجسر . المفكر الكبير والعالم النحرير الذي جمع الله له مختلف الثقافات الدينية والعلمية والقانونية والفلسفية والادبية . ُوجهت اليه وظيفة التدريس في جامع طينال بعد أخيه

الشيخ محمد ، ولكنه لم يقم بها حق القيام نظراً لبعد الجامع عن العمران بعداً يحول دون مجيء الناس لسماع الدروس فيه . ولكنه عوّض عن القاء الدروس بالقاء المحاضرات وتأليف الكتب الدينية القيّمة وتوزيعها على الناس مجاناً حسبة لوجه الله تعالى .

تولّى القضاء الشرعي في طرابلس من عام ١٩٣٧ الى عام ١٩٤٧ حيث استقال من القضاء لقلة الراتب وتكاثر العائلة . ثم انتخب في عام ١٩٥٦ نائباً عن طرابلس في مجلس النواب اللبناني . وخلال السنة الاخيرة من النيابة أجمع المسلمون على انتخابه مفتياً على طرابلس فجمع بين الافتاء والنيابة ولكنه لما انتهت سنوات النيابة الاربع لم يرشح نفسه للنيابة وانقطع الى أعمال الافتاء والتأليف في الشؤون الاسلامية بعد أن كان من قبل قد ألّف في القانون كتابه الشهير « شرح قانون العقوبات » في عام ١٩٣١ الذي ألّفه يوم كان مستشاراً لمحكمة الاستئناف في بيروت ، وعضواً في المجلس العدلي .

ثم ألّف كتابه « الموجز في الفلسفة العربية » الذي وضعه للتوفيق بين الفلسفة العربية والدين الاسلامي ، خدمة لطلاب الفلسفة في المدارس .

وفي عام ١٩٣٢ أعاد اصدار جريدة طرابلس التي كان يتولّى رئاسة تحريرها من قبله والده الشيخ حسين وأخوه الشيخ محمد ، وظل يصدرها عدة سنوات حتى عهد اليه بمنصب القضاء الشرعي في آخر عام ١٩٣٧ .

وبعد أن انقطع الى منصب الافتاء والتأليف في الشؤون الاسلامية كما ذكرنا ، ألّف عدّة كتب ورسائل في مواضيع متنوعة وطبع منها :

قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، أدب الحياة في الاسلام ، غريب القرآن ومتشابهاته ، الاسلام في العالم المعاصر ، ركائز التفكير الاسلامي، اسرائيل ما ُوجدت لتبقى ، شبابنا بين الايمان والتديّن . وكل هذه الكتب طبعها الاستاذ الجسر ووزّعها للناس مجاناً .

ولكن أعظم ما ألّفه الاستاذ الجسر هو كتابه « قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن » الذي كان له دويّ في العالم الاسلامي كله . وعلى اثره صدر قرار الدولة المصرية بتعيينه عضواً في مجمع البحوث الاسلامية بالازهر سنة ١٩٦٤ .

وقد توالى على تقريظ هذا الكتاب العشرات من أكابر العلماء والادباء في البلاد الاسلامية ، نذكر منهم : الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر ، الذي أعلن في كتابه المؤرخ ٢٣ أيار (مايو) ١٩٦٥ انه تقرّر أن يكون امتحان القبول للدراسات العليا بشعبة العقيدة والفلسفة في كتاب قصة الايمان . ثم تقرر في سنة ١٩٦٦ أن يكون امتحان القبول في شعبة الدعوة والارشاد أيضاً .

وكتب سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الاستاذ الشيخ حسن خالد عن قصة الايمان كتاباً جاء فيه : « ... ولا عجب أن أقف في قصة الايمان على علم غزير ، وعقل حصيف ، وملكة مزوّدة بفنون المعرفة والادب والعلم ، كما انه لا عجب أن أقرأ فيه لغة رفيعة ، واسلوباً مبسطاً سهلا ممتنعاً مطواعا للفكرة مهما كان لها من التعقيد والعمق . وقد أثلج صدري أن أقرأ لسماحتكم كتاباً من الطراز الرفيع يدافع عن العقيدة الاسلامية باسلوب لا يرتضي عصرنا سواه ، ولا غنى لنا عن مثله » .

وكتب الاستاذ منير القاضي مقالا طويلا في مجلة المجمع العلمي العراقي قال فيه : « .. كتاب قصة الايمان ، تأليف العلامة الحكيم الشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس هو في موضوعه كتاب العصر لا كتاب السنة والشهر . لم يتيسر لفيلسوف اسلامي غيره أن كتب مثله في علم الكلام بعد الامام الغزالي وأضرابه وقارب بين الفلسفة الصحيحة والدين الاسلامي في فصوله واسلوبه اللهم الا أباه العالم الخطير والحكيم المتحرّر المرحوم الشيخ حسين الجسر الكبير . فقد وضع كتابه « الرسالة الحميدية » قبل ستين سنة تقريباً للغرض نفسه الذي رمى له ابنه الامين في كتابه » .

وكتب عنه الدكتور زكي نجيب محمود يقول : « ... وهكذا يكون اعتصار الثقافة الطويلة العريضة العميقة التي يتآخى في ثناياها ورع الايمان ومنطق العقل . نعم هكذا يكون اعتصار الثقافة الوافرة الزاخرة في صفحات كتاب لست أشك لحظة في أنه قد أصبح ركناً من أركان انتاجنا الفكري في هذا العصر » .

وكتبت عنه الدكتورة بنت الشاطيء في مجلة الفكر العربي البيروتية مقالا قالت فيه : « ... ذلكم هو كتاب الموسم .. شهادة أعلنها راضية النفس والعقل مرتاحة البال والضمير ، فما قرأت في موسمنا كتاباً مثله يلتقي فيه الفكر الفلسفي والعقيدة الدينية والفن الادبي في مزيج رائع مؤتلف وجاذبية آسرة » . ثم عادت الدكتورة عائشة عبد الرحمن فكتبت بعد أربعة أشهر في جريدة الاهرام مقالا ثانياً طويلا جدا جاء فيه : « .. ذلك الكتاب الذي يلتقي فيه العلم بالدين لقاء لا ظل فيه لذلك الصراع الموهوم الذي يمثلهما ضدين لا يجتمعان . وأعترف باديء ذي بدء انه ليس من الكتب التي تقرأ على عجل في بساطة ويسر وانما هو كتاب يجب ان يتزوّد له من يطالعه بكل طاقاته العقلية والروحية والوجدانية .. » . وأنهت مقالها هذا بقولها : « وانما هي كلمة سريعة أردت بها الوفاء بحق القراء عليّ عندما ألفت طلاب الحق وعشاق المعرفة منهم الى قصة رائعة يعزّ نظيرها في هذا الاوان وحين أدلّهم على أوعى وأخصب ما طالعت عن موضوع الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن » .

وكتب الاستاذ محمد المجدوب في مجلة حضارة الاسلام : « ... وبعد ، فاسمح لي على غير معرفة شخصية سابقة أن أهنئك على ما قدّمت للعقل والحق من خدمة لا تقوّم في كتابك قصة الايمان ... لقد كنت في مؤلّفك النفيس أديباً موهوباً يتصرّف بالكلمة وفق الارفع الارفع من قوانين البلاغة العربية ، وشاعراً ملهماً تتهاوى على قلمه الانغام والظلال والالوان . وعالماً موضوعياً يحاسب نفسه على الخلجة والاشارة . وفيلسوفاً عميق النظر لا يشغله الجزء عن الكل ولا الكل عن الجزء ، بل يتتبع الوسائل ليصل بها الى المباديء التي منها تنطلق الخطوط الخفيّة من مخطط الكون الكبير . أجل ان قصة الايمان لواحد من مؤلفات قليلة تمثّل في العربية قمّة الانتاج الفكري خلال العشرين سنة الاخيرة » .

وكتب الشيخ محمد الغزالي يقول : « ... قضيت مع هذا الكتاب بضعة أيام ، كانت سياحة عقلية عميقة الاثر بعيدة المدى ، عدت بعدها الى نفسي وأنا فوّار القلب واللب بمشاعر اليقين ولوامع المعرفة . ثم أحسست أن هذا الكتاب ليس تراثاً فكرياً خاصاً قدر ما هو جهاد خالص لنصرة الحق واعلاء كلمة الله فقرّرت أن أشرك معي في الاطّلاع عليه علماء المساجد في القاهرة كي يستبينوا ما رسم من مناهج اليقين وطرائق الوصول الى الله جل جلاله » .

والشيخ نديم الجسر فوق كل ذلك شاعر ملهم ذو بيان جذل عميق كما تدلّ على ذلك قصيدته عن « طوفان نهر أبي علي » التي ذكرناها في القسم العائد لجامع التوبة ، لما فيها من الوصف الرائع والحكم البالغة . ولكنه لا يتعاطى الشعر الا في المدائح النبوية والتوسّلات الالهية ، وقليلا في المناسبات الوطنية والتاريخية . ونذكر له هنا ستة أبيات رائعة في مدح الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، ينشدها المنشدون في الاذكار والحفلات الدينية :

يا حاملا طيب المديح اليه   متذللا والعجز في عينيه
خجلا يواريك الزحام بورده   وتهافت الشعراء بين يديه
أسكبْ طيوبك مثلهم في بابه   لتطيب من قبل الوصول اليه
وأرقْ دموعك مثلهم في موطيء   وضع النبي بأرضه نعليه
وتعزَّ فالشعراءُ قبلك قصّروا   عن قدره وهم الفحول لديه
ماذا يقول القائلون بمدحه   من بعد ما صلّى الاله عليه ؟

رشاد الخطيب

هو : الشيخ رشاد ابن الشيخ محيي الدين الخطيب ، عالم فاضل . ولد كما جاء في كتاب محرّر بخط والده : « نهار الاثنين الواقع في ١٤ ذي الحجة سنة ١٣١٩هـ. » وسمّاه محمد رشاد . وكانت ولادته في محلة القبة بطرابلس ، فنشأ بها وتلقّى العلم على أبيه . وفي سنة ١٩٣٩ تعيّن مدرّسا في مدرسة القاضي عمر ، وكان ينوب عن والده في هذه الوظيفة أصلا . وفي سنة ١٩٥٩ وُجّهت عليه وظيفة تلاوة صحيح البخاري في جامع طينال ، وكانت موجّهة على والده في الاصل أيضاً . وفي سنة ١٩٥٣ تولّى القضاء الشرعي في محكمة عكار بموجب مرسوم جمهوري رقم ١٣٢٨.

وفي سنة ١٩٥٥ انتقل الى محكمة طرابلس الشرعية . ثم أصبح مستشاراً لدى المحكمة الشرعية السنّية العليا بموجب المرسوم رقم ١٠٠٨ سنة ١٩٦٤ ، وهذه المحكمة هي محكمة التمييز .

كان من أفاضل العلماء ومشاهير قضاة طرابلس ، كما تولّى أخوه الشيخ وجيه الخطيب القضاء الشرعي .

وكان اخوه الشيخ محمد أكرم الخطيب خطيباً لجامع طينال الى جانب امامة وتدريس جامع ايعال بقضاء زغرتا . كما كان أخوه الحاج نديم الخطيب اماماً ومؤذناً في مدرسة القاضي عمر . وكلهم من بيت علم ووجاهة .

غالب سنجقدار

هو : الشيخ غالب بن عادل بن احمد السنجقدار . كان جدّه الاعلى يحمل السنجق في عهد الاتراك ، ولذا عرف بالسنجقدار ، وأطلقت هذه التسمية على شارع مشهور بدمشق ، وعلى مسجد أيضاً يعرف بمسجد السنجقدار .

ولد الشيخ غالب في طرابلس سنة ١٩٣٣ وانتسب الى القسم الشرعي في كلية التربية والتعليم الاسلامية ، وله من العمر ١٤ عاماً ، وبعد سنتين رحل الى مصر فانتسب الى كلية الشريعة بالازهر ثم عاد الى بلده وتابع تحصيله العلمي لدى علمائها أمثال الشيخ عبد الكريم عويضه ، والشيخ رفعت الضناوي، والشيخ عبد الرحمن عاصم ، والشيخ محمد رحيم ، ومبعوث الازهر الشيخ صلاح الدين ابو علي ، والشيخ جميل عدره ، رحمهم الله ، والشيخ عبد الحميد الحامدي . ثم انتسب الى معهد التوجيه والارشاد في حلب ونال شهادته الثانوية.

عُيّن اماماً في جامع طينال سنة ١٩٥٦ ، وزاول التعليم في كلية التربية والتعليم ٥٤ ــ ١٩٦٤ كما قام بتدريس مادة التربية الدينية في المدارس الرسمية منذ سنة ١٩٥٤ . وفي سنة ١٩٥٩ عُيّن خطيباً لجامع أبي سمراء ، ثم نُقل الى جامع طينال في سنة ١٩٧٣ فهو امامه وخطيبه الآن .

الّف في سنة ١٩٦٦ جمعية التوجيه الاسلامي الخيرية ، وقام بتعليم الاميّين وتحفيظ القرآن الكريم .

من مصنّفاته « رسالة عن الماسونية » طبعت في طرابلس سنة ١٩٥٥ ، و « رسالة الوصايا » سنة ١٩٥٧ وطبعت ثانية سنة ١٩٦٢ وقدّم لها سماحة الشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس . و « ملخصاً للسيرة النبوية » سنة ١٩٥٧ ، وعدة رسائل في قصص الصحابة ومنهم : سلمان الفارسي ، عكرمة بن ابي جهل . وقصص دينية منها : فارس الخزرج ، الى الجنة ، أريد الغزو . ووضع كتاباً صغيراً بعنوان « الروضة » . وفي سنة ١٩٧١ كتب رسالة ردّ فيها على الخرافيين والمبتدعة بعنوان : « سبحانك هذا بهتان عظيم » . وفي سنة ١٩٧٢ وضع دراسة عن النظم الاشتراكية ، وله تعليقات على عدة رسائل دينية وفكرية .

« ٥ »

جـــامع العطـــار

تاريخ بناء الجامع

بُني هذا الجامع حوالي سنة ٧٣٥هـ. او قبل ذلك بقليل . وليس في سنة ٧٥١ كما يقول الدكتور سالم ، حيث يستشهد في تحديد تاريخ تأسيس الجامع بكتاب « الدرّ الفاخر في سيرة الملك الناصر » (ص ٣٩١) فيقول : « اسّسه بدر الدين بن العطار ، أحد العطّارين الاثرياء بطرابلس في سنة ٧٥١هـ. على نفقته الخاصة ، ولذلك نُسب اليه »(١) .

ومن مراجعتي لكتاب الدر الفاخر وجدت ان صاحبه ابن ايبك الدواداري يذكر بناء هذا الجامع في حوادث سنة ٧٣٥هـ. مما ينفي قطعاً ما ذهب اليه الدكتور السيد سالم من ايراد تاريخه . وأقول ان سنة ٧٣٥ ليست هي التاريخ القطعي لبناء الجامع ، فمن المرجّح انه اسس قبل هذا التاريخ أيضا ، اذ ان ابن أيبك أورد ذكر بناء جامع العطار ضمن احصائية عرض فيها ما بُني من جوامع في أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وقد مرّ معنا ان الناصر تولى السلطنة ثلاث مرات كانت آخرها فيما بين سنة ٧٠٩ — ٧٤١هـ. كما يذكر ابن أيبك ان من الجوامع التي بنيت أيام الناصر أيضاً جامع الامير قرطاي ويقصد به المدرسة القرطاوية المشهورة ، وقد مرّ أيضاً ان الامير قرطاي تولى نيابة طرابلس مرتين : الاولى ٧١٦ — ٧٢٦هـ. والثانية ٧٣٣ — ٧٣٤هـ. وهو الذي بنى منبر الجامع المنصوري الكبير في سنة ٧٢٦هـ.

---

(١) طرابلس الشام — ص ٤١٣

يقول ابن أيبك في فصل عن الجوامع المستجدة بالممالك الشامية أيام الناصر محمد :

« والمستجدّ أيضاً بطرابلس : جامع انشاه الامير شهاب الدين قرطاي ، رحمه الله لما كان نايباً بطرابلس . جامع انشاه بدر الدين بن العطار رحمه الله أيضاً بطرابلس » (١) .

ويلاحظ ان الكتاب ينتهي بحوادث سنة ٧٣٥هـ.(٢) .

ويخطيء المستشرق الانكليزي الاستاذ بروس كوندي أيضاً بتحديد تاريخ بناء الجامع اذ يذكر انه بُني حوالي سنة ١٣٥٠م. التي تقابلها السنة ٧٥١هـ. (Built around 1350 A.D.) (٣) ومن المؤكد انه اخطأ في قراءة الكتابة التاريخية التي تعلو الباب الرئيسي للجامع التي تؤرّخ لبناء الباب والمنبر ، وليس للجامع نفسه .

والذي ينفي تأسيس الجامع في سنة ٧٥١هـ./١٣٥٠م. هو أن صاحبه بدر الدين بن العطار توفي في سنة ٧٤٩هـ. أي قبل التاريخ المذكور بسنتين ، فقد ذكر ابو الفداء في تاريخه انه تُوفي بالوباء الذي أصاب طرابلس سنة ٧٤٩هـ. وهو واقف الجامع المعروف به بها(٤) . ويؤيده في ذلك ابن الوردي(٥) ، وابن أيبك نفسه(٦) .

وفيما يسمّي ابن أيبك صاحب الجامع ببدر الدين ، نرى أبا الفداء ومن بعده ابن الوردي يسمّيانه بالشيخ ناصر الدين العطار .

---

(١) الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر (من كنز الدرر) — تحقيق هانس روبرت رويمر — ص ٣٩١ — القاهرة ١٩٦٠ .

(٢) انظر صفحة ٤٠٠ من الكتاب .

(3) Condé - P. 93

(٤) المختصر في أخبار البشر — ج ٤ ص ١٥٣ .

(٥) تتمة المختصر — ج ٢ ص ٣٥٢ .

(٦) كنز الدرر — المصور — ج ٩ ق ٣ ص ٣٣٢ .

وقد مات الشيخ العطار بالوباء العظيم ، الذي يسمّيه المقريزي بالفناء . وتسمّيه المصادر الاوروبية بالوباء الاسود (Black Death) وكان هذا الوباء ظهر في أول أمره في القارة الاوروبية ، ثم انتشر منها الى جزر البحر المتوسط ، وفي شهر صفر من سنة ٧٤٨هـ. قدم الخبر من طرابلس بأن قبرص وقع بها فناء عظيم هلك فيه خلق كثير(١) . وان اربعة نفر من تجار الفرنج نزلوا قبرص فلم يجدوا بها أحدا فساروا الى طرابلس ، وحدّثوا بذلك فلم تطل مدتهم بها وماتوا(٢) . وفي أول جمادى الاولى من نفس السنة ابتدأ الوباء بأرض حلب ثم عمّ جميع بلاد الشام وبلاد ماردين وجبالها وباد أهل الغور وسواحل عكا وصفد وبلاد القدس ونابلس والكرك وعربان البوادي وسكان الجبال والضياع ولم يبق في بلدة جينين سوى عجوز واحدة خرجت منها فارّة . ولم يبق بمدينة لدّ أحد ولا بالرملة وصارت الخانات وغيرها ملآنة بجيف الموتى(٣) .

وانتشر الوباء في طرابلس بشكل رهيب ، وقدم الخبر من دمشق بأن الوباء كان بها أخف مما كان بطرابلس وحماه وحلب ، ثم ما لبث ان ازداد بها حتى بلغ ما يموت كل يوم ١٢٠٠ انسان . وصارت الاموات مطروحة في البساتين وعلى الطرقات(٤) .

ولم يكن هناك من وسيلة للوقاية من هذا الوباء الرهيب في ذلك الوقت سوى الدعاء والابتهال الى الله والتوسل والعبادة في المساجد ، وبذلك شهدت جوامع طرابلس ومساجدها في ذلك الوقت جموع الخائفين يهرعون الى الله متبتلين متضرّعين ليصرف عنهم هذا الخطر الماحق .

وفي أثناء ذلك قدم كتاب نائب حلب بأن بعض اكابر الصلحاء بحلب راي النبي صلى الله عليه وسلم في نومه ، وشكا اليه ما نزل بالناس من الوباء ، فأمره صلّى الله عليه وسلم ان يأمرهم بالتوبة والدعاء وهو : « اللهم سكّن

(١) السلوك — ج ٢ ق ٣ ص ٧٥٩ .
(٢) النجوم — ج ١٠ ص ١٩٩
(٣) السلوك — ص ٧٧٤ .
(٤) ص ٧٧٩ .

هيبة صدمة قهرمان الحروب بألطافك النازلة الواردة من فيضان الملكوت حتى نتشبّث بأذيال لطفك ونعتصم بك عن انزال قهرك ، ياذا القوة والعظمة الشاملة ، والقدرة الكاملة يا ذا الجلال والاكرام » . وانه كتب منها عدة نسخ بعث بها الى حماه وطرابلس ودمشق(١) .

ويقول ابن الوردي في هذا الوباء :

ان الوبا قد غلبا ... وقد بدا في حلبا
قالوا له على الورى ... كاف ورا قلت وبا

وقال ابن ايبك الصفدي :

قد قلت للطاعون وهو بغزة ... قد جال من قطيا الى بيروت
أخليت أرض الشام من سكانها ... وحكمت يا طاعون بالطاغوت

وقال :

لما افترست صحابي ... يا عام تسع وأربعينا
ما كنت والله تسعاً ... بل كنت سبعا يقينا

وقد استمر هذا الوباء حتى سنة ٧٥٠هـ. حيث خفّت وطأته بعد ذلك .

وكان الشيخ العطار غنياً اذ عمّر الجامع على نفقته الخاصة ووقف له الاوقاف لتصرف على القائمين عليه من مدرسين وغيرهم . فقد ذكر النابلسي في رحلته مما سمعه من الطرابلسيين ، ان هذا الجامع « عمّره رجل كان عطاراً ، وكان ينفق عليه من الغيب فنسب اليه ، وفي هذا الجامع أربع صُفف ، كل صُفة لها مدرّس ، له معلوم يتناوله من وقف الجامع المذكور »(٢) .

وهو الذي عمّر الحمام المعروف به (حمام العطار) شرقي بركة الملاحة ، ثم قام سبطه ببناء مدرسة ملاصقة للحمام المذكور .

(١) ص ٧٨٠ .
(٢) النابلسي — ص ٧٢

موقع الجامع وأصله

يقع جامع العطار بالقرب من خان المصريين ، ويقابله من جهة الغرب مباشرة خان الجاويش ، وهو في سوق البازركان قريب من بركة الملاحة ، والسوق الجديد .

ويؤكد المؤرخون ان الجامع كان كنيسة في زمن الصليبيين ، فتداعى بناؤها بعد فتح المنصور قلاوون للمدينة ، فأقيم هذا الجامع على انقاضها(١) . ويقال للتدليل على ذلك ، ان القبة الرخامية التي تعلو منبر الجامع ما هي الا جرن الكنيسة الصليبية الذي توضع فيه المياه المعمّدة .

أما سقف الجامع ، وخاصة القسم القبلي منه فيوحي لمن يراه انه ليس بناء اسلامياً ، ومن المحتمل ان هذا القسم ظل سليماً من الكنيسة الصليبية ، ثم الحق به القسم الشمالي حيث تقوم القبة وتنفتح بوابتا الجامع ، الشرقية والغربية .

وصف الجامع

يتكون حرم الجامع من اسطوان واحد مستطيل الشكل يمتد من الشمال الى الجنوب ، ويبلغ طوله ٢٢،٥٠ متراً ، وعرضه ١٤،٥٠ متراً . وبه عشر عضاضات ضخام . ولا يحوي الجامع في داخله أية زخرفة في الوقت الحاضر ، خلا بعض التجويفات الهندسية في القبة التي تعلو القسم الشمالي من الحرم . أما في الخارج فهناك زخرفة رائعة على البوابة الشرقية ، وكان في الجامع سابقاً زخرفة هندسية وفسيفساء انتزعت من مكانها بالحرم وأهملت في فسحته السماوية ، مع نصف تاج كان على عمود رخامي يرجع الى العصر البيزنطي .

---

(١) المصدر السابق ــ ص ٧٢ ، خطط الشام ــ ج ٦ ص ٥٤

أبوابه

للجامع ثلاثة أبواب ، أحدها في أقصى الشمال يؤدي الى السوق الجديد ، وهو أصغر أبوابه وتقوم فوقه السدّة الخشبية . وهو حديث البناء .

أما الباب الثاني فهو في جهة الغرب بمواجهة خان الجاويش ، وهذا الباب أقدم أبواب الجامع وهو من عمل المعلم « ابو بكر ابن البصيص » ، وقد نقش اسمه فوق عتبة الباب الخارجية ، وهذا نص النقش :

« عمل ابو بكر ابن الصيص(١) الله رحمه(٢) تعالى »(٣)

وأبو بكر هذا مهندس مشهور في عصره ، قام ببناء جسر نهر الكلب في سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٢م(٤) وغيره من الاعمال العمرانية الضخام . وقد ذكر صالح بن يحيى في تاريخ بيروت في حوادث سنة ٧٤٥هـ. فقال : « ابو بكر بن البصيص البعلبكي ، مهندس خبير بالاعمال الساحلية ، وهو الذي أعمر نهر الكلب وغيره من الاعمال الثقال ببلاد طرابلس »(٥) .

وفي سنة ٧٤٥ كتب الامير ناصر الدين الحسين أحد أمراء بيروت البحتريين الى نائب دمشق يطلعه على حال جسر نهر الدامور الواقع بين بيروت وصيدا ، وما يقاسيه المسافرون من المشقّة والعطب بسببه ، وانه لم يبق نهر بالساحل بدون جسر غير هذا النهر ، وقد خرّب هذا الجسر بعد أن أنشأه شخص يُدعى « الدمياطي » بعد فتح الاشرف خليل بن قلاوون لمدينة بيروت . وتهدّم في السنة الثالثة لبنائه من جراء سيل جارف ، ثم أعيد بناؤه فلم يدم سوى بعض الشتاء حيث سقط من جديد أمام السيول وقذفت المياه حجارته الى البحر ،

---

(١) هكذا في الاصل ، والصحيح (البصيص) .

(٢) هكذا في الاصل جرى التقديم والتأخير في الكلمتين ، والصحيح (رحمه الله) .

(٣) هذا النص لم يات على ذكره المستشرق سوبرنهايم ، ولا الدكتور السيد عبد العزيز سالم .

(٤) قال الدويهي في تاريخه : في سنة ١٢٩٢ (٦٩٢هـ.) في غرة ربيع الاول كان الفراغ من بناء جسر نهر الكلب الذي بناه سيف الدين ابن الحاج ارقطاي المنصوري كافل السلطنة الشريفة بالمملكة الطرابلسية في أيام الملك المنصور بكر بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون . وكان قد أنشأه بعد خراب الجسر الذي اقامه ملوك الرومانيين ولا سيما انطونينس الحليم . ج ١ ص ١٢١

(٥) تاريخ بيروت ــ ص ١٠٤

وشكا الامير ناصر الدين من ضعف اساسات الجسر القبلية ، وأوضح لنائب دمشق ان الاعتماد المالي الذي وضعه نواب البلاد لا يفي بالعمل الجيد المطلوب ، وان كان الاتجاه لبناء الجسر عن طريق السخرة فهذا أسوأ من ذاك لان البلاد متداعية الى الخراب بسبب الجراد والقحط والضرائب ، واقترح عليه أخيراً أن يكلّف أبا بكر بن البصيص البعلبكي للقيام ببناء هذا الجسر لخبرته في بنـــاء الاعمال الضخام . و « ان اقتضت الآراء العالية طلبه الى هذا العمل فيحصل به النفع » (١) .

وهناك كاتب اشتهر بلقب « ابن البصيص » ذكره ابن حجر في تراجمه ، لعله قريب لابي بكر ابن البصيص البعلبكي المهندس .

قال ابن حجر : « موسى بن علي بن محمد الشهير بابن البصيص ، نجم الدين المجوّد ، كاتب المنسوب ، ولد بحماه سنـــة ٦٥١هـ. وتعانى المنسوب فاتقنه وكتب الاقلام بها ثم اخترع قلما سمّاه المعجز وانتفع به الدمشقيون ، وكتب هو بخطه كثيراً ، ورزق الحظوة ، وكان مع ذلك يعمل بالفأس في بستانه ويضرب اللّبن ويبني بيده . وكان ينظم نظماً سافلا ، عرياً عن الاعراب على طريقة الصوفية ، وكان مأموناً عفيفاً ، ومن شعره :

تشفّـــع بالنبي فكل عبـــد ... يُجار اذا تشفّع بالنبي
ولا تجزعْ اذا ضاقت امور ... فكمْ لله من لطف خفـــي

مات في ذي القعدة سنة ٧١٦هـ.(٢) .

الباب الرئيسي

يقع الباب الثالث في الجهة الشرقية ، وهو اجمل أبواب الجامع ، كمـــا يعتبر الباب الرئيسي . وقد بُني مع المنبر في سنة ٧٥١هـ. على يد المعلم محمد ابن ابراهيم المهندس ، ونُقش ذلك فوق عتبة الباب الخارجية في سطر واحد هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا الباب المبارك والمنبر عمل المعلم محمد ابن

(١) المصدر السابق — ص ١٠٣ و ١٠٤ .
(٢) الدرر — ج ٥ ص ١٤٧ .

ابراهيم المهندس(١) في(٢) سنة احد(٣) وخمسين وسبعماية » .

وهذا الباب يشبه الى حد بعيد باب المدرسة القرطاوية ، فهو عبارة عن قطاع مستطيل الشكل ، مفرّغ ، تعلوه جوفة كبيرة نصف كروية ، تقوم على أربعة طبقات من المقرنصات والمدلّيات ، وأسفلها لوحة مربعة محاطة باطار من البلاط الاسود ، ويتضمن هذا المربع زخرفة من الفسيفساء بخطوط رخامية بيضاء متشابكة ومتداخلة بشكل هندسي ، ويتوسط المربع دائرة ضمنها زخرفة وفي وسطها دائرة سوداء . وتحت هذا المربع مباشرة النقش التاريخي لبنـــاء الباب . وعلى جانبي المدخل مصطبتان ، كمدخل باب المدرسة القرطاوية ، ومدخل جامع البرطاسي ، والمدرسة النورية ، وغيرها .

وفوق عتبة الباب مباشرة بلاطة مستطيلة بها نقوش على شكل أزهـــار الزنبق يتناوب فيها اللونان الابيض والاسود . وعلى يمين الداخل من هذا الباب يوجد نص مرسوم أصدره الملك المؤيد شيخ المحمودي تاريخه سنة ٨٢١هـ. كتب في سطرين (٢٠٠ × ٤٠ سم.) هذا نصهما :

س١ « لما كانت (٤) بتاريخ العشر الاول من ربيـــع الاول سنة احد(٥) وعشرين « و »(٦) ثمان مائة ورد المرسوم الشريف « من »(٧) السلطان الملك المؤيد ابو النصر شيخ بأن لا يؤخذ من سكان وقف جامع س٢ العطار للمحتسبين من قدوم ولا شهر ولا أذا(٨) مكروه استجلاب أدعية المصلين ومن عمل به له أجره ومن خالف عليه غضب الله ولعنة الملائكة والناس اجمعين. آمين » .

(١) لم اقف له على ترجمة .
(٢) أسقطها الدكتور سالم — ص ٤١٤ .
(٣) هكذا في الاصل ، وصحتها (احدى) .
(٤) هكذا في الاصل ، وصحتها (كان) .
(٥) هكذا في الاصل ، وصحتها (احدى) .
(٦) سقطت من النص وأثبتها سوبرنهايم — ص ١٠٥ .
(٧) لم تات في النص ، ولكنني اثبتها ليرتبط الكلام ببعضه .
(٨) هكذا في الصل ، وصحتها (أذى) .

وهذا المرسوم هو المرسوم الثاني الذي يأمر الملك المؤيد بنقشه في طرابلس بعد المرسوم الذي نقش في الجامعين : المنصوري الكبير ، والتوبة ، برفع المظالم .

ويلاحظ في هذا المرسوم خلوّه من اسم نائب السلطنة بطرابلس . فقد ورد المرسوم الى المدينة ونائبها خارجها ، وعندما عاد اليها منعه أهلها من دخولها لكثرة ظلمه . فأقام في احدى الجهات بضعة أيام ، وفي أواخر ربيع الاول من السنة المذكورة استقر في نيابة صفد .

وهكذا نقش المرسوم بدون ذكر اسم للنائب باعتبار انه معزول . والنائب هو : الامير سيف الدين برد بك بن عبد الله الخليلي الظاهري المعروف بقصقا . وكان استقر نائباً على طرابلس في ١٧ رجب سنة ٨٢٠هـ. عوضاً عن الامير يشبك المؤيدي السيفي(١). وفي أوائل شهر ربيع الاول سنة ٨٢١هـ. كتب أهل طرابلس للسلطان يشكون له سوء سيرة عاملهم وتجاوزه الحدّ في الظلم وتركه امتثال مراسيم السلطان وكان النائب وقتها خارج طرابلس . وفي آخر الشهر وصل بردبك الى القاهرة بعد ان ُطلب بسبب الشكوى ، وهناك قدّم مالا جزيلا بعناية زوج ابنته جقمق الدوادار فقرّر في نيابة صفد . وتعيّن بطرابلس عوضه الامير برسباي الدقماقي ، الذي صار سلطانا على مصر والشام فيما بعد باسم الاشرف برسباي . وتولى النيابة في ٢٣ ربيع الاول(٢) .

قال المقريزي في حوادث شهر ربيع الاول سنة ٨٢١هـ. :

« وفيه قدم الخبر بأن الامير بردبك الخليلي نائب طرابلس خرج للدورة ، فلما عاد بلغه اتفاق قضاة(٣) طرابلس وأمرائها ورعيّتها على منعه من الدخول

---

(١) النجوم — ج ١٤ ص ٥٦ .

(٢) النجوم—ج١٤ ص٢٤٥، انباء الغمر — مخطوط — ج٢ ص١٢٥ب، Sobrnheim-P.108

(٣) منهم : القاضي المالكي محمد بن اسماعيل بن محمد بن البدر اللخمي الغرناطي المتوفى سنة٨٢٨هـ. انظر ترجمته في : الضوء — ج ٧ ص ١٤٢ وانباء الغمر ، المخطوط — ج ٢ ص ٢٢٢ب ، والقاضي الحنفي محمد بن علي بن عمر بن العلاء الحلبي المتوفى سنة ٨٥٢هـ. وولي قضاءها من سنة ٨٠٦ حتى سنة ٨٣٢هـ. انظر : اعلام النبلاء — ج ٥ ص ٢٤٦ .

الى البلد كراهية فيه لكثرة ظلمه وطمعه . فأقام بعد مراسلتهم في جهة من الجهات حتى ورد مرسوم السلطان ، ثم سار الى جهة مصر ، فكتب أهل طرابلس الى السلطان بقبيح سيرته ، وأخذه الاموال بغير حق ، ومخالفته المراسيم السلطانية . فرسم السلطان باحضاره »(١) .

ويبدو ان النائب المعزول بردبك الخليلي كان قد فرض ضمانا على أصحاب الحوانيت بسوق العطارين وعندما تمكن قضاة المدينة وأمراؤها من ابعاده عن طرابلس ، أصدر كاتب سرها مرسوماً بابطال الضمان المذكور في مستهل شهر ربيع الآخر من نفس السنة ٨٢١هـ. وذلك قبل وصول النائب الجديد برسباي المعيّن لها . وأورد المستشرق الاستاذ سوبرنهايم نص هذا المرسوم في مجموعة النقوش العربية ، وقال انه رآه على جدار أحد البيوت فوق أحد الحوانيت في زاوية زقاق يعرف باسم « زقاق الحمير » بالقرب من جسر الجديد . وهو من ستة أسطر :

س١ « الحمد لله لما كان بتاريخ استهلال ربيع الآخر سنة س٢ احد(٢) وعشرين وثمان مائة أشار المقر الشمسي محمد بن الشهيد(٣) كاتب س٣ السر بطرابلس للمقر السيفي سودون المؤيدي(٤) أمير حاجب الحجاب بأن س٤ يبطل ضمان المكس بسوق العطارين ورسم أن يبطل هذا المكس س٥ في صحائف المشار اليهم وأمر بعمل(٥) به بسفار(ة)(٦) السيد ناصر الدين محمد س٦ ...(٧)

---

(١) السلوك — ج ٤ ق ١ ص ٤٣٨ .

(٢) هكذا في الاصل .

(٣) لم أقف له على ترجمة .

(٤) هو الامير سودون بن علي شاه . ذكره المقريزي في وفيات شهر محرم سنة ٨٢٣هـ. وقال : « كان في حجوبية طرابلس فتوفي هذه السنة واستقر مكانه الامير سنقر المؤيدي نائب قلعة دمشق » . السلوك ج ٤ ق ١ ص ٥٢٠ .

(٥) هكذا في الاصل ، وصحتها (بالعمل) .

(٦) سقطت التاء المربوطة من النص وأثبتها سوبرنهايم .

(٧) فراغ لكلمة واحدة .

الحسني المحتسب(١) ومن جدده عليه لعنة الله »(٢) .

المنبـــــر

يعتبر منبر جامع العطار المنبر الرخامي الوحيد الذي بناه المماليك في مساجد طرابلس . وقد بُني في نفس السنة التي بنيت فيه البوابة الشرقية للجامع كما جاء في النص التاريخي . وهو من الرخام الابيض يبلغ طوله (٣،٤٠ أمتار) ، وعرضه (٩٥ سم.) . وفوق عتبة باب المنبر رخامة فيروزية اللون نقش عليها ما يلي :

« فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين »(٣)

وعلى جانب المنبر الشرقي نُقش هذا البيت من الشعر :

« أنا مرقى لخطيب   ومُعـــدّ للمواعظ »

وعلى الجانب الغربي منه نقش البيت التالي :

« فاعتبر فيَّ وفي   نفسك تلقى كل واعظ »(٤)

أما قبة المنبر فهي من الرخام الابيض أيضا تزيّنها قطع هندسية من الرخام الفيروزي ، وهذه القبة يُرجّح انها جرن المياه المعمودية الذي كان في الكنيسة الصليبية التي أقيم الجامع على أنقاضها .

والمنبر مع الباب الشرقي بُنيا في نيابة الامير بدر الدين مسعود بن أوحد ابن الخطير ، الذي تولّى نيابة طرابلس مرتين ، الاولى في شهر جمادى الآخرة سنة ٧٤٨هـ. واستمر بها حتى شهر ربيع الاول سنة ٧٤٩ حيث وليها مكانه الامير « الجيبغا المظفري » ، والثانية في شهر ربيع الآخر سنة ٧٥٠هـ. وظل بها حتى شهر رجب سنة ٧٥١هـ واستقر عوضه الامير « بكلمش » أمير شكار .

(١) لم أقف له على ترجمة .

(2) Sobrnheim - P.107

(٣) قرآن كريم — سورة آل عمران الآية رقم ١٨٥ .

(٤) لم يذكر سوبرنهايم شيئا عن الكتابة الموجودة على المنبر .

قال المقريزي عن الامير مسعود انه كان مشكوراً ، ورثاه الصفدي بقوله :

يمحـو ببيض أياديـه الكريمـة   ما للدهر من ظمآت في الورى سود
أضحت به غزّة في عـزّة فتحت   باباً لنيـل المعالـي غـير مردود
كذا طرابلس أن صار نايبها بادت   نوايبها عنهـا الـى البيـد
وجاور البحر فيها مثلـه وربما   على عجايبه في الفضـل والجـود
خلايق مثـل روض زهرة خضلٌ   ونسمـة الصبح فيه ذات ترديد

توفي بدمشق سنة ٧٥٤هـ. وكانت ولادته في جمادى الاولى سنة ٦٨٣هـ.(١).

المئذنـــة

أما المئذنة فتعتبر من أفخم مآذن طرابلس المماليكية ، وهي أقرب الى البناء الحربي منه الى البناء الديني . فهي عبارة عن برج مربع أكثر ارتفاعا من بقية مآذن المماليك في طرابلس . وتتألف من ثلاثة ادوار ، بها افريز بارز في منتصف ساقها تقريبا ، أما الدور الثالث فهو برج بشرفة مكعبة يوجد أسفلها مقرنصات ومدلّيات ترتكز على أربعة أعمدة رخامية في أركان المئذنة ، يعتقد انها من بقايا الكنيسة الصليبية(٢) . وفي وسط واجهات هذه الشرفة الاربع تنفتح نوافذ مزدوجة يفصلها عمود مركزي ومُتكأ النوافذ من البلاط الابيض المزخرف .

وعلى الاركان الاربعة فوق الشرفة تقوم أربع قبيبات . وتعلو الشرفة في وسطها شرفة أخرى أصغر حجما ثمانية الاضلاع ، ثم شرفة أخرى أصغر ولكنها أكثر ارتفاعاً من الاولى ، وفي نهايتها رأس المئذنة المخروطي الشكل .

وتقوم المئذنة فوق الباب الغربي للجامع .

(١) أعيان العصر — ج ٧ ق ١ ص ١٤٨ ، السلوك — ج ٢ ق ٣ ص ٩٠٥ ، الدرر — ج ٥ ص ١١٧.

(2) Condé - P. 94

محمد الصهيوني

هو : محمد بن عبد الرحمن الصهيوني .

ذكره الغزّي في الكواكب السائرة فقال : « محمد بن عبد الرحمن الشيخ الامام العلامة سري الدين الصهيوني الشافعي ، خطيب جامع الاطروش (كذا) بطرابلس . توفي بها وصُلّي عليه غائبة بدمشق يوم الجمعة ليلة عيد الاضحى سنة تسع وأربعين وتسعمئة مع الشمس الصفوري والشهاب التنوخي »(١).

والمترجم له كان خطيباً لجامع العطار وليس لجامع (الاطروش) كما جاء في الترجمة ، وذلك لسببين أولهما : عدم وجود جامع باسم جامع الاطروش في طرابلس . وثانيهما : ان عالماً آخر من أسرة الصهيوني كان خطيباً واماماً بجامع العطار بطرابلس ، وهو الآتي .

والصهيوني ، نسبة الى صهيون بفلسطين ، وهو الجدّ الاعلى لاسرة الحامدي .

عبد القادر الصهيوني

ذكره الغزّي أيضاً في كواكبه وقال : « عبد القادر بن محمد بن محمد بن محمد ابن قاضي سراسيق . الشيخ العلامة شرف الدين الصهيوني ثم الطرابلسي ثم الدمشقي الشافعي ، خطيب جامع العطار بطرابلس وامامه . أخذ عن شيخ الاسلام الوالد ، وقرأ عليه في البهجة جانباً صالحاً . وفي صحيح مسلم وفي الاذكار ، وغير ذلك . وحضر كثيراً من دروسه ثم أخذ قسماً في الألفية عليه وهو القسم الاخير مع رفاقه الثلاثة ، الشيخ رجب الحموي ، والشيخ محمد الجبرتي ، والشيخ ابراهيم اليمني الجبرتي . وقدم حلب في حياة الشيخ شهاب الدين الهندي ، فقرأ عليه في شرح الشمسية للقطب وسمع عليه في غيره ثم عاد الى طرابلس ودرّس بجامع العطار وانتفع به الطلبة . وكان الثناء عليه جميلا في الديانة وحسن الخلق ، غير أنه كان ينكر على ابن العربي . وتوفي بطرابلس سنة ٩٦٢هـ.»(٢) .

(١) الكواكب السائرة — ج ٢ ص ٤١ .
(٢) الكواكب السائرة — ج ٢ ص ١٧٢ ، شذرات الذهب — ج ٨ ص ٣٣٢ .

ومن أفراد هذه الاسرة : مصطفى بك ابن الصهيوني ، وكان مدبّراً لوالي طرابلس محمد باشا الارناؤط الذي تولاها في سنة ١٠٤٩هـ./١٦٣٩م(١) .

محمد الحامدي

ترجم له عبد الله نوفل فقال : « شمس الدين محمد بن نور الدين الحامدي. ذكره الشيخ النابلسي في رحلته . وترجم له ولده في أول شرحه لمنظومة ابن الشحنة . ولشمس الدين ديوان خطب كبير الحجم . وكتاب في المواعظ والارشاد ، جمعه تلميذه ابن الحلواني الحصني . وتوفي شمس الدين سنة ١٠١٧هـ. في طرابلس ودفن بمقبرة العطار(٢) .

لم أجد له ذكرا في رحلة الشيخ النابلسي كما قال نوفل .

نجيب الحامدي

ترجم له نوفل أيضا فقال : « الشيخ نجيب بن محمد بن احمد بن عبد القادر الحامدي ولد سنة ١٢٦٢هـ. وكان عالماً بالفقه الشافعي وذا اخلاق رضية . درس في طرابلس ثم هاجر الى مصر في مقتبل عمره فدخل الازهر الشريف ولبث فيه عدة سنين . ولما أنهى علومه العقلية والنقلية أجازه فطاحل الاساتذة في الازهر بشهادة نهاية التلقّي وانتهاء مدة المجاورة . ثم رجع الى طرابلس وظل فيها حوالي الاربعين سنة وهو منعكف على التعليم والارشاد . ولم ينقطع عن التدريس حتى الوفاة . فتخرّج عليه كثيرون من طلبة العلم . توفي سنة ١٣٢٩هـ. »(٣) .

فتح الله الزعبي

من علماء طرابلس في أوائل هذا القرن . ولد فيها وتعلم ، وانقطع للتدريس والخطابة في جامع العطار . له عدد من المؤلفات الدينية المخطوطة ، كما له عدة شروح وتعاليق وأبحاث في الفقه والحديث(٤) . توفي سنة ١٣١١هـ/١٩٢٢م.

(١) تاريخ الطائفة المارونية — ج ٢ ص ٢١٣ .
(٢) تراجم علماء طرابلس — ص ١٨٢ .
(٣) ص ١٨٣ .
(٤) تاريخ طرابلس قديما وحديثا — سميح الزين — ص ٥٠٠ .

وقد خلفه في التدريس الشيخ محمود منقاره المتوفى سنة ١٩٣٢ ثم الشيخ عبد المجيد المغربي الذي كان اماماً ومؤذناً وقيّماً لمدرسة سبط العطار بمحلة العدسة . ثم الشيخ محمد بن عبد الفتاح الزعبي .

عبد المجيد المغربي

هو عبد المجيد بن محمود عزيز المغربي . العالم الفاضل ، والمفكر الفقيه . ولد في طرابلس سنة ١٢٨٤هـ. وتولى الخطابة والتدريس في جامع العطار الى جانب الامامة في مدرسة سبط العطار . وكان يقوم بالتدريس حسبة لله تعالى في الجامع المنصوري الكبير والمدرسة القرطاوية ، ثم التدريس الخصوصي في المدرسة السقرقية لعدد وافر من خواص الطلاب ، وكذلك في المدرسة النورية .

كان فقيهاً حنفياً فرضياً . تتلمذ على الشيخ حسين الجسر وكان من تلاميذه المقربين . والشيخ أبي المحاسن القاوقجي ، وكان من خواصّ تلاميذه ، والمعيد لدروسه قبل أن يبدأ الشيخ بالشرح .

انتقل اسلافه الى طرابلس قبل القرن العاشر للهجرة من مدينة تونس ، حيث كان جدّه الاعلى مفتي السادة الاحناف في مدينة تونس ، الشهير بابن دارغوث ، — وليس من بلدة درغوث — كما يقول الزركلي(١) ويرجع أجداده الى المهاجرين الاول من عرب الفتح الى شمال افريقيا كما حقق ذلك الشيخ عبد القادر المغربي ، رحمه الله ، والاستاذ رشاد المغربي دارغوث حسب ما وجد من مؤلفات علماء العائلة ، وكما سمعه الشيخ عاطف المغربي حفظه الله من والده .

وللشيخ عبد المجيد مؤلفات عديدة ، منها المطبوع ، ومنها غير المطبوع . ومن مؤلفاته : المعراج ، و « المنهل الفائض في علم الفرائض » ، و « الفرائد الجماعية في النفقات » ، و « رسالة وضع اليد » في دعوى العقار ، و « الكوكب الشرقي » ينقض فيه نظرية العالم الفلكي « لابلاس » . وهو فريد من نوعه . وقد نشرت مؤخراً جريدة « الجريدة » البيروتية خبراً عن أحد علماء الروس الفلكيين ، يؤيد فيه ما جاء في كتاب الكوكب الشرقي للشيخ عبد المجيد المغربي .

---

(١) الاعلام — الزركلي — ج ٤ ص ٢٩٤ .

كان الشيخ المغربي يتكلم التركية كأبنائها ، والافرنسية ، وله المام واسع باللغتين : الانكليزية والفارسية . وله نظم . اشترك مع المرحوم عبد الحميد كرامه في النضال التحرري الوحدوي ، وكان أحد أركان الكتلة الوطنية . وبسبب موقفه النضالي ضد الافرنسيين أقيل من منصبه بأمانة الفتوى . وكان يحمل الوسام المجيدي المذهب أهداه له السلطان عبد الحميد تقديراً لمؤلفاته . والوسام محفوظ عند ابنه الشيخ عاطف المغربي .

توفي الشيخ عبد المجيد المغربي في الرابع من نيسان ١٣٥٢هـ/١٩٣٤م. رحمه الله .

عبد الحميد الحامدي

هو : الشيخ عبد الحميد بن نجيب الحامدي . ولد سنة ١٣٠٠هـ. وكان اماماً ومدرّساً وتالياً للقرآن الكريم في جامع العطار حتى شاخ وأعفي من وظائفه في أول سنة ١٩٧٣ ، كان أستاذا في القسم الشرعي بكلية التربية والتعليم الاسلامية بطرابلس لمدة طويلة ، وتخرّج عليه كثير من الطلبة وكنت من بينهم ، وأخذت عليه : التوحيد والمنطق والفرائض والنحو والصرف . وكان يمتاز بأنه شديد الحرص على الوقت ، لا يضيّع من الدروس أيّ وقت . وانتخب عضواً في المجلس العلمي للاوقاف . وله مكتبة كبيرة ما تزال في غرفة الجامع اليمنى وهي موروثة عن والده وجده . وهو الآن يتجاوز التسعين من العمر .

نور الدين البكري

هو خطيب جامع العطار الآن ، ومن مشاهير خطباء طرابلس . تلقّى علومه الشرعية في القسم الشرعي بكلية التربية والتعليم الاسلامية ، ثم التحق بالازهر الشريف ونال الاجازة العالية من كلية اللغة العربية . وعاد الى طرابلس وقام بالتعليم الديني في المدارس الرسمية ، وقد حضرت عليه سنة

١٩٥٤ في مدرسة الزهرية . ثم أصبح مدرّساً للغة العربية والادب في المدارس الرسمية بعد أن ُعودلت شهادته الازهرية بالاجازات اللبنانية العالية . كما ُوجّهت عليه مهمة الخطابة في جامع العطار وتمتاز خطبه بالصراحة المحبّبة الى المستمعين حيث تتخللها كثير من التعبيرات الشعبية باللهجة العامية الدارجة ، والتي يضفي عليها مسحة من روحه المرحة . وهو صاحب نكتة . مستقل في مواقفه . له أياد كثيرة في عمل الخير ، ومساعدة الفقراء والملهوفين . وهو الآن ناظر ثانوية الملعب البلدي بطرابلس تولّى ادارتها بضعة أشهر ثم عزف عنها وعاد الى النظارة .

« ٦ »

جامع البرطاسي

تسميته وتاريخ بنائه

يعرف بجامع ومدرسة البرطاسي ، أو البرطاسية(١). وقد ُسمّي نسبة الى مؤسسه ابن البرطاسي المتوفى سنة ٧٢٥هـ. وفي نسخة للنابلسي « البراطسية »(٢) .

أما تاريخ بنائه فيرجع الى الربع الاول من القرن الثامن الهجري . وبني في الاساس ليكون مدرسة للطلبة على المذهب الشافعي . الى جانب اقامة صلاة الجمعة ، ولذلك جمع بين الجامع والمدرسة . وكانت تسميته بالمدرسة غالبة عليه أكثر من تسميته بالجامع ، وهذا ما نراه في ترجمة صاحبه عند الفيومي ، والصفدي ، وابن حجر العسقلاني .

قال الفيومي : « الامير شرف الدين عيسى بن عمر البرطاسي الكردي . أحد أمراء الطبلخاناة . توفي يوم الجمعة خامس شهر رمضان بمدينة طرابلس ، وشادّ الدواوين بها . قال شهاب الدين البدري انه كان رجلا جيداً ، شهماً ، شجاعاً مقداماً ، وأنشأ مدرسة بمدينة طرابلس ، ورافقته في سنة عشر وسبع مائة فكان حسن المرافقة ، كثير الاحتمال رحمه الله تعالى »(٣) .

(١) رحلة العطيفي — ص ٢٢١ .
(٢) الآثار الاسلامية في لبنان في القرن الثامن عشر — الدكتور صلاح الدين المنجد — ص ١١ .
(٣) نثر الجمان — ج ٣ ص ٢٠٣ب و ٢٠٤أ .

وقال الصفدي : « عيسى بن عمر بن عيسى ، الامير شرف الدين بن البرطاسي الكردي . مشد الدواوين بطرابلس . كان مشكوراً في مباشرته ، مذكوراً بالخير في مباشرته ، فيه كياسة ، وعنده حشمة ورياسة ، وله سيادة وسياسة . ما خلا من خير قدّمه ، وشرّ هدمه . وعمّر بطرابلس مدرسة للشافعية مليحة ، وجعل ساحتها للطلبة فسيحة . ولم يزل على حاله الى ان أدبر وتولّى ، وترك أعراض هذه الدار وخلّى . وتوفي رحمه الله تعالى بطرابلس خامس شهر رمضان سنة ٧٢٥هـ. وكان من ابناء الستين وتولى مكانه الامير بدر الدين بن بكتوت القهاني . وكان ابن البرطاسي قد باشر ولاية السر بدمشق في شعبان سنة ٧١٤ عوضاً عن الامير علم الدين سنجر الطرقجي ولم يزل في ولايته الا اليسير الى أن عزل بالامير علاء الدين بن معبد في السادس من ذي الحجة سنة ١٤ ثم انه أعيد بعد العيد الى طرابلس فأقام بها الى أن توفي في التاريخ المذكور »(١) .

وقال ابن حجر : « عيسى بن عمر بن عيسى الكردي ، شرف الدين البرطاسي . ولد سنة ٦٦٥ وباشر ولاية البرية(٢) بدمشق ، ثم ولي شد الدواوين بطرابلس . وكان مشكور السيرة مذكورا بالخير وعمّر مدرسة للشافعية »(٣). وجاء في هامش هذه الترجمة ما يلي : « عمّر المدرسة البرطاسية بطرابلس للشافعية ، ومات بطرابلس في شهر رمضان سنة ٧٢٥ ».

موقع الجامع

يقع جامع البرطاسي على حافة النهر اليسرى في المنطقة التي تتوسط بين محلتي السويقة والحديد ، شمالي شرقي القلعة . كانت مياه النهر تضرب في جداره الشرقي حتى سنوات قليلة ، ثم جرى تعميق مجرى النهر بعد مدة من

---

(١) أعيان القصر — ج ٧ ص ١٢٨ب .

(٢) هكذا في النسخة ، ولعلها ولاية السر كما جاء عند الصفدي .

(٣) الدرر الكامنة — ج ٣ ص ٢٨٦ و ٢٨٧ .

فيضان سنة ١٩٥٥ حيث غمرت المياه حرم الجامع وصعدت الى غرفه الخارجية وامتلأت أرضه بالطين ، وتعطلت الصلوات فيه عدة سنوات حتى قامت مديرية الآثار باعادة ترميمه . وكان هناك مُخطّط وُضع لتنظيم مجرى نهر ابي علي ، ولُحظ فيه ازالة الجامع من مكانه لوقوعه المباشر على النهر ، ولكن هذه المحاولة لم يُكتب لها النجاح ، وبقي الجامع في مكانه يتوسط الكورنيش الذي أقيم على جانبي النهر ، وقد أزيل من حوله كثير من الابنية التاريخية ، منها : البيمارستان وكان يقع بمواجهة الجامع مباشرة(١) ، والمدرسة البترکية ، وهي من بقايا الابنية الصليبية والقناطر التي كانت تعرف بـ « باكية غانم » وآثارها قائمة الآن داخل القلعة .

كما تهدم من جراء الفيضان المذكور جسر السويقة المعروف بالجسر العتيق، وكان على بعد خطوات شرقي الجامع .

وصف الجامع

يعتبر جامع البرطاسي من أجمل مساجد المماليك في طرابلس . تشبه بوابته بوابة جامع العطار الشرقية ، وبوابة المدرسة القرطاوية . ومئذنته تقوم فوق عقد الباب كما هو الحال في جامع الطحام .

وتقوم على جانبي مدخل البوابة مصطبتان شبيهتان بمصطبتي بوابة جامع العطار ، والمدرسة النورية ، والمدرسة القرطاوية وغيرها . وقد بُنيت واجهة البوابة بحجارة داكنة اللون ، بها شريطان من الحجارة السوداء عند وسط الباب . وفوق عتبة الباب مباشرة وضعت بلاطة بها زخرفة تشبه رأس السنجق

---

(١) يروي الطرابلسيون نادرة طريفة عن الجامع والبيمارستان هي ، ان البيمارستان كان مصحا للمجانين ، وحدث في أحد الايام ان فر أحد نزلاء البيمارستان المعتوهين وصعد مئذنة جامع البرطاسي وأراد ان يلقي بنفسه منها ، فاجتمع الناس تحت المئذنة يطلبون اليه النزول ، وكان كلما همّ أحدهم بالدخول الى الجامع هدد المعتوه بالقاء نفسه ، واحتار الناس ماذا يفعلون ، وأخيرا اهتدى احدهم لفكرة الاستعانة بمعتوه مثله ، ودخل البيمارستان وعرض الامر على أحدهم فتعهد له بانزاله ، وأحضر هذا قطعة من الخشب ، ووقف تحت المئذنة وصرخ على رفيقه بأن ينزل والا فانه سيقطع المئذنة من أساسها بسيفه الخشبي ، فخاف الآخر ونزل .

منها اثنتان باللون الاسود تتوسطهما زخرفة بالحجـارة البيضاء . وفي نفس البلاطة ُنقش مربعان هندسيان يتضمنان كتابة كوفية متداخلة بشكل هندسي ، الاولى على اليمين ونقش فيها :

محمد — محمد — محمد — محمد

والثانية على اليسار ونقش فيها :

علي — علي — علي — علي

وبين هذين المربعين نقش مكعبان ضمنهما كتابة اخرى غير واضحة . وفوق هذه الزخرفة يوجد شريط من الكتابة التاريخية لوقفية الجامع التي تبدأ من واجهة البوابة اليمنى الخارجية ثم الجدار الغربي المجوف من الباب ، ثـم واجهة الباب في القطاع المجوف ، ثم الجدار الشرقي المجوف من الباب . وتنتهي الكتابة عند هذا الحد دون ان تمتد الى الواجهة اليسرى ، وعلى هـذا يمكننا القول ان هذا الجزء الذي لم لم ُينقش عليه شيء ربما كان سيحمل تاريخ بناء الجامع .

والشريط الكتابي يتضمن النص التالي :

« بسم الله الرحمن الرحيم أوقف هذه المدرسة المباركة العبد الفقير الـى الله تعالى عيسى بن عمر البرطاسي عفا الله عنه وعلى المشتغلين بالعلم الشريف على مذهب الامام الشافعي واقامة الجمع والصلوات المكتوبة . وشرط ان لا ُيرسّم فيها على أحد ولا يسكنه من لا له الحق في ذلك »(١) .

وفي الواجهة الشمالية من الجامع توجد عدة غرف للطلبـة الذين كانوا يتلقون العلوم الدينية فيها . وينام فيها الاساتذة ، اذ وصلنا اسم أحد المشايخ

(١) يلاحظ سوبرنهايم ان الشرط في وقفية المدرسة كالشرط الذي نراه في وقفية جامع طينال ص ١٣٨.

الذين أتوا الى هذه المدرسة ، ولكنه توفي فيها بعد ثلاثة أيام . وذلك في سنة ٧٣٠هـ. أي بعد سنوات قليلة من بنائها .

قال الجزري في حوادث سنة ٧٣٠هـ. :

« في ليلة الجمعة الحادي والعشرين من ذي الحجة تـوفي الشيخ امين الدين ابو البقاء محفوظ ، شهاب الدين ابو الحسن علي ابن الشيخ امين السر عمر بن ابي الحسن عبد الله بن عبد الباقي التميمي ابن الموصلي بمدينة طرابلس بمدرسة ابن البرطاسي ، وُصلّي عليه عقيب الجمعة ودفن بمقبرة البلـد ، ومولده في رجب سنة ثمان وخمسين وستمائة بمدية الفيوم من أعمال الديار المصرية . وكان في صغره ُيسمّى بالحافظ عبد الباقي . وهـو أحد الكتّاب المتصرفين . له اشتغال بالعلم . وسمع من ابن عبد الدايم واسرائيل الطبيب ، وجماعة ، وحدّث . وكان يوصف بالتلوّن ولين الجانب وحسن الخلق . ثم انه تعلّق بتركة كبيرة واختبط امره فيها فضرب وأخذ منه ما أمكن . وعجز عبـد الباقي وحبس مدة ثم خلص فقيراً وبقي مدة في ضيق وشك . ثم توجه الـى الساحل فخدم فيه باللاذقية نحو سنتين وتمرّض وتوجه الى طرابلس فبقـي ثلاثة أيام ومات »(١) .

أما جوفة الباب العليا القائمة على المقرنصات المتدرّجة والمدلّيات ، فتعدّ من أجمل ما أبدعه الفنانون في عصر المماليك(٢) .

وباب الجامع الخارجي يطل على ممر ضيق بطول مترين ثم باب أقل عرضاً عنده درج على يمين الداخل ، ثم الباب المؤدي الى الحرم . ويتألف الحرم من بلاط مربع الشكل يقوم في وسطه حوض الماء الرخامي للوضوء ، وهو أجمل

(١) تاريخ الجزري — ج ٢ ص ٢١٤ و ٢١٥ .

(٢) طرابلس الشام — ص ٤٢٦ .

أحواض مساجد طرابلس المماليكية بشكله الهندسي الجميل وزخرفته . وحول البلاط من جهاته الثلاث : الغربية والقبلية والشرقية يقوم بيت الصلاة المرتفع عن البلاط بحوالي ٦٠ سم.

ويعتبر محراب الجامع أروع محاريب المساجد المماليكية ، ليس في طرابلس فحسب ، بل في لبنان(١). اذ تزدان قنطرته العليا بلوحة نباتية من الفسيفساء ذات اللون الفيروزي على أرضية مذهّبة . وتمثّل اللوحة الزخرفية كأسا تخرج منه فروع نباتية . وعلى يمين المحراب منبر خشبي مزخرف بالتقاطيع الهندسية . وتزيّن الجدار القبلي للجامع خطوط متناسقة وهندسية من الرخام الملون (الابيض الاسود ، الفيروزي ، والاصفر) الذي يرتفع حوالي ٢٥٠ سم. عن أرض الحرم، كما في المدرسة القرطاوية .

أما قبة الجامع فترتفع فوق حوض الوضوء وترتكز على عضاضتين فوق ركني بيت الصلاة عند زاويتي البلاط القبليتين ، وفي زواياها جوفات مثلثة ومقرنصات ، وهي تقوم على طابقين ، الاول به ثمانية نوافذ كبيرة ، والثاني به ١٢ نافذة أصغر من الاولى . وللقبة عنق بارز من الخارج كفتحة القارورة وهو للتهوية والضوء . وهناك قبة صغيرة فوق محراب الجامع تقوم على طابق مثمّن الاضلاع تنفتح به نافذتان شرقية وغربية . وفوق المحراب تنفتح نافذة دائرية ، منها اثنتان أيضاً في الجدار الشرقي من الحرم(٢). وهناك قبة ثالثة تقوم شرقي المئذنة وهي أصغر قباب الجامع .

مئذنة الجامع

أما المئذنة ففي هندستها شيء مميّز عن مآذن طرابلس الاخرى . وخاصة واجهة المئذنة الغربية التي تختلف في شكلها عن الواجهات الثلاث الاخرى . ويُخيّل للناظر الى هذه الواجهة أنه يرى احدى مآذن الاندلس أو المغرب

(١) طرابلس — ص ٤٢٦ .

(٢) يلاحظ ان النوافذ الدائرية تقتصر على جامع البرطاسي والمدرسة القرطاوية فقط . انظر :
Les Monuments de Tripoli - P. 27

العربي . ويعتقد الدكتور السيد سالم ان مهندس هذه المئذنة اندلسي الاصل هاجر الى طرابلس وساهم في بناء آثارها وسجل أصله الاندلسي المغربي على زخرفة العقدين التوأمين المنكسرين عند رأسيهما وتتناوب فيهما الحجارة البيضاء والسوداء . ويرتكزان على ثلاثة مناكب من الحجارة البيضاء وتنفتح تحتهما نافذتان مستطيلتان ، يفصل بينهما عمود داكن اللون . والنافذتان مع العقدين ضمن اطار مجوّف مستطيل الشكل غائر في واجهة المئذنة . بحيث يبدو سطح العقدين بمستوى سطح واجهة المئذنة .

وفوق هاتين النافذتين ، نافذتان أخريان ترتكز قنطرتهما المدبّبة على عمود مركزي ، وفوق هاتين النافذتين مباشرة مقرنصات متدرّجة تشكل أسافين لقاعدة برج المئذنة المشرف الى الخارج بحجم يزيد عن حجم ساق المئذنة ، وبهذا البرج تنفتح نافذتان في كل واجهة . ثم تقوم في وسط الشرفة رقبة المئذنة ، وهي سداسية الاضلاع ، ثم طابق أقل ارتفاعاً وحجماً ، ويعلوه طربوش مخروطي منخفض بأضلاع سداسية .

أما الواجهات الثلاث الاخرى من المئذنة فهي تكاد تكون صورة اخرى عن مئذنة جامع التوبة .

الجامع كما رآه العطيفي

أعجب رمضان العطيفي أثناء رحلته الى طرابلس بجامع البرطاسي ، وسجل أعجابه به بقوله : « ... وبها جامع يقال له البرطاسية ، من بابه الى محرابه مفروش بالرخام المنوع الذي يدهش الابصار ويحير الافكار . وكذلك حيطانه . ومن جهة الغرب(١) تطل على النهر المار بالمدينة وسقف معقود بالاحجار ، وبه من الجام الملون ما يشبه النجوم والعقد المنظوم . فاذا طلعت الشمس أرخى ذلك الزجاج شعاعه على ذلك الرخام المنقوش فيصير لذلك مرأى عجيب وأسلوب غريب . وبه بركة ماء مفصّصة بأنواع الرخام الملون . كنت أكثر الجلوس به لهذه المحاسن »(٢) .

(١) يقصد في الواقع الجهة الشرقية ، فهي المطلة على النهر ، وليس الجهة الغربية .

(٢) رحلة العطيفي — ص ٢٢١ و ٢٢٢ .

من علماء الجامع

من علماء جامع البرطاسي وصلنا أحدهم ويدعى الشيخ شهاب الدين ، وكان خطيباً به . ذكره المطران الدويهي في تاريخ الازمنة ، ثم في أصل الموارنة ، في القرن العاشر الهجري ، وهو يتحدّث عن دير رأس النهر باهدن المعروف بدير مار سركيس وما توزع عليه من أوقاف .

قال الدويهي : « في سنة ١٥٧٢ (٩٧٩ — ٩٨٠هـ) فرضت الضرائب الباهظة على بعض القرى والاديار المارونية . وكذلك توزّع على وقف دير رأس النهر باهدن خمسة عشر سلطاني فاشتراه ناصر الدين حلبي المذكور بالوكالة عن علي حلبي صاحب الولاية الشامية من الشيخ شهاب الدين خطيب البرطاسية . ثم بعد مدة من الزمان هفت الحجة المذكورة . فبعث يحيى النائب ابن محمد المولى بطرابلس الشام أخرجها من السجل وسلمها للقس موسى الدويهي ولابن عمه الحاج ابراهيم »(١) .

خليل الثمين

كان خطيب الجامع في القرن الماضي الشيخ خليل ابن الشيخ ابراهيم الثمين . وقد ترجم له عبد الله نوفل فقال انه ولد في عام ١٢١٣هـ. في طرابلس وتخرج على علمائها كباقي رفاقه ثم ذهب الى القاهرة والتحق بالجامع الازهر حيث بقي أعواماً عديدة أتقن خلالها سائر العلوم التي تُدرس في الجامع المذكور ثم عاد الى طرابلس وتعيّن نقيباً للاشراف وخطيباً لجامع البرطاسية واماماً .

(١) أصل الموارنة — اسطفان الدويهي — تحقيق انطوان ضو — ص ١٠ و ١١ بالهامش نقلا عن تاريخ الازمنة للدويهي أيضا ، ص ٢٧١ ، طبعة اهدن ١٩٧٣ .

كان طلق اللسان مفوّهاً ، قيل انه سافر الى دمشق ونزل ضيفاً على مفتيها فكان يجتمع مع نخبة من علمائها فيتباحثون ويتذاكرون في المسائل العلمية والفقهية ، فراقهم ما شاهدوه وما سمعوه من سعة علمه ، فقال له أحدهم : ان غاية كل منّا ان تقول انت ونحن نسمع . وللمترجم مؤلفات كثيرة منها ارجوزة في علم الفرائض شرحها العلامة الشيخ محمد الحسيني الشهير . وله كتاب : السراج الوهّاج لايضاح ما يلزم الحاج . وكتاب الرحلة الحجازية ، وقد ضمّنها كثيراً من شعره . وله : شكاية أهل السنّة بحكاية ما نالهم من المحنة ، وغير ذلك من المؤلفات المفيدة . وكان ينظم الشعر الفائق ، وله تخميس لطيف للبردة الشريفة نقتطف منه هذه الابيات :

أجفوة الحب أنست لذّة الحلم   أم شدة الوجد أبدت حلّة السقم
أم تلك لوعة صبّ بالغرام رمي   أم من تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

وقال وهو مسافر لأداء فريضة الحج :

هبّ النسيم فذكر المشتاقا   ما قاسى من ألم الصدود ولاقى
فالدمع صيبه كهطل سحابه   والقلب من حرّ الجوى برّاقا
تذكي لهيب جوارحي بمدامعي   ومن العجائب هاطلا حراقا

وله غير ذلك من القصائد . وتوفي سنة ١٢٩٣هـ.

فؤاد صادق

هو : الشيخ محمد فؤاد بن عمر بن محمد قاسم صادق بدران حسن الحسيني . ولد سنة ١٣٠٣هـ. بمحلة باب الحديد بطرابلس . وتلقى علومه على الشيخ عبد القادر الأشبا الحداد ، وأخذ عليه القرآن الكريم ، والعربية ، ثم دخل المدرسة الرشدية الاعدادية فنال شهادتها سنة ١٣٢٠هـ. ثم انتقل الى المكتب الاعدادي السلطاني في بيروت وتخرّج منه . تردّد على اسطنبول عدة مرّات وعيّن فيها موظفاً بالبلدية . ثم انتقل الى دمشق وعيّن معاوناً

لمدير محطة سكة حديد الحجاز . وانتقل الى مثل وظيفته في فلسطين . ثم عاد الى طرابلس . ومنها الى اسطنبول مجدّداً . ثم رجع الى بلده سنة ١٣٢٦هـ . وعيّن مرافقاً لمتصرّف طرابلس (عاكف باشا) . وعاد الى اسطنبول مع المتصرّف المذكور ودخل مكتب البحرية وتخرّج منه ضابطاً سنة ١٣٢٧هـ . سافر الى اوروبا مع جمال باشا ناظر البحرية التركية ، كما سافر معه الى القدس . ثم عاد الى اسطنبول حتى انتهت الحرب العالمية الاولى ، وبانتهائها تعيّن رئيساً لكتّاب البحرية ، وعندما احتلت الدول الاوروبية الاستانة غادرها الى بلده حيث تعيّن كاتباً في محكمة بداية طرابلس . وعندما أحيل للتقاعد تحوّل الى السلك الديني ، وعمل اماماً وخطيباً في مساجد طرابلس وهو الآن خطيب جامع البرطاسي حيث تولّى مهمة الخطابة فيه منذ سنة ١٩٦٦ بعد السيد تحسين الثمين .

والشيخ فؤاد صادق من أفاضل شيوخ طرابلس ، ومن أدبائها . كتب كثيراً من المقالات الادبية والتاريخية في عدة جرائد ومنها : لسان الحال ، الحياة ، الحوادث ، الرقيب ، الرائد ، الحضارة ، والامان .

وهو الآن يزيد على التسعين من عمره ، حفظه الله .

« ٧ »

جامع أرغون شاه

تسميته وتاريخ بنائه

يسمّيه العامة الآن « جامع الغونشا » . ويكتبه بعضهم « أرغونشاه » ، وهو تصحيف لاسم أرغون شاه مؤسس الجامع . وجاء اسمه في رحلة النابلسي « الغناشاه »(١) ، وفي نسخة اخرى « الفنشا » . بالفاء(٢) .

ويقول الدكتور السيد سالم انّ الجامع أقيم قرب نهاية عصر المماليك الشراكسة ، أي في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي ، مستدلا على ذلك باسلوب البناء(٣) .

والنصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي يقابله النصف الثاني من القرن التاسع الهجري ، أي أنه أقيم بعد سنة ٨٥٤هـ./١٣٥٠م. حسب تقدير الدكتور سالم ، اذ يبدأ عصر المماليك الشراكسة في هذا التاريخ .

ومن الواضح ان الدكتور سالم استند في تقديره الى ما ذكره المستشرق الاستاذ بروس كوندي من ان الجامع بني قبل حوالي خمسين عاماً من خضوع طرابلس للاتراك(٤) .

---

(١) ص ٧٢ .

(٢) الآثار الاسلامية — ص ١١ .

(٣) طرابلس الشام — ص ٤١٦ .

(4) Condé - P. 54

وأرى أن جامع ارغون شاه بني قبل هذا التاريخ بنصف قرن على الاقل . ونستدل على ذلك من اسم الجامع الذي ينسب لبانيه ، فهو يحمل اسم شخص يدعى ارغون شاه . وهناك أمير يحمل هـذا الاسم كان نائبـاً للسلطنة في طرابلس في أواخر القرن الثامن الهجري وهو أرغون شاه الابراهيمي المتوفى سنة ٨٠١هـ. وان كانت المصادر التاريخية التي بين أيدينا لم تذكر ان هـذا النائب أحدث بناء في طرابلس أثناء نيابته عليها . ولعل ذلـك يرجـع الى أن الجامع كان في الاساس زاوية صغيرة عُرفت بزاوية أرغون شاه ، كما جاء في النص التاريخي المنقوش على عتبة الباب الشرقي للجامع .

ويمكننا ان ندعم قولنا هذا بما أورده السخاوي في ترجمة والد الصلاح الطرابلسي المولود في سنة ٨٠٩هـ. والمتوفى سنة ٨٦٣ اذ كان متولياً لمشيخة زاوية أرغون شاه عدة سنوات ، وستأتي ترجمته .

ترجمة الامير ارغون شاه

هو الامير سيف الدين ارغون شاه الابراهيمي المنجكي الظاهري برقوق الخازندار . تولى نيابة السلطنة بطرابلس في شهر ذي الحجة سنة ٧٩٦هـ. عوضاً عن الامير دمرداش المحمدي(١) ، وظل بها حتى نقل الى نيابة حلب في شهر صفر سنة ٨٠٠هـ. فوليها بعده الامير آقبغا الجمالي الظاهري الاطروش .

اختلف في تاريخ وفاته فمنهم من قال انه توفي في سنة ٨٠٠هـ.(٢) ومنهم من قال انه توفي في سنة ٨٠١هـ.(٣) .

ترجم له السخاوي فقال : « كان أصله لابراهيم منجك فتنقل حتى صار جمداراً عند الناصر وخازنداراً وأرسله أيام يلبغا الناصري الى حلب حاجباً فلم

(١) ابن الفرات ــ مجلد ٩ ج ٢ ص ٣٨٨ .
(٢) انباء الغمر ، المخطوط ــ ج ١ ص ٤٧٤ ، الضوء ــ ج ٢ ص ٢٦٧ .
(٣) الضوء ، السلوك ــ ج ٣ ق ٣ ص ٩٧٤، النجوم ــ ج ١٣ ص ٤، نزهة النفوس ــ ج٢ ص٢٥

يمكنه الناصري ، وكاتب في الاعفاء فأجيب . فلما قتل الناصر ولاه الظاهر نيابة صفد ، ثم طرابلس ثم حلب في ٨٠٠هـ. وبها مات في العشر الاخير من صفر فيما قيل سنة ١ ودفن خارج باب المقام بتربة بنت له . ويقال أن بعض الاكابر سقاه . وقيل ان بعض العرب أغار على جمال له فتوجه في طلبهم ففرّوا منه ، فلجّ في أثرهم وغرّ بنفسه ، فأصابه عطش بحيث مات بعض من معه من أناس وخيول ، وضعف هو واستمر الى أن مات . وكان حسن السيرة . بل سار في حلب أحسن سيرة . قال شيخنا تبعاً لابن خطيب الناصرية وكان شاباً جسيماً عاقلا عادلا شجاعاً كريماً . ومن عدله أن غلمانه توجّهوا لتحويل الملح الذي في اقطاع النيابة فاستكروا جمالا فخرج عليهم العرب فنهبوهم ، فغرم لاصحابها ثمنها . وان شخصاً ادّعى عنده في جمل عند صلاة الجمعة وجد به عيبـاً لـيردّه ، فاستمهله الى ان يصلّي فمات الجمل ، فغرم له ثمنه وقال : نحن فرّطنا »(١).

وقال المقريزي : كانت جنازته عظيمة جداً ، لانه كان أظهر من العـدل بحلب أمراً كبيراً ، اتفق انهم اكتروا لديوانه جمالا لنقل الملح فأخذت سرية من العرب الجمال فأحضر أربابها وجعل يعطي من حلف قيمة جمله التي يحلـف عليها . وهذا غريب في زماننا(٢) .

موقع الجامع ووصفه

يقع الجامع جنوبي مدرستي : السقرقية والخاتونية ، في شارع « صف البلاط » المؤدي الى مقبرة باب الرمل . وكانت تقوم عنده بوابة طرابلس القديمة المعروفة بـ « بوابة الرمل » .

كان الجامع قديماً يحمل اسم « زاوية ارغون شاه » أو « مدرسة ارغون شاه » ، وظل يُعرف بهذا الاسم حتى سنة ٨٨٠هـ. وهو تاريخ المرسوم المنقوش فوق بابه الرئيسي .

(١) الضوء ــ ج ٢ ص ٢٦٧ .
(٢) السلوك ــ ج ٣ ق ٣ ص ٩٧٤ .

ولا يعرف متى تحول الى جامع . وعندما زار النابلسي طرابلس سنة ١١١٢هـ. سمّاه جامعاً ، وهذا يعني ان التغيير قد طرأ عليه خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين . ومن المحتمل ان المئذنة بُنيت في وقت لاحق الى الزاوية ، اذ تحمل بعض التأثيرات التركية . وهي أهم ما يميز هذا الجامع ، اذ يخلو من الزخرفة في الداخل والخارج . وليس فيه ما يستلفت الباحث سوى المئذنة المائلة قليلا الى الغرب . وهي تقوم فوق الجدار الشرقي من الجامع جنوبي الباب الرئيسي .

والمئذنة اسطوانية الشكل تقوم على قاعدة ذات أربعة زوايا مثلثة الرؤوس ، وفي الساق الاسطواني للمئذنة افريزان دائريان كالاسورة حول المعصم ، وفي أعلى المئذنة زخرفة رائعة من التوريقات الهندسية التي تتسع تدريجيا الى أعلى حتى تنتهي المقرنصات المختلفة عند قاعدة الشرفة التي يتسع محيطها الدائري عن محيط الساق الاسفل للمئذنة . والشرفة من عشرة اضلاع دائرية ، نُقش في كل ضلع أشكال زخرفية وتفريغات هندسية . ويقوم فوق زاوية جدران الشرفة عشرة أوتاد يرتكز عليها سقف من القرميد كالمظلة لوقاية المؤذن من المطر وحرارة الشمس .

وللجامع بابان : شرقي وغربي . فالباب الشرقي هو الباب القديم للزاوية ، وهو قطاع مستطيل الشكل مفرّغ يشبه باب المدرسة السقرقية ، ويخلو من الزخرفة ، ويلاحظ في أعلى تجويف هذا الباب وتحت القنطرة وجود تجويف مستطيل الشكل يُحتمل انه كان مُعدّاً لتثبيت لوحة بتاريخ بناء الجامع على ما يبدو ، أو اسم صاحب الزاوية . وتحت هذا المستطيل ، مستطيل آخر يحمل مرسوماً أصدره السلطان الاشرف قايتباي في سنة ٨٨٠هـ. من أربعة أسطر (٢٤٠×٣٢سم.) هذا نصها :

س١ « الحمد لله لما كان بتاريخ خامس عشر جمادى الآخرة سنة ثمانين وثمانماية ورد مرسوم شريف مربّع جيشي من الابواب الشريفة السلطان الملك الاشرف قايتباي خلّد الله ملكه بأن جهات س٢ وقف المرحوم أرغون شاه(١)

---

(١) سقطت الهاء من النص فأثبتها سوبرنهايم — ص ١٢٩ .

بالسقي بطرابلس المحروسة لا تؤجّر لا لمتجوّه ولا ذي شوكة ، واجهار النداء(ء)(١) لزرّاع الاراضي بالحماية والرعاية ومنع س٣ من يعارضهم حسب ما شرط به الواقف في كتابه وتسليم الاراضي للسيد الحسيب النسيب السيد نور الدين محمود الحسيني الادهمي الناظر والشيخ بها بالزاوية المذكورة فأشار به المقر الاشرف س٤ العالي المولوي السيفي أزدمر الاشرفي مولانا ملك الامراء كافل المملكة الطرابلسية أعزّ الله أنصاره ورسم بنقش ذلك على باب المدرسة حسب ما شرط به الواقف في كتابه وملعون من يغيّر ذلك ويسعى في تجديده » .

ترجمة السلطان قايتباي

هو الاشرف قايتباي المحمودي الظاهري ، سلطان دولة المماليك في مصر والشام . ولي السلطنة سنة ٨٧٢هـ. وتوفي سنة ٩٠١هـ. وعاش عمره كله وهو في عزّ وشهامة منذ أن كان خاصكياً الى أن بقي سلطاناً ، وما نُفي قط ولا سُجن ولا تقيد . وكانت عليه سكينة ووقار ، مهيب الشكل في العيون ، جميل الهيئة ، مبجّلا في موكبه ، كفوءاً للسلطنة ، وافر العقل سديد الرأي عارفاً بأحوال المملكة يضع الاشياء في محلها . ولم يكن عجولا في الامور ، بطيء العزل لارباب الوظائف يتروّى في الامور أياماً قبل وقوعها . وكان موصوفا بالشجاعة عارفاً بأنواع الفروسية ، لكنه كان محباً لجمع المال ناظراً لما في أيدي الناس ، ولولا ذلك لكان يُعدّ من خيار ملوك الجراكسة على الاطلاق . تحرّك عليه في أيام سلطنته شاه سوار وحسن الطويل وابن عثمان وغير ذلك من ملوك الشرق وغيرهم . وجرّد عليهم تجاريد كثيرة وهو ثابت على سرير ملكه ولم يتزحزح . كان له اشتغال بالعلم ، كثير المطالعة في الكتب ، وله أذكار وأوراد جليلة تُتلى في الجوامع . وكان له اعتقاد في الفقراء ويعظم العلماء ، عارفاً بمقام الناس ، ينزل كل احد منزلته .

انشأ في أيام دولته قبة عظيمة على القبر النبوي الشريف ، وجدّد عمارة المسجد النبوي الشريف أيضا ، وأنشأ مدرسة مطلة على الحرم النبوي ، ومدرسة بمكة المكرمة ، ومدارس ببيت المقدس ودمشق وغزّة ودمياط والاسكندرية . وأقام البرج مكان الفنار بالاسكندرية . وبرجاً بثغر رشيد(٢).

---

(١) سقطت الهمزة من النص فأثبتناها .

(٢) بدائع الزهور — ج ٦ ص ٥٩٣ .

وفي سنة ٨٨٢هـ. قام برحلة الى الشام لتفقد التحصينات في السواحل الشامية ، وقبل دخوله حلب عرّج نحو طرابلس(١) وأمر ببناء البرج القائم الآن عند رأس النهر . وكشف قلاع دمشق وحلب وحماه وطرابلس وغير ذلك من البلاد الشامية . وتوفي وله من العمر ٨٦ عاماً .

وقد سُمّي المرسوم الصادر عن الاشرف قايتباي بمربع جيشي ، والمربعات الجيشية عادة تختص بالمسائل العسكرية ، وليس في مضمون المرسوم ما يستدعي صدوره عن ديوان الجيوش ، غير أن المستشرق سوبرنهايم يذهب الى احتمال المرسوم جيشياً لان أرغون شاه كان من رجال الجيش(٣) .

★ ★ ★

أما الباب الغربي للجامع ، فهو حديث البناء ، وقد أقيم مع الجناح الغربي من الحرم مما يلي العضاضات وذلك في عهد السيد نور الدين سلهب رئيس دائرة أوقاف طرابلس في ذلك الوقت . ويبلغ طول الحرم ٢٠،٥٠ متراً وعرضه ١٧ متراً ، وبه عشر عضاضات مستطيلة الشكل ، ترتفع في وسط سقفه قبة كبيرة ليس فيها أية زخرفة ولا تنفتح بها أية نافذة .

مشايخ زاوية وجامع أرغون شاه

مرّ في المرسوم التاريخي ذكر السيد نور الدين محمود الحسيني الادهمي الناظر وشيخ زاوية أرغون شاه . وهذا لم أجد له ترجمة في المصادر التاريخية التي بين يدي . ويبدو أنه ولي نظارتها ومشيختها بعد والد الصلاح الطرابلسي المتوفى سنة ٨٦٣هـ.

---

(١) ج ٥ ص ٤٧٥ .

(٢) مجلة المباحث — جرجي يني — ج ٨ ص ٧٨٨ .

Sobrenheim - P.129

ووالد الصلاح الطرابلسي هو : محمد بن يوسف بن سعيد شمس الدين أو ناصر الدين ابو عبد الله بن الحبّال الطرابلسي الحنفي المقريء .

ولد في يوم الجمعة ٢٠ جمادى الاولى سنة ٨٠٩هـ. بطرابلس ونشأ بها فحفظ القرآن وأخذ القراءآت السبع عن الشهاب احمد بن البدر المتوفى سنة ٨٣٠هـ.(١) وغيره . وأتقن الميقات والحساب وولي مشيخة أرغون شاه ببلده حتى مات في سنة ٨٦٣هـ.

وصفه السراج الحمصي(٢) في عرض ولده الصلاح بالقاضي مؤتمن الملوك والسلاطين . ووصفه غيره بالشيخ الصالح الامام ، امام القرّاء وشيخ الفضائل طرّاً . ووصفه آخر بالأخ في الله تعالى الولي في ذاته القاضي شمس الدين الكاتب .

قدم القاهرة بولده الصلاح في سنة ٨٤٦هـ. فعرضه على مشايخها ثم رجع به(٣) .

أما ولده الصلاح الطرابلسي فهو :

الصلاح الطرابلسي

محمد بن محمد بن يوسف بن سعيد ابو عبد الله الذي اشتهر بلقبه بالصلاح الطرابلسي الحنفي . عُرف في بلده بابن المقريء، وفي غيرها بالطرابلسي، ولُقّب قبل بالصدر . ولد في طرابلس سنة ٨٣٣ ونشأ بها فحفظ القرآن والشاطبية وألفية الحديث والمختار وأصول الاخسيكتي المنتخب والملحة .

---

(١) الضوء — ج ١ ص ٢٤٧ .

(٢) هو : عمر بن موسى بن الحسن السراج القرشي المخزومي الحمصي (٧٧٧ — ٨٦١هـ.) ولي قضاء طرابلس ثلاث مرات ، الاولى بعد مقتل الناصر فرج بن برقوق سنة ٨١٧هـ. ، وكان يلي قضاء الشافعية استقلالا ، ثم وليه ثانية حوالي سنة ٨٣٥ حتى سنة ٨٣٨هـ. ، ووليه للمرة الثالثة في سنة ٨٤٧هـ. وأضيف اليه نظارة جيشها . وهو الذي قام عليه ابن زهرة عالم طرابلس بسبب قصيدته في ابن تيمية .

(٣) الضوء — ج ١٠ ص ٩٣ .

واخذ في طرابلس عن الشمس ابن زهرة والسراج الحمصي ومحمد بن عمر النيني الشافعي وحسن بن احمد النويري ومحمد بن محمد بن سليمان المعبر وعلي بن محمد بن فتح الموصلي الناصح الحنفي ، وأبي بكر بن محمد بن الصدر الحنبلي . وذهب الى مصر مع والده سنة ٨٤٦هـ. فأخذ عن مشايخها ثم عاد الى طرابلس وحضر دروس عالمها ابن زهرة في الجامع المنصوري الكبير ، وقرأ عليه في بعض تصانيفه حتى توفي ابن زهرة . فصار الطلبة الاحناف يجتمعون عليه ليأخذوا عنه ، ولكنه كان شافعياً ، ولم يكن هناك مدرّس شافعي في الجامع الكبير ليحضر عليه دروسه . ولعلمه بنقص معلوماته في المذهب الحنفي ترك طرابلس ورجع الى مصر سنة ٨٥٧هـ. ولازم هناك الامين الاقصرائي حتى اخذ عنه كتباً جمّة ما بين قراءة وسماع في فنون كثيرة ، دراية ورواية ، ولم ينفكّ عنه حتى مات بحيث كان جُلّ انتفاعه به . وصار المعوّل في الفتاوى عليه بمصر ، وفقيه الحنفية فيها بعد موت شيخه . ذكر له السخاوي ترجمة مطوّلة ، كما ذكره السيوطي ، وقال ابن اياس : كان عالماً فاضلا مفتياً بارعاً في مذهبه ومات وهو في عشر الستين ، وكان لا بأس به . توفي في شهر رجب من سنة ٨٩٩هـ.(١) .

ابن الحبال

هو جدّ الصلاح الطرابلسي يوسف بن سعيد المعروف بالجمال ابن الحبّال من رجال الحديث . سمع عليه ابن اخيه احمد بن علي بن حاتم بن محمد بن عمر بن يوسف الشهاب ابن العلاء الطرابلسي الاصل الحنبلي المحدث الرحالة قاضي القضاة الذي ناب أولا في قضاء طرابلس بعد سنة ٨٠٥ وعظم شأنه ثم استقل بها حتى صار أمر البلد اليه ، وأكثر من القيام مع الطلبة والردّ عنهم والتعصّب لعقيدة الحنابلة ، والانصاف لاهل العلم مع قلّة بضاعته فيه . وكان أهل طرابلس يعتقدون فيه أقصى رُتب الكمال حتى نقل ابن قاضي شهبة عن الشاب التائب انهم لو علموا جواز بعث الله لنبي في زمانهم لكان هو . ولمعرفة

(١) الضوء — ج ١٠ ص ٢٩ — ٣١ ، نظم العقيان — ص ١٧٢ ، ابن اياس — ج ٥ ص ٥٧٩ .

برسباي الدقماقي به أثناء نيابته على طرابلس قبل أن يصبح سلطانا ساعده لدى الظاهر ططر فاستقرّ به في قضاء الشام سنة ٨٢٤هـ. وشرط أن لا يُلزم بالركوب مع القضاة لدار السعادة التي يجلس فيها نائب السلطنة . واستمر في منصبه حتى عُزل في سنة ٨٣٢هـ. بعد ان اعتراه ضعف البصر والارتعاش وثقل السمع . وحُمل بعد عزله الى طرابلس فمات بعد وصوله اليها بيوم في ربيع الاول سنة ٨٣٣هـ.(١) .

وممن عُرفوا بابن الحبّال : قاضي الحنابلة بطرابلس شهاب الدين احمد ابن محمد بن الحبّال . كان له دور هام في تأليب طرابلس على سلطان مصر الظاهر برقوق والانحياز الى جانب الامير تمر بغا الافضلي المعروف بسيف الدين منطاش بأحضار عسكر طرابلس ليقاتل بهم العساكر المصرية ، فقبل حضورهم ، فرّ هو من دمشق ، ووصل العسكر الطرابلسي بعد ذلك من غير ان يعلم بفراره ، فقبض عليه بكماله(٢). وفي شهر رجب من السنة المذكورة تقرّر الامير قرا دمرداش في نيابة طرابلس(٣) ، وقبل ان يصل الامير قرا دمرداش الى طرابلس وصل البريد منها بأن ابن ايمان التركماني توجّه اليها من قبل منطاش في ثمانية آلاف فارس وحاصرها حتى ملكها(٤). ثم تملكها الامير تشتمر الاشرفي من جهة الامير منطاش ، وفي ٢١ من شهر رمضان وصل البريد من الشام بدخول الامير قرا دمرداش طرابلس وتغلّبه عليها بعد أن سلّمها الامير تشتمر الاشرفي بغير حرب ولا قتال ودخل تحت طاعة السلطان(٥) .

(١) الضوء — ج ٢ ص ٢٦ ، الدارس في تاريخ المدارس — ج ٢ ص ٥٣ — ٥٥ ، قضاة دمشق — ص ٢٩٥ و ٢٩٦ .

(٢) السلوك — ج ٣ ق ٢ ص ٧١٦ .

(٣) انباء الغمر — ج ١ ص ٣٩٨ .

(٤) السلوك — ج ٣ ق ٢ ص ٧٢٠ .

(٥) نزهة النفوس — ج ١ ص ٢١٣ .

وفي اثناء هذه الحوادث كان القاضي ابن الحبّال منحازاً الى جانب منطاش فأحضره السلطان في ٢٩ من شهر صفر وضُرب بين يديه عدة عصي بسبب قيامه مع منطاش وفتواه لأهل طرابلس بقتال رجال الظاهر برقوق ومساعدة منطاش على دخول المدينة ، وأمر بسجنه ثم شفع فيه فأطلق . وكان ولي قضاء الشام في دولة الملك الظاهر بعناية علم الدين بن الكويز كاتب السر اذ ذاك لصحبته ايّاه في طرابلس في فترة سابقة(١) .

محمد الادهمي

ذكر السخاوي في تراجمه واحداً من الأدهميين هو :

محمد بن محمد بن ابي بكر بن محمد بن ابي بكر بن محمد بن علـي بن ابراهيم ، الشمس ابو الفضل ابن الشمس ابي عبد الله بن التقي القاهـري الاصل ، الطرابلسي الادهمي . وقال انه ممن سمع منه(٢) . ولم يذكر سنة وفاته ، ويبدو انه توفي بعد سنة ٨٩٩هـ. اذ ان السخاوي لا يذكر سنة وفاة من يترجم لهم اذا تجاوزوا سنة ٨٩٩هـ. في عمرهم ، فمن المعروف ان السخاوي نفسه توفي سنة ٩٠٢هـ. ومن المرجّح ان الادهمي المذكور قريب للادهمي الذي مرّ ذكره في المرسوم . ولعله حفيد عبد الله بن محمد بن التقي ، تقي الدين ابن قاضي الشام العز الدمشقي الحنبلي ، الذي ولي قضاء طرابلس بعد الفتنـة التي وقعت بها سنة ٨٠٢هـ. والمتوفى سنة ٨١٥هـ.(٣) .

ابن منصور الادهمي

وفي القرن الثاني عشر الهجري كان بطرابلس عالم من آل الادهمي ترجم له صاحب سلك الدرر وهو : احمد بن صالح بن منصـور المعروف بالادهمي الحنفي الطرابلسي .وقال:

---

(١) **السلوك — ج ٣ ق ٢ ص ٧٣٥ ، انباء الغمر — ج ١ ص ٤٢٠ ، النجوم — ج ١٢ ص ١٩ .**

(٢) **الضوء — ج ٩ ص ٦٨ .**

(٣) **الضوء — ج ٥ ص ٦٨ .**

« العالم الفهامة ، الفاضل ، المتقن ، الاديب ، المحقق ، الجهبذ ، اللوذعي . كان مهذب الاخلاق ، حلو الشمائل ، ماجد الاعراق ، أورق في دمياط عـوده النضير ، اذ للبقاع في الطباع تأثير ، واشتغل بالعلوم ، وملك أزمّة منطوقها والمفهوم ، ثم تولّى الافتاء بها وبعدها تولى نقابة الاشراف بمصر المحروسة مع ما يليها من الاطراف والبلاد ولم يمكث بها الا قليلا ، وأدخل عليه الرحيل فأذاقه الحمام . وكان في الانشاء له سرعة وفكاهة ونباهة كلية ، ورأيت من آثـاره شرحاً على قصيدة الشيخ أحمد المقريء المغربي علامة دهره التي مطلعها :

سبحـان من قسم الحظو   ظ فلا عتـاب ولا ملامـه
أعمـى وأعشـى ثـم ذو   بصـر وزرقـاء اليمامه

وقد سماه بالكواكب السنيّة شرح القصيدة المضرية(١) ، وهو تأليف مفيد يدل على فضله الغزير وقوّة اطّلاعه وجزالة تقريره والتحبير والتحرير ، وأودعه فوائد كثيرة وتقوّلات مستحسنة وأشياء غريبة . وقد اصطفاه من أكثر مـن عشرين كتاباً . وكانت وفاته في سنة ١١٥٩هـ. رحمه الله تعالى وكان مولـده سنة ١١١٩ »(٢) .

ذكر له الدكتور اسامه عانوتي رحلة بعنوان : تحفة الادب في الرحلة من دمياط الى الشام وحلب . أتم تأليفها يوم الجمعة الثامن من شهر رجب سنـة ١١٥٦هـ./٢٨ آب ١٧٤٣م. فوصف رحلته الى بلاد الشام التي ضمّنها مباحث أدبية وأشعاراً وأخباراً غريبة . فضلا عن مطارحاته رجال العلـم والادب وتراجم بعضهم . ووصفها الشيخ عبد القادر المغربي بأنها : كناش علم وأدب وشعر أكثر مما هي كتاب رحلة ووصف اسفار وأطوار . وكان الدافع الـى الرحلة حنينه الى وطنه طرابلس(٣) .

---

(١) **ايضاح المكنون — ج ٢ ص ٣٩٢ .**

(٢) **سلك الدرر — ج ١ ص ١٦٩ و ١٧٠ .**

(٣) **الحركة الادبية — ص ٢٢٩ و ٢٣٠ .**

له تقريظ على كتاب « حلية البديع في مدح النبي الشفيع » للشيخ قاسم البكره جي الحلبي ، يقول في مطلع قصيدة :

خلّ ابن حجّة والصفيّ الأوحدا   ودع البديع بما يقول مفنّدا(1)

ومن الادهميين وصلنا : محمد اسحاق الادهمي الذي قتل في سنة ١٨٣٤م. على يد ابراهيم باشا ابن محمد علي صاحب مصر أثناء حكمه على الشام ، وذلك في الحادثة الشهيرة التي قتل فيها العديد من أعيان طرابلس ووضعت رؤوسهم على بركة الملاحة والقيت أجسامهم في سوق البازركان والملاحة ثم دفنوا فيما بعد بقبور الشهداء عند المدرسة المعروفة باسمهم قرب خان الخياطين من ناحية باب الحديد .

وكان الادهمي هذا نائبا في عكار ثم في مدينة جبلة وغيرهما . ووضع رسالة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم(2) .

كاظم الميقاتي

هو الشيخ كاظم الميقاتي مفتي طرابلس السابق رحمه الله المتوفى سنة ١٩٥٩ ، تنقل في الوظائف الدينية والمساجد ومنها جامع الطحام والزعيم ، واخيراً تولى خطابة جامع ارغون شاه ، ثم انتخب مفتياً لطرابلس وكان ينافسه على هذا المنصب الشيخ عمر الرافعي رحمه الله . حج في آخر عمره ، وبنى بهو الجامع المنصوري الكبير الملاصق للمدرسة الاثرية المعروفة بالمشهد .

كان رحمه الله كريم النفس ، غزير الدمع ، رقيق القلب ، يعطف على الفقراء ، ويجيب الملهوفين . له المواقف المشهورة مع رجال السياسة للحفاظ على مصالح طائفته . وقف أمام محاولات ازالة الجامع البرطاسي وجامع التوبة بعد فيضان سنة ١٩٥٥ ، كان محباً لوالدي يودّ أن لا يفارقه ولذلك اشترى لنفسه كرسياً وضعه في دكّان والدي بقبوة الحتة ، وكان يأتي اليه ويجلس على كرسيّه بانتظار وقت صلاة وخطبة يوم الجمعة . ثم يأخذني معه الى جامع أرغون شاه لاتلو القرآن الكريم قبل الظهر . وقبل ان يتوجه لاداء فريضة الحج بعث الى والدي وأخذه معه الى القلمون حيث ودّعه قبل سفره . ولم يلبث ان توفي بعد ان عاد من الحج بوقت قصير .

(1) حلية البديع في مدح النبي الشفيع — قاسم البكرجي — ص ٧ — طبعة ١٢٩٣هـ.

(2) تراجم علماء طرابلس — ص ١٩٠ ، تاريخ طرابلس — ٤٦٥ و ٣٠٧ .

شيّعته طرابلس عند وفاته بموكب مهيب ومشى في جنازته كبار الرسميين .

وكان رحمه الله مواظباً على الحضور الى مكتبه في دائرة الفتوى الملحقة بدائرة الاوقاف حيث هي اليوم .

وقد خلفه في جامع أرغون شاه ابنه الشيخ صالح .

مالك الشعار

أما شيخ الجامع الآن فهو الشيخ مالك بن عبد الكريم الشعار ، وقد تولّى مهام الامامة والخطابة والتدريس فيه كامام منفرد اعتباراً من أول نيسان ١٩٧٣ تلقى علومه الشرعية في القسم الشرعي بكلية التربية والتعليم الاسلامية، ثم سافر الى المملكة العربية السعودية والتحق بكلية اصول الدين في جامعة المدينة المنورة . فنال منها الاجازة العالية سنة ١٩٧٢ ، وهو الآن مدرس في القسم الشرعي بالكلية التي تخرج منها الى جانب وظائفه في الجامع .

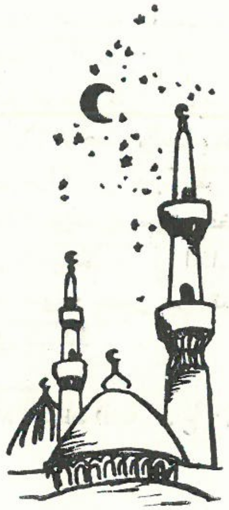

« ٨ »

جـــامع الأويسيـــة

تسميته وتاريخ بنائه

يقع بين جامع السيد عبد الواحد والمدرسة القادرية . وليس فيه أيـة كتابة تدل على تاريخ انشائه . ويقول الشيخ محمد كامل البابا رحمه الله ان الجامع سُميّ بهذا الاسم نسبة لصاحبه محيي الدين الاويسي ، ويقول انـــه وجد ذلك في وقفية الجامع التي يرجع تاريخها الى سنة ٨٦٥هـ.(١) .

ويسميّ العامة هذا الجامع بـــ « الرويسية »(٢) بالراء ، وجاء في نسخة للنابلسي « الاوسية »(٣). بينما يسمي الاستاذ بروس كوندي صاحب الجامع بـــ « عبد الحي الاويسي »(٤) .

وفي السنة التي بُني فيها الجامع حسب ما تقول الوقفية ، كان يتولى نيابة طرابلس الامير : اياس المحمدي الناصري المعروف بالطويل . وقد تولّى النيابة فيها في ربيع الآخر سنة ٨٦٣ عوضاً عن الحاج اينال اليشبكي(٥). واستمر على نيابته حتى شهر المحرم سنة ٨٦٦ حيث وليها بعده الامير برسباي البجاسي الامير الآخور الكبير(٦). وكان قبل عزله عن نيابة طرابلس قد أمر بالتوجه الى قبرس نجدة للمسلمين هناك ، ولكنه ترك قبرس وحضر الى ثغر دمياط في أول سنة ٨٦٦ بغير اذن من السلطان خشقدم . وفي الثامن من المحرم ٨٦٦هـ. سيّر اليه السلطان أميراً للقبض عليه لكونه حضر من قبرس وترك من بها من عساكر المسلمين ، ثم أمر بسجنه في دمياط .

---

(١) نبذة عن تاريخ طرابلس — ص ٨ ، خطط الشام — ج ٦ ص ٥٤ .

(٢) الآثار الاسلامية — ص ١١ .

(٣) المصدر السابق .

(4) Condé - P. 80

(٥) النجوم — ج ١٦ ص ١٢٨ ، ذيل اعلام الورى — ص ٥٨ .

(٦) النجوم — ج ١٦ ص ٢٦٥ .

وصف الجامع

يقع باب الجامع الخارجي في الجهة الجنوبية ، ويدخل منه الى ممر على يمينه بضع درجات تؤدي الى باب صغير يُفضي الى جناح الجامـــع الغربي . وينتهي الممر الى فناء الجامع حيث الفسحة السماوية المستطيلة الشكل والتي تغطي أرضيتها قطع من الرخام . وعلى وسط الفناء ينفتح باب الحرم الرئيسي للجامع الذي يزينه اطار من الزخرفة الشائعة في عصر المماليك . وعلى يمين الباب محراب صغير للمصلى الصيفي حيث تقام الصلاة في الفسحة في فصل الصيف .

وحرم الجامع الرئيسي مربع الشكل يبلغ طوله عشرة أمتار ونصف المتـــر وكذلك عرضه ، وفي الجهة الغربية حرم أصغر يرتفع عن مستوى الحـــرم الرئيسي وله محراب يخلو من الزخرفة .

ويتميز جامع الاويسية عن مساجد طرابلس بقبته الكبرى التي تمهـــد لظهور القباب التركية .

ويقع محراب الجامع داخل اطار مستطيل الشكل ويخلو من الزخرفة ، غير أن عمودين صغيرين يقومان على جانبيه ترتكز عليهما قنطرة المحراب . وعلى يمينه يقوم المنبر الخشبي الذي تزينه زخرفة بتقطيعات هندسية . ويبلغ طوله ٢،٥٠ متران ، وعرضه متر واحد .

أما المئذنة فتقوم فوق الجدار الشمالي المطل على البلاط ، وهي اسطوانية الشكل شبيهة بمئذنة جامع أرغون شاه ، الا انها أكثر سموقاً منها . يحيـــط بساقها أفريزان دائريان كالاسورة ، الاعلى منهما تقوم فوقـــة زخرفـــة مـــن المقرنصات والمجوفات والتوريقات التي تتدرج في الاتساع حتى تكوّن دائرة أكثر حجماً من ساق المئذنة تقوم عليها الشرفة . وفي وسط الشرفة يرتفع اسطوان أصغر حجماً ثم رأس المئذنة المخروطي .

وقد جرى تجديد هذه المئذنة في سنة ٩٤١هـ. على يد نائـــب طرابلس وقلعتها الامير « حيدره » في أيام السلطان العثماني سليمان القانوني . ونستدل على ذلك من كتابة نُقشت في بلاطة من الرخام الابيض ، مثبتة فوق عتبة باب

شرفة المئذنة الى الجهة القبلية . وهي من سطرين وكل سطر من شطرتين نقرأ منها ما يلي :

عمّر في ايام السلطان سليمان جعله الله .. ..(١)

...(٢) ايام نايب القلعة وطرابلس ٩٤١ الفقير حيدره حفظه الله في كل حال

السلطان سليمان القانوني

يعرف بسليمان الاول ، كما يعرف في المصادر الاوروبية باسم « سليمان الفاخر » لانه كان يمثل العصر الذهبي للاتراك العثمانيين ، ولقب بالقانوني بسبب التشريعات الاصلاحية التي أصدرها وجعلها دستوراً للحكم . وهو عاشر سلاطين بني عثمان .

ولد سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٤م. وخلف والده على الحكم سنة ٩٢٦هـ/١٥١٩م. ودام حكمه نحو نصف قرن من الزمان ، وورث عن أبيه امبراطورية امتدت من حدود النمسا غرباً حتى مشارف ايران شرقاً ، وضمّت شعوباً وقوميات مختلفة العقائد واللغات . وواصل فتوحات أبيه في البلقان فاستولى على بلغراد سنة ١٥٢١ وطرد فرسان الاستبارية من رودس ١٥٢٢ وهزم الهنغاريين هزيمة ساحقة في معركة موهاك سنة ١٥٢٦ وحاصر فيينا ١٥٢٩ واستحوذ على معظم هنغاريا ١٥٤١م. واشتهر في أيامه أمير البحر « بربروسة » وانتصر في عدة حروب على الفرس . وكان حكمه بوجه عام معتدلا عادلا . وكان ينفق بسخاء على رجال الفن والادب .

واجه أثناء سلطنته احلافاً اوروبية للقضاء على دولته براً وبحراً اشتركت فيها المجر والنمسا والبندقية وبولندا والمانيا وايطاليا والبابا واسبانيا ومولدافيا (البغدان) وفرسان القديس يوحنا في رودس ثم في مالطة ، فضلا عن البرتغال في البحار الشرقية . وكانت فرنسا حليفته الوحيدة بسبب صراعها مع اسبانيا من أجل العرش .

---

(١) مقدار ثلاث كلمات لم أتبين الفاظها .

(٢) مقدار كلمة واحدة .

توفي السلطان سليم بمرض النقرس في ٢٠ صفر ٩٧٤هـ/٦ ايلول — سبتمبر ١٥٦٦م. وخلفه ابنه سليم الذي عرف بسليم الثاني(١) .

ومن أعمال السلطان سليمان في طرابلس انه أمر بتجديد القلعة في السنة الثانية من سلطنته ٩٢٧هـ. وقد نقش ذلك فوق باب القلعة الخارجي(٢) . كما بُني في عهده جامع محمود لطفي الزعيم المعروف بالجامع المعلق .

وكانت طرابلس في عهده بيد النواب ، وفي غياب الدولة كان يضمنها محمد آغا ابن شعيب من أهالي عرقة ، وهو الذي حارب بني سيفا حتى قُتل في سنة ٩٣٥هـ. في جامع طينال ، وقد أتينا على ذلك في موضعه .

* * *

أما حيدرة المذكور في النقش والذي كان تجديد المئذنة في أيامه ، فهو نائب طرابلس وقلعتها ، ومن المحتمل انه كان نائباً من قبل الامير منصور العسافي التركماني حاكم غزير الذي كان يلتزم ايالة طرابلس من الدولة العثمانية . ولم أقف لحيدرة المذكور على أية ترجمة . ويبدو أن في أيامه بنيت مئذنة جامع القبة القديم ، اذ ورد في أحداث سنة ٩٤٠هـ. في تاريخ الطائفة المارونية ان البنّاء المعلم ابراهيم الحصروني ابن عم الخوري موسى قام ببناء دير مار اليشاع وتوسيعه . وكان هو الذي بنى المئذنة في طرابلس عند قبة النصر(٣) .

* * *

ويلاصق الجامع من الجهة الشرقية مسجد صغير بناه الامير محمود بك السنجق المتوفى سنة ١٠٢٠هـ. صاحب الجامع المعروف به قرب باب التبانة القديم . وقبره في الجهة القبلية من المسجد ، وللمسجد بلاط على جامع الاويسية في الجهة الغربية ويواجه هذا الباب ضريح تعلوه قبة ، وكانت على نافذته كتابة بالتركية شوّهت بمرور الزمن وعدم العناية بها لوضع الاسمنت فوقها فأصبحت غير مقروءة ويدعى صاحب الضريح احمد باشا .

---

(١) القاموس الاسلامي — ج ٣ ص ٤٦٤ ، الموسوعة العربية الميسرة — ص ١٠٠١ .

(٢) آراء وأبحاث — ص ٤٨ .

(٣) تاريخ الطائفة المارونية — ص ١٥٩ .

وفي الجهة الشمالية من البلاط التابع لجامع الاويسية توجد غرفة تفضي الى غرفة تليها كان بها ضريح لاحد العبيد الاولياء وقد أزيل قبل ثلاثين عاماً تقريباً ، ويقال ان دفين الضريح هو « الاويسي القرني » .

الشيخ عبد الحميد الخطيب

عالم وأديب وشاعر مطبوع ، معروف في بلده برجاحة عقله ورقة أخلاقه ، تخرّج عليه كثيرون من طلبة العلم ، وبرعوا في الآداب العربية ، وكان شيخ السجّادة الشاذلية في طرابلس ومن شيوخها المتازين . ومن أمثلة شعره قصيدة نظمها في مدح المرحوم محمد باشا المحمد لانشائه مكتبة ومدرسة في قرية مشحا من قضاء عكار منها :

أماناً فارس العليا الامان   جوادك لا يردّ له عنان
اذا جرّدت ماضي العزم يوماً   فما أحد يقوم له سنان
ملكت الفضل في جد وجد   فحزت السبق في يوم الرهان
وكم مشكاة فكرك قد أضاءت   فأظهرت الحقائق للعيان
خيال الوهم ليس له مجال   بآراء بكم يوم الطعان
روى عن خلفكم زهر الروابي   كما روت البحار عن الجمان .

وله آثار أدبية وأشعار رقيقة(١) .

الشيخ محيي الدين الخطيب

هو الشيخ محيي الدين ابن الشيخ اسماعيل . ولد في طرابلس سنة ١٢٨٢هـ. وتوفي في ٢٧ آذار ١٩٥٤ توفي والده الشيخ يوسف وهو في سن الخامسة أو السادسة من عمره فنشأ يتيماً . وكان عنده شغف عظيم لتعلم العلم فلم يشغل فكره بغيره . وكان يعمل بما يتعلم فاتقن العلوم الفقهية والاحاديث والعلوم العربية حتى حصل مركزاً عظيماً . وتلقى العلم عن الشيخ محمد أبي المحاسن القاوقجي ، والشيخ محمد الخطيب ، والشيخ عبد الغني الرافعي ، والشيخ محمود نشابة ، والشيخ بكري العطار ، والشيخ محمد الخاني وكلاهما من دمشق ، والشيخ حبيب الرحمن الهندي الكندي ، والشيخ عبد الحميد الخطيب ، والشيخ محمود منقاره ، وغيرهم .

(١) تراجم علماء طرابلس — ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

دُعي مرارا لاستلام ادارة المدرسة الحميدية بعكار ، واستجاب أخيراً للطلب وبقي عدة سنوات في مشحة التي هي بلدة الزعبية . وكان يعلّم أنواع العلوم . وتخرّج على يديه تلاميذ عديدون ثم عاد الى طرابلس ودعي للتدريس في الجمعية الخيرية الاسلامية وفي المساجد فلبّى الطلب أيضاً بكل صدق واخلاص . وكان يدرّس العلوم الفقهية والحديث وتفسير القرآن ، والعلوم العربية وأنواعها من نحو وصرف وبلاغة ونظم ، والكتب الصوفية مثل حكم ابن عطاء الله الاسكندراني وغيره .

ومن تلامذته الشيخ عبد القادر الشلبي الطرابلسي المجاور في المدينة المنورة ، والشيخ أمين عز الدين قاضي طرابلس سابقا ، والشيخ عبد الحميد الحامدي ، والشيخ عارف المولوي ، والشيخ فخر القاوقجي ، والشيخ محمد بدر الدين الزعبي مدرّس الجامع الكبير سابقا ، والشيخ نور الدين الامام مفتي اللاذقية سابقا ، والشيخ خالد الكيلاني مفتي عكار سابقا ، والشيخ محيي الدين نافع ، والشيخ محمد مرحبا ، والشيخ رشيد مرحبا ، والشيخ سعيد طنبوزه ، والشيخ اسماعيل زكريا قاضي عكار الاسبق ، والشيخ كاظم الزعبي ، والشيخ محمد الزعبي ، والشيخ محمد نور الدين الزعبي ، والشيخ أكرم الخطيب والشيخ وجيه الخطيب مستشار المحكمة السنيّة العليا سابقاً ، والشيخ رشاد الخطيب قاضي طرابلس ومستشار المحكمة السنيّة العليا سابقا ، والشيخ رامز ملك امين الفتوى الآن ، والشيخ كامل البابا ، والشيخ صبحي البابا ، والشيخ علي الرفاعي ، والشيخ محمد سعيد الامام مفتي بانياس . وهناك علماء آخرون استجازوه فأجازهم ومنهم الشيخ محمد علي الانسي رئيس محكمة التمييز الشرعية والشيخ محمد الكتاني المغربي وغيرهما .

ألّف في اصول الفقه كتاباً مطولا يزيد عن الالف بيت وشرحه شرحاً وافياً ، وألّف رسائل صغيرة في الفرائض والتوحيد والوقف وغير ذلك(١) .

كان يتولّى الخطابة والتدريس في جامع الاويسية . ثم خلفه في ذلك الشيخ امين عز الدين .

(١) كتب هذه الترجمة السيد الحاج نديم الخطيب ابن الشيخ محيي الدين رحمه الله .

« ٩ »

جامـع الطحـام

تسميته وتاريخ بنائه

يسميّه العامة « جامع الطحّان » بالنون ، ويسميه النابلسي « جامـع الطحّال » باللام(١). والطحام ، على وزن فعّال ، وهو الشجاع الذي يقتحم المعارك . ومن هذه التسمية نستطيع ان نقول ان صاحب الجامع كان قائداً أو فارساً ، وان كنا لا نعرف اسمه ، ولا تاريخ بنائه للجامع .

ويخطيء الدكتور السيد عبد العزيز سالم حين يقول ان مسجد الطحّام اقيم في محلة بوابة الحدادين في سنة ٩٦٧هـ. على يدي محمود لطفي الزعيم في سلطنة سليمان القانوني(٢) فمن الواضح ان التاريخ المذكور هو لجامع الزعيم المعروف بالمعلّق الذي بناه محمود لطفي الزعيم . أما المستشرق الاستاذ بروس كوندي فيرجع تاريخ بناء الجامع الى سنة ١٦٤١م. التي تقابلها سنة ١٠٥٠ أو ١٠٥١هـ. اي بعد بناء جامع الزعيم (المعلّق) بنحو ٨٢ عاماً ميلادية . ويذكر أن الذي بناه هو الامير يونس المعني الاخ الاصغر للامـير فخر الدين المعنـي الثانـي(٣). ويطلـق على مئذنـة الجامـع اسـم « مئذنـة الامـيـر » (The Prince's Minaret)

غير اننا نرى أن الجامع وخاصة المئذنة منه ترجع الى عصـر المماليك بدليل زخرفتها وطراز بنائها ومقرنصاتها ومدلّياتها التي تشبه مآذن طرابلس المملوكية .

(١) النابلسي — ص ٧٢ .
(٢) طرابلس الشام — هامش الصفحة ٤١٧ .
(3) Condé - P. 66

ويقول المرحوم الشيخ كامل البابا ان باني الجامع يشتهر باسم « يونس بهادر » من أمراء المماليك(١) وقوله هذا لا يعتمد على مصدر تاريخي ، وانما على القول المتواتر عن كبار السن في طرابلس ، وهذا أمر لا نستطيع أن نجزم به ، وان كنا لا نستطيع أيضا أن نسقطه من الاعتبار واحتمال الواقع فيه أقرب الى التصديق أو الترجيح .

واذا استعرضنا قائمة اسماء نواب السلطنة من المماليك التي وضعها الاب أغناطيوس الخوري في كتابه « مصطفى آغا بربر »(٢) لوجدنا اسم « يونس ابن بهادر السليماني » الذي حكم حسب القائمة المذكورة من سنة ١٥٠٧ الى سنة ١٥١٦م./٩١٢ — ٩٢١هـ. أي في آخر ايام دولة المماليك . وهذا الادعاء لا صحة له تاريخياً ، اذ من المعروف في المصادر التاريخية ان نائب السلطنة في طرابلس في تلك الفترة كان الامير تمراز الاشرفي(٣). وليس في نواب طرابلس المماليك من يُعرف باسم يونس بهادر ، ومن المحتمل ان هذا الاسم لاحد أمراء المدينة أو أثريائها .

وصف الجامع

يقوم جامع الطحّام فوق مجموعة من الحوانيت(٤) حيث يُصعد اليـه بالدرج ، وهو الجامع الوحيد من بناء المماليك الذي يرتفع عـن الارض في طرابلس . وقد أقيم بعده في العصر العثماني جامع الزعيم فوق مجموعة مـن الحوانيت أيضاً ، ولذا عُرف بـ « الجامع المعلق » أو « المعلّى » لعلوه عن الارض .

وباب الجامع في الجهة الشمالية داخل قنطرة مفرغة تقوم فوقها مباشرة مئذنة الجامع . والقنطرة مبنيّة بالحجارة الداكنة القريبة الى السواد .

وحرم الجامع مربع الشكل تقريباً ، يبلغ طوله من الباب الى المحراب ١٥ متراً ، وعرضه ١٤،٣٠ متراً .

(١) نبذة — ص ٨ .
(٢) مصطفى آغا بربر — اغناطيوس الخوري — ص ٢٥ — بيروت ١٩٥٧ .
(٣) ابن اياس — ج ٩ ص ٩٦٣ .
(4) Les Monuments de Tripoli - P. 19

وأهم ما يسترعي الاهتمام في حرم الجامع ، أربعة أعمدة من الجرانيت تنتهي بتيجان بيزنطية(١) مترفة بالزخرفة النباتية والشوكية ، سوداء اللون . ترتكز عليها أربع دعامات تقوم عليها قبّة الجامع التي تتوسّط الحرم .

وفي الزاوية الغربية من الجدار القبلي توجد غرفة لخطيب الجامع ، تقوم فوق قنطرة ، وهذه القنطرة تعلو أول طريق العوينات الشمالية .

وفي الجهة الشرقية من الحرم يوجد اسطوان كان يقوم داخله حوض الوضوء ، وقد أزيل هذا الحوض منذ مدة ، ولم يبق من آثاره سوى لوحة رخامية تؤرّخ لبناء الحوض ، وترجع الى أوائل القرن الثاني عشر الهجري ، وهي من ثلاثة أسطر هذا نصها :

س١ « أنشأ هذا الخير لوجه الله العزيز س٢ الغفار عبده الحاج حسن بن س٣ البيرقدار (٢) رحمه الله سنة ١١١١ » .

ولم أقف لابن البيرقدار(٣) هذا على ترجمة .

المئذنــة

اما مئذنة جامع الطحام فتعتبر من أجمل مآذن طرابلس لغناها بالزخرفة الرائعة(٤). وتمتاز بأنها أقصر مآذنها ارتفاعاً ، وأغناها زخرفة . حتى يُخيّل للناظر اليها من أسفل أنها منارة لمعبد صيني(٥).

---

(1) Condé - P. 68

(٢) أخطأ المستشرق كوندي في ترجمة الاسم الى الانكليزية ، فقد عد كلمة « عبده » اسما ، فقال : « الحاج عبده محسن (بدلا من حسن) بن ألبرت قدار » « Hajj Abdo Mohsin, The son of Albert Kddar » - P. 68

(٣) مركبة من كلمتين : بيرق ودار . وهو صاحب دار البيارق (الاعلام) وهي من الوظائف التركية مثل الخازندار (خازن الدار) او الدفتردار او السنجقدار (سنجق دار) .

(4) Les Monuments de Tripoli P. 20

(5) Condé - P. 66

وواجهة المئذنة الشمالية تقوم فوق قنطرة باب الجامع مع انحراف قليل الى الغرب . وتستوي قاعدتها مع الجدار الخارجي للجامع ، يفصل بينهما افريز من الحجارة المزخرفة يمتدّ كشريط بطول واجهتي الجامع : الشمالية والغربية . أما قاعدة المئذنة الى الشمال فمستطيلة الشكل ، تقوم في أركانها أعمدة توآمية رشيقة ، وفوق القاعدة مسندان بشكل هرمي رأسهما مثلث لدعم ساق المئذنة المثمّنة الاضلاع ، والتي تنفتح بها أربعة نوافذ ، في كل جهة نافذة . تـزدان شرفاتها بالزخرفة . وفي الاضلاع الاخرى الواقعة بين النوافذ الاربعة يوجد تجويفات تشبه المحاريب رائعة الهندسة على جانبيها أعمدة معصورة أو مجدولة من الحجارة البيضاء . وفوق النوافذ تقوم طبقتان من المقرنصات والمدلّيات والتجويفات الرائعة ، وتقوم فوقها شرفة المئذنة التي تنتهي بثمانية قوائم ، يرتكز عليها سقف الآجرّ .

ويوشّح قاعدة المئذنة بعض الحجارة السوداء دون انتظام أو تناسق مع الحجارة البيضاء التي بُنيت بها المئذنة بمعظمها .

آل البتروني وتولية الجامع

جاء في سجل المحكمة الشرعية بطرابلس رقم « ١ » ص ٤٩ ، ان الشيخ مصطفى ابن الشيخ ابراهيم الشهير بالبتروني كان متوليّاً على جامع الطحام . وقد اشتهرت هذه الاسرة في حلب عندما دخلها جد هذه الاسرة الشيخ عبد الرحمن سنة ٩٦٤هـ.(١) .

وقد ترجم المحبي لاحد ابناء اسرة البتروني وهو : ابراهيم بن أبي اليمن بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد السلام بن أحمد البتروني الاصل ، الحلبي المولد ، الحنفي الفاضل الاديب المشهور وقال ان أباه تفرغ له عما كان بيده من مدارس وجهات ولم يبق في يده سوى افتاء الحنفية . وذكر له شعراً منه قوله في قصيدة أنشدها للامير محمد بن سيفا مطلعها :

أربى على شجو الحمام الفرّد ... وشدا فبرّح بالحسان الخـرد

---

(١) خلاصة الاثر — المحبي — ج ١ ص ١٠ و ١١ — المطبعة الوهبية ١٢٨٤هـ.

شاد يشاد به السرور لمعشر ... عمروا مجالس انسهم بالصرخد
في مجلس قام الصفاء به على ... ساق وشمّر للمسرّة عن يد

الى أن يقول فيها :

ولقد شكوت له الهوى لـي ... فنأى عن المضنى بقلب جلمد
وأبى سوى رقّي فقلت له اتئدْ ... اني رفيق للامير محمد(١)

وقد توفي سنة ١٠٥٣هـ. وكان ابنه الشيخ مصطفى متوليّاً على جامع الطحّام في سنة ١٠٧٨هـ. وفي سنة ١٠٧٧هـ. كان الشيخ مراد بن محمد البتروني ناظراً على الجامع(٢).

ابو المحاسن القاوقجي

حظيت طرابلس في القرن الماضي بالمحدّث الكبير والعلامة الفقيه المسند « ابو المحاسن محمد بن خليل بن ابراهيم بن محمد علي المشيشي الطرابلسي الشامي الحنفي الشهير بالقاوقجي » . المولود بها في سنة ١٢٢٤هـ. وهو مسند بلاد الشام في ذلك الوقت حتى أول هذا القرن . وعلى أسانيده المدار في غالب بلاد الشام ومصر والحجاز .

نشأ بطرابلس وتلقّى علومه الاولى فيها ، ثم رحل الى مصر سنة ١٢٣٩هـ. فتفقّه في الازهر وأقام هناك ٢٧ سنة عاد بعدها الى بلده ، وعكف على التدريس في جامع الطحام الى جانب الاشتغال بالتأليف . وقد تلقّى العلم عن كثير من العلماء ذكرهم في كتابه : « معدن اللآلي في الاسانيد العوالي » . وذكر عدداً منهم صاحب « فهرس الفهارس »(٣) وقال ان منهم الشيخ محمد بن أحمد الودي الفاسي دفين طرابلس الشام ، والشيخ علي سمني ابن الشيخ علي

---

(١) خلاصة الاثر — ج ١ ص ١٠ و ١١ ، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة — المحبي — تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو — ج ٢ ص ٦٠١ (المتن والهامش) — طبعة البابي ١٩٦٨ .

(٢) سجل المحكمة الشرعية السنية بطرابلس — رقم ١ ص ٣ — سنة ١٠٧٧هـ.

(٣) فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات — الادريسي الكتاني الفاسي — ج ١ ص ٦٩ و ٧٠ — طبعة فاس بالمغرب ١٣٤٦هـ.

مراد الطرابلسي ، والشيخ محمود الدسوقي دفين طرابلس الشام ، والشيخ الشمس محمد البهي ، وهو أعلى شيوخه اسناداً ، والبرهان الباجوري ، والشيخ السنوسي ، والسيد الميرغني ، وابن اخيه الشمس محمد عثمان صاحب تاج التفاسير ، والشمس محمد التطواني ، ومفتي يافا حسين الدجاني ، والشيخ عابد السندي المدني ، ومحمد بن محمود الجزائري ، وغيرهم . وذكر انه ألّف نحو مائة تصنيف ما بين مطوّل ومختصر ، ومنها « الجامع الفيّاح للكتب الثلاثة الصحاح » ، وهي الموطأ والبخاري ومسلم . و « الذهب الابريز شرح المعجم الوجيز » ، من أحاديث الرسول العزيز ، وهو مطبوع . و « تنوير الابصار » في الحديث . وله أربع موالد للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومعراجان ، وشرح لاحدهما ، و « كتاب الاربعين » و « البهجة القدسية في الانساب النبوية » و « رسالة في مصطلح الحديث وشرح غرامي صحيح » و « تسهيل المسالك لمختصر موطّأ مالك » ، و « الفتح المبين » وهو شرح الحصن الحصين لابن الجزري . ورسالة تشتمل على ٢٠٠ حديث جعلها على أركان الاسلام الخمس لكل منها أربعين حديثاً ، وحاشية على الاربعين النووية ، و « اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو أصله موضوع » ، وهو مطبوع . و « كواكب الترصيف فيما للحنفية من التصنيف » . و « الاسانيد العليّة المتصلة بأربعين كتاباً من أشهر الكتب الحديثية » .

وذكر اسماعيل باشا في ايضاح المكنون عدداً من مصنّفات القاوقجي منها : « الاعتماد في الاعتقاد » . و « البرقة الدهشية في لبس الخرقة الصوفية » . و « الجلوة في الخلوة » . و « ديوان الخطب » . و « ربيع الجنان في تفسير القرآن » . و « روح البيان في خواص النبات والحيوان » . و « سفينة النجاة في معرفة احكام الصلاة » . و « قواعد التحقيق في اصول اهل الطريق » . و « الكنز الافخر لمن أراد أن يصل الى الغنى الاكبر » . و « مسرّة العينين في حاشية الجلالين » . و « المقاصد السنيّة في آداب السادة الصوفية » . و « مناسك القاوقجي » . وهو صغير . و « مواهب الرحمن في خصائص القرآن » . و « نسيم الشجيّ الأوّاه في فضائل لا اله الا الله » . و « نظام

أسماء الله الحسنى » . و « هدية الاحباب » . وغيره(١).

حدّث عشرة من كبار أصحابه بأسانيده ، ومنهم : مُسند المدينة المنورة ابو الحسن علي بن طاهر المدني ، ومُسند دمشق ابو النصر الخطيب الدمشقي، ومسند دمياط محمد الشريف بن عوض الدمياطي ، وخطيب الازهر أبو علي حسن بن محمد السقّا الفرغلي المصري ، وخطيب الجامع المنصوري الكبير بطرابلس الشيخ عبد الفتاح الزعبي ، ومحمد بن سليمان المكي ، وغيرهم .

ترجم له نوفل وقال ان له رحلة ذكر فيها سياحته في الاقطار المصرية والبلاد الحجازية والشامية . وأورد له أبياتاً في ابراهيم الدسوقي(٢) .

توفي أبو المحاسن في مكة المكرمة ليلة الاربعاء ٧ ذي الحجة سنة ١٣٠٥هـ. عن احدى وثمانين سنة و ٨ أشهر . ورثاه كبار علماء طرابلس في ذلك الوقت وفي مقدّمتهم الشيخ حسين الجسر ، كما رثاه الشيخ عبد الكريم عويضة .

وقد خلفه ابنه فخر الدين القاوقجي فكان اماماً ومدرساً وخطيباً بجامع الطحام ، وعضواً في المجلس العلمي لاوقاف طرابلس ، الى أن توفي سنة ١٩٤٨.

عبد اللطيف زيادة

هو : عبد اللطيف بن عبد السلام زيادة ، قاضي طرابلس الشرعي . ولد عام ١٩٢٤ ودرس في كلية التربية والتعليم الاسلامية على ائمة العلم في عهده أمثال الشيخ كامل الميقاتي والشيخ عبد الحميد الحامدي والشيخ جميل عدره والشيخ صلاح الدين أبو علي مبعوث الازهر الشريف ، والشيخ فؤاد اشراقية ، وغيرهم . وبعد أن تخرّج من القسم الشرعي سافر الى مصر سنة ١٩٤٥ والتحق بكلية الشريعة في الازهر حيث حصل على الاجازة العالية وكان أثناء دراسته يميل الى القضاء فتخصّص في قسم القضاء الشرعي ونال منه اجازة

(١) ايضاح المكنون ـ انظر على التوالي : ج ١ ص ٩٨ و ١٧٧ و ٣٦٤ و ٥٠١ و ٥٤٨ و ٥٨٥ و ج ٢ ص ١٨ و ٢٤٢ و ٣٨٣ و ٤٧٨ و ٥٣١ و ٥٥٧ و ٦٠١ و ٦٤٦ و ٦٥٧ و ٧٢٤ .

(٢) تراجم علماء طرابلس ـ ص ٥٨ ـ ٦٠ ، الاعلام ـ ج ٦ ص ٣٥٢ و ٣٥٣ .

عالية . ثم رجع الى وطنه وافتتح مكتباً للمحاماة الشرعية في مدرسة القدسي المواجهة للحمام الجديد (حمام العظم) بمحلة الحدادين واشترك في الشؤون العامة فخطب في الجماهير وقاد المظاهرات وبرّز في الخطابة وجرت محاولة لاغتياله في ليلة ١٧ تموز ١٩٥١ وفي سنة ١٩٥٣ ولي تدريس الافتاء ثم تولى قضاء طرابلس الشرعي سنة ١٩٥٩ فأصبح من قضاة طرابلس المرموقين ، يستمد أحكامه من الفقه الحنفي مضيفاً اليه من شخصيته المستقلة ما يراه مناسباً لروح العصر ، وقد نالت فتاواه اعجاب علماء عصره . كما صار عضواً طبيعياً سنة ١٩٥٩ في المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى .

توجّهت عليه وظيفة الامامة والتدريس والخطابة في جامع الطحام ، ونقل تدريسه أخيراً الى جامع أبي سمراء القديم حيث تُعتبر حلقته أكبر حلقات التدريس في هذا الوقت ، وله طريقة مُثلى في تفسير القرآن الكريم وايضاح غوامضه واظهار بلاغته حتى اشتهر بتخريجاته الفقهية المصيبة . كما يقوم الآن بالخطابة في جامع ابي سمراء وجامع الميناء الكبير . بدأ منذ سنتين بنشر أحاديث دينية وأخلاقية في جريدة الحضارة الطرابلسية بعنوان (مع الله) ، كما تنشر له الآن جريدة التمدن الطرابلسية أحاديث مماثلة . وهي بمثابة مقالات سريعة سهلة الفهم وبطريقة لطيفة الى القلب . وباسلوب لا يعرف التكلّف . وتنعكس من خلالها شخصيته القريبة من الناس ، الصادقة اللهجة . وهو الآن كبير قضاة طرابلس الشرعيين ، حفظه الله .

* * *

ويتولّى الآن امامة وخطابة وتدريس جامع الطحام الشيخ احمد خالد الرفاعي ، الذي وُجّهت عليه وظيفة الامام المنفرد اعتباراً من أول نيسان ١٩٧٣ وهو حائز على الشهادة الثانوية من القسم الشرعي في كلية التربية والتعليم الاسلامية ، كما يقوم بتدريس مادة التربية الدينية في مدارس طرابلس الرسمية .

الفصل الرابع

« ١ »

المدرسة القرطـاوية

اسم المدرسة وتاريخها

تعرف بالمدرسة القرطاوية ، أو « الارطاويـة » باللهجـة الطرابلسية العامية . ويقال لها مدرسة « قرطائي بك » .

وقرطائي أو قرطاي ، هو نائب السلطنة بطرابلس « الامير سيف الدين قرطاي بن عبد الله الناصري » . وقد مرّ في ترجمته انه تولى النيابة بطرابلس مرتين (٧١٦ ـــ ٧٢٦) و (٧٣٣ ـــ ٧٣٤هـ.) وهو الذي أمر ببناء هذه المدرسة، كما بنى منبر الجامع المنصوري الكبير في سنة ٧٢٦هـ.

ومن المرجّح ان بناء المدرسة كان أثناء نيابته الاولى (٧١٦ ـــ ٧٢٦هـ.). وللاسف ، فان هذه المدرسة التي يزخر جدارها القبلي بالنقوش التاريخية ، لا يوجد فيها أي نقش يؤرّخ لبنائها .

وتعتبر المدرسة القرطاوية أجمل آثار طرابلس وأفخمها جميعاً(١) ، وهي أكبر مدارس طرابلس المملوكية ، وتلاصق الجامع المنصوري الكبير من الجهة الشرقية ، ولها ثلاثة أبواب ، أهمها الباب الشمالي وهو الباب الرئيسي ، والباب الثاني في الجهة القبلية عنـد الزاوية الشرقية من بيت الصلاة . أما البـاب الثالث فيقع في الركن الجنوبي الغربي من بيت الصلاة حيث يفضي الى حـرم الجامع المنصوري من جهته الشرقية ، ويصله به سلّم حجري . وهذا البـاب يؤدّي مهمة ايصال صوت خطيب الجامع الكبير ليقتدي به المصلّون في المدرسة عند صلاة الجمعة ، ولذا فهي تمتاز عن بقية مدارس طرابلس باحياء صـلاة الجمعة والاعياد فيها .

ويذهب الاستاذ بروس كوندي الى أن المدرسة أقيمت في نفس المكان الذي كانت تشغله الكنيسة الاسقفية(٢). وهناك ما يسترعي الاهتمام في هذا القول ،

---

(١) طرابلس الشام ـــ ص ٤١٨ .

(2) Condé - P. 37

ولدينا ما يؤكد ذلك وهو وجود كوّة تحت قنطرة رواق المدرسة الغربي (الايمن)، وهي في عضاضة مندمجة بالجدار الغربي للمدرسة . وهذه الكوّة لها فتحة تمتد الى أعلى العضاضة ، ومن المرجّح أنها كانت معدّة لحبل الاجراس والنواقيس .

كذلك فان للمدرسة جدارين شرقيين ، وجدارين شماليين ، أحدهما داخلي، والآخر خارجي . وبين كلّ من الجدارين في الجهتين فراغ بحيث يتسع لمرور شخص بينهما .

البوابة الرئيسية للمدرسة

أما بوابة المدرسة الرئيسية فتعتبر من أروع البوابات المملوكية المماثلة(١). اذ تمتاز بالتناسق والتناغم مع دقّة التصميم .

فالبوابة قطاع مستطيل مجوّف ، يُنزل اليها بدرجتين ، وعلى جانبيها مصطبتان من الحجارة ، كالمصطبتين عند باب جامع العطار الشرقي ، ومصطبتي جامع البرطاسي ، وغيره .

وفي زاويتي البوابة الخارجيتين ينتصب عمودان رخاميان ، متوّجين بزخرفة لطيفة ، يعتقد الاستاذ « كوندي » أنهما من الاعمدة الرومانية، كالعمودين الموجودين على جانبي المحراب ، داخل المدرسة(٢) .

وواجهة جدار المدرسة والبوابة مبنية بالحجارة الرمادية والسوداء المتعاقبة بشكل خطوط أفقية . وتنقسم واجهة الجدار قسمين ، علوي وسفلي. والعلوي يبرز الى الخارج عن القسم السفلي ببعض السنتيمترات . وتنفتح في هذه الواجهة نافذتان حولهما نقشت زخرفة لطيفة .

وعلى يسار البوابة يوجد تجويف أفقي مستطيل الشكل به لوحة حجرية كانت تحمل كتابة لاحد المراسيم السلطانية على الارجح ، وقد طُمس القسم

---

(١) طرابلس الشام ــ ص ٤٢٠ .

(2) Condé - P. 38

الاكبر من الكتابة ولم يبق منها سوى جزء صغير في الركن الاسفل الى اليمين . والكتابة الباقية غير مقروءة . وهذه اللوحة فوق افريزين أفقيين يلامس أسفلهما أرضيّة الطريق .

أما عتبة باب المدرسة فهي قطعة ضخمة من الرخام ، يعلوها مثلّث متسع الاضلاع يشبه المثلث الموجود فوق الباب الواقع داخل جامع طينال بين الحرمين. ونقش داخل هذا المثلث :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

وفي وسط عتبة الباب المذكورة توجد لوحة رخامية بشكل عمودي نقشت عليها آيات من القرآن الكريم في خمسة أسطر هي :

س١ « ان المتّقـــــين في »
س٢ « جنات وعيون. ادخلوها »
س٣ « بسلام آمنين. ونزعنا ما في »
س٤ « صدورهم من غلّ اخوانا »
س٥ « علي(١) سرر متقابلين(٢) »

وفوق مثلث البسملة عقد مقوّس من الرخام الابيض والاسود المتعاشق بشكل سنجات متداخلة ، وهذا نلاحظه أيضاً في بوابة جامع طينال الداخلية ، مما يجعلنا نميل الى احتمال ان المهندس للبوابتين واحد ، اذ بُني جامع طينال بعد سنوات قليلة من بناء المدرسة القرطاوية .

وفوق القوس لوحة مربّعة تزدان بزخرفة هندسية رائعة تتداخل فيهـا الالوان : (الابيض ، الاسود ، والرمادي) ، وتتوسط المربع جامة تحيط بهـا حبال زخرفية مجدولة . وتعلو هذه اللوحة ثلاث طبقات من المقرنصات والمدليّات التي تعلوها جوفة نصف كروية ، يحيط بها اطار بارز من الزخرفة بشكل متعرّج (زيكزاك) .

---

(١) هكذا في الاصل .

(٢) قرآن كريم ـ سورة الحجر ـ الآيات ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ .

وصف المدرسة من الداخل

يواجه الداخل الى المدرسة حوض رخامي للوضوء مربع الشكل يقوم وسط بلاط المدرسة الشمالي المتوسط بين الرواقين : الغربي والشرقي . وتتوسط الحوض نافورة رخامية .

ويتألف حرم المدرسة من ثلاثة أروقة ، أكبرها الرواق القبلي (الجنوبي) ويبلغ طوله من الشرق الى الغرب ١٩،٥٠ متراً ، وعرضه ٦،٨٠ أمتار . ثم رواقان : شرقي وغربي يفصلهما عن الرواق القبلي عضاضتان ، احداهما (١،٢٠ × ٢،٠٠سم) والاخرى (٠،٨٠ × ٢،٠٠سم). ويبلغ طول كل من الرواقين المذكورين ، من الشمال الى الجنوب ٦،٧٠ أمتار ، وعرض كل منهما ٥،٤٠ أمتار .

وفوق حوض الوضوء ترتفع قبة بها ٤ نوافذ ، وتعلو مدخل المدرسة الشمالي "سدة" خشبية مرتفعة ، وفوق "السدة" تنفتح في الجدار الشمالي نافذة دائرية شبيهة بالنوافذ الدائرية الموجودة في جامع البرطاسي .

وهناك قبة أخرى فوق المحراب والرواق القبلي تقوم على مقرنصات مثلثة تنفتح فيها ١٢ نافذة .

أما رواقات المدرسة فترتفع عن البلاط الذي يضم حوض الوضوء بأكثر من نصف متر . ويزدان جدار المدرسة القبلي وقسم من الجدار الغربي بالرخام الملون . ويمتاز المحراب بالزخرفة الهندسية المتناسقة(١) ، والفسيفساء التي تعلوه ، والعمودين الرخاميين على جانبيه . وفي نهاية الرواق الغربي الى الشمال يوجد حجرة ضريح تعلوه قبة صغيرة ، وبها تربة لا تحمل أية كتابة ، ومن المحتمل أن هذا الضريح يضم رفات الامير قرطاي باني المدرسة ، اذ أنه توفي بطرابلس ودفن في مدرسته التي أنشأها ، كما جاء في مجموعة النقوش العربية لسوبرنهايم(٢) .

---

(1) Les Monuments de Tripoli - P. 27

(2) Sobernheim - P. 56

الواجهة القبلية الخارجية

تنفتح في الجدار القبلي للمدرسة أربعة نوافذ ، حيث تبلغ سماكة الجدار أكثر من متر . وفوق هذه النوافذ من الخارج قطع من الرخام الابيض نُقشت فيها زخرفة هندسية داخل ٣ اطارات أرضيتها سوداء ، اثنان منهما مستطيلا الشكل ويتوسطهما اطار مربع الشكل . والزخرفة نافرة نوعاً ما الى الخارج . وفوق هذه الزخرفة مثلث متسع الاضلاع نقشت داخله آية من القرآن الكريم كالمثلث الموجود فوق عتبة الباب الرئيسي للمدرسة ، كما يعلوه قوس مخفف للضغط ، به سنجات متعاشقة من الرخام الابيض والاسود ، هي طبق الاصل عن القوس والسنجات الموجودة فوق الباب الرئيسي .

ونقش فوق النافذة الاولى ، مما يلي الباب القبلي للمدرسة :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين »

وفوق النافذة الثانية :

« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله »

وفوق النافذة الثالثة :

« واليوم الآخر وأقام الصلوه واتا(١) الزكوه ولم »

وفوق النافذة الرابعة :

« يخش الا الله فعسى أوليك أن يكونوا من المهتدين »(٢)

وتطل واجهة المدرسة الجنوبية هذه على طريق تعلوها عقود متشابكة تمتد من سوق العطارين حتى بوابة الجامع الكبير الجنوبية الشرقية . وتمتاز هذه القناطر بأقواسها المزخرفة وخاصة التي تستند على جدار المدرسة القبلي .

---

(١) هكذا في الاصل .

(٢) قرآن كريم — سورة التوبة .

ويلاحظ وجود عمود من الجرانيت فوقه زخرفة من ثلاث تجويفات مقرنصة ينتصب على يمين العابر الى الطريق قادماً من سوق العطارين . وأمام هـذا العمود قطعة من عمود آخر مثبتة في أرضية الطريق ترتفع حوالي ٢٥ سم. يقف عليها المؤذن ليؤذن للصلاة ، واستعيض بها عن المئذنة . وفي الجهة الجنوبية المواجهة يوجد عمود آخر مندمج في جدار أحد المنازل ، وتعلو العمودين قنطرة نقش في وسطها عند نقطة المركز دائرة رسم فيها سيفان لهما قبضتان متعاكستان . وفي طرفي القنطرة نقشت دائرتان ، يتوسط كلا منهما كأس يمثّل رنك الساقي . وفي منتصف الطريق بين القنطرة المذكورة وباب المدرسة القبلي توجد قنطرتان متعارضتان تعتبران عملا هندسياً بارعاً امتاز به الفن المعماري في عصر المماليك .

النقوش التاريخية

تعتبر الواجهة القبلية الخارجية لمدرسة القرطاوية بمثابة لوحة اعلانات سلطانية كبيرة حيث تزدان بالنقوش والكتابات التاريخية المتضمنة لمراسيم سلطانية برفع المظالم عن أهالي طرابلس وملحقات نيابتها . وهي منقوشة حسب تسلسلها التاريخي من الغرب الى الشرق ، أي من على يسار القاريء لها الى يمينه .

النقش الاول بتاريخ ٨٢٦هـ. من ثمانية أسطر ، الاربعة الاولى منها (٦٣ × ٣٦سم.) والاربعة الباقية عبارة عن كلمة واحدة في السطر (١٢ × ٣٦سهم.) وهي بالخط النسخي المملوكي . وقد نقشت بين النافذتين : الثالثة والرابعة(١) بالنسبة للقاريء الواقف أمامها ، هذا نصها :

س١ « لما كان بتاريخ مستهل رمضان سنة ستة وعشرين وثمان ماية حضر س٢ مرسوم شريف(٢) السلطان الملك الاشرف برسباي خلّد

(١) يعتبر الاستاذ سوبرنهايم النافذة رقم (١) الواقعة شرقي باب الجامع الكبير الجنوبي مباشرة ، أي أنه يعد النوافذ من اليسار الى اليمين بالنسبة للقاريء ، كما يسمي المدرسة بالمدرسة الشمسية ، وهذا خطأ واضح .

(٢) من المحتمل ان الكاتب أسقط « من » بين كلمتي (شريف) و (السلطان) .

س٣(١) ملكه أن يبطل ما على البلاد الطرابلسية من الخيل البريد س٤ فأجاب المقر الاشرف قصروه كافل المملكة الى ذلك س٥ وملعـون س٦ ابن ملعـون س٧ من يتحدث فيه س٨ أو يجدّده »(٢) .

ترجمة الاشرف برسباي

هـو السلطان الملـك الاشرف برسباي بن عبد الله ، أبو النصر أو أبو السعادات الدقماقي . جلس على كرسي المملكة بعد خلعه للصالح محمد بن ططر في شهر ربيع الآخر سنة ٨٢٥هـ. وهو سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والاقطار الحجازية الثاني والثلاثون من ملوك الترك ، والثامن من ملـوك الجراكسة . أخذ من بلاد الجركس وبيع بالقرم ثم اشتراه بعض التجار وقـدم به الى الجهة الشامية ، فكان من مماليك الامير دقماق المحمدي الذي أهداه الى الظاهر برقوق فأعتقه واستخدمه في الجيش ، فتقدم الى أن ولي نيابة طرابلس في أيام الملك المؤيد شيخ المحمودي ، وذلك عوضا عن الامير بردبك الخليلي في شهر ربيع الآخر سنة ٨٢١هـ.(٣) وفي شهر رمضان من نفس السنة حدث أنْ نزل التركمان على صافيتا من عمل طرابلس فأفسدوا ونهبوا وأحرقوا منها جانباً فأرسل اليهم برسباي ينهاهم عن ذلك فلم يرجعوا ، وعندما ارتـدّ عنهـم « قرايوسف » الذي كان يلاحقهم ، أمرهم برسباي من جديد بالعودة الى بلادهم ، فأجابوه الى ذلك ، وفيما هم يتجهّزون للرحيل ، ركب اليهم برسباي وكبسهم على غرّة ، وأراد الاستيلاء على مواشيهم ، فقاتلوه قتالا شديداً في ٢٦ شعبان ، وُقتل منهم خلق كثير ، وُقتل من عسكر طرابلس ١٣ نفراً ، منهم الامير سودون الاسندمري ، وانهزم برسباي ومن معه ، وأفحش التركمان في سلبهم حتـى أرجعوهم عراة ، فغضب السلطان شيخ على برسباي وعزله من نيابة طرابلس

---

(١) من المحتمل أن الكاتب أسقط لفظ الجلالة « الله » من النص ، ولعل ذلك يعود الى وقوع الكلمة في بدء السطر . (مجلة المباحث) ـ ج ٤ من المجلد ١٤ سنة ١٩٢٣ كانون الثاني ـ ص ٢٤٢.

(2) Sobernheim - P. 62

(٣) السلوك ـ ج ٤ ق ١ ص ٤٤٤ ، انباء الغمر ـ مخطوط ـ ج ٢ ص ١٢٧ب .

وأمر باعتقاله في قلعة المرقب ، وخلع على الامير « سودن القاضي » واستقر به نائباً على طرابلس . وشفع الامير ططر لبرسباي حتى أطلق من المرقب فأقام بدمشق بطّالا . ويعلّق ابن الصيرفي على ذلك بقوله : « يا برسباي ! اصبر على هذا المضض فانك ستلي سلطنة الديار المصرية والشامية عوضاً عن الذي سجنك وعن الذي شفع فيك عن قريب »(١) .

وفيما كان برسباي بدمشق ، ضرب له أحد المنجمين المغاربة تخت رمل وقال : ان برسباي نائب طرابلس سيصبح سلطاناً ، وضرب له مرة اخرى وقال ان وقت سلطنته غير بعيد ، وطلب أن يعتقلوه ان لم يتحقّق قوله . ولم تنته السنة حتى أتى برسباي الملك .

ومن أعظم الاعمال التي تمت في عهده ، غزو قبرس وفتحها وأسر ملكها في سنة ٨٢٩هـ. وكان فتح الجزيرة عن طريق طرابلس حيث كانت قاعدة تجمّع السفن والمراكب الحربية القادمة من مواني مصر والشام . ومما قيل في هذا الفتح :

بشراك يا ملك المليك الاشرف ... بفتوح قبرس بالحسام المشرفي

فتح بشهر الصوم تمّ ، فيا له ... من أشرف في أشرف في أشرف

فتح تفتّحت السموات العلى ... من أجله بالنصر واللطف الخفي

أنشأ برسباي مدارس وعمارات بمصر . وكان ملكا جليلا مبجّلا منقاداً للشريعة ، يحب أهل العلم . مهيباً مع لين جانب . كفوءاً للملك الا انه كان عنده طمع زائد في تحصيل الاموال . قال السخاوي ان سيرته تحتمل مجلّداً أو نحوه. وتوفي سنة ٨٤١هـ.(٢) .

---

(١) نزهة النفوس — ج ٢ — ص ٤١٨ .

(٢) تاريخ الملك الاشرف برسباي — مؤلف معاصر مجهول — ميكروفيلم رقم ١٥٦٤ عن المخطوط رقم ٨٥٥٤ ح ، الضوء — ج ٣ ص ٨ — ١٠ ، تاريخ ابن سباط — ج ٢ ص ١٦١ب ، شذرات الذهب — ج ٧ ص ٢٣٨ ، الاعلام — ج ٢ — ص ١٧ ، ١٨ .

ترجمة الاشرف قصروه

هو الامير « سيف الدين قصروه بن عبد الله من تمراز الظاهري » . تولى نيابة طرابلس في شهر صفر سنة ٨٢٦هـ. عوضاً عن الامير اينال النوروزي . وظل بها حتى ٧ جمادى الاولى سنة ٨٣٠هـ. حيث انتقل الى نيابة حلب ، وولي طرابلس بعده الامير « جرباش الكريمي قاشق » .

وكان قصروه أصلا من مماليك الظاهر برقوق ، وترقّى بعد موته الى أن صار من جملة أمراء العشرات ، ثم أمسكه الملك المؤيد وحبسه مدة ثم أطلقه في آخر دولته ، ولما تولى السلطنة ططر أنعم عليه بامرة مائة وتقدمة ألف ، ثم صار رأس نوبة النوب ثم أمير أخور كبيراً الى أن نقله الاشرف برسباي الى نيابة طرابلس . فأقام بها حتى نقل الى حلب ثم الى دمشق ، فباشر نيابتها حتى توفي ليلة الاربعاء ثالث شهر ربيع الآخر سنة ٨٣٩هـ.

كان جشماً طوّالا جسيماً فصيحاً باللغة التركية ، وقوراً مهابا ، وهو أحد الاسباب في سلطنة الاشرف برسباي . وهو استاذ كل من يُدعى بالقصروي(١) .

وفي أثناء نيابته على طرابلس تم فتح جزيرة قبرس . وكانت طرابلس مركز تجمع السفن والمقاتلة . فبعد أن استقر قصروه في طرابلس ورد الخبر بتحرّك الفرنج . فندب السلطان عدة أمراء الى السواحل وسيّر غرابين(٢) مشحونين بالمقاتلة والاسلحة ورسم لهم أن يسيروا في البحر الى طرابلس ويأخذوا من سواحل الشام عدة أغربة للقيام بخفر السواحل وحمايتها من الفرنج(٣) .

وفي العشرين من شهر رجب سنة ٨٢٨هـ. سارت خيول الامراء والاعيان من المجاهدين في البر الى طرابلس وعدّتها نحو ٣٠٠ فرس لتحمل من طرابلس صحبة غزاتها في البحر لحيث هو القصد(٤). ووصلت المراكب من دمياط الى

---

(1) Sobrnheim - P. 64 , النجوم — ج ١٤ ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

(٢) مفردها غراب ، وجمعها أغربة ، وهي نوع من السفن الحربية تركب فيه المقاتلة والجدافون .

(٣) النجوم — ج ١٤ ص ٢٦٨ .

(٤) النجوم — ج ١٤ ص ٢٧٦ .

طرابلس فانضم اليها خلائق من المماليك والعساكر الشامية وجماعة كبيرة من المطوّعة ، ورحلوا عن طرابلس في بضع وأربعين مركباً وسارت الى الماغوصة (فماغوستا) ونزلوا عليها وخيّموا في برّها الغربي ثم انتهبوها وأحرقوا ما بها من القرى وما بساحلها من المراكب . وفي ٩ شوال ورد الخبر على السلطان من طرابلس بنصرة المسلمين على الفرنج ، فدُقّت البشائر لذلك بقلعة جبل المقطّم ، وُجمع القضاة وأعيان الديار المصرية بالجامع الاشرفي ، وقريء عليهم الكتاب الوارد من طرابلس بنصرة المسلمين ، فضجّ الناس وأعلنوا بالتكبير والتهليل ، ونودي بزينة القاهرة ومصر ، ثم ُقريء الكتاب في اليوم التالي بجامع عمرو بن العاص . وكان قصروه نائب طرابلس قد بعث قاصداً له مع المجاهدين ليأتيه بالاخبار عن سير المعارك . وقد امتلأت سفن المسلمين من الاسرى ، وقيل انهم بلغوا ١٧٠٠ أسيراً(١) فكتب قائد الحملة الامير جرباش بذلك الى قصروه يبشّره بالفتح العظيم . وفي شهر ربيع الاول ٨٢٩هـ. قدم قصروه الى مصر لتقديم التهاني للسلطان فخلع عليه خلعة الاستمرار بولايته عى نيابة طرابلس حتى نقل الى حلب في سنة ٨٣٠هـ. كما مر .

النقش الثاني بتاريخ ٨٤٦هـ. وهو بين النافذة الرابعة وجدار الجامع الكبير شمالي الباب المؤدي الى الحرم . ويعلو عن سطح الارض حوالي ثلاثة أمتار ، ونقش على أربعة أحجار من أربعة أسطر (١٣٢ × ٤٠سم.) ، ثم أربعة أسطر أخرى (٤٠ × ٤٠سم.) . وهي بالخط النسخي المملوكي ، هذا نصها :

س١ « لما كان بتاريخ مستهل جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثمان ماية ورد مثال شريف مربع جيشي بما سومحوا به عوام س٢ القدموس بما على أنوال الحياكة وخراج الكروم بالقدموس مسامحة مستمرة على الدوام لا ينقض حكمها ولا يتغير س٣ شملها ونقش ذلك على الجامع الكبير بابطال هذه المظلمة عنهم لتسطر هذه الحسنة في الصحائف الشريفة استجلاباً س٤ للادعية الصالحة لهذه الدولة العادلة خلّد الله سلطانها الملك الظاهر جقمق عز نصره وبرز المرسوم الكريم مولانا ملك الامراء س٥ برسباي الناصري الظاهري س٦ كافل

---

(١) تاريخ الملك الاشرف ــ حوادث سنة ٨٢٧هـ.

المملكة الشريفة الطرابلسية س٧ وملعون ابن ملعون من يسعى س٨ في تجديد بها واستحداثها »(١) .

ترجمة الظاهر جقمق

هو السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد جقمق العلائي الظاهري الجركسي ، وهو الرابع والثلاثون من ملوك الترك ، والعاشر من الجراكسة . تسلطن بعد خلع الملك العزيز يوسف ابن الملك الاشرف برسباي باتفاق الامراء وأعيان المملكة على سلطنته ، وذلك في ١٩ ربيع الاول سنة ٨٤٢هـ. وظل حتى خلع نفسه بعد اشتداد المرض عليه في ٢١ محرم سنة ٨٥٧هـ. وخلفه ابنه الملك المنصور عثمان . وتوفي هو بعد سلطنة ابنه باثني عشر يوماً . وكان من بين قضاته المشاهير المؤرخ الكبير ، حافظ المشرق والمغرب ، ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ.

قال ابن تغري بردي : وكان الملك الظاهر سلطاناً ديّناً خيّراً عفيفاً صالحاً فقيهاً شجاعاً مقداما عارفا بأنواع الفروسية ، عفيفا عن المنكرات والفروج . لم يشهر عنه في صغره ولا في كبره انه تعاطى مسكراً ولا منكراً ، حتى قيل انه لم يكتشف حراماً قط . وكان جلوسه في غالب أوقاته على طهارة كاملة ، وكان متقشفاً في ملبسه ومركبه الى الغاية ، لم يلبس الاحمر من الالوان في عمره منذ علم بكراهيته . وكان معظماً للسادة الاشراف ، يقوم لمن دخل عليه من الفقهاء والفقراء كائناً من كان . واذا قرأ عنده أحد فاتحة الكتاب نزل عن مدوّرته وجلس على الارض اجلالا لكلام الله تعالى . وكان كريماً جداً يجود بالمال ، حتى نُسب الى السرف ، وكان ينعم بالعشرة آلاف دينار الى ما دونها . وهو أصلح من ولي مُلك مصر من طائفته في أمر الدين والتقوى ، فقد قمع المفسدين والجبارين ، وكسدت في أيامه أحوال أرباب الملاهي والمغاني ، واصطلح حال غالب أمرائه وجنده ، وأخذ أكثرهم يصومون في أيام من الشهر . ولم يبق في دولته من يتعاطى المسكرات الا القليل ، وصار الذي يفعل ذلك يتعاطاه في خفية ، ويُرجفه في تلك الحالة صفير الصافر(٢) .

مات الملك الظاهر جقمق وعمره ينيف على ثمانين سنة .

---

(1) Sobernheim - P. 63

(٢) النجوم — ج ١٥ ص ٤٥٤ .

ترجمة برسباي الناصري

هو الامير « سيف الدين برسباي بن عبد الله من حمزة الناصري فرج » . ولي نيابة طرابلس في ٢٩ ربيع الآخر سنة ٨٤٣هـ. عوضاً عن قاني باي الحمزاوي المنتقل الى حلب(١). وظل بها حتى نقل الى حلب في ٢١ ربيع الاول ٨٥١هـ. واستقر بعده بطرابلس الامير « يشبك المؤيدي الصوفي » . ولم تطل اقامة برسباي في حلب حيث طلب اعفاءه بعد أن مرض فيها فأعفي ، وفيما هو في طريقه الى دمشق توفي في جمادى الآخرة سنة ٨٥١هـ.(٢) .

كان من مماليك الملك الناصر فرج ثم صار من جملة أمراء دمشق ، ثم أمسكه الملك المؤيد شيخ وحبسه سنين ثم أطلقه . وأنعم عليه الملك الاشرف بحجوبية الحجّاب بدمشق فدام بها سنين طويلة الى أن نقله الملك الظاهر جقمق الى نيابة طرابلس في سنة ٨٤٣هـ.

قال ابن تغري بردي : كان جليلا حشماً ديّناً عفيفاً عن المنكرات والفروج عاقلا سيوساً ، مشكور السيرة . وكان شديداً على المسرفين ، فانه كان يُدخل اليه بالسارق أو قاطع الطريق فيقول : « خذوه الى الشرع » . ويُدخل اليه بالسكران فيضربه حدوداً كبيرة . وكان يقيم شهراً لا يتناول شرب الماء على ما قيل ، وقد شُهر عنه ذلك(٣) .

وقال صاحب « منادمة الاطلال » انه أنشأ بدمشق التربة البرسبائية الناصرية بسويقة صاروجا ، وأنشأ الجامع الملاصق لها ، ووقف عليها وقفاً جيداً جليلا »(٤) .

وفي أثناء نيابته على طرابلس انطلقت الحملة البحرية من مينائها باتجاه جزيرة رودس ، وضمّت الحملة ألف مملوك عدا عن المطوعة ، وأضاف اليهم

---

(١) النجوم — ج ١٥ ص ٣٣٥ .

(٢) وقيل سنة ٨٥٢هـ. (منادمة الاطلال — ص ٣٢٣) .

(٣) الضوء — ج ٣ — ص ٧ ، التبر — ص ١٩١ و ١٩٢ ، النجوم — ج ١٥ ص ٥٢٢ ،
Sobernheim - P. 67 , 68

(٤) منادمة الاطلال — ص ٣٢٢ .

السلطان جماعة كبيرة من أمراء البلاد الشامية كما فعل الملك الاشرف في غزوة قبرس . وقد رسم لهم بالتوجه الى طرابلس ليضاف اليهم العسكر الشامي ويسير الجميع عسكراً واحداً . وانتهت الحملة سنة ٨٤٨هـ. دون أن تؤدّي لنتيجة حاسمة ، ولم يتمكن المسلمون من الاستيلاء على الجزيرة(١) .

وكانت طرابلس في سنة ٨٤٤هـ. تتعرّض لغارات أهل رودس بعد سقوط قبرس بيد المسلمين . وفي ذلك يقول ابن شاهين : بها قدم الجند من طرابلس بأن أهل رودس قد أخذوا في الاستعداد للحرب .. وجاؤوا طرابلس ، وأن أهل طرابلس في نكد كثير وضرر ، وقد خلت الكثير من ضياعها وقصد أهلها الجبال وتركوا السواحل ، وانه يُخشى على طرابلس وما بجوارها من بلاد الاسلام .. ثم ورد الخبر أيضاً من طرابلس بأن عدّة أغربة من عمارة أهل رودس وصلت الى ثغر بيروت ووجدوا هناك مركباً معجوناً بالمسلمين والبضائع ، فقاتلوه وأخذوه وأسروا من به وكانوا أربعين رجلا أو زيادة على ذلك(٢) .

النقش الثالث وكتابته مبتورة ولا تحمل تاريخاً . ولكننا يمكن أن نقول انها نقشت في الفترة من سنة ٨٦٣ ــ ٨٦٦هـ. اذ يتضمن النص اسم نائب طرابلس « اياس المحمدي » وهذا قد مرّت ترجمته قبل الآن .

وهذه الكتابة تقع أسفل الكتابة السابقة (النقش الثاني) بحوالي المتر . ونقشت على ثلاثة أحجار من سطرين (١٨٥ × ٢٠سم.) بالخط النسخي المملوكي ، هذا نصهما :

س١ « ... للادعية الصالحة في صحائف مولانا السلطان الملك الاشرف اينال خلّد الله ملكه وأعزّ نصره و س٢ مولانا ملك الامراء كافل المملكة الشريفة الطرابلسية المحروسة اياس المحمّدي أعزّ الله أنصاره »(٣) .

---

(١) تاريخ الملك الاشرف ــ حوادث سنة ٨٤٧ و ٨٤٨هـ.

(٢) الروض الباسم ــ ج ١ ــ ص ٣٤ .

(3) Sobernhim - P. 72

ترجمة الاشرف اينال

هو الملك الاشرف ابو النصر سيف الدين اينال العلائي الظاهري . وهو السادس والثلاثون من ملوك الترك ، والثاني عشر من ملوك الجراكسة . بويع بالسلطنة بعد خلع الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق . وذلك في ٨ ربيع الاول سنة ٨٥٧هـ. وتلقّب بالاشرف . أصله جركسي الجنس ، اشتراه الملك الظاهر برقوق ، وصار من جملة مماليكه . وبعد وفاة برقوق تقلّب في المناصب حتى أصبح نائباً على غزة في دولة الاشرف برسباي ، ثم نُقل الى الرها سنة ٨٣٦هـ. ثم أحضر الى القاهرة وأعطي تقدمة ألف ، ثم نقل الى نيابة صفد سنة ٨٤٠هـ. واستمر بها حتى قيام دولة الظاهر جقمق فبعث خلفه ، واستقر في أتابكية القاهرة سنة ٨٤٩هـ. واستمر كذلك حتى توفي الظاهر جقمق وتولى ابنه الملك المنصور عثمان ، فوثب عليه العسكر وتوجهوا الى اينال وهو أتابك فأركبوه غصباً ، ووقعت الحرب بينهم وبين الملك المنصور سبعة أيام ، تسلطن بعدها اينال ولقب بالاشرف . ودام ملكه حتى توفي في ١٥ جمادى الاولى سنة ٨٦٥هـ. وله من العمر ٨١ سنة .

قال ابن اياس : كان ملكاً هيّناً ليّناً قليل الاذى . وكانت أيامه كلها لهواً وانشراحاً . وكان أميّاً لا يقرأ ولا يكتب ، فكانوا يخطّون له على المراسيم حتى يمشي عليها بالقلم . وقيل انه في مدة سلطنته لم يسفك دماً قط بغير وجه شرعي ، فعدّ ذلك من النوادر . ومن الحوادث في أيامه انه كان يقع بالقاهرة في كل ليلة حريق في عدة أماكن حتى ضج الناس من ذلك . ولم يُعلم سبب هذه النازلة ، ولا من كان يفعل ذلك . فاستمر الامر على ذلك مدة ، ثم بطل . وكانت دولته ثابتة القواعد ، وينقاد الى الشريعة ، ويحب العلماء ، قليل العزل للقضاة وأرباب الوظائف(١) .

النقش الرابع وهو بدون تاريخ . ويقع بين النافذتين الثالثة والرابعة ، على علو مترين عن الارض . ونقش على أربعة أحجار ، وقسم صغير من حجر

---

(١) ابن اياس ـ ج ٤ ـ ص ٣٧٠ و ٣٧١ .

خامس في أربعة أسطر (١٧٥ × ٣٦سم.) هذا نصها :

س١ ((الحمد لله في أيام مولانا السلطان الملك الاشرف ابو النصر قايتباي خلّد الله ملكه الشريف رسم المقر الاشرف العالي المولوي السيدي المالكي المخدومي الكافلي السيفي اينال الاشقر س٢ اليحياوي الظاهري الاشرفي مولانا ملك الامراء كافل المملكة الشريفة الطرابلسية المحروسة أعزّ الله أنصاره وختم بالصالحتات(١) أعماله بابطال ما على النحيرة بطرابلس من الموجب س٣ لديوان النيابة وقدره في كل يوم ثمانون درهماً رغبة في الاجر والثواب ووافقه على ذالك(٢) كل من المقرّين الشريفين العلائين الكافلي أمير حاجب الحجاب(٣) والتقوي أبي بكر الحسيني كاتب السر الشريف بطرابلس أعزّ الله س٤ أنصارهم وعظّم شأنهم وهو معلوم كتابة السر أحد وعشرون درهماً ومعلوم الحجوبية الكبرا(٤) ثلاثة عشر درهماً لتسطر هذه المثوبة في صحائفنا صحائف الم ...(٥) في ذلك وملعون ابن ملعون من يجدّد ذلك أو يغيّره))(٦) .

ويُفهم من هذا المرسوم أن السلطان الاشرف قايتباي قد أبطل مظلمة كانت بطرابلس ، اذ كان ديوان النيابة يتقاضى على ما يُنحر من الاغنام في كل يوم ٨٠ درهماً ، كما يتقاضى ديوان كتابة السر ٢١ درهماً ، وديوان الحجوبية الكبرى ١٣ درهماً ، وقد مرّت ترجمة السلطان الاشرف قايتباي عند دراسة جامع أرغون شاه .

---

(١) هكذا نقلها سوبرنهايم .

(٢) هكذا في الاصل .

(٣) لم أقف على اسم حاجب حجاب طرابلس لهذه السنة ، وكان بها قبل ذلك الامير شهاب الدين أحمد بن ناصر الدين محمد المعروف بابن قليب (٨٦٤ — ٨٧١هـ.) وتوفي يوم الخميس ٥ شعبان ٨٧١هـ. (النجوم — ج ١٦ ص ١٤١ و ٣٥٤) .

(٤) هكذا في الاصل .

(٥) كلمة ممسوحة .

(6) Sobernheim - P. 73 , 74

ترجمة اينال الاشقر

هو نائب السلطنة بطرابلس . وليها في ١٣ ربيع الآخر سنة ٨٧٢هـ. بعد مقتل نائبها الامير قاني باي المؤيدي الحسني في واقعة شاه سوار(١) . واستمر بها حتى شهر صفر سنة ٨٧٣هـ. حيث نقل الى حلب ، وتولاها عوضه الامير قانصوه اليحياوي(٢) .

ترجم له السخاوي فقال : « اينال اليحياوي الظاهري جقمق ويُعرف بالاشقر . تأمّر في أيام الظاهر خشقدم ، وعمل الولاية وأخرج لنيابة ملطية . ولا زال يتنقل حتى عمل نيابة طرابلس ثم حلب ، ثم في الايام الاشرفية قايتباي عمل رأس نوبة النوب ، وقاسى الناس منه في أحكامه شدّة . وتجرّد لسوار مدة بعد أخرى ، وعمل أمير سلاح . وجرت له كائنة يقابل عليها .. واستمر بعدها في جمود الى أن سافر الى الشرقية من أجل العرب فأقام أشهراً ثم ضعف فجيء به في محفّة ، فبمجرّد أن وصل وذلك في ليلة الجمعة خامس رمضان سنة ٧٩ مات غير مأسوف عليه ، فقد كنت أشهد في وجهه المقت . وكان من سيئآت الدهر ، رحم الله المسلمين »(٣) .

* * *

أما كاتب السر الذي ورد اسمه في النص ، فقد أتى على ذكره ابن اياس في تاريخه ولم يُطل في ترجمته . وذكره في وفيات سنة ٨٧٩هـ. وقال : « السيد الشريف تقي الدين ابو بكر بن أحمد كاتب السر بطرابلس ، توفي في ذي القعدة ، وكان لا بأس به »(٤) .

النقش الخامس وهو بتاريخ سنة ٨٧٢هـ. مبتور ، وليس منه سوى بدايته . وقد نقش بين النافذتين الثالثة والرابعة على حجر في سطر واحد (٦٠ × ١٠اسم.) هذا نصه :

« لما كان بتاريخ خامس عشرين رجب الفرد سنة اثنين وسبعين وثمانماية »

---

(١) النجوم — ج ١٦ ص ٣٦٤ .

(٢) ابن اياس — ص ٤٠٣ .

(٣) الضوء — ج ٢ — ص ٣٣٠ .

(٤) ابن اياس — ج ٤ ص ٤٥٧

ومن المحتمل ان هـــذه الكتابة كانت في الاصل للكتابة السابقة (النقش الرابع) ، اذ نلاحظ ان الكتابة السابقة لا تحمل تاريخاً ، غير أنها تحمل اسم نائب طرابلس الامير اينال الاشقر . والتاريخ الذي تحمله هذه الكتابة هـــو سنة ٨٧٢هـ. وهي السنة التي تولى فيها اينال الاشقر نيابة طرابلس كما مر قبل قليل .

ولعل الكاتب أخطأ في صياغة المرسوم ، السابق أو أخطـــأ في ايـــراد افتتاحيته التي جاءت منفردة عن المرسوم .

النقش السادس وهو بتاريخ سنة ٨٨٨هـ. ويقع بين النافذتين الثانيـــة والثالثة على ثلاثة أحجار في خمسة أسطر ، طول السطر الواحد ثلاثة أمتار ، والكتابة بعرض ٦٠ سم. (من أعلى الى أسفل) . هذا نصها :

س١ ((الحمد لله لما كان بتاريخ مستهل ذي الحجة الحرام سنة ثمـــان وثمانين وثمانماية حضروا التجار والمتسبّبين(١) بدار العدل الشريف وتضرّروا من الطروحات التي تُطرح عليهم في طرابلس وسألوا صدقات الكريمة برفـــع ذلك عنهم . فعند ذلك برز المرسوم الكريم س٢ العالي الكافلي السيفي اينال الاشرفي مولانا ملك الامراء كافل المملكة الشريفة الطرابلسية المحروسة أعـــزّ الله أنصاره بابطال المظالم وهي الطروحات التي تطرح عليهم التجار والمتسبّبين بمدينة طرابلس المحروسة عن الصابون والك س٣ رم والزيت وغير ذلك من المعتاد عليهم وأن يكتب ذلك على وجه حجر ليستمر الحكم ان شاء الله تعالى لما بعده ابتغاء لوجه الله تعالى وطلباً لثوابه وتصديقاً لحديث نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله ((من سنّ سُنّة حسنة فله أجرها س٤ وأجر من يعمل بها الى يوم القيامة ومن سنّ سُنّة سيئة فعليه وزرها ووزر من يعمل بها الى يوم القيامة)) واستجلاباً لادعية الرعيّة لمولانا المقـــام الشريف المعظّم والملك الاعظم صاحب السيف والقلم والبند والعلم خـــادم الحرمين س٥ الشريفين مولانا السلطان الملك الاشرف قايتباي خلّد الله ملكه وأجرى في فلك السعادة فلكه (فمن بدّله بعدما سمعه فانما اثمـــه على الذين يبدّلونه ان الله سميـــع عليم)(٢))) (٣) .

---

(١) كلمة عامية بمعنى المرتزقين .

(٢) قرآن كريم ــ سورة البقرة ــ الآية رقم ١٨٠ .

(3) Sobernheim - P. 76 - 77

ترجمة اينال الاشرفي

هو الامير « سيف الدين اينال الاشرفي قايتباي السلحدار » . تولى نيابة طرابلس سنة ٨٨٦هـ. بعد أن نقل اليها من الاسكندرية في شهر جمادى الاولى ، وذلك عوضاً عن نائبها بردبك المعمار الذي قتل في وقعة بابندر(١). وظل فيها حتى سنة ٨٨٩هـ. حيث خرج في هــذه السنة للمشاركة في قتــال دولات ابن دلغادر الذي كان يهاجم ملطية ، فوقع في الأسر ثم أطلق سراحه في ذي القعدة من السنة نفسها . وفي اثناء ذلك استقر الامير بيبرس الرجبي قريب السلطان قايتباي نائباً على طرابلس عوضاً عنه ، ولكن هذا لم يلبث أن توفي في شعبان سنة ٨٩٠هـ. فأعيد اليها اينال للمرة الثانية واستمر بها حتى نقل في شهر ربيع الآخر سنة ٨٩٩هـ.(٢) الى نيابة حلب .

ترجم له السخاوي ، غير أنه لم يذكر وفاته ، اذ توفي هو قبل وفاة اينال بسنة ، (٩٠٢هـ.) قال : « اينال الاشرفي قايتباي . رقاه حتى ناب بالاسكندرية ثم بطرابلس وخرج مع العساكر لدفع دولات فكان ممن أسر ، واستقر عوضه في طرابلس بيبرس الاشرفي قايتباي شادّ الشرابخاناه ، ولم يلبث أن افتدى نفسه بمال ورجع ، فقدّمه استاذه ، ثم مات بيبرس فرجع الى طرابلس وسافر حين برز العسكر في سنة ٩٠ لمحل كفالته ... »(٣) .

وفي سنة ٩٠٢هـ. أمسك لميله مع آقبردي الدوادار المناويء للسلطان ، وكان امساكه بدون علم الاشرف قايتباي(٤) الذي أطلق سراحه وقرّره في ولاية القاهرة(٥) . وفي سنة ٩٠٣هـ. كانت وقعة بين آقبردي وعسكر مصر ، وانضم اينال الى آقبردي ، وفيما كان خارجاً من مصر هارباً معه ، لحق بهما العسكر المصري ، فكانت منيّته في هذه السنة(٦) .

---

(١) ابن اياس — ج ٥ ص ٥٠٣ .

(٢) مفاكهة الخلان — ج ١ ص ١٥٥ ، ابن اياس — ج ٥ ص ٥٧٧ .

(٣) الضوء — ج ٢ ص ٣٢٦ .

(٤) ابن اياس — ج ٦ — ص ٦٠٢ .

(٥) ابن اياس — ج ٦ — ص ٦٠٦ .

(٦) ابن اياس — ج ٦ — ص ٦٣٤ .

النقش السابع وهو بتاريخ ٨٨٩هـ. ويقع بين النافذتين الاولى والثانية ، ونقش على حجر في خمسة أسطر (٨٥ × ٣٠سم.) هذا نصها :

س١ « الحمد لله لما كان بتاريخ العشرين من شهر الله المحرم الحرام سنة تسع وثمانين وثمانماية ورد المرسوم الشريف العالي المولوي س٢ السلطاني الملكي الاشرفي السيفي أبو النصر قايتباي أعـلاه الله تعالى وشرّفه وأنفذه في الآفاق وصرّفه بابطال مكس س٣ الدواليب الحرير والقصابة بالكهف والقدموس وابطال مكس نحيرة البقـر والجاموس وقطـع الضان وقرم الاسا س٤ كفة بالقدموس والخوابي على حكم ما بيدهم من المراسيم الشريفة على جاري عادتهم بقصة بالخط الشريف المرفوعة عن س٥ أهل الكهف والخوابي والقدموس بتاريخ تاسع شهر رمضان المعظّم قدره سنة ثمان وثمانين وثمانماية »(١) .

وواضح ان هذا المرسوم جاء تأكيداً لمرسوم سابق صادر في سنة ٨٨٨هـ. لم نقف على نص له .

ويلاحظ ان هذا المرسوم لم يتضمّن ذكراً لنائب طرابلس في تلك الفترة . ونحن نعرف أن نائبها في هذه السنة هو الامير اينال الاشرفي السلحدار الذي مرّت ترجمته قبل قليل . وأعتقد أن عدم ذكر اسمه في النص المنقوش يعود الى مغادرته طرابلس للمشاركة مع عسكر القاهرة الذي خرج لمقاتلة « علي دولات » أخي سوار ، اذ خرجت العساكر من مصر في شهر رجب سنة ٨٨٨هـ. وان كان اسمه لم يرد في جملة الذين تجرّدوا لهذه الحملة ، غير ان ابن اياس يذكر في حوادث شهر ذي القعدة سنة ٨٨٩هـ. أن علي دولات أطلق اينال السلحدار نائب طرابلس وكان عنده مأسوراً(٢) .

النقش الثامن وهو بتاريخ ٩٠٩هـ. ويقع بـين النافذتين الثالثة والرابعة تحت النقش الرابع . ويعلو عن الارض نحو نصف المتر . وهو من أربعـة أسطر ، اثنان منها أصغر من الاثنين الآخرين . وتستغرق كتابـة السطرين

---

(1) Sobernheim - P. 79 - 80

(٢) ابن اياس ـ ج ٥ ص ٥٢٣ ، المباحث ـ ج ٧ ـ مجلد ١٤ ص ٤٨٥ .

الاولين : حجرين وقسمين من حجرين آخرين ، أحدهما من آخره والثاني من أوله . (١٦٥ × ١٢سم.) أما السطران الاخيران فهما من أول النافذة الثالثة حتى الرابعة على أربعة أحجار كاملة (٢٨٠ × ١٢سم.) . وهذا نص الكتابة :

س١ ((الحمد لله . لما اتصل بمسامع مولانا ملك الامراء المقر الاشرف الكافلي السيفي قانصوه اليحياوي كافل المملكة الشريفة الطرابلسية س٢ المحروسة أعزّ الله أنصاره ، أن مقدّم السراي يفرض على حصته النصف والباقي يوخذ من وقف الحرم الشريف النبوي على ساكنه أفضل الصلاة والسلام س٣ (... ... ...)(١) أقرّ أيضاً ويكلّفهم الى المغارم والكلف والسخر وغير ذلك فنادى الى ابطال هذه المظالم والحوادث عن فلاحي الوقف ابطالا شرعياً ويدام الى الابد رغباً الاجر(٢) والثواب وشفاعة س٤ سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم أن لا يكربوا فلاحي الوقف ألا الجزية الشرعية والمال المقرّر وملعون ابن ملعون من يخالف ذلك ويغيّره بعد بتاريخ عاشر رمضان المعظم قدره سنة تسع وتسعماية . والحمد لله وحده))(٣) .

ترجمة قانصوه اليحياوي

من نواب طرابلس المماليك ، اثنان باسم « قانصوه اليحياوي » . الاول هو قانصوه اليحياوي الظاهري جقمق المتوفى سنة ٩٠٢هـ. وهو نائب الشام . وولي طرابلس بعد اينال الاشقر في شهر صفر سنة ٨٧٣هـ. وبقي حتى سنة ٨٧٤هـ.

أما الثاني وهو « قانصوه اليحياوي » الوارد ذكره في المرسوم . ويعرف بقانصوه من يشبك المعروف بروح لو(٤) .

قال ابن اياس انه كان أتابك العساكر بغزة ، وخُلع عليه في شوال سنة ٩٠٨هـ. وقُرّر في نيابة حماه عوضاً عن نائبها جانم الذي كان بها(٥) . وفي شهر

---

(١) حوالي ٥ أو ٦ كلمات ممسوحة غير مقروءة .

(٢) لعل صحتها : « رغبة في الاجر » .

(3) Sobernheim - P. 81

(٤) مفاكهة الخلان — ج ١ ص ٢٣٥ والهامش ، ذيل أعلام الورى — ابن طولون — ص ١٦٩ تحقيق محمد أحمد دهمان — دمشق ١٩٦٤ .

(٥) ابن اياس — ج ٧ ص ٧١٤ ، Sobernheim - P. 82

ربيع الثاني سنة ٩٠٩هـ. خلع السلطان على الامير جانم وأعاده الى نيابة حماه كما كان ، وصرف عنها قانصوه اليحياوي الذي كان أتابك العسكر بغزة(١) .

وفيما كان ابن اياس حتى هنا يسمّيه بأتابك عساكر غزة ، اذ به يذكره في حوادث سنة ٩١٦هـ. فسمّيه بنائب غزة ، ويقول ان العادل قرّره في نيابة حلب وأرسل اليها متسلّمه فلم يتم له ذلك . ثم بقي مقدّم ألف الى أن آل أمره فأصبح نائب قطية ورسم له أن يقيم بها دائماً خوفاً من الفرنج أن يهجموا على من بالطينة . وجعله السلطان باشا على العسكر الذي بالقلعة ، وأنعم عليه بخراج قطية ما دام هناك(٢) .

ثم يعود ابن اياس فيسمّيه في موضع لاحق بقانصوه رجله(٣) . ويقول انه استقر في سنة ٩٢٢هـ. كاشفاً للشرقية بمصر(٤) . حتى قتل سنة ٩٢٣هـ. عند دخول العثمانيين القاهرة(٥) .

أما ابن طولون فيقول ان « قانصوه رجله » كان نائب غزة ، وتولى نيابة حلب عوضاً عن نائبها أركماس المعزول في سنة ٩٠٦هـ.(٦) ولكن مرسوماً ورد في شوال من السنة نفسها بابقاء أركماس نائباً على حلب وعزل قانصوه الذاهب اليها(٧) . ثم ورد الخبر من حماه بأن نائبها « سيباي » قبض على قانصوه بمرسوم شريف . وفي شهر رجب سنة ٩١٠هـ. اشتهر بدمشق تولية قانصوه روح لو نائب غزة ، نيابة طرابلس ، وكانت شاغرة بعد دولتباي(٨) . وفي سنة ٩١١هـ. تولى الامرة الكبرى بدمشق(٩) .

---

(١) ابن أياس — ج ٧ ص ٧٢. ، Sobernheim - P. 82

(٢) ابن اياس — ج ٧ — ص ٨٠٥ .

(٣) ابن اياس — ج ٩ ص ٩٨٨ .

(٤) ابن اياس — ج ١٠ ص ١٠٧٠ .

(٥) ابن اياس — ج ١٠ ص ١٠٨٣ .

(٦) مفاكهة الخلان — ج ١ ص ٢٣٥ .

(٧) مفاكهة الخلان — ج ١ ص ٢٣٧ .

(٨) مفاكهة الخلان — ج ١ ص ٢٨٦ ، ذيل أعلام الورى — ص ١٦٩ .

(٩) مفاكهة الخلان — ج ١ ص ٢٩٢ .

وهناك حلقة مفقودة في الترجمة لقانصوه هذا ، نستطيع أن نوضّحها بأن المرسوم المؤرّخ في ١٠ رمضان سنة ٩٠٩هـ. والصادر عن قانصوه اليحياوي كافل طرابلس (نائبها) . هو نصّ لا مجال للاجتهاد فيه . ونعود الى ما ذكره ابن اياس من أن السلطان أعاد الامير جانم الى نيابة حماه في شهر ربيع الثاني سنة ٩٠٩هـ. وصرف عنها قانصوه اليحياوي . وبذلك يمكننا القول أن قانصوه تولى نيابة طرابلس في الفترة الواقعة بين شهر ربيع الثاني وشهر رمضان من سنة ٩٠٩هـ. ويبدو أنه تولاها بعد الامير دولات باي الذيكان بها سنة٩٠٨هـ.(١) وان دولات باي عاد اليها بعد قانصوه ، ثم أعيد اليها قانصوه في سنة ٩١٠هـ. ونستدل على ذلك من قول ابن طولون انه اشتهر في رجب سنة ٩١٠هـ. تولية قانصوه نيابة طرابلس ، وكانت شاغرة بعد دولتباي .

مرسوم سنة ٨٥١هـ.

بالاضافة الى المراسيم المنقوشة على جدار المدرسة القرطاوية القبلي ، التي مر ذكرها ، هناك مرسوم منقوش على جدار أحد المنازل قبالة المدرسة ، مواجه للخارج من باب الحرم في الجامع الكبير . واللوحة التي تحمل النقش الكتابي مستطيلة الشكل ، (عمودية) (٨٠ × ٤٠سم.) وهو من ١٢ سطراً ، هذا نصّه :

س١ « لما كان بتاريخ نهار الخميس مستهل شعبان س٢ سنة أحد وخمسين وثمانماية ورد مرسوم شريف مربع س٣ من ديوان الجيوش المنصورة الاسلامية على س٤ ابطال ما تجدّد على عوامّ القدموس والكهف س٥ والمنيقة والعليقة والخوابي من الاعمال ا س٦ لطرابلسية من الثياب الخام ودورة الاستا س٧ دار على حكم المرسوم الشريف المربع المؤرّخ في س٨ شهر الحجة(٢) الحرام سنة ست وثلاثين وثمانماية وان لا س٩ يُحدث عليهم دخان ولا يُجدّد عليهم مظلمة لتسطر س١٠ هذه الحسنات في الصحائف الشريفة استجلابا لادعية س١١ الرعيّة ببقاء هذه الدولة العادلة في كفالة المقر العا س١٢ لي المولوي السيفي يشبك الصوفي أعزّ الله أنصاره »(٣) .

---

(١) ابن اياس ــ ج ٧ ص ٧٠٤ .

(٢) لعل الكاتب أسقط « ذي » قبل « الحجة » .

(3) Sobernheim - P. 68 - 69

ترجمة يشبك الصوفي

هو الامير « سيف الدين يشبك بن عبد الله من جاني بك المؤيدي ، المعروف بالصوفي » . تولى نيابة طرابلس في ٢١ ربيع الاول ٨٥١هـ. عوضاً عن برسباي الناصري(١) . ورغم أن المرسوم الآنف ذكره ينص على رفع المظالم عن أهالي القرى التابعة لنيابة طرابلس ، فان يشبك أساء السيرة في المدينة ، ولذلك رسم السلطان بعزله عنها في شهر ذي الحجة سنة ٨٥٣هـ. حيث أقام بدمياط بطالا . واستقر بطرابلس بعده الامير يشبك النوروزي بعد أن دفع مبلغاً كبيراً من المال(٢) .

ترجم له السخاوي ، وابن تغري بردي . وذكر انه كان من صغار مماليك الملك المؤيد شيخ ، وصار خاصكياً بعد موت استاذه ، ثم تأمّر عشرة في دولة الملك الظاهر جقمق ، وصار من جملة رؤوس النوب ، وسافر الى مكة مقدّم المماليك السلطانية ، ثم عاد الى القاهرة ودام بها مدة ، ثم نفي الى حلب بعد سنة ٨٥٠ ثم نقله الملك الظاهر جقمق الى امرة مائة وتقدمة ألف بحلب ، ثم نقله بعد ذلك الى نيابة حماه ثم الى نيابة طرابلس ، ثم طُلب الى القاهرة لسوء سيرته في أهلها ، وأمسك ، وأقام بدمياط ، ثم سُجن في الاسكندرية ثم أطلق الى دمياط ثانية ، ثم نقل الى القدس وأعيد بعدها الى مصر ، فأنعم عليه بأتابكية العساكر بدمشق فأقام بها حتى مات في صفر سنة ٨٦٣هـ. وكان رجلا طوّالا ، حسن الشكل ، حلو اللسان ، بعيد الاحسان ، عادلا في الظاهر ، ظالماً في الباطن ، متواضعاً لمن كانت حاجته اليه ، مترفعاً على من احتاج اليه ، كثير الخدع والتملّق لاصحاب الشوكة ، بألف وجه وألف لسان . مع كثرة ايمان الله والطلاق ، وشُحّ وبُخل وطمع وسوء سيرة (٣) .

---

(١) النجوم — ج ١٥ ص ٣٧٤ .

(٢) النجوم — ج ١٥ ص ٤٠٤ .

(٣) الضوء — ج ١٠ ص ٢٧٠ ، النجوم — ج ١٦ ص ٢٠٠ و ٢٠١ ، Sobernheim-P.71-72

ويتضح من نص المرسوم المذكور انه صدر لابطال المظالم التي تجدّدت بموجب مرسوم سابق صادر في شهر ذي الحجة سنة ٨٣٦هـ. اذ كان يتولى نيابة طرابلس في ذلك الوقت الامير « سيف الدين طرباي بن عبد الله الظاهري جقمق » فقد وليها في جمادى الآخرة سنة ٨٣١هـ.(١) وظل بها حتى مات فجأة وهو جالس في مصلاه في شهر رجب سنة ٨٣٨هـ.(٢) وقيل سنة ٨٣٧هـ.(٣) .

(١) النجوم ـ ج ١٤ ص ٣١٨ .

(٢) النجوم ـ ج ١٥ ص ١٩٤ .

(٣) الضوء ـ ج ٤ ـ ص ٧ .

« ٢ »

المدرسة الزريقيـــة

تاريخها وموقعها

هي أقدم مدارس المماليك في طرابلس . بناها نائب طرابلس الامـــير « عز الدين أيبك الموصلي المنصوري » في سنة ٦٩٧هـ. بعد مرور أقل من عشر سنوات على فتح المدينة . وقد أزيلت هذه المدرسة منذ فترة قريبة ، بعد توسيع مجرى نهر أبي علي . وكانت تقع في محلة السويقة بجوار حمّام الحاجب ، الى جهة الشمال منه ، في مواجهة خان المنزل ، على الضفة اليمنى من النهر .

وصفهـا

وصفها المستشرق « بروس كوندي » في كتابه(١) ، وكذلك الدكتور السيد سالم(٢) . ولا يبدو على واجهة المدرسة أية زخرفة مما نـــراه في المدارس المملوكية الاخرى ، ولذلك ادّعى « كوندي » أن بوابة المدرسة صليبية البناء .

غير أن تجويف البوابة يحتوي على مقرنصتين مثلثتين ، وهما من الزخرفة التي اشتهرت بها الابنية المملوكية . وفوق عتبة الباب تجويف مستطيل يعلوه تجويف مماثل آخر يحمل نقشاً كتابياً بانشاء زاوية في المدرسة ، ويحتضن هذين المستطيلين مع عتبة الباب قوس ، تقوم على جانبيه زاويتان من المقرنصات ، تعلوهما جوفة الباب نصف الكروية .

وعلى يمين مدخل الباب نقشت ستة أسطر داخل لوحة (٣٥ × ٥٠سم.) بالخط النسخي المملوكي ، تؤرخ لبناء المدرسة التي سُمّيت مسجداً ، هذا نصها :

س١ « بسم الله الرحمن الرحيم س٢ أنشأ هذا المسجد المبارك س٣ الفقير الى الله أيبك الموصلي س٤ عفا الله عنه في تاريخ عشرين س٥ جماد الآخر سنة سبع وتسعين س٦ وستماية »(٣) .

---

(١) Condé - P. 117 - 118

(٢) طرابلس الشام — ص ٤٢٩ .

(٣) Sobernheim - P. 83

ترجمة عز الدين أيبك الموصلي

صاحب الحمّام المشهور باسمه في طرابلس (حمّام عز الدين) ، في محلة باب الحديد . تولّى النيابة في سنة ٦٩٤هـ. بعد أن عُزل عنها سميّه النائب « عز الدين أيبك الخزندار »(١) .

ومن الطريف ، أن مصادفة غريبة وقعت لهذين النائبين ، وهي ان السلطان أمسك « أيبك الموصلي » وحبسه ببرج الساقية ، بقلعة الجبل ، فأقام بالحبس ثلاثة وتسعون يوماً ، ثم أخرجه وولاّه طرابلس . ثم أمسك « أيبك الخزندار » من طرابلس ، وحبسه ببرج الساقية ، فأقام بالحبس ثلاثة وتسعون يوماً . فالاسمان سواء ، والولاية واحدة ، والسجن واحد ، والمدة واحدة(٢) .

قال ابن تغري بردي ان أيبك الموصلي توفي بطرابلس في أول صفر سنة ٦٩٨هـ. مسموماً . وكان من أجلّ الامراء ، وله مواقف مشهورة . ويدعوه بـ « نائب طرابلس والفتوحات الساحلية »(٣) .

ويقول عنه الذهبي : كان ديّناً ، عاقلا ، مهيباً ، وقوراً ، مجاهداً ، مرابطاً ، جميل السيرة ، من خيار الامراء(٤) .

ودُفن الموصلي بجوار حمّامه ، الى الجهة الشرقية منه . ونطالع فوق نافذة ضريحه هذا النص :

س١ « بسم الله الرحمن الرحيم . هذه تربة العبد الفقير الى الله(٥) س٢ رحمه(٦) الله تعالى أيبك بن عبد الله الموصلي نايب السلطنة س٣ الشريفة بالفتوحات المحروسة رحمه الله تعالى(٧) المتوفى في خامس س٤ شهر صفر من سنة ثمان وتسعين وستماية من الهجرة النبوية » .

---

(١) ابن الفرات — ج ٨ ص ١٩٩ .

(٢) درر التيجان وغرر تواريخ الازمان — ابو بكر بن أيبك صاحب صرخد — ص ٦٠٠ و ٦٠١ — مخطوط ، محفوظ بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٤٤٠٩ تاريخ .

(٣) النجوم — ج ٨ ص ١٨٣ .

(٤) تاريخ الاسلام — ج ٣١ ص ٢٣٥ ، كنز الدرر — ج ٩ ص ١٣ .

(٥) سقطت عند سوبرنهايم (ص ٨٤) .

(٦) أثبتها سوبرنهايم « رحمة » بالتاء المربوطة .

(٧) أسقطها سوبرنهايم .

وفي أركان لوحة هذا النص نقشت أربع كلمات ، اثنتان على اليمين ، هما : (ملكي) ، (منصوري) . وعلى اليسار ، كلمتان هما : (الله) ، (رحمه) .

وتحت لوحة النص الكتابي ، نُقش رنك الامير ، الذي يمثّل البيرق . وهو باللون الاحمر .

وذكر النابلسي في رحلته انه زار ضريح الموصلي أثناء وجوده بطرابلس ، فقال : « زرنا ونحن سائرون الشيخ الولي الصالح الشيخ عز الدين ، وقرأنا له الفاتحة ، ودعونا له . وبالقرب منه حمّام يُقال لـه حمّام عز الدين يُنسب اليه »(١) .

زاوية كرتاي السيفي

وفوق عتبة باب المدرسة ، نقشت ثلاثة أسطر بالخط النسخي المملوكي (٩٥ × ٣٥سم.) تفصح عن انشاء « زاوية » ملحقة بالمدرسة ، أمر ببنائها أحد أمراء طرابلس « سيف الدين كرتاي » ، هذا نصّها :

س١ « بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بانشاء هذه الزاوية المباركة س٢ العبد الفقير الى الله تعالى سيف الدين كرتاي السيفي س٣ وذالك(٢) في تاريخ(٣) شهر شوال سنة ثمان وثلاثين وسبعميّة »(٤) .

ولم تسعفني المصادر التاريخية في التعريف بـ « كرتاي السيفي » صاحب هذه الزاوية . كما لم أقف على السبب الذي دُعيت به المدرسة بالمدرسة الزريقية . ولعل هذه مصحّفة عن « الزرّاقين » ، وهم الذين يحملون أدوات النفط والحريق ، الى جانب الحجّارين والنقّابين . ومهمتهم اشعال النيران والحرائق في تحصينات العدو . وقد رأينا أن المنصور قلاوون اصطحب معه من الزرّاقين والنقّابين والحجّارين ١٥٠٠ شخصاً عند فتح طرابلس ، فلعل تسمية المدرسة بالزريقية نسبة اليهم .

وما زال حتى الآن بطرابلس طريق تُعرف بـ « الحجّارين » بشارع الراهبات ، قرب مركز الدرك السيّار سابقاً (مدرسة الشعراني حالياً) .

---

(١) التحفة النابلسية ــ ص ٥٨ و ٥٩ .

(٢) هكذا في الاصل .

(٣) عند الشيخ كامل البابا (بتاريخ) ــ خطط الشام ــ ج ٦ ص ١٢٩ .

(4) Sobernheim - P. 83 - 84

« ٣ »

مدرسة الخيرية حسن

موقعها وتاريخها

من المدارس المحيط بالجامع المنصوري الكبير . تقع في الشمال الغربي منه . ومجاورة للمدرسة الناصرية الى الجنوب . وكان على مسافة بضعة أمتار من مدرسة الخيرية ، مدرسة أخرى ، تعرف بمدرسة الشيخ « تاج الدين » ، الى الجنوب منها . وقد أزيلت تلك المدرسة منذ حوالي ١٥ سنة .

وتواجه المدرسة الخيرية الآن المدخل الخارجي لبهو الجامع المنصوري الكبير مباشرة . ويشغلها حالياً السيد رشاد حمزه الذي يتولى دفن موتى المسلمين في البلدة .

ولم أقف على اسم بانيها الحقيقي ، هل هو « حسن » الذي تعرف المدرسة به ؟ أم هو « قطلو » الذي ترك وقفيته منقوشة فوق بابها ؟ ومن هو « حسن »؟ ومن هو « قطلو » ؟ ولماذا عرفت المدرسة بالمدرسة الخيرية حسن ، ولم تعرف بمدرسة حسن الخيرية ؟

هذا ما لم أجد له تفسيراً ..

أما تاريخ بناء هذه المدرسة ، فهو بعد سنة ٧٠٩هـ. كما يقول الدكتور السيد سالم(١) . وليس قبل هذا التاريخ بالضرورة ، اذ يأتي في نص الوقفية المنقوشة فوق بابها ، ذكر نائب طرابلس « أسندمر » الذي تولى نيابتها حتى سنة ٧٠٩هـ. وقد مرّت ترجمته في الفصل الاول من هذا الكتاب . ومن المحتمل أن بناءها تم في الربع الاول من القرن الثامن الهجري (٧٠٩ — ٧٢٥هـ.) ، فقد جاء في وقفية المدرسة ذكر لـ « طاحون أسندمر » و « سوق أسندمر » و « قيسارية الافرنج » ، وهذه أماكن كانت تعرف بتلك الاسماء في ذلك العهد .

---

(١) طرابلس الشام — ص ٤٢٤ .

وصف المدرسة

المدرسة مستطيلة الشكل ، واجهتها الى الشرق . وفي وسط الواجهة باب المدرسة ، وسط قطاع مستطيل مجوّف محاط بافريز ناتيء من المقرنصات المسطّحة . وقوس قنطرة الباب من الحجارة البيضاء والسوداء . أما تجويف البوّابة ، فهو خال من الزخرفة . ويتوسّط طبلة الباب فوق العتبة شبه مستطيل (عمودي) مجوّف ، نقشت داخله ستة أسطر (٦٢ × ٨٥سم.) ، هي في حالة مؤسفة من عدم الوضوح ، لما لحقها من طمس الدهان ، والاهمال ، وتتضمن وقفيّة وقفتها سيّدة على زوجها اسمه « قطلو » . ونص الوقفية يوحي بأنها كانت على ثراء لا بأس به . وهذا نصها :

س١ « بسم الله الرحمن الرحيم . وقفت جهة المرحوم قطلو : المصبنة ، والمعصرة ، و س٢ الرّبع فوق المعصرة ، وخمس قراريط وربع بطاحون الداودية ، والسندمرية س٣ بأرض كفرقاهل ، والبستان ظاهر طرابلس . وثلاث قراريط س٤ ونصف بسوق أسندمر ، وثلث الدير يُعرف بأرض أصنون ، ومسكبة زيتون س٥ والقاعة ، والبحرة ، والطبقة جوار المدرسة ، ونصف طاحون س٦ الجديدة بعرْدات ، وكرم زيتون في بطرّام ، وطبقة ، ومخزن بقيسارية الافرنج »(١) .

ومن الواضح ان الكتابة لا تحمل تاريخاً . ولذلك يعتقد المرحوم الشيخ البابا ان هذه الكتابة ناقصة ، وأنه ذهب منها السطر الاخير أو السطران الاخيران . ويستدل على ذلك ، من أن الوقفية المذكورة لم تذكر وجوه الصرف لريع هذه العقارات(٢) .

أما أماكن العقارات الموقوفة فتتوزع بين مدينة طرابلس ، وقرية كفرقاهل، وقرية بطرّام ، وهما بقضاء الكورة ، وأصنون بقضاء البترون ، وعردات بقضاء الزاوية .

وتنفتح في واجهة المدرسة على جانبي البوابة ٣ نوافذ ، يحيط بكل واحدة منها اطار من الحجارة البيضاء والسوداء ، أما عتبة النافذة ، فتعلوها سنجات متعاشقة من الحجارة البيضاء والسوداء أيضاً . وليس لهذه المدرسة قبة .

(1) Sobernheim - P. 136

(٢) نبذة عن تاريخ طرابلس — ص ٧ .

« ٤ »

المدرسة النـاصرية

موقعها وتاريخها

من المدارس المحيطة بالجامع المنصوري الكبير . تقع بجوار المدرسة الخيرية حسن الى الشمال منها . وهي تواجه الباب الرئيسي للجامع ، في محلة « سويقة النوري » . ويفصل بينها وبين المدرسة النورية الطريق المؤدية الى شارع الراهبات .

ُعرفت هذه المدرسة بـ « المدرسة الناصرية » نسبة الى سلطان مصر والشام (حسن بن محمد بن قلاوون) ، الملقب بالناصر . بدليل النص الكتابي الذي يعلو بوابتها ، وليس نسبة الى الملك الناصر ، أو ناصر الدين محمد بن قلاوون ، كما يزعم الاستاذ «بروس كوندي»(١). أو الملك الناصر قلاوون ، كما يقول المرحوم الشيخ كامل البابا ، والذي يجعل بناءها في سنة ٧١٥هـ.(٢) .

ومن الملاحظ ان الدكتور السيد عبد العزيز سالم اعتمد على ما ذهب اليه « كوندي » دون أن يشير اليه ، حين قال في كتابه ، ان تاريخ بناء هذه المدرسة يتراوح بين عامي : ٦٩٣ و ٧٤١هـ. (١٢٩٣ — ١٣٤٠م.)(٣) .

ومن المعروف أن هذه الفترة ، هي التي حكم خلالها السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

وأقول : من الواضح ان الدكتور سالم أخطأ في قراءة النص المنقوش فوق باب المدرسة ، اذ قرأه هكذا : « عزّ لمولانا السلطان الملك الناصر »(٤) .

وليس هذا هو النص بكامله . اذ أن النص الكامل هو :

« عزّ لمولانا السلطان الملك الناصر حسن بن محمد »(٥) .

---

(1) Condé - P. 45

(٢) نبذة — ص ٥٠ .

(٣) طرابلس الشام — ص ٤٢٤ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) أبدى هذه الملاحظة القيمة المستشرق الدكتور (هاينز غوبي) أثناء مرافقتي له في جولة على مدارس طرابلس المملوكية .

والمعـروف ان السلطان حسن بن محمـد بن قلاوون ، جلـس علـى عرش السلطنة مرتين . كانت الاولى بين عامي ٧٤٨ و ٧٥٠هـ. وكانت الثانية بين عامي ٧٥٥ و ٧٦٢هـ. ومن المرجح ان بناء المدرسة تم في فترة حكمه الثانية اذ من غير المحتمل أن تكون ُبنيت في فترة حكمه الاولى ، حيث كان صغيرا جدا .

وصف المدرسة

بناء المدرسة مربع الشكل تقريباً . وبوابتها في الطرف الايمن من الواجهة الشرقية . وهي داخل قطاع مستطيل مجوف ، ينتهي من أعلى بجوفة مقوّسة ، نصف كرويّة . تحتها صف من المقرنصات . وفوق عتبة الباب ، دائرة بارزة عن مستوى العتب ، ُنقش عليها النص السابق الذي ذكرته ، بأحرف كبيرة ، وهي مشوّهة الآن بالدهان الذي طمس كتابتها . وُنقشت بهذا الشكل :

« محمـد »

« عز لمولانا السلطان الملك الناصر »

« حسن بن »

ولم يأت المستشرق « سوبرنهايم » على ذكر هذا النص في مجموعة النقوش العربية .

وعلى يسار البوّابة ، تمتد ثلاثة خطوط من الحجارة السوداء بعـرض الواجهة ، فوق نوافذ المدرسة .

أما المدرسة من الداخل فتخلو من الزخرفة . وبها الآن خزانتان من الكتب التي كانت أصلا تعرف بمكتبة الجامع المنصوري الكبير . وقد ضاع الكثير مـن محتوياتها . وتضم كتباً دينية ، وأدبية ، وتاريخية ، وموسوعات عربية . وأهم ما فيها الآن مصحف شريف مخطوط ، كبير الحجم ، محلّى بالالوان . والمكتبـة مقفلة ، ومهملة ، ولا يرتادها أحد . وكان مجلس أوقاف طرابلس الاداري قد قرّر في موازنة عام ١٩٧٣ ادراج بند بتحويل بهو الجامع المنصوري الكبير الى مكتبة اسلامية كبرى ، ورضد لذلك المشروع المال اللازم لوضع اللمسات الاولى له . ولكن المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى في بيروت ، ردّ هـذا المشروع وألغاه ، دون ابداء الاسباب . وقد وعد سماحة الشيخ نديم الجسر أن يدرج هذا المشروع الجليل في موازنة السنة المقبلة . ونأمل أن يتجاوب المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى مع سماحته ، لتستعيد هذه المدينة تاريخها الثقافي والحضاري من جديد .

« ٥ »

المدرسة النوريّة

تسميتها وتاريخها

تقع بمواجهة الحمّام المعروف بـ « حمّام النوري » ، في أول سوق الصياغين من الجنوب . ولعل الذي بناها كان يُلقّب بنور الدين ، فنسب اليه ، وكذلك الحمّام . كما عُرفت المحلّة باسم محلة سويقة النوري . غير أنني لم أقف على اسم صاحب هذا اللقب ، ولا تاريخ بناء المدرسة أو الحمّام .

ويخطىء الدكتور السيد سالم اذ ينقل هنا أيضاً عن « بروس كوندي » ، دون أن يشير اليه ، فيقول ان المدرسة أسسها نائب طرابلس الامير نور الدين(١) سنة ٧٣٣هـ.(٢)/١٣٣٣م. و « بروس كوندي » لا يشير في كتابه الى المصدر الذي رجع اليه لاثبات قوله .

وأقول : ان التاريخ المذكور لا صحة له ، ولا دليل عليه . كما أنه لا صحة للقول بأن نائب طرابلس الامير (نور الدين) ؟؟ هو الذي أسس المدرسة في ذلك التاريخ . اذ ليس في قائمة أسماء نواب السلطنة المماليك بطرابلس ، منذ أن فتحها المنصور قلاوون سنة ٦٨٨هـ. الى أن سقطت بيد الاتراك العثمانيين سنة ٩٢٢هـ. من يُلقّب بنور الدين . ويمكن الرجوع الى كشف أسماء نواب السلطنة المماليك الذي وضعه الدكتور سالم نفسه في كتابه(٣) .

---

(١) يقول المرحوم الشيخ كامل البابا ان المشهور عند أهل طرابلس انها من بناء نور الدين الشهيد (ويقصد بذلك : نور الدين زنكي) . وليس هذا بصحيح تاريخيا ، لان طرابلس لم تكن في موضعها الحالي أيام نور الدين ، كما انه لم يستول عليها قط . ويخلص الى أن بانيها غير معروف . ـ نبذة ـ ص ٩ .

(٢) طرابلس الشام ـ ص ٤٢٥ ، Condé - P. 46

(٣) راجع : طرابلس الشام ـ ص ٣١٧ ـ ٣٢٥ .

كما أن سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م. المذكورة ، شهدت ولايتي الاميرين : سيف الدين طينال — الذي بقي حتى شهر ربيع الاول منها — وشهاب الدين قرطاي — من ربيع الاول ٧٣٣هـ. حتى صفر ٧٣٤هـ. ولم يُعرف في ترجمتهما أن أحداً منهما لُقّب بنور الدين . وقد اشتهر الاثنان ببنـاء جامع طينـال المعروف ، والمدرسة القرطاوية المشهورة .

ولكن . متى كان بناء هذه المدرسة ؟ ومن هو بانيها ؟

ان الزخرفة التي على محراب المدرسة ، تشبه الزخرفة التي على محراب المدرسة القرطاوية مما يوحي بأن المهندس واحد للمدرستين ، أو على الاخص للمحرابين . أو أن المدرسة النورية بنيت في فترة قريبة من تاريخ بناء المدرسة القرطاوية .

أما اسم (نور الدين) ، فيحتمل أنه لقب لاحد أمراء المماليك الاثرياء الذين تولوا منصباً ما في طرابلس لمدة ، استطاع خلالها أن يبني المدرسة والحمّام ، وربما بعض العقارات الاخرى التي يُصرف ريعهـا على المدرسة والحمّام . ولعلّه كان يقيم بالقرب منهما ، ولذلك سُمّيت المحلة بـ « سويقة النوري » .

وصف المدرسة

تعتبر المدرسة النورية من أجمل المدارس الملوكية المحيطة بالجامـع الكبير . وتمتاز بزخرفة محرابها الرخامي الرائع . غير أنها لا تحمل أية كتابـة تاريخية ، وهي ظاهرة تستحق التأمل ، اذ ليس من عـادة المماليك أن يتركوا جامعاً أو مدرسة بغير نقوش ، الا في ما ندر ، كجامع الاويسية ، وجامع الطحام مثلا .

تقع بوابة المدرسة في أقصى اليسار من الواجهة الشرقية ، وهي عبارة عن قطاع مستطيل مجوف ، مبنيّ بالحجارة المتناوبة مـن الابيض والاسود . ويحيط بها اطار من أعلى ، وعلى الجانبين ، افريز بارز من الخطوط المتعرّجة (زيكزاك) . وعقد البوابة قوس منكسر . وفي وسط واجهة البوابة ، أسفـل القوس ، مستديرة كبيرة ، بداخلها سنجات ملوّنة تمثّل شعاعات حول دائرة مركزية مفرّغة . يتناوب فيها اللونان : الفيروزي والاسود . وعلى جانبـي مدخل بوابة المدرسة ، تقوم مصطبتان ، كاللتين عند مدخل جامع العطار ، والبرطاسي ، والمدرسة القرطاوية .

ويفضي باب المدرسة الى ممر مستطيل ، على يمينه ، بالنسبة للداخـل منه ، يقوم بيت الصلاة الذي يضم بلاطاً بمستوى أرض الممر . أرضيّته مـن الرخام الملون : الابيض ، الاسود ، والفيروزي . وحول البلاط من الغـرب

والشمال ، رواقان صغيران يرتفعان حوالي نصف متر . وفي الزاوية الجنوبية الغربية من البلاط ، يقوم حوض ماء مستطيل للوضوء . وفوق البلاط ترتفع قبة المدرسة التي ترتكز على أربع عضاضات مندمجة مع الجدران . وبها فتحة دائرية في أعلاها لادخال النور ، مثمّنة الاضلاع .

أما حرم المدرسة (٧،٣٠ × ٧،٠٠م٠) ، فهو يرتفع عن البلاط بنفس مستوى الرواقين . ويتوسّط جداره القبلي محراب رائع في زخرفته . يقوم على جانبيه عمودان رخاميان ، تتوّجهما زخرفة ، تشبه النبات الشوكي . وواجهة المحراب الخارجية ، تقوم على قوس من سنجات متعاشقة من الرخام الابيض والاسود والفيروزي ، تعلوها زخرفة رائعة من الفسيفساء ، بأشكال هندسية ، وألوان منها : الابيض ، الاسود ، الاصفر ، الازرق ، والفيروزي .

ويحيط بواجهة المحراب الخارجية اطاران عموديّان من الرخام الابيض ، يحيط بهما شريطان من الرخام الاسود .

أما باطن المحراب فتعلوه قنطرة ذات أضلاع مقوّسة بها خطوط متعرّجة (زيكزاك) . بشكل هندسي متناسق ، من الرخام الابيض والاسود والاحمر . وهذه الزخرفة لا تضاهيها زخرفة في محاريب مدارس طرابلس ، سوى محراب مسجد ومدرسة البرطاسي .

ويعلو المحراب قطاع مفرغ في الجدار القبلي ، تنفتح فيه ٣ نوافذ . وعلى جانبي المحراب تنفتح نافذتان كبيرتان بمستوى أرض الحرم .

وفي الركن الشمالي الشرقي من المدرسة ، يوجد ضريح تعلوه قبة ، ترتكز على أربع زوايا ، مجوّفة ، تنفتح فيها ٤ نوافذ . وللضريح نافذتان ، احداهما قبلية ، والاخرى في الركن الشمالي المطل على سوق الصياغين .

وبجوار هذا الضريح غرفة صغيرة ، يُعتقد أنها كانت لامام المدرسة . والمدرسة شبه معطّلة في أكثر الاوقات .

وكان آخر أئمة هذه المدرسة الحاج كامل مسقاوي ، وقد انقطع عنها عدة سنوات ، حيث أقعده المرض ، الى أن توفي فجر الثلاثاء ٩ تموز ١٩٧٤ رحمه الله ، وهو في بيروت . ودفن في طرابلس . وكان رحمه الله من حفظة القرآن الكريم ، مشهوراً بالتقوى والصلاح ، كما كان « مختاراً » لمنطقة النوري . وابنه المحامي الاستاذ عمر مسقاوي ، هو الآن محامي دائرة أوقاف طرابلس ووكيلها .

« ٦ »

المدرســة الشمسيــة

تسميتها وتاريخها

تقع على يسار الداخل الى الجامع الكبير من بابه الرئيسي ، في سويقة النوري . بمواجهة المدرسة الاثرية ، المعروفة بــ « المشهد » . وتنسب الى مؤسسها « شمس الدين المولوي » ، في سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٩م.(١) والمولوي هذا لم أقف على ترجمة له . كما لم أقف على اسمه ، اذ أن « شمس الدين » هو لقب لمن اسمه « محمد » . كما كان « شهاب الدين » لقباً لمن اسمه « أحمد » و « سراج الدين » لمن اسمه « عمر » ، و « نور الدين » لمن اسمه « علي » .. وهكذا(٢) . وكانت هذه الالقاب ، تلازم الاسماء ، على النحو المذكور ، في عصر المماليك ، ثم جرى عليها تعديل مبتدع ، أدخله الاعيان من القضاة والعلماء ، لابتذال اللقب القديم بكثرة الاستعمال . فقالوا في « محمد » مثلا : « بدر الدين » و « صدر الدين » و « عز الدين » ونحوها(٣) .

أما سنة ٧٤٩هـ. التي بنيت فيها المدرسة الشمسية ، فقد شهدت نيابة الاميرين : بدر الدين مسعود بن أوحد بن أوحد بن خطير الرومي (٧٤٨ — ربيع الثاني ٧٤٩هـ.) وسيف الدين الجيبغا بن عبد الله المظفري (ربيع الثاني ٧٤٩ — ٧٥٠هـ.) .

وصف المدرسة

تلاصق هذه المدرسة الجامع الكبير من جهته الشمالية ، ولها باب على الرواق الشمالي للجامع ، ويفضي الى بيت الصلاة . ولها باب آخر عند مدخل الجامع الرئيسي ، أمام باب المدرسة الاثرية مباشرة . وهذا الباب يؤدي عبر ممر الى ضريح يضم تربتين ، كما يؤدي الى بيت الصلاة .

---

(١) طرابلس الشام — ص ٤١٩ .

(٢) صبح الاعشى — ج ٥ ص ٤٨٩ .

(٣) المصدر نفسه .

وليس في المدرسة أية زخرفة أو نقوش ، كما ليس لها قبة . وأهم ما يسترعي النظر فيها هو العقد الوسائدي ، الذي يقوم فوق المنظرة المطلة على الضريح ، في وسط واجهة المدرسة الغربية . اذ يتكون العقد من ٤٤ وسادة متعاقبة بشكل قوس ، فوقها افريزان مقوّسان .

ويقول الاستاذ « بروس كوندي » ان هذا العقد من بناء الصليبيين(١). ولا صحة لادعائه ، اذ أن هذا الطراز من الهندسة كان منتشراً في كثير من أبنية المماليك في مصر والشام . فهناك العقود الوسائدية المشابهة لهذا العقد ، فوق نوافذ مئذنة جامع طينال المغلقة ، وقد ذكرتها في موضعها . ويشير الدكتور السيد سالم الى نماذج من هذه الوسائد التي نراها أيضاً في أحد العقود المنسوبة الى الظاهر بيبرس بقلعة صيدا البحرية(٢). وفي أحد عقود بوابة الفتوح بالقاهرة ، وفي عقد مدخل مسجد الظاهر بيبرس ، وفي عقد مدخل خانقاه بيبرس الجاشنكير ، وفي نافذة مئذنة سنجر الجاولي بمصر(٣) .

أبناء سنين المولويين

تضم المدرسة تربتين لاثنين من آل « المولوي » ، وهي أسرة معروفة الآن بطرابلس ، اشتهر أبناؤها بالطريقة « المولوية » ، حيث كانت « تكية الدراويش » المعروفة بـ « تكية المولوية » مقراً لهم ، لتعليم طريقتهم في الاذكار . ومن ابناء هذه الاسرة الآن : الاستاذ الحاج سميح المولوي ، رئيس جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية بطرابلس . وكان مديراً لمدرسة « الغزالي » الرسمية في أبي سمراء ، ومن رجالات هذه الاسرة الافاضل . ومنهم : الاستاذ الصحفي الاديب ، بهاء المولوي ، صاحب جريدة الانتقاد الطرابلسية . ومنهم : الاستاذ الفاضل رضوان المولوي ، مدير الوكالة الوطنية للانباء سابقاً . ومنهم : المرحوم عصام المولوي ، وكان رئيساً لدائرة أوقاف طرابلس الاسلامية ، وقتل رحمه الله في حوادث سنة ١٩٥٨ . ومنهم السيد جلال المولوي مختار محلة باب الحديد . وغيره .

ويعرف أبناء هذه الاسرة قديماً بأبناء « سُنين » (بضم السين) . نسبة الى قرية سنين من نواحي طرابلس الشام . وما زال لهم وقف يعرف بوقف بني سنين .

---

(1) Condé - P. 44

(٢) دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي — د. السيد عبد العزيز سالم — ص ١٧٦ — منشورات جامعة بيروت العربية — ١٩٧٠ .

(٣) طرابلس الشام — ص ٤١٩ .

وقد وقفت على تراجم بعض أبناء سنين ، أذكرها هنا لصلتها بالمدرسة الشمسية :

علاء الدين الطرابلسي

هو الشيخ علي بن منصور بن منصور ، الملقب بعلاء الدين . العلامة الطرابلسي . مفتي طرابلس الحنفي . أخذ عن علماء مصر في سنة ٩٥٢هـ. وقرأ على والد نجم الدين الغزي ، صاحب كتاب « الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة » ، غالب شرحه المنظوم على الالفيّة . وأخذ منه اجازة بذلك ، وبغيره. وسافر الى الروم (اسلامبول)،وكانت وفاته في بضع وتسعين عن دنيا عريضة. قيل : ترك اثني عشر ألف أصل من الزيتون ، غير القوت والاموال(١) .

سرور الحلبي

هو سرور بن الحسين بن سنين الحلبي ، الشاعر المشهور . ذكره نوفل في (هامش صفحة ٢٢) وقال : لم أقف له على ترجمة .

وأقول : ان ترجمته موجودة في « خلاصة الاثر » للمحبّي(٢). وقد نقل صاحب « أعلام النبلاء » الترجمة عنه أيضاً .

يقول المحبّي في ترجمته ، انه كان أحد أفراد الزمان في النظم . وله شعر بديع الصنعة ، مليح الاسلوب ، مُفرغ في قالب الحسن والجودة . وقد فارق حلب وجاء طرابلس قاصداً أمراءها من بني سيفا . ومدح الامير محمد بن يوسف ابن سيفا ، اذ كان مقصد الشعراء والمادحين ، فحسده وأبغضه بعض شعراء الامير ، الموجودين عنده ، والمقرّبين اليه ، لاقبال الامير عليه . وكان من بينهم الشاعر حسين بن الجزري ، الذي قال مخاطباً الامير محمداً ، معرّضاً بسرور :

وحقك ما تركتك عن ملال ... وبغض أيها المولى الامير
ولكن مذ ألفت الحزن قدما ... أنفت مواطناً فيها « سرور »

ولابن سرور من قصيدة رائية :

خلا ربع أنسي بعدكم فهو مقفرُ ... وأعوزني حتى البكا والتصبّرُ
وقد كنت عما يُسهر العين غافلا ... فعلّمني حبكم كيف أسهرُ

---

(١) الكواكب السائرة — ج ٣ ص ١٩٤ .

(٢) خلاصة الاثر — ج ٢ ص ٢٠٤ — ٢٠٦ .

ومنها في المديح :

أكفر احسان ابن سيفا محمد ؟ فذلك ذنب ليس عنه مكفّرُ
متى وردتْ جدوى الامير بنا المنى شربنا ببحر صفوه لا يُكدّرُ
كثيرُ سخاء الكف تحسبه جنة تفجّر فيها من عطاياه كوثرُ

وكانت وفاة سرور ، في حدود العشرين بعد الالف ، هجرية .

عبد الجليل السنيني

هو عبد الجليل المعروف بالسنيني ، الحنفي ، الطرابلسي ، الشيخ الفاضل الفقيه . ذكره المرادي في سلك الدر فقال : « كان من العلماء المدرّسين الافاضل. له مهارة في استخراج المسائل وتصويرها بأوجز عبارة . وكتب حصة على الدرر والغرر ، حسنة ، لكنه أعجبه زيادةُ فهمه ، فتعلّق بحبال العقل والخيال ، وترك ميزان النقل في تتبّع الاقوال ، وقال : هم رجاله ، ونحن رجال . وزاده به حاله ، حتى زعم أنه ممن حقق في دعواه ، كالكمال ، وتعرّض بالاعتراض على الامام محمد بن أدريس ، فتبدّلت تلك الفنون ، بأنواع الخبل وصنوف الجنون ، كما قيل : والجنون فنون . ولم يزل جليس بيته الى أن مات . وكانت وفاته في سنة ١١٠٢هـ. »(١) .

عبد اللطيف بن سنين

ذكره الشيخ النابلسي في رحلته الى طرابلس سنة ١١١٢هـ. ووصفه بصدر الموالي وفخر المعالي . وقال انه ذهب اليه تلبية لدعوته ، وجلس في داره ما بين الصلاتين ، واجتمع عنده بجمع من الاعيان ، وأهل الفضل ، ومن بينهم قاضي طرابلس . ووجد عنده مجموعاً كبيراً فيه رسائل ، أكثرها للشيخ المؤرخ جلال الدين السيوطي . ومنها رسالة سمّاها : « الاسفار في تعليم الاظفار » . ومنها رسالة سمّاها « انباء الاذكياء لحياة الانبياء » . ومنها رسالة في « ارخاء طرف العمامة » . وفي هذا المجموع أيضاً رسالة للشيخ حسن ، الشهير بالملوك ، شرح فيها ألغاز الشيخ عمر بن الفارض . وراجع عنده في فتاوى قاضي خان في الاوقاف(٢) .

---

(١) سلك الدرر — ج ٢ ص ٢٣٨ .

(٢) الرحلة — ص ٤٩ و ٥٨ و ٨٨ و ٩٠ و ٩١ .

كما التقى النابلسي بالشيخ عبد الجليل الشهير بابن سنين(١). وهو غير المذكور سابقاً ، اذ كان موجوداً في سنة ١١١٢هـ. والآخر ذكر المرادي وفاته في سنة ١١٠٢هـ.

كذلك ذكر انه زار قبر عبد الله بن سنين(٢). ومن متابعتنا للطريق التي سلكها أثناء زيارته لهذا القبر ، يتضح أنـــه في المنطقـــة المعروفة الآن بمحلة « قبر الزيني » ، وهي في سفح مرتفع ابي سمراء .

(١ و ٢) ص ٥٢ و ٩٤ .

« ٧ »

مدرسة المشهد « الأثرية »

تسميتها وتاريخها

تقع على يمين الداخل الى الجامع الكبير ، من الباب الرئيسي ، تحت مئذنته مباشرة ، وبمواجهة المدرسة الشمسية .

وهذه المدرسة مجهولة الاسم ، وتاريخ البناء . ويقول « بروس كوندي » انها بنيت في عصر المماليك البرجيّة(١) . ويستند في قوله الى المرحوم الشيخ كامل البابا الذي يقول انه اطّلع على ذلك في احدى الوقفيات المخطوطة القديمة .

وأقول : من المعروف أن المؤرخين قسّموا تاريخ دولة المماليك الى عصرين : عصر المماليك البحرية ، وعصر المماليك البرجية . ويبدأ العصر الاخير في سنة ٧٨٤هـ./١٣٨٢م. وبما أن المدرسة بنيت في عصر المماليك البرجية ، فهذا يعني أنها بنيت بعد سنة ٧٨٤هـ. غير انني أنقل قول « كوندي » عن المرحوم البابا بتحفّظ . اذ لو اطّلع الشيخ البابا فعلا على وقفية قديمة للمدرسة ، لوقف بالتالي على تاريخ بنائها بالتحديد ، ولعرف اسمها .

وفي نبذة مختصرة لتاريخ طرابلس وآثارها للشيخ البابا يقول : ان من المعتاد أن من يقوم ببناء مدرسة أو غيرها من المباني ، يبني لنفسه مشهداً ليدفن فيه(٢) .

وبما أن هذه المدرسة تحتوي مشهداً بداخلها ، فقد أطلق عليها اسم « مدرسة المشهد » . وهكذا تسمّيها دائرة الآثار الآن ، اذ وضعت عليها لوحة تحمل هذا الاسم . وهو اسم « اجتهادي » ، فمعظم مدارس المماليك في طرابلس ، تضم مشاهد وأضرحة ، وعلى هذا يمكن أن نطلق على تلك المدارس أيضاً هذه التسمية !!

أما عند العامة فتشتهر هذه المدرسة باسم « المدرسة الاثرية » .

---

(1) Condé - P. 42

(٢) نبذة — ص ٥ .

وصف المدرسة

تعتبر هذه المدرسة أصغر مدارس المماليك المحيطة بالجامع المنصوري الكبير . وهي تمتاز بزخرفة تجويف بوابتها الجميلة .

تقع البوابة في أقصى اليمين من واجهة المدرسة ، داخل قطاع مجوف ، مستطيل الشكل ، يزدان بالحجارة البيضاء والسوداء . وتعلو الباب منظرة نصف دائرية ، يعلوها قوس نصف دائري من الحجارة الرمادية .

وتنتهي البوابة من أعلى بجوفة نصف كروية ، تـــزدان بزخرفة هندسية رائعة من الفسيفساء وقطع الرخام الابيض والاحمر والفيروزي . وتحت هذه الجوفة يوجد صف من المدلّيات ، تحتها طبقتان من المقرنصات .

أما واجهة المدرسة ، فيحيط بها شريط من الزخرفة البارزة ، المتعرّجة ، بشكل أسنان المنشار .

ويزدان جدار المدرسة القبلي من الداخل ، بزخرفة جميلة مـــن الجص الابيض . فقد نقشت في أعلى الجدار المذكور ، جامة كبيرة ، تمتليء بالزخرفة والتشكيلات الفنية الاسلامية الرائعة ، يحيط بها افريزان بشكل قوسين كبيرين من الجص ، تتخللهما زخرفة أيضاً .

وفي أعلى الجامة ، وأسفلها ، نقشت دائرتان صغيرتان ، في كل منهما رنك الساقي ، وهو (الكأس) . وتحت الدائرة الصغيرة ، لوحة مستطيلة تمتـد بعرض الجدار ، يحيط بها اطار بارز . ونقش في هذه اللوحة الآية :

« يبشّرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم »(١) .

وتحيط بهذه الآية ، زخرفة نباتية من الجص الابيض .

وفي أسفل الجدار القبلي ينتصب محراب المدرسة ، وهو عبارة عن قطعة من الرخام الرماديّ اللون ، وهو بارز عن الجدار . وأمام المحراب تربة يرتفع سطحها عن الارض حوالي (٣٠سم) . تقوم في أركانه الاربعة (٤) شواهد رخامية ، مفصّصة ، دائرية الرأس .

---

(١) قرآن كريم ــ سورة التوبة ــ الآية رقم ٢١ .

وعلى سطح التربة نقشت كلمات لم أستطع قراءتها ، فقد حجبتها مهملات وأشياء لا مجال لذكرها هنا ــ مع الاسف ــ وضعها خادم الجامع الكبير . ولذا فان المدرسة معطّلة الآن ، وهي تستخدم كمستودع ، رغم أهميتها وقيمتها التاريخية .

وعلى جانبي بيت الصلاة ، في الجهتين ، الشرقية والغربية ، تقوم عضاضتان ، تشكّلان قناطر ، تشبه القناطر الشائعة في أبنية بلاد المغرب العربي .

وفي عهد الرئيس الاسبق لدائرة أوقاف طرابلس السيد نور الدين سلهب ، وُجّهت وظيفة تعليم القرآن الكريم على المقريء الشيخ محمد صلاح الدين كباره، واتخذ هذه المدرسة مقراً له للاقراء .

صلاح الدين كباره

هو : المقريء ، الاستاذ الفاضل الشيخ محمد صلاح الدين بن محمد علي ابن يوسف كباره . انحدر جدّه الاعلى من المغرب واستوطن طرابلس . وكان والده الشيخ محمد علي مؤذناً في الجامع المنصوري الكبير .

ولد الشيخ محمد صلاح الدين بطرابلس في الرابع من شهر جمادى الاولى ١٣٣٨هـ./١٩٢١م. وتلقى علومه الابتدامية في كلية التربية والتعليم الاسلامية ، ونال شهادة القسم الشرعي سنة ١٩٣٨ وبعدها عكف على حفظ القرآن الكريم على شيخه الجليل محمد نصوح البارودي . وبعد حفظه سافر الى القاهرة بناء على رغبة سماحة الشيخ نديم الجسر وتشجيعه لاتمام حفظ القرآن على القراءات ، فكان ضمن بعثة طلابية الى الازهر سافرت على نفقة المحسنين الكريمين : الحاج عبد الله الغندور ، ورشاد المسقاوي ، رحمهما الله . والتحق الشيخ محمد صلاح الدين بمدرسة « التجويد والقراءات » التابعة للجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم سنة ١٩٤١ وتلقّى القراءات على فضيلة الشيخ عامر السيد عثمان ــ الذي يشغل حالياً منصب : المفتش العام للمقاريء المصرية ــ ونال شهادة المدرسة المذكورة سنة ١٩٤٥ ، وعُيّن قارئاً من قبل وزارة الاوقاف المصرية سنة ١٩٤٦ في مسجد « الفتح » بسراي عابدين. وانتقل بعدها للعمل في الاذاعة الفلسطينية بالقدس كقاريء للقرآن الكريم .

واستمر هناك حتى انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين في ١٩٤٨/٥/١٥ ، فعاد الى بلده ، وعُيّن مدرّساً للتجويد والقراءات ، واتخذ مدرسة « المشهد ، الاثرية » مقراً له سنة ١٩٤٩ . وقد قرأت عليه فيها سنة ١٩٥٧ . وفي السنة التي تولّى فيها مهمة تدريس القرآن ، وُجّهت عليه وظيفة التلاوة في الجامع العمري الكبير في بيروت ، قبل صلاة الجمعة من كل اسبوع . وأصبح منذ ذلك الوقت أيضاً قارئاً في الاذاعة اللبنانية . ولا يزال حتى الآن . وفي سنة ١٩٥١ عُيّن مدرّساً للفتوى بموجب مرسوم جمهوري . وفي سنة ١٩٦٠ سافر الى القاهرة وأخذ اجازة من شيخه عامر ، في القراءات الثلاث من ختمة الدرّة المتمّمة للعشرة . وأثناء اقامته في مصر أجري له اختبار أمام لجنة القراء في الاذاعة المصرية ، فنال الدرجة الممتازة في الحفظ والاحكام والاداء .

وفي سنة ١٩٦٣ عاد الى مصر لتسجيل وطبع اسطوانات للأذان والتسابيح ، وحضرت معه أمسية في المعهد العالي للموسيقى العربية ، وأنشد عدة قصائد من عدة مقامات ، كان يطلبها منه أساتذة المعهد وكبار الموسيقيين ، فأجاد ونال الاعجاب التام ، وحصل على شهادة من المعهد بأدائه وبراعته في الانغام بدرجة امتياز .

سافر الى تركيا سنة ١٩٥٢ وقرأ في مساجد اسطنبول وأزمير وأنقره ، ثم سافر اليها في سنتي ٥٣ و ١٩٥٤ . وفي سنة ١٩٦٤ تعاقدت معه الاذاعة الاردنية لتلاوة القرآن الكريم في المسجد الاقصى بالقدس .

وفي سنتي ٦٧ و ١٩٦٨ انتدب من قبل سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد لتمثيل لبنان في المؤتمرين : الثاني والثالث ، لاتحاد قرّاء العالم الاسلامي ، اللذين انعقدا في مدينة كراتشي بالباكستان .

وفي سنة ١٩٧٢ دعته وزارتا : الاعلام والاوقاف ، الكويتية ، لقضاء شهر رمضان المبارك ، والتلاوة في مساجد مدينتي : الكويت ، والاحمدي .

له تسجيلات قرآنية ، وابتهالات دينية ، تذاع من اذاعات : بيروت ، عمان ، دمشق ، الكويت ، القاهرة ، ولندن .

وفي مطلع هذا العام ١٩٧٤ أصبح شيخاً للقراء في طرابلس . وهو الآن أشهر قارئي لبنان على الاطلاق . ويقوم بتدريس القرآن الكريم وتجويده في القسم الشرعي بدار التربية والتعليم الاسلامية . حفظه الله .

« ٨ »

المدرسة الطواشية

تسميتها وتاريخها

تقع في منتصف سوق الصياغين . شمالي المدرسة النورية . بجوار الممر الشرقي لمدخل حمّام العبد .

عُرفت بـ « المدرسة الطواشية » ، أو مدرسة « بني الطواشي » ، كما في سجلات المحكمة الشرعية ، نسبة الى مؤسسها الامير « سيف الدين الطواشي » المتوفى سنة ٨٧٥هـ./١٤٧١م.(١) .

والطواشي ، جمعه : طواشية ، وهم الخصيان الذين يستخدمون في قصور المماليك ، وفي أجنحة الحريم السلطاني . ويقول المقريزي انه « كانت لهم حرمة وافرة ، وكلمة نافذة »(٢) . و « سيف الدين الطواشي » لقب لاحدهم ، لم أقف على اسمه ، ولا ترجمة له . واذا كان قد توفي في سنة ٨٧٥هـ. فان المدرسة بُنيت قبل هذا التاريخ على الارجح .

وصف المدرسة

تتكوّن المدرسة من ثلاثة أقسام :

١ ــ القسم الايمن . ويضم ضريحاً فوقه القبة .

٢ ــ القسم الاوسط . وهو بلاط المدرسة السماوي ، والميضأة . (٥،٢٠ × ٥،٦٠م.) .

٣ ــ القسم الايسر . وهو بيت الصلاة . (٣،٨٠ × ٣،١٠م.) .

وتقع بوابة المدرسة في وسط الواجهة القبلية ، وتُفضي الى البلاط السماوي . وعلى يمينها الضريح ، وعلى يسارها بيت الصلاة .

---

(1) Condé - P. 72 ، طرابلس الشام ــ ص ٤٣٣ .

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ــ المقريزي ــ ج ٤ ــ ص ٢١٩ ــ طبعة القاهرة ١٩٠٧ .

وهي ذات عقد أندلسي مغربي الطراز ، شبيه بعقود الابنية الشائعة في عصر دولة الموحّدين الاندلسية المغربية . مما يعني أن بعض التأثيرات المغربية الاندلسية بدت واضحة في أبنية المماليك في بلاد الشام(١) .

والبوابة عبارة عن قطاع مستطيل الشكل ، مجوّف ، ينتهي بعقد مدبّب ، له جوفة نصف كروية ، شبيهة بمحارة البحر ، تزدحم بشعاعات متداخلة بشكل رائع في أربع مجموعات . وتقوم الجوفة على ثلاث طبقات من المقرنصات والمدلّيات . وقد شوّهت بطلائها بالدهان .

ويحيط بجدار المدرسة القبلي من أعلاه اطار بارز من المقرنصات المسطّحة على طول الواجهة .

وفي وسط واجهة بيت الصلاة تنفتح نافذة صغيرة ، ذات عقد مزدوج ، مفصّص ، ينتهي بجوفتين نصف كرويّتين ، تكسوهما زخرفة على شكل محارة . ويحيط بهما اطار مستطيل الشكل ، يرتكز في الجانبين على عمودين مجدولين كألياف الحبل .

والعقد المزدوج في هذه النافذة ، هو صورة عن الهندسة الاندلسية الطراز ، التي تتناسق وتتناغم مع زخرفة عقد البوابة .

أما حجرة الضريح ، فيدخل اليها من باب غربي ، مطلّ على البلاط السماوي . يتوسّطها قبر من الرخام ، ترتفع في أركانه ، أربعة أعمدة من الرخام الابيض ، نقشت على صفحاتها آيات من القرآن الكريم ، هي الآن في حالة مؤسفة من التشويه ، اذ يبدو أنها نزعت من مكانها في فترة ما ، ثم أعيد تثبيتها بطريقة عشوائية ، مما يدل على جهل العامل الذي قام بهذا العمل ، اذ لم يراع تتابع الآيات . كما أن الكتابة نفسها ، تدلّ على جهل كاتبها بقواعد اللغة العربية . وأنقل هنا نص الكتابة كما هو الآن :

عمود (١) ــ وجه (١) :

« كلّ من عليها فن(٢) ويبقا(٣) وجه ربك(٤) »

---

(١) طرابلس الشام ــ ص ٤٣٣ .

(٢) هكذا في الاصل ، وصحتها « فان » .

(٣) هكذا في الاصل ، وصحتها « ويبقى » .

(٤) قرآن كريم ــ سورة الرحمن ــ الآية رقم ٢٥ و ٢٦ .

عمود (١) — وجه (٢) :

((سلام عليكم طبتم فادخلها(١) خالدين(٢)))

عمود (٢) — وجه (١) :

(((الملك من تشا وتنزع الملك)))

عمود (٢) — وجه (٢) :

(((قل اللهم مما لك الملك توتي)))

عمود (٣) — وجه (١) :

(((وتذل من تشا بيديك الخير)))

عمود (٣) — وجه (٢) :

(((ممن تشا وتعزّ من تشا)))

عمود (٤) — وجه (١) :

(((انا فتحانا(٣) لك فتحاً مبينا(٤))))

عمود (٤) — وجه (٢) :

((الاخر(٥) (انك علا كل شي قدير)))

والاسطر التي حصرتها بين حاصرتين ( ) هي : الآية رقم : ٢٥ من سورة آل عمران .

((قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير)) .

---

(١) هكذا في الاصل ، وصحتها ((فادخلوها)) .

(٢) قرآن كريم — سورة الزمر — آخر الآية رقم ٧٢ .

(٣) هكذا في الاصل ، وصحتها ((فتحنا)) .

(٤) قرآن كريم — سورة الفتح — أول السورة .

(٥) كلمة زائدة في الاصل .

« ٩ »

المدرســة السقرقيــة

تاريخها وتسميتها

تقع شمالي جامـــع أرغــون شاه ، في المحلة التي كانت تعرف قديمـــاً بـــ « قبوة الطرطوسي » . وهي بمواجهة المدرسة الخاتونية مباشرة . في أول الطريق المعروفة الآن بـــ « صف البلاط » المؤدّية الى مقبرة باب الرمل .

انتهى بناء هذه المدرسة قبل سنة ٧٦٠هـ. وقد بناها الامير « سيف الدين أقطرق الحاجب » وكان حاجباً في نيابة طرابلس . غير أنني لم أقف له علـــى ترجمة .

وأعتقد أن اسم المدرسة مصحّف عن « السيفي أقطرق » . حيث ُحذفت « الطاء » من « أقطرق » ، فأصبح « أقرق » ، وحذفت الياء والفاء من « السيف » فأصبحت « السـ » ، وأضيفت اليها « قرق » بعد أن حذفت من أولهـــا الهمزة للتسهيل ، فأصبحت « السقرق » . ثم أضيفت اليها « ياء » النسبة ، وهـــاء التأنيث ، فعرفت بالمدرسة « السقرقية » .

وصف المدرسة

المدرسة بناء مستطيل الشكل . تتوسّط واجهتها الشرقية بوّابة تعلوها قنطرة مجوّفة خالية من الزخرفة . وعلى جانبي البوابة ، ينتصب عمودان من الجرانيت(١) ، يرتفعان متراً وبعض المتر ، ليقف عليهما مؤذّنا مسجد المدرسة . كما ينص على ذلك كتاب الوقف المنقوش . وعلى يمين البوابة تنفتح نافذتان ، ومثلهما على يسارها . وفوق النوافذ مباشرة يمتد خط عريض من الزخرفـــة الهندسية بالحجارة السوداء . وقد نقش بين كل نافذتين « رنك » الامــــير أقطرق . وهو عبارة عن دائرة بها خطّان أفقيّان متوازيان ، ُنقش عليهما سيف قبضته الى أعلى ونصله الى أسفل ، مع ميل نحو اليمين .

---

(١) تعرض العمود الايسر للكسر ولم يبق مكانه سوى قسم صغير منه ، أما القسم المكسور فهـو مركون بجوار المدرسة الخاتونية . وعندما هدمت البلدية طريق قبوة الطرطوسي عثر على عدة أعمدة جرانيتية ضخمة كانت تستخدم كدعامات .

وفوق خط الزخرفة ، خط آخر ، نقش فيه سطران من الكتابة ، على جانبي البوابة ، يتضمنان نص وقفية المدرسة ، كتبت بالخط النسخي المملوكي . وطول الكتابة أربعة أمتار وربع المتر ، وعرضها (من أعلى الى أسفل) ٣٠ سم . ولها تكملة في سطرين آخرين على جانبي البوابة ، بمحاذاة النافذتين القريبتين من البوابة ، بطول ٢٦٥سم . وهذا نص كتابة الوقفية :

((س١ ق١/بسم الله الرحمن الرحيم . وقف الجناب الكريم السيفي أقطرق الحاجب هذا المكان المبارك مسجداً لله تعالى وتربة للدفن ، ووقف على مصالحه وعمارة أثاثه وتطاويقه جميع المزرعتين (المتلاصقتين)(١) من عمل حصن الاكراد ، وهما مرج السلطان وقميرة وجميع/س١ ق٢/ البستانين المتلاصقين بقرية رشعين من عمل طرابلس أحدهما يعرف بمسعود والآخر بابن الافرمي . وجميع الحوانيت الاربعة المتلاصقات بالصف الشرقي من سوق الحلاويين بطرابلس وجميع الدار الملاصقة للمسجد وجميع الآدر(٢) الثلاث المتلاصقات بخان المصريين بطرابلس ، وجميع الحصة الشائعة وقدرها والنصف(٣) والربع /س٢ ق١/ من جميع الدار شمالي خان المهندس بالجسر العتيق ، وجميع الفرن المعروف بكرّ خولد للمسجد المذكور وقفاً شرعياً . يبدأ من ريعه بعمارته واصلاحه ، ويصرف منه في كل شهر أربعون درهماً للامام بالمسجد المذكور ، وخمسون درهماً الى مؤذّنين بالنوبة يؤذّنان بمأذنة المسجد المذكور /س٢ ق٢/ وثلاثون درهماً الى قيّم المسجد والتربة ، وخمسون درهماً الى خمسة أنفار يقرؤن(٤) بالمكان المذكور حزباً كاملا ، فرادى ومجتمعين . وخمسة عشر درهماً في ثمن زيت وقناديل وآلة الكنس والاستسقاء(٥) . ويصرف في يوم الاثنين من كل اسبوع ثلاثة دراهم في ثمن خبز ، يفرّق بباب التربة . ودرهم واحد في ثمن ماء وثلج ./س١ ق٣/ وكذلك يصرف في يوم الخميس من كل اسبوع . ويصرف في كل شهر احدى عشر درهماً في ثمن كسوة من قميص ولباس رفيع وغير ذلك للايتام والارامل والفقراء المسلمين . وما فضل بعد ذلك يصرف الى من كان فقيراً محتاجاً من أولاد الواقف وأنساله

---

(١) أسقطها الدكتور سالم — انظر : طرابلس الشام — ص ٤٧٩ .

(٢) ((الاود)) بالواو والدال ، عند الدكتور سالم — المصدر السابق .

(٣) يبدو أن الكاتب أنقص بعض الكلمات هنا كما هو واضح .

(٤) هكذا في النص . وأثبتها سوبرنهايم ((يقرؤون)) .

(٥) أثبتها سوبرنهايم خطأ ((الاستقساء)) .

/س١ ق٤/ ومن عتقائه بالسويّة ، فان لم يكن فيهم محتاج صُرف الى الفقراء المسلمين في باب التربة . وشرط الواقف : النظر لنفسه ، ثم للأرشد من أولاده وأنساله ، والى من كان أمير حاجب كبيراً بطرابلس . وشرط /س٢ ق٣/ الواقف أن لا يؤجّر وقفه بأكثر من ثلاث سنين . وليصرفْ هذا . ولا تُقدّر عليه مظالم ولا مكوس حسبما تضمّن ذلك كتاب الوقف المؤرخ بمنتصف (ذي)(١) القعدة الحرام سنة سبع وخمسين وسبعماية /س٢ ق٤/ الثابت المحكوم به بمجلس الحكم العزيز بطرابلس المحروسة . ونقش ذلك في ربيع الاول سنة ستون . وولاء لهذا المسجد من الماء بحق واجب نصف وربع أصبع من قناة طرابلس))(٢).

ان هذه الوقفية التي وقفها « أقطرق الحاجب » ، وسجّلها أمام مجلس الحكم بطرابلس في منتصف ذي القعدة سنة ٧٥٧هـ. تتحدّث عن جهات صرف ريع العقارات الموقوفة للمسجد والتربة . والوقفية عادة توضع بعد بناء المسجد أو المدرسة التي وقف لها الواقف عقاراته . ولذلك أقول : ان المدرسة السقرقية بنيت في سنة تاريخ الوقفية (٧٥٧هـ.) أو قبيل ذلك . وليس في سنة ٧٦٠هـ. اذ أن هذا التاريخ الاخير هو تاريخ نقش الوقفية على جدار المدرسة كما هو واضح في النص . وبناء على ذلك ، فيمكن القول أن الامير سيف الدين أقطرق ، كان حاجباً بطرابلس في الفترة بين ٧٥٧هـ. و ٧٦٠هـ. ويلاحظ أنه شرط في وقفيته النظر لنفسه ثم للأرشد من أولاده وأنساله ، (والى من كان أمير حاجب كبيراً بطرابلس) ، أي من الامراء الذين من طبقته .

وعندما وضع « أقطرق » وقفيته ، كان على نيابة طرابلس الامير « سيف الدين منجك اليوسفي الناصري » (٧٥٥ — ٧٥٧هـ.)(٣) وعندما نقش نص الوقفية على المدرسة ، كان على نيابتها الامير « سيف الدين تومان تمر » (٧٦٠ — ٧٦٢هـ.)(٤) . وكان أقطرق حاجباً في نيابتيهما .

---

(١) أضفتها على الاصل .

(2) Sobernheim - P. 109 - 111

(٣) الدرر — ج ٥ — ص ١٣٠ و ١٣١ ، منادمة الاطلال — ص ٢١٠ ، النجوم — ج ١١ ص ١٣٣ ، انباء الغمر — ج ١ ص ١٠٠ و ١٠١ .

(٤) البداية والنهاية — ج ١٤ — ص ٢٦٤ و ٢٨٣ و ٢٨٧ .

وفي مدخل البوابة نقشت ثلاثة أسطر من القرآن الكريم بالخط النسخي المملوكي ، بأحرف كبيرة نسبياً عن أحرف الوقفية . السطر الاول منهـا على يمين المدخل ، والثاني فوق الباب في الوسط ، والثالث على يسار المدخـل . والكتابة هي :

سطر أيمن : ((**بسم الله الرحمن الرحيم . ان المتقين في جنات وعيون . أ**))

سطر أوسط : ((**دخلوها بسلام آمنين . ونزعنا ما في صدورهم من غلّ اخواناً على سرر متقابلين . لا يمسّهم فيها نصب**)) .

سطر أيسر : ((**وما هم منها بمخرجين . نبّيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم**)) (١)

وتتألف المدرسة من قسمين . الايمن ، يضم ضريح الامير أقطرق ، وتعلوه قبة مضلّعة ، ترتكز على طابق مثمّن الاضلاع تنفتح فيه خمس نوافذ بعقـود منكسرة . ويقوم الطابق فوق أربعة أركان من الجوفات المقوّسة المزيّنة بزخارف نباتية قوامها المراوح النخيلية(٢) . ويتدلى تحت كل جوفة ثـلاث طبقات مـن المقرنصات . وينفتح في الجدار الشرقي نافذة ذات عقد مقوّس . وقد أشار الاستاذ سوبرنهايم الى وجود كتابة الى يمين هذه النافذة في رسمه التخطيطي للمدرسة(٣) . ولكن لا شيء من ذلك في الحقيقة غير الكتابات التي ذكرتها .

أما القسم الآخر من المدرسة ، فهو الى اليسار ، وهـو بيت الصلاة ، ويخلو داخله من الزخرفة . والمدرسة الآن شبه معطّلة تستخدم للاذكار فقط . وألغيت جميع وظائفها المنصوص عنها في الوقفية .

وكان الشيخ خالد العمادي آخر أئمة هذه المدرسة .

---

(١) قرآن كريم ــ سورة الحجر ــ الآية رقم ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ .

(٢) طرابلس الشام ــ ص ٤٣٠ .

(3) Sobernheim - P. 109

خالد العمادي

ولد الشيخ خالد العمادي في طرابلس سنة ١٨٧٧ وسمّي على اسم جدّه الشيخ خالد العمادي ، وكان جدّه من أصحاب الطرق الصوفية . تلقى الشيخ خالد ، علومه في طرابلس على الشيخ خليل صادق ، والشيخ محمد نشابه ، والشيخ محمد الحسيني ، وحصل على اجازة بالتدريس من شيوخه ، وتولى التدريس في مسجد الحجيجية ، والامامة في المدرسة السقرقية . وأنابه الشيخ عبد الكريم عويضة في التدريس عنه في الجامع المنصوري الكبير .

أنشأ الشيخ العمادي مجلة اسمها « الرياض » في سنة ١٩٤٦ ، وتولى عضوية المجلس الاسلامي . وترك عدة مؤلفات ، منها : الرسالة الحميدية ، في الفنون الدينية . والمناقب الدرّية في الشمائل المحمّدية ، وتحذير الاصحاب عن النرد والالعاب ، وزبدة الواعظين وتنبيه الغافلين . وقد تلقى من المشيخة الاسلامية رسالة شكر على كتابه الاخير .

توفي في العاشر من كانون الاول سنة ١٩٦٣ رحمه الله(١) .

وكان الشيخ العمادي قيّماً على مكتبة الجامع المنصوري الكبير ، حيث خلفه فيها السيد شفيق الرافعي ، وأهملت في أيامه حيث ألغيت هذه الوظيفة في نهاية عام ١٩٧٢ . وقد تبرّع أبناء المرحوم الشيخ خالد العمادي بمكتبة والدهم الى مكتبة البلدية في طرابلس .

---

(١) تاريخ طرابلس — ص ٥٥٧ .

« ١٠ »

المدرسـة الخاتونيـة

تسميتها وتاريخها

تقع قبالة المدرسة السقرقية مباشرة ، تفصل بينهما طريق صف البلاط . بناها نائب السلطنة بطرابلس الامير « عز الدين أيدمر الاشرفي » بالاشتراك مع زوجته « أرغون » . وبما أن الزوجة كانت في عصر المماليك تلقب بـ « خاتون » فقد عرفت المدرسة بـ « الخاتونية » . اذ أن « أرغون » زوجة الامير « أيدمر » أوصت بأن تدفن بعد وفاتها في تربة المدرسة ووقفت لها الاوقاف . ويبدو ذلك من نص الوقفية المسجلة على الباب الشمالي للمدرسة ، والمؤرّخة في ٢٣ شعبان سنة ٧٧٣هـ. غير أنها توفيت في مصر على الارجح ، ولذلك يخلو مبنى الضريح من تربة . وقد تم البناء في سنة ٧٧٥هـ.

أما زوجها ، وشريكها في بناء المدرسة فهو :

عز الدين أيدمر

الامـير « عز الدين أيدمر بن عبد الله الشيخي الانوكـي ، الدوادار ، الناصري » . تولى نيابة طرابلس مرتين : الاولى في شهر جمادى الآخرة سنة ٧٦٩هـ. عوضاً عن الامير « منجك اليوسفي »(١). واستمر بها الى آخر سنة ٧٧٢هـ. حيث انتقل في أول المحرم من سنة ٧٧٣هـ. الى نيابة حلب(٢). واستقر مكانه في طرابلس الامير أشقتمر الماريديني . وعاد « أيدمر » الى نيابة طرابلس مرة ثانية في شهر جمادى الآخرة سنة ٧٧٤هـ.(٣) وظل بها حتى آخر المحرم

(١) السلوك ــ ج ٣ ق ١ ص ١٥٧ .

(٢) ص ١٩٥ .

(٣) ص ٢٠٤ .

من سنة ٧٧٥هـ.(١) حيث ذهب الى مصر ، واستقر في ٤ صفر من السنة المذكورة أتابكاً للعساكر(٢). وتولى نيابة طرابلس بعده الامير « يعقوب شاه »(٣)

كان « أيدمر » من مماليك « أنوك ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون » . وتنقل في الخدم من بعده ، الى أنْ صار خصّيصاً مقرّباً عند الملك الناصر حسن ، وعندما ُقبض على السلطان حسن ُنفي « أيدمر » الى الشام ، ثم ولي نيابة البيرة ، ثم صار من جملة أمراء الالوف بالقاهرة ، ثم ولي نيابة طرابلس ، وبعدها حلب ، ثم عاد الى طرابلس ، ومنها انتقل الى مصر ، وصار أتابك العساكر بها . ولما ولي الاتابكية عظمت حرمته في الدولة ، وهو مع ذلك لا يزداد الا تواضعاً وحلماً ، حتى توفي بالقاهرة في يوم الاربعاء ١٦ ذي القعدة سنة ٧٧٦هـ. بعد ان جاوز السبعين . وقيل عن نيّف وستين . وكان حسن السياسة، يتحرّى العدل ، مهاباً ، سيوساً ، حازماً ، يتبّع الاحكام الشرعية ، عالي القدر ، ظاهر الحشمة ، وهو أجلّ أمراء عصره . كان يشتهر بأنه يبدأ الناس بالسلام ، ويكثر من ذلك ، حتى أنه عندما ولي نيابة حلب أطلق عليه أهلها لقب « سلام عليكم » . وكان مشكوراً محبباً الى الناس(٤) .

أما متولي بناء المدرسة ، فهو الامير جمال الدين يوسف بن العزّي غزّان السيفي(٥). وكان الفراغ من بنائها في أول سنة ٧٧٥هـ. على الارجح حيث انتقل مؤسّسها « أيدمر » في أول صفر الى مصر ، كما جاء في ترجمته .

---

(١) راجع التناقض الواضح عند الدكتور سالم — (طرابلس الشام) — ففي كشف نواب السلطنة المماليك (ص ٣٢٢) يقول ان نيابة (أيدمر) كانت فيما بين ٧٦٩ — ٧٧٥هـ. وفي (ص ٤٣١) يقول ان نيابته كانت فيما بين ٧٧٣ — ٧٧٦هـ.

(٢) السلوك — ج ٣ ق ١ ص ٢١٧ .

(٣) انباء الغمر — ج ١ ص ٥٨ .

(٤) الدرر — ج ١ ص ٤٥٨ ، السلوك — ج ٣ ق ١ ص ٢٤٤ ، النجوم — ج ١١ ص ١٣٤ ، ابن اياس — ج ٢ — ص ١٩٦ ، Sobernheim - P.P. 119 - 120 نقلا عن المنهل الصافي .

(٥) لم أقف له على ترجمة .

وصف المدرسة ووقفيتها

تتألف المدرسة من قسمين : شمالي ، وجنوبي . فالشمالي يضم حجرة الضريح وقبته . والجنوبي بيت الصلاة .

وللمدرسة واجهتان : شمالية ، وغربية . وعلى يسار الواجهة الشمالية توجد البوابة الرئيسية . وهي عبارة عـن قطاع مجوّف ، مستطيل الشكل ، ينتهي بقنطرة ، تخلو من الزخرفة .

أما واجهـة البوابة الداخليـة ، فزيّنت بالحجارة البيضاء والسوداء ، المتناوبة . وفوق عتبة الباب مباشرة ، نص كتابي من أربعة أسطر ، يعلـوه صف من الحجارة البيضاء والسوداء ، ذات السنجات المتعاشقة . وفوقها نص آخر من أربعة أسطر أيضاً . وفوق هذه الكتابة لوحة ذات اطار بارز ، مربع الشكل ، يحتوي على زخرفة اسلامية ، هندسية دقيقة . وعلى جانبي هـذا المربع (اللوحة) عمودان من الكتابة ، يضم كل عمود منهما عشرة أسطر .

وهذا هو النص الكامل للكتابة المنقوشة بالخط النسخي المملوكي :

١ ــ « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب
العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
٢ ــ انشأ هذا المكان المبارك مولانا المقر الاشرف
العالي المولوي المخدومي الكافلي العزّي
٣ ــ أيدمر الاشرفي مولانا ملك الامراء أعز الله أنصاره
في شركة آدره(١) الكريمة الجهة(٢) المصونة أرغون
٤ ــ تغمّدها الله برحمته حسب وصيتها المتقدّمة
ووقفت جميع القيساريّة المعروفة بالدهيشة
٥ ــ وبساكن الحريريين والحوانيت(٣) التسعة والمقعدات لدى
ذالك(٤) خارجها ومعروفين بها ويعلّق ؟ عليها باب ...(٥)

---

(١) هكذا في الاصل ، ولعلها « الدرّة » .

(٢) لعل الكاتب أسقط حرف « و » ، بين كلمتي « الكريمة » و « الجهة » .

(٣) أسقط الكاتب حرف الواو قبل كلمة « الحوانيت » . وأثبتها سوبرنهايم .

(٤) هكذا في الاصل .

(٥) من الواضح أن الكاتب أسقط عدة كلمات من نص الوقفية ، ولذا جاء الكلام مضطربا .

٦ ــ بالمقعد خارج الباب القبلي ملاصق له عن يمنة الداخل
منه ومن الحوانيت التسعة أربع حوانيت كبار ملاصقات لها عن

٧ ــ يمنة الداخل من بابها القبلي حانوتان وعن يسرته حانوتان
والخمسة أقباء(١) ملاصقات القيسارية أيضاً وجميع الحوانيت(٢)

٨ ــ الثلاثة المتلاصقات تجاه باب القيسارية القبلي
وجميع الحوانيت المتلاصقين بوسط السوق الشرقي(٣)

٩ ــ بالصف الشرقي بالقرب من قيسارية التجار وموقع
ذلك جميعه بطرابلس المحروسة على نفسها مدة

١٠ ــ حياتها ثم من بعدها يصرف ذلك على الوجوه الآتي شرحها
فيه وهو أن الناظر في الوقف شرعياً يقرر بالتربة التي

١١ ــ عيّنت للواقفة وتدفن بها : أربعة حفّاظ من القرآن العزيز ، ويقرّر لهم من المعلوم ما اقتضاه رأيه ، على أنهم يردّدون(٤) كل يوم الى تربة الواقفة ويقرأون بها رُبعاً كاملا من القرآن الكريم ويدعون عقيب القراءة للواقفة ومعتقها زوجها المشار ــ١٢ــ اليه أعلاه ويترحّمون عليها ويسألون الله عزّ وجلّ لهما بالعفو والمغفرة ، ويهدون ثواب القراءة الى روحهما ويشركون جميع المسلمين في الدعاء ، ويختمون الدعاء بالصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجعلون ختم القرآن في كل ليلية(٥) جمعة بحسب أنهم ــ١٣ــ يقرءون(٦) على قبرها في كل سبعة أيام ختمة كاملة ، فاذا كانت ليلة كل جمعة يجتمعون بالتربة ومن حضر معهم من المسلمين ومساكينهم يختمون الختمة الشريفة على قبرها ويدعون ويترحّمون كما تقدّم . وأن يعمل الناظر الشرعي في لونين من الطعام حسبما يقتضيه رأيه ويحضر قنطاراً(٧) ــ١٤ــ من خبز الحنطة الطيّب

---

(١) هكذا في الاصل . وأثبتها سوبرنهايم « أقبّاء » بالتشديد ، وصحتها « أقبية » .

(٢) في الاصل « الحونيت » ، وأثبت سوبرنهايم الالف .

(٣) في الاصل : « الشر » . وأثبتها سوبرنهايم « الشرقي » .

(٤) هكذا في الاصل ، وصحتها « يترددون » .

(٥) هكذا في الاصل .

(٦) هكذا في الاصل .

(٧) في الاصل « قنطار » ، وأثبتها سوبرنهايم « قنطارا » باثبات الالف .

الصافي ويوضع بالتربة ويُفرّق على الفقراء والمساكين من أمّة محمد صلى الله عليه وسلم ويكون ذالك كل ليلة جمعة عند ختم القرآن العزيز وأن يُصرف بالتربة ما يحتاج اليه من فرش وغير شيء ومعاز(١) قائم مقيم يقوم بها بكنسها وتنفيضها –١٥– وفرشها وتنيرها . وأن يجعل لطرابلس كتّاب أيتام ويرتّب به فقيهاً وثمانية صبيان أيتام يجلس لهم الفقيه علا(٢) العادة يُقريهم القرآن ويعلّمهم الكتابة ، وكل ما(٣) ختم القرآن العزيز أو مات أو أعرض عن الحضور للتعليم ، يرتّب الناظر غيره من أيتام المسلمين . وأن يقرّر –١٦– للمعلّم في شهر(٤) مبلغ ثلاثين درهم ، يُصرف اليه . وأن يصرف الى كل واحد من الايتام كل يوم رُبع درهم ، ويكسى كل منهم كسوة كاملة حسبما رآه الناظر من قميص وقبع ولباس وجبّة ومتاع . ومال هذا الوقف عند انقطاع سُبله وتعدية جهاته الى –١٧– الفقراء(٥) والمساكين من المسلمين . والبدأة من ريع ذلك بعمارته. وشرطت التصرّف لنفسها . ولها أن تثبت وتوكّل فيه وتسنده الى من شاءت ، ثم من بعدها يكون النظر لمعتقها(٦) مولانا ملك الامراء المشار اليه أعلاه أعزّ الله أنصاره ، ثم الارشد بالارشد من أولاده منها ، ثم الى من شرطته في كتاب –١٨– وقفها المؤرّخ في الثالث والعشرين من شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعماية . وتولّى عمارة هذا المكان المبارك جميعه الفقير الى الله تعالى الامير جمال الدين يوسف ابن المرحوم العزّي غزّان السيفي ، أثابه الله تعالى بالاجر العالي . أعلاه الله تعالى . وكان الفراغ من ذلك في سنة خمس وسبعين وسبعماية))(٧) .

ويؤدّي الباب الشمالي الى ممر يقوم على جانبه الايمن ، الضريح ، وبيت الصلاة . وتعلو الضريح قبة ترتكز على طابق مضلّع تنفتح في كل مضلّع منه نافذة لها عقد مقوّس .

وتتدلّى في زوايا القبة من الداخل مقرنصات ومثلثات ، وفي واجهتي الضريح من

---

(١) يقصد به « قيّم أو خادم المدرسة » .

(٢) هكذا في الاصل ، وصحتها « على » .

(٣) هكذا في الاصل ، والاصح « من » .

(٤) لعل الكاتب أسقط « ال » التعريف من « الشهر » . أو لعل صحتها « في كل شهر » .

(٥) في الاصل « الفقر » ، وأضاف اليها سوبرنهايم « ألفا وهمزة » (الفقراء) .

(٦) يثبتها سوبرنهايم « لمعتّقها » بتشديد التاء . وهذا خطأ لاختلاف المعنى كما لا يخفي .

(7) Sobernheim - P.P. 115 - 116

أسفل ، تنفتح أربعة نوافذ ، يعلوها صف من الحجارة البيضاء والسوداء ، ذات السنجات المتعاشقة التي يتخللها « رنك الساقي » المتمثّل في الكأس ، داخل دوائر صغيرة .

أما بيت الصلاة ، فله باب آخر في الواجهة الغربية الخارجية ، وقد أغلق هذا الباب ، وسُدّ بالحجارة والاسمنت . وعلى يمينه نافذتان ، يعلوهما صف من الحجارة البيضاء والسوداء أيضاً ، ذات السنجات المتعاشقة . وعلى جوانبها « رنك الساقي » .

والمدرسة حالياً مقفلة مهجورة ، لا تقام فيها الصلوات .

اسماعيل الحافظ

هو العلامة الكبير الشيخ اسماعيل ابن الشيخ احمد الاحمدي المنتسب الى قبيلة حمد التابعة لمديرية المنيا بمصر . حفظ القرآن الكريم منذ صباه وأتقن أداءه ، ثم تلقى علومه بالازهر على جماعة من مشاهير علمائه ، وتميّز بوفرة الذكاء وقوة الحافظة ، حتى قيل انه كان يحفظ صحيح البخاري بأسانيده . ثم لازم دروس الشيخ احمد الصاوي ، وهو يومئذ من أكبر شيوخ الشريعة والطريقة الخلوتية في الجامع الازهر ، فتلقى عنه جملة من العلوم الشرعية وأخصها علم التفسير . وكان الشيخ الصاوي يعجب بذكائه ، ويلقّبه بالحافظ ، تنويهاً بكثرة محفوظاته حتى غلب عليه هذا اللقب وعُرف به .

أخذ عن علماء مكة المكرمة أثناء مجاورته هناك ، ثم رجع الى طرابلس واشتغل بخدمة الطريقة الخلوتية ونشرها ، وتكسّب بالفتوى والمسائل الفرضية (الميراث) ، والتوثيقات الشرعية . وغلبت عليه النزعة العلمية فعكف على التدريس والافادة ، ومارس الاشتغال بالفتوى حتى برع في استخراج النصوص الشرعية وتدوينها وتطبيق الحوادث عليها ، ورُزق في ذلك كله توفيقاً عظيماً ، فظهر فضله ، واشتهر ذكره ، وتواردت عليه الاسئلة في مشكلات الفتاوى من البلاد البعيدة والمختلفة ، وكثر تلامذته ومريدوه ، وأصبح عالم طرابلس ، واختاره المرحوم عبد الحميد كرامه مفتي طرابلس في ذلك الوقت أميناً للفتوى ، وعندما توفي الشيخ عبد الحميد واصل الشيخ اسماعيل وظيفته

في أمانة الفتوى على عهد ابنه الشيخ مصطفى لطفي . وكان حريصاً أثناء ذلك على مواصلة التدريس والافادة ، فكان يقريء : الفقه والعلوم الادبية في مدرسته الخاتونية . ويقريء الحديث والتفسير في الجامع الكبير المنصوري . ولما أشرف على الشيخوخة اشتد عليه مرض العيون فكفّ بصره . غير أن ذلك لم يمنعه من استخراج نصوص الفتاوى ، والقاء الدروس من حفظه ، وبمعونة أحد أبنائه أو تلامذته .

له حواش وتعليقات على « شرح الدر المختار » في فقه الحنفية ، كتبها أثناء تدريسه . وله رسالة في علم الفرائض ، وفتاوى كثيرة في مشكلات المسائل . وله عدد وافر من الخطب المنبرية التي كان يلقيها في جامع السيد عبد الواحد . ومقامات أدبية ، وقصائد شعرية . وكان له اطلاع واسع على السيرة النبوية وأخبار المغازي وتواريخ الفتوح حتى قيل انه كان يحفظ سيرة ابن هشام كلها . وكانت داره مثابة لاهل العلم والادب . توفي سنة ١٢٨٨هـ. وقد جاوز عمره ٩٠ عاماً(١). رحمه الله .

---

(١) تراجم علماء طرابلس — ص ٢٥٤ — ٢٥٦ .

« ١١ »

المدرســة العجميـة

تسميتها وتاريخها

تقع عند منتصف الدرج الموصل الى القلعة ، تحت البوابة القديمة للمدينة، عند أول المدخل الجنوبي للزقاق المعروف بـ « زقاق مصبنة عويضة » .

بناها « محمد السكّر » في سنة ٧٦٦هـ. ولم أجد لمحمد هذا ترجمة ، غير أن سوبرنهايم يذكر أن اسم هذا الرجل ، مسجّل على منبر أحد المساجد بمدينة دمياط ، ومؤرّخ في سنة ٧٧١هـ. وهو هناك : « الحاج شمس الدين محمد الطرابلسي المعروف بالسكر »(١). وهذا يعني أنه طرابلسي الاصل ، انتقل الى مصر بعد بناء مدرسته بطرابلس . وعمّر منبر جامع دمياط ، ولعلّه توفي هناك . اذ لو توفي في طرابلس لدفن في مدرسته ، ولعرفت المدرسة بالمدرسة السكرية ، نسبة اليه . ولكنها تعرف بـ « المدرسة العجمية » . ويبدو أن الضريح الموجود داخلها لاحد الاعجام ، فنسبت اليه .

وقد بنيت المدرسة في نيابة الامير « عزالدين أزدمر الناصري الخازندار » المتوفى في أول شهر ربيع الآخر سنة ٧٦٩هـ. وكان قد ولي نيابة طرابلس في سنة ٧٦٤هـ. بعد أن كان يلي نيابة صفد(٢). وكان قبل ذلك أحد مقدّمي الالوف . واستمر بطرابلس حتى أول شهر رمضان سنة ٧٦٦هـ. حيث أعيد بعدها الى صفد ، وتولى طرابلس عوضه الامير « قشتمر المنصوري »(٣) .

---

(١) انظر الملاحظة رقم (٣) لسوبرنهايم — ص ١١٤ .

(٢) السلوك — ج ٣ ق ١ ص ٨٤ ، النجوم — ج ١١ ص ٢٥ .

(٣) السلوك — ج ٣ ق ١ ص ١٠٠ .

وصف المدرسة ونقوشها

هي عبارة عن بناء مربع الشكل ، يُصعد اليه بالدرج . وليس فيها ما يسترعي الاهتمام ، سوى ما نقش عليها من كتابة ، سواء فوق بوابتها الواقعة لجهة الغرب أو فوق نافذتيها المطلّتين على الدرج من الناحية القبلية ، أو الكتابة القرآنية الموجودة على التربة داخل المدرسة .

فقد نُقش فوق البوابة سطران بالخط النسخي المملوكي هذا نصّهما :

((س١/ أمر بانشاء هـذه التربة المباركة العبد الفقـير الى الله تعالى /س٢/ محمد السكر عفا الله عنه . وكان الفراغ (منها في)(١) مستهل (شهر)(٢) رمضان سنة ست وستين وسبعمايه)) .

وفوق النافذتين القبليّتين ، توجد كتابة قرآنية من سطر واحد ، بخط كبير ، تحصره زخرفة من الجهتين . ولم يذكـر المستشرق سوبرنهايم ، ولا الدكتور سالم هذه الكتابة .

((ان المتّقين في مقام أمين . في جنات وعيون . يلبسون ثياباً من سُندس واستبرق متقابلين . كذلك ، وزوّجناهم بحور عين))(٣) .

وفي وسط المدرسة قبر ، تزينّه لوحـات رخامية على جوانبه ، نُقشت عليها آية الكرسي . ويبدو بوضوح أن القبر تعرّض لبعض التخريب ، وأعيد تركيب اللوحات الرخامية ، فجاءت الآية مبتورة في آخرها ، فهي الآن بهـذا الشكل :

((س١/ بسم الله الرحمن الرحيم . الله لا اله الا هو الحي القيـوم لا تأ /س٢/ خذه سنة ولا نوم /س٣/ له ما في السموات وما في الارض . من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم /س٤/ ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيّه السموات والارض ...))(٤) .

---

(١) ما بين الحاصرتين ( ) لم يثبتهما سوبرنهايم — انظر له : ص ١١٤ .

(٢) ما بين الحاصرتين ( ) لم يثبتها سوبرنهايم ولا الدكتور سالم — ص ٤٣٤ .

(٣) قرآن كريم — سورة الدخان — الآية رقم : ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ .

(٤) قرآن كريم — سورة البقرة — الآية رقم ٢٥٤ .

« ١٢ »

المدرسة الظاهرية

تاريخها وتعريف بيانيها

تقع في الجنوب الغربي من الجامع البرطاسي ، على بُعد أقل من ١٠٠ متر . عند أول الطريق المعروفة بـ « تحت السباط »(١) . في محلة باب الحديد .

بناها الامير « تغري برمش الظاهري » في سنة ٧٩٩هـ . ونُسبت اليه فسمّيت بـ « المدرسة الظاهرية »(٢) . وكان بناؤها في نيابة الامير سيف الدين أرغون شاه (٧٩٦ — ٨٠٠هـ) .

أما الظاهري ، فهو :

الامير حسين بن أحمد ، المدعو تغري برمش(٣) . كان أبوه يدعى بابن المصري . من مدينة بهسنا ، وكان أحد أجنادها قبل الفتنة التمرية(٤) . وكان له ملك بها ، فخرجت أملاكه في الفتنة ، وافتقر ، وتحوّل بأولاده عنها ، وهما : حسن ، وحسين . وكان حسن : الاكبر ، خدم عند الامير « قراسنقر الظاهري . وجلس حسين ، صاحب الترجمة عند بعض الخياطين ، بالمصنع من تحت القلعة ، بالقاهرة . ثم انتقل أيضاً الى خدمة « قراسنقر الجمالي » لجمال صورته . ثم انتقل من عند قراسنقر الى الامير « اينال حطب العلائي » وصار عنده من جملة مماليكه الكتابيّة الى أن مات اينال حطب ، فأخذه دواداره الامير فارس وأتى به الى الامير تغري بردي والد المؤرخ أبي المحاسن ، صاحب النجوم الزاهرة . وكان تغري بردي من جملة أوصياء اينال حطب ، فأخذه

---

(١) لعلها تحريف « الاسباط » .

(٢) يعتقد العامة من أهل طرابلس ان الذي بناها هو السلطان الملك الظاهر بيبرس ، ولذا سميت بالظاهرية نسبة اليه . وهذا وهم كبير .

(٣) في الضوء — ج ٣ ص ٣٥ « ورمش » بالواو .

(٤) يقصد بها النسبة الى « تيمورلنك » .

وجعله « انياً »(١) لمملوكه شاهين أمير آخــور . فجعله شاهين في الطبقة ، وسمّاه : تغري برمش . ثم أخرج له الامير تغري بردي خيلا وقماشاً ، وجعله من جملة مماليك أمير آخر ، وجعله جمداراً(٢) ، فدام على ذلك الى أن تولـى تغري بردي نيابة دمشق فأفسد تغـري برمش ، مملوكين من مماليك تغري بردي ، وأخذهما وهـرب بهمـا الى طرابلس ، ويُعـرف أحدهما بتغـري برمش الصغير ، والآخر بيوسف . فبلغ تغري بردي ذلك الامر . فكتب الـى الامير جانم من حسن شاه نائب طرابلس سنة ٨١٣هـ. بالقبض على الثلاثة ، وارسالهم اليه في الحديد . فخشي أميرهم شاهين الامير آخور عليهم من الضرب والاخراق ، فسأل تغري بردي أن يسمح له بالسفر الى طرابلس ليقبض عليهم بنفسه ، ويأتي بهم ، فرسم له بذلك . وتوجّه شاهين الى طرابلس ، فوجدهم في احدى القاعات ، فنزل عن فرسه ، ودخل عليهم ، استخفافاً بهم . فما أن وقع بصرهم عليه ، حتى هرب تغري برمش الصغير ، ويوسف . ووثب تغري برمش ليهرب ، فلحقه شاهين ، ولكن تغري برمش جذب سيفه ، وعاجلـه بضربة قتلته ، ثم هرب . فكتب الامير جانم نائب طرابلس محضراً بواقعة الحال، وأرسله الى تغري بردي نائب دمشق ، وأرسله مع المملوكين : تغري برمش الصغير ، ويوسف . واستطاع تغري برمش (الكبير) أن يهرب الى حلب ، وخدم هناك عند الامير طوخ الظاهري برقوق ، ويقال له : « طوخ بطيخ نائب حلب » ، وترقّى عنده حتى صار رأس نوبته ، وذلك في سنة ٨١٥هـ. ثم خدم بعده عند « جقمق الارغون شاوي الدوادار » ، وصار أيضاً رأس نوبته ، ثم دواداره في آخر أيامه . وكان لجقمق دوادار آخر يُسمّى « اينال الحمار » ، فكان جقمق يقول : « دواداريّ : الواحد حمار ، والآخر ثور » . ثم مشى حال

---

(١) « انياً » أو « اني » جمعها : « انيات » . ومعناها الزميل ، أو الخجداش ، أو الخشداش . والخجداش ، أو الخشداش : معرب عن اللفظ الفارسي « خواجاتاش » ، بمعنى الزميل . والخشداشية في عصر المماليك هم الذيـن نشأوا عند استاذ واحـد ، ويقابلها في الفرنسية Camarades (انظر : النجوم — ج ١٥ ص ١٦١ ، ملاحظة رقم ٢ — و ص : ١٨٨ ملاحظة رقم ٣) . والطرابلسيون يستعملون هذه التسمية محرفة الى « خوشبوش » .

(٢) « الجمدار » هو الموظف الذي يقوم بالباس السلطان أو الامير ثيابه .

تغري برمش ، حتى أنعم عليه السلطان « ططر » بامرة عشرة في القاهرة ، ثم جعله الملك الاشرف أمير طبلخاناه ، ونائب قلعة الجبل ، ثم أنعم عليه بتقدمة ألف في سنة ٨٢٧هـ. ثم جعله نائب غيبته بديار مصر لما سافر الى آمد ، ثم جعله أمير آخوراً كبيراً ، ثم ولاه نيابة حلب في سنة ٨٣٩هـ. فدام بها الى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق ، فبايعه ، ولبس خلعته ، ثم عصى بعد ذلك ، ووصل الى شيزر ، فنزل على ابن قراصقل التركماني فآواه وجمع له جمعاً ، وتوجهوا الى طرابلس ، وكان نائبها جلبان المؤيدي (٨٣٨ — ٨٤٥هـ.) استشعر من تغري برمش انه شاقق ، فأخلى له طرابلس ، وتوجّه الى الرملة . فدخل تغري برمش طرابلس ، وأخذ منها أموالا وخيولا ، وتوجه قاصداً دمشق ، الى أن انكسر وأمسك ، ثم ضُربت رقبته تحت قلعة حلب يوم الاحد ١٧ ذي الحجة سنة ٨٤٢هـ.(١) .

قال أبو المحاسن في ترجمته ، انه كان رجلا طوّالا ، مليح الشكل ، عاقلا ، مدبّراً ، كثير الدهاء والمكر ، وكان يجيد رمي النشاب ولعب الكرة . وكان عارفاً بأمور دنياه ، وأمر معيشته ، متجمّلا في مركبه وملبسه ومماليكه . الا انه كان بخيلا شحيحاً حريصاً على جمع المال ، قليل الدين ، لا يحفظ مسألة تامة في دينه ، مع قلة فهم وذوق ، وغلاظة طبع ، على قاعدة أوباش التركمان ، وكان عارياً من سائر العلوم والفنون . لم أره منذ عمري أمسك كتاباً بيده ليقرأه . هذا مع الجبن ، وعدم الثبات في الحروب ، وقلّة الرأي في تنفيذ العساكر . ولما صار الامر له لم يفلح في واقعة من الوقائع ، بل صار كلما دبّر أمراً انعكس عليه ، فانه كان ظنيناً برأي نفسه ، وليس له اطلاع في أحوال السلف بالكلية ، ولم يستشر أحداً في أمره ، فخمل وتمزّقت جميع عساكره ، وخانه حتى مماليكه الذين اشتراهم . ومع هذا كله ، فهو عند القوم في رتبة عليا من العقل والمعرفة والتدبير ، وعذرهم ، انه لو لم يكن كذلك ، ما صار أميراً(٢) .

---

(١) الضوء — ج ٣ ص ٣٥ ، تاريخ الملك الاشرف — حوادث سنة ٨٤٢هـ. ، النجوم — ج ١٥ ص ٤٧١

(٢) النجوم — ج ١٥ ص ٤٧٢ .

ويبدو التناقض واضحاً في أقوال أبي المحاسن ، اذ يصف تغري برمش في أول ترجمته له : انه كان « عاقلا ، مدبراً ، كثير الدهاء .. وكان عارفاً بأمور دنياه ، وأمر معيشته ... » . ثم يعود فيقول : انه كان قليل الفهم والذوق ، وعارياً من سائر العلوم والفنون ... وغير ذلك ، ويبدو أن أبا المحاسن أراد أن يضع عليه بسبب ما كان بينه وبين أبيه تغري بردي ، نائب دمشق ، حيث فر باثنين من مماليكه الى طرابلس ، كما مر . وأعقب ذلك وفـاة والـد أبي المحاسن سنة ٨١٣هـ.

ويقول أبو المحاسن ان تغري برمش كان « سنه نحو الخمسين » عندما قتـل !

وأقول : هذا وهم . فاذا كان قد توفي في سنة ٨٤٢هـ. فهذا يعني أنه ولد حوالي سنة ٧٩٢هـ. فكيف بنى المدرسة في سنة ٧٩٩هـ. لدفن ولديه ، وعمره ٧ سنوات ؟!

وأرجّح انه أراد القول بأنه توفي « وسنّه نحو السبعين » تقريباً .

وصف المدرسة والنقش التاريخي

المدرسة حالياً ، معطّلة ومهجورة ، وقد سُدّ بابها بالحجارة ، ولا يبدو منها سوى الكتابة التاريخية ، المسجّلة فوق عتب الباب . ويوجد تحت اللوحة الكتابية في الوسط ، قطعـة من الرخام الابيض ، مندمجة في عتب البـاب . والكتابة تحت قنطرة البوابة المجوفة ، وليس في القنطرة أية زخرفة . وفوق القنطرة افريز بارز ، يفصل الطابق الاول عـن الطابق الثاني للمدرسة في واجهتها الغربية . حيث تنفتح نافذة عريضة في وسط واجهة الطابق الثاني ، ذات عقد مقوّس ، نصف دائري . وتبلغ سماكة جدار المدرسة أكثر من متر .

أما الكتابة التاريخية ، فهي من خمسة أسطر (١١٠ × ٣٠سم.) بالخط النسخي المملوكي ، هذا نصها :

س١/ « بسم الله الرحمن الرحيم . المـال والبنون زينة الحيوة الدنيا

والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا(١)، قوله الحق وله الملك(٢)، /س٢/ عمّر هذا المكان المبارك المقرّ السيفي تغري برمش الظاهري(٣) ، أعزّ الله أنصاره ، مسجداً لله تعالى ، وتربة لدفن ولديه الاخوين الشقيقين السعيدين /س٣/ الشهيدين سيدي أمير قانتمر ، وسيدي أمـير تغري بردي ، الطفلين المنغصّين(٤) على الدنيا ، المتحابّين في دار الدنيا والمجا /س٤/ والمتجاورين في دار الآخرة ، تغمّدهما الله برحمته وأسكنهما فسيح جنته ، وجمع بينهما وبين والديهما في دار /س٥/ كرامة(٥) وذالك(٦) في ثالث شهر الله المحرم سنة تسع وتسعين وسبعمايه ، رحم الله من ترحّم عليهما)) .

وفي أول السطر الخامس ، دائرة نقش في ثلاثـة أرباعها من أسفل : كأسان يمثّلان « رنك الساقي » .

أمـا محراب المدرسة ، فيقوم على جانبيـه عمودان رخاميان ، يزدان ساقاهما بخطوط وقنوات متناوبة . ويتوّج العمودين زخرفة لطيفة . ويرتكز عليهما قوس المحراب الذي يشكّل القسم الاعلى منه ، جوفة نصف كروية ، تمتليء بالزخرفة الرائعة من الفسيفساء الملوّنة بالاحمر والابيض والفيروزي والاسود . أما القسم الاسفل من باطن المحرا ب، فقد كُسي بقطع من الرخام الملون بشكل عمودي .

وفي ختام حديثنا عن المدرسة الظاهرية ، لا بد أن نهيب بكل من المسؤولين في دائرة الاوقاف الاسلامية ، وبمديرية الآثار ، وببلدية طرابلس ، للحفاظ على النص الكتابي التاريخي المنقوش على بوابة المدرسة ، والحفاظ على محرابها ، قبل أن يُردما بالحجارة والتراب مع مرور الايام . وحبّذا لو يوضعا في مكان تُعرض فيه آثار طرابلس الاسلامية الى جانب الآثار الاخرى التي شارفت على الاندثار .

---

(١) قرآن كريم ــ سورة الكهف ــ الآية رقم ٤٦ .

(٢) قرآن كريم ــ سورة الانعام ــ الآية رقم ٧٣ .

(٣) في الاصل « الظاهر » ، والياء اضافة على الاصل .

(٤) عند سوبرنهايم « المتعصبين » ــ ص ١٢٢ ، والصحيح كما أثبتناها .

(٥) هكذا في النص الكتابي ، وصحتها « كرامته » .

(٦) هكذا في الاصل .

« ١٣ »

مدرسة سبط العطار

تسميتها وتاريخها

تقع شرقي بركة الملاّحة ، في الطريق المعروفة الآن بـ « السوسيّة » ، المؤدّية الى سوق حراج ، بجوار الحمّام المعروف بالعطار ، على الضفة اليسرى من نهر أبي علي .

تعرف بمدرسة « سبط العطار » . و « السبط » بكسر السين ، جمعها : أسباط . وهو : ولد الولد . ويغلب على ولد البنت ، مقابل الحفيد ، الذي هو ولد الابن . وعلى ذلك فالارجح أن تسمية المدرسة بسبط العطار ، نسبة الى ابن بنت ناصر الدين العطار ، (أي : سبطه) . وقد مرّ معنا أن ناصر الدين العطار هو صاحب الجامع المعروف به .

أما سوبرنهايم ، فيسمّي المدرسة بـ « مدرسة العطار »(1) ، أي أنه ينسبها بذلك الى ناصر الدين المذكور ، وهذا غير صحيح بدليل التسمية المتواترة .

وبما أن ناصر الدين العطار المتوفى في سنة ٧٤٩هـ. قام بتأسيس جامعه المعروف باسمه قبل سنة ٧٣٥هـ. فان من المحتمل أن سبطه « ابن ابنته » ، قام ببناء مدرسته في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري .

وقد تعرّضت هذه المدرسة لفيضان نهر أبي علي في سنة ١٩٥٥ ، ولم يبق منها الآن سوى آثار بوّابتها الغربية التي سُدّت بالحجارة والرمال ، وحجبت الكتابة التاريخية المنقوشة على يسارها ، وشوّهتها ، ولا يبدو منها شيء الآن . وقد واجهتُ بعض المتاعب حتى كشفت عن الكتابة لقراءتها منذ سنتين . ومن الواجب أن يحفظ هذا الاثر التاريخي مع غيره قبل اندثاره نهائياً .

النقش التاريخي

يتألف النقش التاريخي من ستة أسطر (٣٠ x ٦٠سم.) بالخط النسخي

---

(1) Sobernheim - P. 124

المملوكي ، هذا نصه :

« س١/ الحمد لله . بتاريخ المحرم الحرام /س٢/ سنة اثنين وستين وثمانماية أبطل /س٣/ سيدنا ومولانا قاضي القضاة /س٤/ كمال الدين ابن الناسخ حال /س٥/ مباشرية(١) وظهر القضاء المالكي /س٦/ بطرابلس ما كان على النحيرة .. » .

ومن الواضح أن هذه الكتابة يعتريها النقص والاضطراب والغموض ، وخاصة السطرين الاخيرين (الخامس والسادس) . ولكننا نفهم من النص أن « مكساً » كان يُفرض على النحيرة من الاغنام ، فرسم قاضي القضاة المالكي ، ابن الناسخ بطرابلس ، بابطال هذا المكس .

وليس لدينا ما يؤكد ان هذا المرسوم ، قد ُعمل به عند صدوره . اذ أن مرسوماً آخر ، بابطال ما على النحيرة في طرابلس صدر بعد حوالي عشر سنوات ، في نيابة الامير « اينال الاشقر اليحياوي الظاهري » (٨٧٢—٨٧٣هـ)(٢) ولكن صدور المرسوم عن قاضي القضاة المالكية ، دون نائب السلطنة ، ودون قاضي القضاة الشافعي ، المقدّم على جميع القضاة ، في عصر المماليك ، يعطينا انطباعاً ، بأن القاضي كمال الدين ابن الناسخ ، كان هو المنفرد في الحكم بطرابلس .

وكان يتولى نيابة طرابلس في ذلك التاريخ ، الامير « الحاج سيف الدين اينال اليشبكي الجكمي » ، وينسبه بعضهم الى المؤيد . بدأت ولايته في شهر شعبان سنة ٨٥٩هـ.(٣) واستمرت حتى شهر ربيع الآخر سنة ٨٦٣هـ.(٤) وجاء في ترجمته انه كان مسرفاً على نفسه ، بل ساءت سيرته في آخر أيامه ، وأبغضه الحلبيون في نيابته عليهم ، ورجموه غير مرة لكثرة متاجره وشرهه في جمع المال(٥). وكانت وفاته بحلب في سنة ٨٦٦هـ.(٦) .

---

(١) هكذا في الاصل . وأعتقد أن الصحيح « مباشرته » .

(٢) راجع المرسوم (النقش) الرابع من مراسيم المدرسة القرطاوية .

(٣) النجوم — ج ١٦ ص ٩٢ ، ابن اياس — ج ٤ ص ٣٥٨ .

(٤) النجوم — ج ١٦ ص ١٢٧ .

(٥) الضوء — ج ٢ ص ٣٣٠ .

(٦) النجوم — ج ١٦ ص ٣١٧ .

وفي قلعة طرابلس عثر على لوحة حجرية منذ سنوات قليلة نقش عليها مرسوم سلطاني ، يتعلّق بابطال مكس النحيرة ، صادر في سنة ٧٨٥هـ. والكتابة من ستة أسطر ، قرأت معظمها بصعوبة لتآكل الحروف ، وتشويه بعضها ، وهـي :

« س١/ لما كان بتاريخ ثامن جمـاد الاول سنة خمسة وثمانين /س٢/ وسبعمايه برز المرسوم الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الظاهـر /س٣/ السيفي أنفذ مراسيمه في الآفاق ، وأجرى فيـه ايصال الارزاق أ(١) /س٤/ أن يبطل نحيرة القصابة بطرابلس المحروسة (...)(٢) يسطر (...)(٣) ذالك(٤) في صحايف الجناب ا /س٥/ لشريف ، حسبما تضمّنه الديوان نايب السلطنة الشريفة الطرابلسية ، الامر الشريف /س٦/ (... ... ...)(٥) الاشرف (... ... ...)(٦) عزّ نصره » .

وكما هو واضح ، فان هذا المرسوم أصدره السلطان « الظاهر برقوق ». وكان على نيابة طرابلس في ذلك التاريخ ، الامـير « مـأمور القلمطاوي » . (٧٨٤ — ٧٨٦هـ.) .

ترجمة ابن الناسخ

أما القاضي ابن الناسخ صاحب المرسوم ، فقد ترجم له نجم الدين الغزّي في كواكبه ، وقال : الشيخ الامام العلامـة ، كمـال الدين محمد ابن الناسخ الاطرابلسي الشامي المالكي ، قاضي المالكية بطرابلس الشام . أخذ عن الحافظ البرهاني الحلبي ، وعن غيره . ودخل حلب فأكرمه أهلها لانه كان معمّرا ، وله

---

(١) نقش الكاتب حرف (أ) في نهاية السطر ، ثم أعاد كتابتها في أول السطر الجديد .

(٢) كلمة لم أتبينها .

(٣) كلمة لم أتبينها .

(٤) هكذا في الاصل .

(٥) حوالي خمس كلمات لم أتبين قراءتها .

(٦) حوالي أربع كلمات لم أتبين قراءتها .

سند عال فسمع عليه الموفق ابن أبي ذر ، وغيره ، صحيح البخاري ، بقراءة القاضي شمس الدين العرضي ، وغيره ، واشتغل عليه الموفق أيضاً في شرح الالفية لابن عقيل . وكان يذكر انه يحفظ من كتاب سيبويه ألف شاهد . وكان يعرف مذهب مالك ومذهب الشافعي ، كما ينبغي ، ومن مؤلفاته « الجواهر الثمينات في الفرائض وقسمة التركات » وكتاب « الدر الثمين على السمين » في اعراب القرآن . واختصر شرح الرسالة لابن باجي . وكانت وفاته بطرابلس سنة ٩١٤هـ.(١) .

وكان قد نزل حلب في سنة ٩٠٥هـ. فحدّث هناك بصحيح البخاري . وممن أخذ عليه بها،محمد ابن البابي الحلبي البيلوني المتوفى سنة ٩١٩هـ. فقد قرأ عليه من أول صحيح البخاري ، الى أول تفسير سورة مريم ، وأجازه(٢) . وسمع عليه صحيح البخاري : ابراهيم بن حسن عبد الرحمن بن محمد ، الشيخ الامام شيخ الاسلام ، برهان الدين ابن الشيخ الامام العلامة زين الدين الحلبي الشافعي ، الشهير بابن العمادي ، المولود بعد ٨٨٠ بحلب والمتوفى في شهر رمضان سنة ٩٥٤هـ. كما سمع عليه : علي بن عطية بن الحسن بن محمد بن الحداد الشيخ الامام العلامة الشيخ علون الهيتي الشافعي الحموي الصوفي الشاذلي المتوفى سنة ٩٣٦هـ.(٣) .

وقال السخاوي انه كان يقيم بدمشق أحياناً ، وهو الذي ضرب رقبة ابن عبادة بطرابلس(٤) .

وخلفه ابنه الامام العلامة ، شيخ مدينة طرابلس ، صدر الدين محمد المتوفى بها في سنة ٩٤٢هـ.(٥) .

---

(١) الكواكب السائرة — ج ١ ص ٨٠ و ٨١ .

(٢) الكواكب — ج ١ ص ٣٨ .

(٣) الكواكب — ج ٢ ص ٢٠٦ .

(٤) الضوء — ج ١٠ ص ١٠٩ .

(٥) الكواكب — ج ٢ ص ٧٠ ، شذرات الذهب — ج ٨ ص ٢٥٣ .

أبناء الناسخ

كان بطرابلس من أسرة الناسخ :

١ ـ اسماعيل بن علي بن محمد ، أبو الخير البقاعي ، ثم الدمشقي ، الشافعي الناسخ . جاء في ترجمته أنه أقام بطرابلس حتى آخر سنة ٨٠٥هـ. بعد أن قدم اليها من دمشق . ثم عاد الى دمشق ، فتوفي في المحرم سنة ٨٠٦ أو ٨٠٧هـ.(١) .

٢ ـ علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الله بن عبد القادر بن أحمد ، العلاء الحلبي المالكي ، ويعرف بالناسخ . ولد سنة ٧٨١هـ. وتولى كتابة سرّ طرابلس في سنة ٨١٥هـ. ثم لحق بالامير نوروز الحافظي ، نائب دمشق . وعاد الى كتابة سر طرابلس بعد وفاة الملك المؤيد شيخ المحمودي سنة ٨٢٤هـ. ثم عزل بعد فترة قصيرة ، ورحل الى القاهرة . ثم ولي قضاء المالكية بطرابلس في سلطنة الاشرف برسباي ، ثم انتقل لنظر الجيش بحلب .

ذكر له السخاوي ترجمة مطوّلة(٢) .

٣ ـ احمد بن علي بن أزدمر شهاب الدين الطرابلسي الناسخ ، ويعرف بابن يوميذ . ولد في المحرم سنة ٧٦٩هـ. بطرابلس الشام ، ونشأ بها ، ثم انتقل الى بعلبك ، فقرأ صحيح البخاري . وحدّث ، وسمع منه الفضلاء .

ترجم له السخاوي ، ولم يذكر سنة وفاته(٣) .

---

(١) أبناء الغمر ـ مخطط ـ ج ١ ص ٦٤٣ ، الضوء ـ ج ٢ ص ٣٠٣ .

(٢) الضوء ـ ج ٦ ص ٥١ .

(٣) الضوء ـ ج ٢ ص ١٢ .

« ١٤ »

المدرسة الحجيجية

تسميتها

تقع في سوق النحاسين(١) ، شرقي المنطقة المعروفة بالسراي العتيقة . قريبة من المدرسة الرفاعية .

بنيت في عصر المماليك في وقت لا يمكننا تحديده ، اذ ليس في المدرسة أية كتابة نستطيع أن نتعرّف منها على تاريخ البناء .

وهي تمتاز عن بقية المدارس في طرابلس ، بمئذنتها . ولذا تُسمّى أيضاً بمسجد الحجيجية ، أو « جامع الحجاج »(٢). ويعتقد الاستاذ بروس كوندي ، انها كانت في الاصل كنيسة صليبية .

وأقول : ان تسمية « جامع الحجاج » معرّبة عن الانكليزية « Pilgrims' Mosque » وكان يُطلق على الاوروبيين المسيحيين القادمين الى الشرق لزيارة بيت المقدس « الحجاج » ، وقد أطلقت هذه التسمية على مرتفع أبي سمراء ، حيث تقوم القلعة ، أو حصن صنجيل (سان جيل) ، وعُرف المرتفع بـ « تلّة الحجاج » (Mons Peregrinus) أو (Pilgrims' Mountain) أو « تلّة الزوّار » . ومن المحتمل أن هؤلاء الحجاج كانوا ينزلون حيث المدرسة الآن فنسبت اليهم وصُحّفت الى « الحجيجية » . والاثر الصليبي الموجود فيها هو (البرج ـ المئذنة) ، الذي يضم في أعلاه أعمدة من الرخام متوّجة بزخرفة رومانية الطراز .

---

(١) فقد هذا السوق القديم طابعه ، وقيمته التاريخية ، بعد توسيعه ، وهدم كثير من أبنيته بعد سنة ١٩٥٨ ولم يبق ما يدل على السوق الذي كان مقصد السواح الاجانب ، سوى اسمه فقط !

(2) Condé - P. 99

وصف المدرسة

تفضي بوابة المدرسة الشمالية الى بلاط منخفض ، مربع الشكل ، يتوسطه حوض ماء للوضوء . وعلى جانبيه رواقان : شرقي وغربي . وفي الجهة الجنوبية (القبلية) بيت الصلاة ، المستطيل الشكل ، والذي يخلو من أية زخرفة .

وتزيّن طبلة البوابة من الخارج زخرفة دائرية ، شبيهة بالزخرفة التي كانت فوق نافذتي خان المنزل في السويقة . وفوق هذه الزخرفة قنطرة (عقد) البوابة ، ويقوم عليها البرج المربع ، والذي يحتمل أنه كان برجاً لكنيسة ، اذ أنه لا ينتهي من أعلى بقمة كما هو الشائع في مآذن طرابلس ، وانما ينتهي فجأة عند ارتفاع بسيط ، تنفتح في أعلاه نافذتان ، في كل جهة ، ويفصل بين النافذتين عمود من الرخام الابيض ، يرتكز عليه عقد مزدوج ، مغربي الطراز ، شبيه بعقد النافذة المزدوجة في الواجهة الغربية بمئذنة جامع البرطاسي . ويتميز العمود الرخامي برأسه المتوّج بالزخرفة التي تشبه النبات الشوكي ، وهذا التاج شبيه بتيجان الاعمدة الرومانية الموجودة في حرم جامع طينال .

وأهم ما يسترعي النظر داخل المدرسة ، العمود الرخامي الابيض الرشيق ، القائم عند حافّة الرواق الغربي (الأيمن) قرب حوض الوضوء ، حيث ترتكز عليه قنطرة مزدوجة فوق الرواق المذكور .

يبلغ طول العمود متران ، تزيّنه توشيحات من القنوات والجداول المجوفة، المائلة من اليسار الى اليمين . وقد حوّلته الزخرفة الى قطعتين ، فتبدو القنوات في القطعة السفلى أكثر كثافة وتعقيداً من خطوط القنوات في القطعة العليا . وفي وسط القطعة السفلى لوحة مستطيلة الشكل ، رأسيّة الوضع ، تحفل بزخرفة ، تمثل حبلا مجدولا بشكل هندسي متناسق .

وفي القطعة العليا من العمود ، مستطيل رأسي آخر ، تحتشد فيه زخرفة تمثّل مجموعة من الخيوط الرفيعة المجدولة ببعضها . وينتهي من أعلى بتاج ، نقشت فيه مسطّحات زخرفية .

اما في الجهة القبلية من بيت الصلاة ، فتوجد فسحة سماوية ، كان بها حتى وقت قريب ضريح ، أزيل ، وبقي شاهده المنقوش باللغة التركية ، من

عشرة أسطر ، وتبدأ كتابته بـ : ((**هو الباقي**)) ومنها :

((... س٥/ ... جنات عدن فادخلوها خالدين /س٦/ مرحوم مغفور المحتاج الى /س٧/ رحمة ربه المغفور السيد حافظ /س٨/ اسماعيل قدسي خلفاء حضرت شيخ /س٩/ ...(١) الى روحه الفاتحة /س١٠/ سنة ١٢١٢ غرة م)) .

عبد الغني الرافعي (الاول)

هو الشيخ عبد الغني بن احمد بن عبد القادر الرافعي الكبير . ولد في طرابلس سنة ١٢٣٢هـ.(٢) وأخذ على أبيه الذي كان بركة طرابلس في عصره ، وحفظ القرآن الكريم على الشيخ مصطفى الحفار . ثم أخذ العلم عن علماء طرابلس كالشيخ أعرابي الزيلعي والشيخ نجيب الزعبي الجيلاني ، فأخذ عنه أكثر العلوم العقلية والنقلية وفنون الادب ، وقرأ البيضاوي في التفسير على الشيخ العلامة اسماعيل الحافظ الكبير ، ثم رحل الى دمشق وأخذ عن مشاهيرها وأجلاء علمائها ، الحديث ، ومنهم عالم الشام في عصره المحدث الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، كما أخذ الفقه والاصول والتفسير عن الشيخ عبد الله الحلبي . ثم توجّه لأداء فريضة الحج ، فقرأ على الشيخ محمد الكتبي ، مفتي مكة المكرمة . ثم عاد الى بلده وسلك الطريقة الخلوتية على الشيخ محمد رشيد الميقاتي ، الامام والمؤقت في الجامع المنصوري الكبير . وبعد أن أنهى دراسته ، أخذ يقرأ الدروس وينشر العلوم ، فتخرّج عليه كثير من الطلبة ، ومنهم الشيخ ابراهيم الاحدب ، نزيل بيروت ، والشيخ درويش تدمري ، والشيخ محيي الدين سلهب ، والسيد محمد الازهري ، والسيد محمد صالح الصوفي ، وغيرهم من العلماء . وخدم بعد ذلك في الدولة العثمانية ، ولكنه لم يترك التعليم ، فكان كلما حلّ في بلدة ، يحيي فيها المجالس العلمية ، ويحضر مجالس علمائها ويأخذ عنهم . وكانت آخر وظائفه : رئاسة استئناف الحقوق والجزاء في صنعاء . ثم غلب عليه التصوف في آخر حياته ، فترك الوظائف وانقطع للعبادة وتوفي في مكة المكرمة يوم الاثنين ١٤ ذي الحجة سنة ١٣٠٨هـ.

---

(١) كلمة لم أتبينها .

(٢) ذكرى يوبيل بلبل سوريا — ص ٣٩ ، وعند نوفل : سنة ١٢٣٦هـ. (تراجم علماء طرابلس — ص ٨٣) ، وعند الزين : سنة ١٢٢٦هـ. (تاريخ طرابلس — ص ٤٩٣) .

تولى الامامة لفترة في المدرسة الحجيجية . وكان من أفضل فضلاء عصره . نبغ في كل علم من العلوم : الشرعية ، والعقلية ، والصوفية ، والادبية . لـه تآليف منها : كتاب « الفتاوى » ويتضمن أجوبته على الاسئلة التي كانت تـرد عليه حين كان مفتياً لطرابلس (مدة ٣ سنوات) . وله : تعليقات على حاشية ابن عابدين ، في الفقه . وجملة رسائل في المسائل الفقهية . وألّف في التصوف كتاب « ترصيع الجواهر المكّية في تزكية الاخلاق المرضيّة » ، وله شرح حافل على بديعيّة الصفيّ الحلّي ، في مجلد ضخم . وكتاب « أسـرار الاعتبار فيما أودعه الله تعالى من الحكم في الاشجار » . وله رسائل في فنـون مختلفـة ، وأشعار كثيرة .

رثاه الشيخ حسين الجسر في قصيدة ، قال في مطلعها :

خطب له ركن هذا الدين قد صدعا　　　وحادث منه قلب الفضل قد خلعا

كما رثاه السيد رشيد رضا ، والشيخ عبد الفتاح الزعبي ، نقيب الاشراف بطرابلس . رحمه الله .

عبد الغني الرافعي (الثاني)

هو الشيخ عبد الغني بن عبد الغني الرافعي المذكور قبله . ولد في العام الذي توفي فيه والده ، سنة ١٣٠٨هـ . فسمّي باسمه . تلقى العلوم الدينية عن شيوخ عصره في طرابلس ، ثم يمّم شطر مصر ، حيث تابع تحصيله في الازهر الشريف ، وبعد ذلك قصد اسطنبول لمتابعة الدراسة هناك ، ولكنه لم يتمكن من ذلك بسبب نشوب الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) ، فعيّن هناك اماماً للجيش ، واشترك في الحرب في البلقان . وحين عاد الى وطنه شغل عـدة وظائف ، كان آخرها في دائرة الكاتب العدل . كما عيّن اماماً لوقت الصبح في الجامع المنصوري الكبير ، ولبقية الاوقات في المدرسة الحجيجية ، ودرّس فيها الفقه ، ما بين وقتي المغرب والعشاء . وهو أحـد أخـوة عديدين ُعرفوا في عصرهم بالفقه والادب ، أشهرهم شقيقه الشاعر عبد الحميد الرافعي ، الذي كان يلقّب بـ « بلبل سوريا » ، والمرحوم الشيخ عمر الرافعي ، وقد ترشّح لافتاء طرابلس ، والشيخ محمود الرافعي ، والد الدكتور الشيـخ مصطفى الرافعي قاضي بيروت سابقاً .

دخل امتحان الامامة في الجامع المنصوري الكبير ، وتفوّق فيه على الشيخ جميل عدره ، المدرّس في الجامع المذكور ، وصاحب مجلة « البيان » ، واستاذ مادة الفقه والتوحيد في القسم الشرعي بكلية التربية والتعليم الاسلامية ، كما تفوق على الشيخ علي الزعبي ، خطيب الجامع الكبير . رحمهم الله .

توفي سنة ١٩٦٠ وخلفه ولده الشيخ عصام الرافعي ، في امامة الصبح في الجامع الكبير ، وبقية الاوقات في المدرسة الحجيجية ، مع التدريس ، وهو الآن ، خطيب جامع القبة ، الى جانب وظائفه المذكورة . وقد درس علومه الشرعية في طرابلس . ويعتبر من بقية السلف الصالح لتديّنه وتمسّكه بأهداب الشريعة ، ونسكه . يملك مكتبة ضخمة ، استفدت منها كثيراً ، وقد أوصى له عمه الشيخ عمر الرافعي رحمه الله بمكتبته ، الى جانب ميله الشديد لشراء الكتب ، خاصة كتب الحديث والرجال .

ومن أبناء الشيخ عبد الغني رحمه الله ، صديقنا الاديب الفاضل ، الكاتب الشاعر الاستاذ سليم الرافعي ، وله ديوان شعر . والاستاذ زهير الرافعي ، والاستاذ هشام الرافعي .

« ١٥ »

المدرسة القادرية

تسميتها

تقع في المنطقة المعروفة بـ « باب الحديد » ، تتوسط الطريق بين جامع الاويسيّة ، وحمّام عز الدين . تعرف بالمدرسة القادرية ، وهي تسمية لاحدى الفرق الصوفية التي تنسب الى عبد القادر الجيلاني أو الجيلي (١٠٧٧ — ١١٦٦م.) . شيخ هذه الطريقة ، الفارسي الاصل . ومن المرجح أن أصحاب هذه الطريقة ، كانوا يتخذون من هذه المدرسة منتدياً لهم ، يحيون فيها الاذكار ، ولذا عُرفت بهم .

وهناك عدة مراكز بطرابلس لاتباع الطريقة القادرية ، ما تزال تنسب اليهم ، ومنها : مسجد التكية القادرية ، في منطقة النوري(١). والمدرسة القادرية الاحمدية القاسمية ، وهي في سوق العطارين ، حيث تُتخذ مقراً لنادي الكشاف الشرقي . والمدرسة القادرية ، المعروفة الآن بـ « التدمرية » ، في محلّة التربيعة . والزاوية القادرية في السويقة ، وهي بتولية آل الزعبي ، المعروفين بالجيلانيين . وغيرها .

وصفها

والمدرسة التي هي موضوع البحث ، بُنيت في وقت غير معروف في عصر دولة المماليك . كبيرة الحجم ، بالنسبة للمدارس المملوكية المحيطة بالجامع المنصوري الكبير . وتمتاز ببوابتها الشرقية ، العالية المرتفعة عن بقية بوابات مدارس وجوامع طرابلس .

والبوابة عبارة عن قطاع مستطيل مجوف ، تنتهي بعقد مقوّس ، ليس فيه أية زخرفة . وعلى جانبيها مصطبتان مرتفعتان ، حيث يُصعد الى المدرسة بالدرج .

---

(١) انظر : ص ٥٤ .

ويزيّن واجهة البوابة ، من فوق القوس ، ثلاثة خطوط من الحجارة ، السوداء التي نألفها في أبنية المماليك . وحول البوابة ، من أعلى ، وعلى اليمين ، واليسار ، يمتد افريز اسطواني بارز ، ينتهي طرفاه من أسفل بشكل حلزوني .

أما واجهة جدار المدرسة فعلى جانبي البوابة ، افريزان أفقيان ، يرتكزان على صف من المقرنصات المسطّحة المتتابعة بشكل أفقي .

والافريزان بمثابة فاصل بين الطابق السفلي ، والطابق العلوي من المدرسة . وهي بهذا تعتبر أكثر ارتفاعاً من بقية مدارس طرابلس . وتنفتح في الطابقين عدة نوافذ .

أما بيت الصلاة فهو مستطيل الشكل ، تغطّي أرضيّته قطع رخامية ملوّنة بأشكال هندسية متناسقة . وعلى يمين الداخل الى بيت الصلاة من البوابة الرئيسية ضريح يضم قبراً ، ليس عليه أية كتابة . وفي الركن الشمالي من بيت الصلاة يقوم حوض ماء من الحجارة والرخام ، مستطيل الشكل ، جدّد على يد « بني عويضه » ، في النصف الاول من هذا القرن .

وللمدرسة باب صغير ، يقع في الجهة الغربية ، بمواجهة البوابة الشرقية ، ويؤدّي الى سوق البازركان .

والمدرسة الآن معطّلة من الصلوات . وقد تحوّلت الى مطعم مجّاني للفقراء على يد أهل الخير .

« ١٦ »

المدرســة الرفاعيــة

تسميتها وتاريخها وكتابتها التاريخية

تقع في نهاية سوق النحاسين ، عند ساحة السراي العتيقة ، غربي المدرسة الحجيجية . وقد بُنيت في عصر المماليك في سنة غير معروفة . وجُلّ ما نعرفه أنها بنيت قبل سنة ٨٧٠هـ. وهي السنة التي نقش فيها مرسوم السلطان خشقدم على واجهة المدرسة الشمالية .

وكما عُرفت المدرسة السابقة بـ « القادرية » ، عرفت هذه بـ « الرفاعية » ، نسبة الى مؤسس الطريقة الرفاعية « أحمد الرفاعي » المتوفى سنة ١١٧٥م.

والمدرسة الآن آيلة للسقوط ، ولم يبق منها سوى قبتها التي كانت تعلو بيت الصلاة ، ومحرابها الذي تعلوه لوحة نقش عليها :

« يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون »(١) .

وقد تهدّم قسم من المدرسة ، بعد توسيع سوق النحاسين . وعندما يمثل هذا الكتاب للطبع يكون العمل قد بدأ بمشيئة الله ، بهدم ما تبقّى من المدرسة ، واعادة بناء مسجد مكانها .

وكان القسم المتهدّم في جهة الشمال من المدرسة ، يحمل نص مرسوم للسلطان « خشقدم » نقش في ثمانية أسطر . ستة منها فوق احدى النوافذ (١٦٠ x ٦٥سم.) ، والسطران الاخيران نقشا على جانب النافذة

---

(١) قرآن كريم ـــ سورة الحج ـــ الآية رقم ٧٧ .

(٤٠ × ٢٠سم٠) وهي بالخط النسخي المملوكي ، هذا نصها :

« س١/ الحمد لله . لما كان بتاريخ مستهل ربيع الآخرة سنة سبعين وثمانماية ورد المرسوم الشريف السلطاني الملكي الظاهري أبو سعيد خشقدم نصره الله تعالى وخلّد /س٢/ ملك مالكها وأدام اقتداره الى المقر الاشرف الناصري محمد ابن مبارك مولانا ملك الامراء كافل المملكة الشريفة الطرابلسية المحروسة ، أعزّ الله أنصاره ، من /س٣/ مضمونه انه لا يؤخذ من التجار حماة وغيرها من السمسرة والترجمة الا ما جرت به العادة القديمة ، وهي على الالف عشرة دراهم لا غير ، من غير زيادة على ذالك(١) ، وأن لا يتناول الاجرة /س٤/ الا من باشر العمل بنفسه من أبناء السبيل ، ومنع النصارى من الترجمة والسمسرة . ولا يؤخذ شيء ممن باع سلعته بغير دلاّل ، ومنع من يعارض أبناء السبيل . وابطال ما جدّد على ذلك وهي الخمسة الزائدة /س٥/ على كل ألف حسب ما شهد به المحضر الشرعي ، وأن تسطر هذه المثوبة رفعاً للظلامة في الصحائف الشريفة اقتناء(٢) بقوله تعالى : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره /س٦/ أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم »(٣). ورسم أن يستمرّوا أبناء السبيل في السمسرة والترجمة ، وملعون ابن ملعون ابن ملعون من يغيّره أو يبدّله /س٧/ أو يسعى في ابطاله أو اعادته أو يشاء عنه ، كان عليه لعنة الله والملائكة /س٨/ والناس أجمعين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم »(٤) .

ترجمة الظاهر خشقدم

هو السلطان الملك الظاهر ، أبو سعيد ، سيف الدين خشقدم بن عبد الله الناصري المؤيدي . وقد يقال : « خوش قدم » . وهو السلطان الثامن والثلاثون من ملوك الترك . والاول من الاروام بعد أن تسلطن من الجراكسة وأولادهم ثلاثة عشر ملكاً . جلس على عرش السلطنة يوم الاحد ١٩ رمضان سنة ٨٦٥هـ.(٥) .

أصله رومي الجنس . جلب الى مصر في حدود سنة ٨١٥هـ. وكان دون البلوغ ، فاشتراه الملك المؤيد شيخ ، وجعله كتابياً سنين كثيرة ، ثم أعتقه

---

(١) هكذا في الاصل .

(٢) هكذا عند سوبرنهايم ، ولعل صحتها : « اقتداء » بالدال .

(٣) قرآن كريم — سورة النور — آخر الآية قبل الاخيرة من السورة .

(4) Sobernheim - P.P. 125 - 126

(٥) النجوم — ج ١٦ ص ٢٥٣ .

وجعله من جملة المماليك السلطانية الى أن مات المؤيد ، فصار خشقدم خاصكياً ، ثم أصبح في أيام الملك الظاهر أمير عشرة ، ثم من جملة رؤوس النوب في حدود سنة ٨٤٦هـ. فدام حتى سنة ٨٥٠هـ. ثم أنعم عليه الظاهر جقمق بامرة مائة ، وتقدمة ألف بدمشق . ثم أعيد في سنة ٨٥٤هـ. الى حجوبية الحجاب في مصر ، ثم أمير سلاح . وعندما تسلطن الملك المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال ، عيّنه مكانه أتابكاً للعساكر في ١٦ جمادى الاولى سنة ٨٦٥هـ. فلم تطل أيامه ، وثار القوم بالملك المؤيد أحمد وقاتلوه حتى خلعوه ، وتولى السلطنة مكانه خشقدم(١). واستمر حكمه حتى توفي في ١٠ ربيع الاول سنة ٨٧٢هـ.

قال أبو المحاسن : « ... وكان الملك الظاهر خشقدم ، سلطاناً جليلا عظيماً ، عاقلا ، مهاباً ، عارفاً ، صبوراً ، مدبّراً ، سيوسا ، حشما ، متجمّلا في ملبسه ومركبه وشأنه الى الغاية ، بحيث انه كان لا يعجبه من البعلبكي الابيض(٢) ، الا ما تزيد قيمته على ثلاثين ديناراً ، فما بالك بالصوف والسمّور وغير ذلك . وكان يقتني من كل شيء أحسنه ، وكان مع هذا التأنّق لائقاً في شكله وملبسه ومركبه ، نشأ على ذلك عمره كله ، أعرفه جندياً الى أن صار سلطاناً ... وكان له المام ببعض القراءات ويبحث مع الفقهاء . وكان كثير الادب ، ويجلّ العلماء ، ويقوم لغالبهم ان قدم أحد منهم عليه ، مع حشمة كانت فيه ، وأدب في كلامه ولفظه ، وكان يتكلم باللغة العربية كلاماً يقارب الفصاحة، على عُجمة كانت في لسانه ، وذلك بالنسبة الى أبناء جنسه »(٣) .

ترجمة ابن مبارك

هو الامير ناصر الدين محمد بن مباركشاه الاينالي ، دوادار سودون النوروزي ، ويعرف بابن مبارك . تولى نيابة السلطنة بطرابلس في شعبان سنة ٨٦٩هـ.(٤) واستمر بها حتى ذي القعدة سنة ٨٧٠هـ. حيث عُزل واستقر عوضه الامير قاني باي الحسني(٥) .

---

(١) النجوم — ج ١٦ ص ٢٥٥ و ٢٥٦ .

(٢) قماش اشتهر بالبعلبكي .

(٣) النجوم — ج ١٦ ص ٣٠٧ و ٣٠٨ .

(٤) النجوم — ج ١٦ ص ٢٨٨ .

(٥) ص ٢٩٤ .

قال السخاوي في الضوء : « ولد في حدود سنة ۸۱۰هـ. وأول ما عرف من أمره عمل دواداراً عند زوج أخته سودون النوروزي ، حاجب الحجاب بدمشق . ثم تأمّر بعده بها وتنقل في وظائف فيها كشدّ الاغنام بالبلاد الشامية ، الى أن استقر في حجوبيتها ، ثم نقل لنيابة حماه سنة ٦٩ ثم في التي تلتها لنيابة طرابلس بعد موت جانبك الناصري . كل ذلك ، وشدّ الاغنام معه . ثم أخرج عنه للعلاء الازبكي ، ولم يلبث أن عزل في ذي القعدة منها بقانباي الحسني المؤيدي عن نيابة طرابلس ، وجهّز له من ينقله لدمشق وصودر بها حتى صالح على ٣٥ ألف دينار ، واستمر على الحجوبية . وكان مذكوراً بخير في الجملة مع نوع فضيلة ومذاكرة . وأنشأ مدرسة للجمعة والجماعات بصالحية دمشق ورباطها ، فيما أظن . ورام من صاحبنا البرهان القادري أن يكون شيخ صوفيتها ، فأبى ، فقرر ولده . ثم لم يلبث أن مات على حجوبيتها في رجب سنة ٧٩ وحضر ولده ، فبذل الاموال وسلم من القتل »(١). وقيل في « تنبيه الطالب » انه توفي سنة ٧٧٨هـ. وتعرف مدرسته بدمشق بالحاجية(٢). ولعله من أبناء محمد بن زين الدين مباركشاه العلاي ، صاحب سبيل التينة ، المبني سنة ٨١٦هـ. الملاصق للحمام الجديد . وقد جاء في السلوك ان الامير زين الدين مباركشاه كان نائباً للاسكندرية سنة ٧٩٨هـ.(٣) .

أضرحة المدرسة

كان في الجهة المتهدّمة من المدرسة ضريح كُتب على قبره بيتان من الشعر :

« بقارعة الطريق جعلت قبري — لاحظى بالترحّم من صديقي
فيا مولى الموالي أنت أولى — برحمة من يموت على الطريق »(٤)
توفي سنة ٩٩٦هـ.

وقد وجدت مشهد التربة ملقى داخل المدرسة المتهدّمة وقد كُتب عليه :

« توفي الى رحمة الله تعالى ابن منصور الشلبي »

وهناك حجرة تضم قبراً ، في الركن الجنوبي الغربي من المدرسة ، لا يحمل أية كتابة .

---

(١) الضوء – ج ٨ – ص ٢٩٦ .

(٢) منادمة الاطلال ومسامرة الخيال – عبد القادر بدران – ص ١٦٦ – طبعة دمشق .

(٣) السلوك – ج ٣ ق ٢ ص ٨٥١ .

(٤) نبذة عن تاريخ طرابلس – ص ٧ .

« ١٧ »

المدرســـة المحمودية

تسميتها وتاريخها ووصفها

تقع شرقي جامع الزعيم (المعلّق) ، في محلة الحدادين . يفصل بينها وبين الجامع المذكور حديقة تضم ضريح « محمود لطفي الزعيم » صاحب الجامع .

بُنيت هذه المدرسة في وقت غير معروف في عصر المماليك . ولكنّها جُدّدت على يد « علي آغا » ، ناظر المحمودية ، في سنة ٩٩٥هـ.

تعرف بالمدرسة المحمودية ، نسبة الى ناظر المحمودية علي آغا المجدّد لها . والمحموديّة تسمية أطلقت على المحلّة التي تحيط بجامع الزعيم(١) (المعلق) الذي بناه الامير محمود بن لطفي الزعيم سنة ٩٦٧هـ.

والمدرسة مربعة الشكل ، صغيرة الحجم ، يُصعد اليها بدرجتين . فوق بابها الشمالي لوحة نقش فيها سطران هذا نصّهما :

س١ « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله محيي الرمم ومنشئها من بعد العدم . جدّد /س٢/ المسجد المبارك الفقير علي آغا ناظر المحمودية في شهر ربيع الاول سنة ٩٩٥ » .

وكان في هذه المدرسة وظيفة تدريس الطلبة العلوم الدينية ، وممن تولى هذه الوظيفة احمد زكي الافيوني ، وكان مرتدياً للزي الديني ، ثم تركه ، وتحوّل للعمل الصحافي .

والمدرسة الآن معطّلة ومقفلة منذ سنوات .

---

(١) راجع سجلات المحكمة الشرعية .

« ١٨ »

المدرســة الماردانيـة

تسميتها وتاريخها

تقع في « سوق الاسلام » ، بميناء طرابلس ، (الاسكلة) . بالقرب من الجامع العالي الكبير . وهي المدرسة الوحيدة التي وصلتنا من عصر المماليك في منطقة الميناء . ولم يأت عى ذكر هذه المدرسة أحد من المؤرخين أو الباحثين . ولذا أغفلها المستشرق سوبرنهايم ، ولم يذكر كتابتها التاريخية في مجموعة نقوشه العربية عن طرابلس ، كما أغفلها المستشرق بروس كوندي ، وكذلك الدكتور السيد عبد العزيز سالم .

فالمستشرق سوبرنهايم حصر نقوشه في نطاق البلدة ، ظناً منه أن الميناء ليس فيها ما يضيفه الى مجموعته ، أو لعله زار الميناء ، ولم يعرف بأمر هذه المدرسة الموغلة في القدم بالنسبة لمدارس المماليك في طرابلس .

أما المستشرق بروس كوندي ، فلم يهتم سوى بأبراج الميناء فقط ، وأهمل الحديث عن خان « التماسيلي » ، الكبير ، وكذلك لم يأت على ذكر المدرسة مطلقاً ، ونعتقد أنه لم يعرف بها أيضاً .

وأما الدكتور السيد سالم ، فمن الواضح أنه اعتمد على كتاب « بروس كوندي » ، في دراسته لمساجد طرابلس ومدارسها ، ولذلك ، لم يأت على ذكرها أيضاً . والاساتذة الذين ذكرناهم ، غير ملومين في ذلك ، بل هم يستحقون منا كل تقدير ، حيث صرفوا اهتمامهم الى آثار مدينة بعيدة عن بلادهم ، ووضعوا عنها دراسة قيّمة وممتعة .

غير أن استاذاً فاضلا ، ــ ومن أهالي الميناء بالذات ــ وضع كتاباً ضخماً عن تاريخ طرابلس ، جمعه من هنا وهناك ، ولم يأت فيه على ذكر هذه المدرسة التي تعتبر أهم وأقدم أثر تاريخي يوجد في الميناء الآن . كما لم يرد ذكرها مطلقاً في تقرير بعثة اليونسكو الى لبنان سنة ١٩٥٣ ، والتي شارك في عضويتها الاستاذ البحّاثة الامير موريس شهاب المدير العام لمديرية الآثار اللبنانية .

★ ★ ★

تشتهر هذه المدرسة باسم « مدرسة العريف » ، نسبة الى أحد المشايخ من آل العريف ، كان يقوم بالتدريس فيها ، منذ سنوات قريبة .

أما تسميتها التاريخية ، فهي : « المدرسة الماردانية » ، نسبة الى بانيها الامير « علاء الدين أيدغمش المارداني » . وتعتبر من أقدم المدارس التي بناها المماليك في طرابلس ، فقد بنيت في سنة ٧٠٧هـ. أي بعد بناء جامع السيد عبد الواحد بسنتين ، (٧٠٥هـ.) ، في نيابة الامير « اسندمر الكرجي » ، الذي يعود اليه الفضل في بناء معظم المدينة المملوكية القديمة .

أيدغمش المارداني

هو الامير الكبير علاء الدين أيدغمش المارداني الاشرفي . كان يتولّى « شدّ الشواني » بطرابلس ، أي النظر على السفن الحربية في الميناء . و « المارداني » ، نسبة الى « ماردين » ، بكسر الراء . وهي قلعة مشهورة على قمة جبل بالجزيرة ، بين دجلة والفرات ، من ديار ربيعة ، تشرف على دنيسر ودارا ونصيبين ، أمامها ربض عظيم فيه أسواق وفنادق ومدارس ورُبط(1) .

لم أقف على ترجمة للامير أيدغمش في المصادر التاريخية التي بين يديّ . غير أنني عثرت على اسمه في « صبح الاعشى » للقلقشندي ، حيث يورد نص مرسوم وظيفة « شد الشواني » بطرابلس ، وقال انه كتب به لعلاء الدين أيدغمش .

---

(1) قال القزويني المتوفى سنة ١٢٨٣م. : « ليس على وجه الارض قلعة أحسن منها ، ولا أحكم ولا أعظم » . ثم قال عن البلدة ان « وضعها وضع عجيب ، ليس في شيء من البلدان مثلها ، وذلك أن دورهم كالدرج ، كل دار فوق أخرى ، وكل درب منها مشرف على ما تحته ، وعندهم عيون قليلة ، جل شربهم من الصهاريج المعدة في دورهم . وقال بعض الظرفاء :

في ماردين ، حماها الله ، لي سكن ... لولا الضرورة ما فارقتها نفسا
لاهلها ألسن لان الحديد لها ... وقلبهم جبلي قد قسا وعسا »

(آثار البلاد وأخبار العباد ــ زكريا بن محمد بن محمود القزويني ــ ص ٢٠٥ و ٢٠٦ ــ طبعة صادر ــ بيروت ١٩٦٠) .

واستعيض هنا عن ترجمة أيدغمش بذكر نص نسخة المرسوم ، الـذي عيّن بموجبه في وظيفته بميناء طرابلس ، وهو :

« رُسم ... — لا زالت أيامه ، قائمة بالجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ ، وأعلامه حائمة على التقاط مُهج العدا في البر والبحر بما يقرّب لهم الاجل — أن يستقر فلان في شدّ الشواني المعمورة المنصورة على العادة في ذلك ، بهمته العليّه ، وعزْمته التي هي ببلوغ المقاصد مليّه ، وشهامته التي تُرهب العدا ، وشجاعته التي تُلبسهم أردية الرّدى ، وبسالته التي تُبسلهم في البحر فتصيّرهم كالاسماك لا يُسام لهم صدى .

فليجتهدْ في ذلك جدّ الاجتهاد ، وليعمد فيه السّداد والسَّداد ، وليوقظ أجفان سيوفه من الغمض ، وليرهب العدا بشدّةّ وطأته التي لهـا الثّبات في الارض ، وليلازم مواظبة الشواني ليلا ونهارا ، وليكن هو ومن حوله لمن بها أنصارا ، والله تعالى يُجزل له مبارا ، ويرفع له مقدارا ، بمنّه وكرمه »(١) .

ونستطيع أن نتبيّن من فحوى هـذا المرسوم ، أن اقامة « أيدغمش » كانت في الميناء ، بصورة دائمة ، ليكون بقرب الموظفين الذين بين يديه ، وليشرف بصورة دائمة على المراكب الحربية ، التي كان عليها حماية المدينة وأعمالهـا وساحل نيابتها ، من غارات القبارصة ، والرودسيين ، والجنويين ، والبنادقة ، الذين كانوا لا يفتأون على القيام بغاراتهم البحرية ، وأعمال القرصنة ، على سواحل الشام ، وفي عرض البحر . وكان ميناء طرابلس من أهم القواعد البحرية المملوكية ، وعن طريقه تم فتح قبرص في أيام السلطان الاشرف برسباي سنة ٨٢٩هـ.(٢) وبما أن أيدغمش ، كان عليه أن يقيم في الميناء ، فقد قام ببناء مدرسته هناك ، وهي أول مدرسة ، أو مسجد ، يُبنى في الميناء بعد تحريرها من الصليبيين .

---

(١) صبح الاعشى — ج ١٢ ص ٤٥٦ .

(٢) راجع ترجمته بعد : النقش الاول للمدرسة القرطاوية .

وصفها وكتابتها التاريخية

تقوم المدرسة الماردانية ، فوق ظهر بعض الحوانيت في « سوق الاسلام » ولذا يُصعد اليها بالدرج من جهة الجنوب الغربي . ويوصل الدرج الى الباب الذي يفضي الى القسم الاوسط من المدرسة ، حيث تقوم فوقه القبة ، نصف الدائرية ، وفي الجهة الغربية من هذا القسم ، اسطوان يضم في ركن منه الميضأة . أما القسم الشرقي ، فهو بيت الصلاة الذي يضم المحراب . وتطل المدرسة من الجهة الشمالية ، على البحر ، الذي لا يبعد عنها سوى بأمتار تقل عن ٥٠ متراً .

وفوق باب المدرسة يوجد تجويف مستطيل يحتضن لوحة رخامية ناصعة البياض ، مندمجة في الجدار ، تحمل الكتابة التاريخية التي تتألف من خمسة أسطر ، هذا نصّها :

س١/ « بسم الله الرحمن الرحيم . انما يعمر مساجد الله /س٢/ من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكوة ولم /س٣/ يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين(١) /س٤/ أنشأ هذا المكان المبارك الفقير الى الله تعالى المقر الكريم /س٥/ العالي المولوي الاميري الكبيري العلائي أيدغمش المارداني الاشرفي عزّ نصره » .

وفي الركنين العلويين ، على يمين ويسار السطر الاول من الكتابة ، نقشت دائرتان ، يتوسط كلا منهما الكأس ، الذي يمثل « رنك الساقي » .

أما في الركنين السفليين ، على يمين ويسار السطر الخامس ، الاخير ، نقشت دائرتان أيضاً ، كُتب في اليمنى كلمة :

« تاريـــخ »

وكتب في اليسرى كلمتان :

« سبعه وسبعمايه »

والمدرسة الآن معطلة ومهجورة ، وقد تحوّلت الى مستودع للصناديق الخشبية والمهملات . ومن الاولى ترميمها وأحياؤها لقيمتها التاريخية .

---

(١) قرآن كريم — سورة التوبة .

« ١٩ »

مسجد الدبّاغين

هناك العديد من المساجد والمدارس والزوايا ، التي شادها المماليك في طرابلس ، غير التي ذكرناها ، وقد أزيلت ، أو تغيّرت معالمها ، أو لم تصلنا أسماؤها . ومنها : مسجد الدبّاغين ، الذي أزيل بعد طوفان نهر أبي علي سنة ١٩٥٥ ، وكان يقع قرب المسلخ القديم ، على الضفة اليمنى للنهر ، بجوار الجسر الجديد (اللحّامة) ، شمالي جامع التوبة .

وقد جعل المستشرق « كوندي » للمسجد مئذنة ، وأبرز صورة لمئذنة جامع التوبة ، وهو يعتبرها مئذنة لمسجد الدبّاغين(١) . ونقل الدكتور سالم وصفاً لهذه المئذنة عن « كوندي » ، وجعلها أيضاً لمسجد الدباغين(٢) . ولم يكن لهذا المسجد مئذنة . وهو من بناء المماليك ، غير أن سنة بنائه غير معروفة . ويعرف بمسجد الدباغين لوقوعه في منطقة الدبّاغة ، حيث كانت تكثر محلاّت دبغ الجلود القريبة من المسلخ . كما جُدّد هذا المسجد قبل نهاية حكم المماليك ، على يد عبد الله بن يوسف شيخ الدباغين بطرابلس في سنة ٩١٣هـ . ومن المرجح أن تجديد المسجد تم بعد أن تأثر بفيضان نهر أبي علي في سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م . حيث حدث سيل عظيم فاض فيه النهر وخرّب المساكن والحوانيت(٣) . ولكن البوابة ظلت سليمة على ما يبدو ، اذ كانت تحمل نص مرسوم أصدره السلطان الاشرف قايتباي في سنة ٨٨٢هـ . وهي السنة التي دخل فيها طرابلس وتفقد تحصيناتها .

---

(1) Condé - P. 109

(٢) طرابلس الشام ــ ص ٤١٥ .

(٣) ابن سباط ــ ج ٢ ص ٢٠٠ أ ، نزهة الزمان ــ ج ١ ص ٥٥٥ ، الدويهي ــ ج ١ ص ١٤٤

قرأ « سوبر نهايم » نص مرسوم السلطان قايتباي ، وأثبته في مجموعته ، وقال انه من أربعة أسطر (١١٣ × ٣٦سم.) بالخط النسخي المملوكي ، وهو :

س١/ الحمد لله . لما كان بتاريخ ثالث عشرين جمادى الآخرة من شهور سنة اثنين وثمانين وثمانماية ، برز المرسوم الشريف /س٢/ المولوي السلطاني الملكي الاشرفي أبو النصر قايتباي(١) خلّد الله ملكه الشريف عند حلول ركابه بطرابلس /س٣/ المحروسة بابطال ما على جماعة الدبّاغين بطرابلس من المكس المقرر لديوان المواقف(٢) الشريفة ، وان لا يُكلفوا الى الدرهم /س٤/ الفرد ، وأن ينقش ذلك في بلاطة على المسلخ بطرابلس لتسطر هذه المثوبة في الصحائف الشريفة . وملعون ابن ملعون من يجدّد ذلك أو يغيّره »(٣) .

ويلاحظ في هذا المرسوم ، خلوّه من اسم نائب السلطنة بطرابلس في ذلك الوقت . ولعل ذلك راجع الى أن المرسوم صدر مباشرة عن السلطان قايتباي ، وهو بطرابلس(٤) .

وفوق باب المسجد ، كانت هناك كتابة ثانية بتاريخ تجديد المسجد ، نقشت في لوحة (٥٧ × ٣٦سم.) ، من ثلاثة أسطر ، بالخط النسخي المملوكي ، هذا نصها :

س١/ « جدّد هذا المسجد المبارك ...(٥) ابن يوسف شيخ /س٢/ الدباغين بطرابلس المحروسة بتاريخ ثالث عشر شهر شوال /س٣/ سنة ٩١٣ وأوقف عليه بعد وفاته دكان وولد ومخزن (؟) ... ... »(٦) .

وكان تجديد المسجد في أيام السلطان قانصوه الغوري . ولم أقف على اسم نائب السلطنة في طرابلس ، خلال تلك السنة .

---

(١) مرت ترجمته عند دراسة جامع أرغون شاه .

(٢) لعل المقصود بذلك « ديوان الاوقاف » .

(3) Sobernheim - P. 131

(٤) كان على نيابة طرابلس خلال تلك الفترة ، الامير « أزدمر بن مزيد الظاهري » (٨٨٠-٨٨٤هـ.) وقد مرت ترجمته في بحثنا للجامع المنصوري الكبير .

(٥) كلمة غير واضحة ، لعلها « عبد الله » أو « اسماعيل » . وهي غير معجمة ، والارجح أنها « عبد الله » انظر : Sobernheim - P. 113

(٦) أربع كلمات غير واضحة ، لعل منها كلمة « الحمام » .

المدرسـة العمريـة

تسميتها وتاريخها

كانت تقع في حارة النصارى ، قرب مدرسة « الفرير » الآن . وعُرفت بالمدرسة العمرية(١) . غير أن تسميتها التاريخية هي : « مدرسة أسندمر » ، نسبة الى « أسندمر بن بدر الدين صدقة بن سعيد العنبري » ، الذي بناها في سنة ٨٧٠هـ . أيام السلطان الملك خشقدم ، وفي نيابة الامير محمد بن مبارك(٢) . وقد أزيلت هذه المدرسة قبيل منتصف هذا القرن ، بعد أن بيعت أرضها ، وضُمَّت الى معهد « الفرير » . وكانت في حالة خراب ، في مطلع هذا القرن ، حيث شاهدها المستشرق « سوبرنهايم » ، أثناء جولته في طرابلس ، في ذلك الوقت ، وأثبت كتابتها في الجزء الخاص عن نقوش طرابلس العربية ، المطبوع في سنة ١٩٠٩(٣) .

كتابة المدرسة التاريخية

كانت الكتابة التاريخية لبناء المدرسة ، منقوشة على أربع قطع من الحجارة ، مثبتة في جدار فناء المدرسة . ويبدو أن المدرسة تعرّضت قديماً للتخريب ، وعندما أعيد ترميمها ، وُضعت الحجارة المنقوشة دون مراعاة لتتابع النص الكتابي ، مما يدل على جهل العامل الذي قام بذلك . فقد وضع القطعة الثالثة بين القطعتين : الاولى والثانية ، فأصبح ترتيبها على النحو الآتي :

٣	١
ثمان مائة انشا العبد الفقير الى الله تعالى اسند له ولوالديه ولجميع المسلمين انه غفور	بسم الله الرحمن الرحيم الى الله تعالى بدر الدين صدقه

---

(١) هناك مدرستان تعرفان بهذا الاسم ، احداهما في محلة الحدادين ، أمام سبيل التينه ، قرب الجامع المعلق ، والاخرى عند مقابر العمري في باب التبانة .

(٢) مرت ترجمة السلطان والنائب عند الحديث عن المدرسة الرفاعية .

(3) Sobernheim - P. 128

٢	٤
لث من رجب الفرد شهور سنة سبع	مر ولد العبد الفقير
بن سعيد العنبري غفر الله	ريم حي والله نعم الوكيل

وقد قام الاستاذ « فان برشم » بترتيب النص ، واضافة بعض الاحرف التي سقطت منه ، ونقل ذلك عنه « سوبرنهايم » . والكتابة من سطرين ، كما هو واضح (٢٠٥ × ٢٧سم٠) بالخط النسخي المملوكي . وهذا نصها الصحيح :

س١/ « بسم الله الرحمن الرحيم . بثالث من رجب الفرد (من) شهور سنة سبعين وثمان مائة . انشأ العبد الفقير الى الله تعالى أسندمر ولد العبد الفقير /س٢/ الى الله تعالى بدر الدين صدقه بن سعيد العنبري(١) ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين انه غفور كريم(٢) حي ، والله نعم الوكيل »(٣) .

---

(١) لم أقف له على ترجمة .

(٢) عند سوبرنهايم « رحيم » . وأعتقد ان ما أثبتناه هو أقرب الى الصواب ، فقد جاء في أول السطر الثاني من القطعة رقم(٤) كلمة « ريم » ، وأرجح أن النقص في أولها ، وهو حرف الكاف (ك) ، وليس النقص في وسط الكلمة كما أثبت سوبرنهايم ، حيث أضاف حرف الحاء بعد الراء .

(3) Sobernheim - P. 129

« ٢١ »

مدرسة القاضي الاسكندري

من المدارس التي نجهل مواقعها ، هذه المدرسة التي بناها قاضي طرابلس، ابن عطية الاسكندري . وهي من أقدم مدارس المماليك في طرابلس ، ولعلها المدرسة الثانية بعد المدرسة الزريقية ، أقدم مدارس طرابلس المملوكية . ونرجّح أنها بنيت في أول القرن الثامن الهجري ، اذ توفي مؤسسها القاضي في سنة ٧٠٧هـ. وقد بناها لتدريس الطلبة على المذهب الشافعي ، وهو المذهب الاكثر شيوعاً في عصر المماليك . وكان القاضي الاسكندري ، يتولى قضاء الشافعية بطرابلس ، في نيابة الامير « أسندمر الكرجي » . ذكره ابن حجر في « الدرر » فقال :

« أحمد بن أبي بكر بن منصور بن عطية الأسكندري شمس الدين ، قاضي طرابلس . كان فاضلا في أنواع من العلوم . وكان شجاعاً ، وعنده ُعدد لقتال الافرنج . وكان قد أثرى ، وكثر ماله . وبنى بطرابلس مدرسة للشافعية . وكان كل من ورد عليه يكرمه ، والكلمة مجتمعة في الثناء عليه . قال الذهبي : فاضل متفنن ، عارف بالمذهب ، يتعانى التجارة ، مع رأي جيد وحزم . وذكر انه سمع من المنذري ، وأخذ عن ابن عبد السلام . وكان مولده سنة ٦٣٤هـ. ومات سنة ٧٠٧هـ. قال البرزالي : بعد مرض طويل حصل له في آخر أمره برسام ، فولي غيره القضاء . وقال الذهبي : كتب الي شهاب الدين ابن مرّي ان شمس الدين المذكور لما احتضر ، اجتمعنا حوله ، فأظهر فرحاً واستبشاراً ، وكرّر كلمتي الشهادة ، وقال : ساعدوني وآنسوني ، فان للنفس انزعاجاً عند الفراق ، واذا رأيتموني مت مسلماً ، فاشكروا ربكم على الهداية لهذا الدين العظيم . ثم كرر الشهادة نحو ثلاثين مرة ، ومات »(١) .

---

(١) الدرر الكامنة — ج ١ ص ١٢١ و ١٢٢ .

« ٢٢ »

مدرسة الوتّار

كانت تقع على الضفة اليمنى من نهر أبي علي ، بالقرب من المسلخ القديم . وقد بُنيت في وقت غير معروف من عصر المماليك . وتعرف بمدرسة الوتّار ، أو : الشيخ علي الوطّار . وأزيلت بعد فيضان سنة ١٩٥٥ ، وكانت تحمل كتابة تسجّل اسم معلم البناء ، وهي بالخط النسخي المملوكي ، هذا نصها :

« عمل المعلّم عمر بن النجم عفا الله عنه »(١).

« ٢٣ »

مدرسة النسر بن عجبور

كانت تقع على الضفة اليمنى من النهر ، عند الجسر العتيق بالسويقة ، في المحلة المعروفة بـ « البحصة » . وهي مدرسة صغيرة مطلة على النهر ، وتعرف بمدرسة « النسر بن عجبور » أو « عزبور » . وقد تعرضت كغيرها من المدارس الواقعة على ضفتي النهر لفيضان ١٩٥٥ ، وأزيلت بعد ذلك ، وعندما جرى هدمها ، عُثر فيها على مجموعة كبيرة من النقود الاسلامية القديمة اقتسمتها مديرية الآثار ، ودائرة أوقاف طرابلس الاسلامية .

(1) Sobernheim - P. 139

« ١ »

زاوية القاضي القرمي

بناها القاضي « حسام الدين الحسن بن رمضان القرمي » ، في الفتـرة ما بين ٧١٦ ـ ٧٢٣هـ. وهي الفترة التي تولى فيها قضاء الشافعية بطرابلس . وفي نفس هذه الفترة بنى حمّامه المعروف بـ « حمّام القاضي » . والذي يجعلنا نؤكد أن الحمّام بُني في تلك الفترة ، وكذلك الزاوية ، هـو أن الرحّالة ابن بطوطة زار طرابلس في سنة ٧٢٦هـ. وأتى على ذكر الحمّام فقال : « وبهـذه المدينة حمّامات حسان ، منها : حمّام القاضي القرمي ، وحمام سندمور »(١). وقد وصفه ابن حجر العسقلاني بأنه « حمّام مليح عجيب البناء ، مشهور » .

كان حمّام القاضي مجاوراً لخان العسكر ، من الجهة الشرقية . ومـن المحتمل أن الزاوية كانت قريبة منه ، كما هو الوضع في حمّام النوري ، والمدرسة النورية . وقد أزيل الحمّام منذ حوالي ٣٠ عاماً . أما الزاوية فقد أزيلت في وقت سابق غير معروف ، مع ضريح القاضي الذي كان بظاهرها .

ترجمة القاضي القرمي

هو : الحسن بن رمضان بن الحسن ، القاضي حسام الدين ، ابو محمد بن معين الدين أبي البركات القرمي ، اليافعي ، القزويني . ولد في سنة ٦٨٠هـ. واشتغل في الفقه ، فتفقه على المذهب الشافعي ، وسمع الحديث بدمشق من جماعة ، وولي قضاء صفد مدة ، وكان فقيراً ثم تموّل ، ونُقل في شهر ذي القعدة سنة ٧١٦هـ. الى قضاء طرابلس وبنى بها حمّاماً ، ثم عزل سنة ٧٢٣هـ. وأقام بدمشق ، فأعطي تدريس المدرسة المسرورية . فقايضه الشيخ جمال الدين بن الشريشي ، على أن يتنازل له عن تدريس الربـاط الناصري ، ويتولـى ابن الشريشي تدريس المسرورية مكانه ، فانتقل القاضي القرمي الى الرباط الناصري بقاسيون ، وجلس للتدريس في ١٧ شوال سنة ٧٢٥هـ. وكان قد جاء توقيعـه بالعذراوية والظاهرية ، فوقف في طريقه قاضي قضاة دمشق جمال الدين الزرعي

---

(١) مهذب رحلة ابن بطوطة ـ ص ٦٤ .

المتوفى في سنة ٧٣٤هـ.(١) ونائباه : ابن جملة ، والفخر المصري . وعقد له ولكمال الدين ابن الشيرازي مجلساً ، ومعه توقيع بالشامية البرّانية ، فعطّل الامر عليهما لانهما لم يظهرا استحقاقهما في ذلك المجلس ، فصارت المدرستان : العذراوية والشامية لابن المرحّل . وقد عظم القاضي القرمي القزويني بالمسرورية ، وعندما قايضه ابن الشريشي ، انتقل الى الرباط الناصري ، وحضر عنده القاضي جمال الدين . ثم توجه في آخر عمره الى طرابلس ، فتوفي بها في ربيع الاول سنة ٧٤٦هـ. وكان قبل أن يتوجه الى طرابلس ، أناب مكانه في الرباط الناصري ، الشيخ نجم الدين بن العز ، وعندما وصل الخبر بوفاته ، كتب النائب له توقيعاً مكانه .

ذكره الذهبي في « المعجم المختص » وقال : طلب الحديث في الكهولة ، وعني به ، وحصّل الكتب الكثيرة ، وسمع الكثير ، وأفتى ، ودرّس ، وناظر ، وأقبل على المطالعة ، وحدّث عن ابن الشحنة ، وغيره . سمع مني الكاشف . قال : ومولده سنة بضع وسبعين وستماية . وقال ابن حبيب : كان ذا مهابة وحرمة وثروة ، وهو مولى بهادر ، محدّث طرابلس(٢) ، توفي عن ٦٦ سنة ، ودفن بظاهر الزاوية المعروفة به . وقال ابن حجر : « عكف على الاشتغال وسماع الحديث ، وكان حسن الفهم ، جيد الذهن ، أثنى عليه أبو الحسن ابن أيبك » . وقال الحافظ شهاب الدين ابن حجي : « ورأيت له كتاباً ، اختصر فيه « المحرر » للرافعي . وهو مولى « سيف الدين بهادر » محدّث طرابلس »(٣) .

---

(١) البداية والنهاية — ج ١٤ — ص ١٦٧ .

(٢) انظر عنه في « محدثي الجامع المنصوري الكبير » .

(٣) تاريخ ابن قاضي شهبة — ج ١ ص ٧٢ و ٧٦ ، ابن الوردي — ج ٢ ص ٢٦٤ ، البداية والنهاية — ج ١٤ — ص ١١٨ و ١١٩ ، الدرر الكامنة — ج ٢ — ص ٩٧ و ٩٨ .

« ٢ »

زاويـة الدمرداش

بناها الامير « دمرداش المحمدي الظاهري برقوق » ، ويعرف بالخاصكي(١) وكان قد تولى نيابة السلطنة بطرابلس مرتين . الاولى : في شهر محرم سنـة ٧٩٠هـ. واستمرت حتى ٢٢ جمادى الاولى ٧٩٦هـ.(٢) والثانية : في شهر ذي الحجة سنة ٨٠٤هـ.(٣) واستمرت حتى شهر شعبان سنة ٨٠٦هـ.(٤) .

ولا نعرف في أي من الفترتين قام ببناء زاويته . كما لا نعـرف موضعها بالتحديد ، وان كان السخاوي ينقل عن يوسف بن تغري بردي ، بأن زاوية الامير دمرداش كانت على بركة داوية بطرابلس ، اذ ليس هناك ما يوضح مكان تلك البركة !

أما الامير دمرداش ، فقد ترجم له السخاوي بقوله : « هـو عم تغري بردي ، وقرقماس الذي يقال لاولهما : سيدي الصغـير ، ولثانيهما : سيدي الكبير . ولاّه أستاذه نيابة طرابلس ، ثم أتابكية حلب ، ثم نيابة حماه ، ثـم استقر بعده في نيابة حلب وذلك في سنة ٨٠٢هـ. ، وهو الذي سلّم قلعتهـا لتمرلنك بالامان ، لباطن كان له معه ، فخلع عليه لذلك ، واستصحبه معه الى دمشق . ثم عزله الناصر في سنة ٤ ، ثم ولاّه نيابة طرابلس في سنة ٦ ، ثـم حلب أيضاً ، ثم عمله المؤيد ، أتابك الديار المصرية ، ثم ولي بعده حلب أيضاً ،

---

(١) الخاصكي ـ جمعه : خاصكية . وهم جماعة من هاشية السلطان ، يأتون بعد الامراء المقدمين في المرتبة . وكانوا يتمتعون بمكانة كبيرة ، حيث يدخلون على السلطان في أوقات فراغه وفي خلواته بغير اذن .

(٢) نزهة النفوس ـ ج ١ ص ٣٨٧ ، السلوك ـ ج ٣ ق٢ ص ٧٨٢ .

(٣) السلوك ـ ج ٣ ق ٢ ص ١٠٨٩ .

(٤) السلوك ـ ج ٣ ق ٣ ص ١١٢١ .

وآل أمره الى أن طلبه ابن أخيه قرقماس ، وقتل باسكندرية في المحرم سنة ١٨ وكان معظماً للعلماء ، كريماً ، حييّاً ، حشما ، لكن لم تكن لاملاك الناس ولا للاوقاف عنده حرمة . وابتنى بحلب جامعاً ، وبطرابلس زاوية . ولم يكن يواجه أحداً بما يكره .

ذكره ابن خطيب الناصرية مطوّلا ، وتبعه شيخنا في أبنائه ، وقال انه كان : مهيباً ، عاقلا ، مشاركاً في عدة مسائل ، كثير الاكرام لاهل العلم والعناية بهم . اجتمعت به فوجدته يستحضر كثيراً من كلام الغزالي ، وغيره . وكذا طوّل يوسف بن تغري بردي ترجمته ، وأنه قتل وله نحو خمسين سنة ، ووصفه بالشجاعة والاقدام والكرم ومباشرة الحروب وحضور الوقائع ، ولكنه كان قليل السعادة في حركاته ، مع معرفة تامة ، وخديعة ، ومكر ، ودهاء ، غير محبّب الى الناس . وذكر أن الجامع الذي له بحلب ، كان قد أسسه آقبغا الهذباني الاطروش ، فكمّله هو ، ووقف عليه وقفاً جيداً . وان زاويته بطرابلس على بركة داوية »(١) .

(١) الضوء — ج ٢ ص ٢١٩ .

الخانقـــاه

تنفرد طرابلس من بين جميع المدن اللبنانية ، بوجود « خانقاه » فيها . والخانقاه : جمعه خوانق ، وخانقاوات . وهو بيت ينقطع فيه الصوفية للعبادة والذكر(١). ويقال : خانقاه (بالقاف) ، أو : خانكاه (بالكاف) ، أو : خانكه . والاخيرة هي المشهورة الآن ، حيث تعرف خانقاه طرابلس ، بـ « الخانكه » . وفي القاهرة حتى الآن يطلـق على الموضع الذي كانت تقـوم فيـه « خانقاه سرياقوس » ، اسم « الخانكه » . وهي كلمة فارسية الاصل ، بمعنى بيت ، دخلت اللغة العربية منذ انتشار التصوف ، واقامة ُدور ينقطع فيها الصوفية للاعتكاف . والخانقاه ، اصطلاحاً ، هي دار موقوفة لسكنى الصوفية ومن اليهم من الزّهاد العبّاد ، ويُرتّب لهم فيها الطعام ، وتقدم الكساوى مـن خيرات البساتين والاسواق والعمائر الموقوفة عليها(٢) .

أما خانقاه(٣) طرابلس ، فقد ُبنيت لتجمع بـين الناحيتين : الدينيـة ، والحربية . وتأسّست لتكـون رباطـاً للمرابطين والمجاهدين من المتصوفين الشيوخ والمتطوّعة والمنقطعين لله واعلاء كلمته . ولذلك كانت تضم ُنـزلاء من المدن والانحاء المختلفة ، ينزلون فيها للعبادة ، وحين تتعرّض المدينة للخطر ، وخاصة من قبل الصليبيين الذين اتخذوا من قبرص ورودس وجنوى والبندقية وصقلية وغيرها ، قواعد للانقضاض على سواحل الشام ومراكب التجـار المسلمين ، كان هؤلاء العبّاد ، يخرجون في طليعـة المقاتلين والمدافعين عـن المدينة للجهاد في سبيل الله .

* * *

تقع الخانقاه في منتصف « طلعة العوينات » المواجهة للحمّام الجديـد مباشرة ، في محلة الحدادين . وكانت تلك المنطقة تعرف بالمحمودية ، كما تعرف بالمرابطين .

---

(١) العصر المماليكي ــ ص ٤١١ .

(٢) القاموس الاسلامي ــ ج ٣ ص ٢١١ و ٢١٢ .

(٣) تسميها مديرية الاثار « خان خا » ، وهي ترجمة ركيكة عن اللغة الاوروبية .

ويذكر الدكتور سالم — وهو ينقل عن المستشرق كوندي — أن خانقاه طرابلس « من عصر دولة المماليك الشراكسة ، يرجع تاريخ بنائها الى سنة ١٤٦٧م. »(١). ولم يذكر المستشرق « كوندي » ، المصدر الذي اعتمده لتحديد هذا التاريخ(٢) ، والذي يقابله في الهجري سنة ٨٧١ أو ٨٧٢هـ. وكان على نيابة طرابلس في تلك الفترة الامير « قان باي الحسني المؤيدي » (٨٧٠ — ١٣ ربيع الآخر ٨٧٢هـ.)(٣) .

تقع الخانقاه في موضع منخفض عن طلعة العوينات ، جنوبي المدرسة المحمودية ، ينزل اليها بعدة درجات ، من البوابة القبلية ذات الطراز المملوكي . والبوابة عبارة عن قطاع مستطيل ، مجوّف ، يقوم عقدها على حطّتين ، الحطّة الاولى تقوم فوق تجويفات مقرنصة ، يعلوها تجويف نصف دائري ، ينفتح في أعلاه بمستوى الواجهة ، ليشكل تجويفاً أصغر بيضاوي الشكل .

يُدخل من البوابة الى ممرّ ضيق ، على يسار المدخل ، ويفضي الممر الى فناء الخانقاه ، حيث تتوسّطه بركة ماء ، ويحيط بالفناء من الجهتين : الشرقية ، والشمالية ، ٩ غرف للمرابطين ، يسكنها الآن نساء أرامل باشراف دائرة الاوقاف .

وفي الجهة القبلية ، يقوم بيت الصلاة المرتفع عن أرض الفناء . وهو ينفتح بعقد نصف دائري كبير ، يُزيّنه قوس من الحجارة البيضاء والسوداء ، المتعاشقة مع واجهة العقد . ويرتكز القوس على عمودين رشيقين من الجرانيت، لهما تاجان ، يعتقد أنهما من بقايا الابنية الصليبية المخربة(٤). ويحيط بالقوس المذكور ، قوس آخر في أعلى العقد ، له افريز بارز .

وفي الجهة الشرقية من بيت الصلاة ينفتح باب لحجرة ، ترتفع أرضيّتها عن أرضية الايوان .

---

(١) طرابلس الشام — ص ٤٣٥ .

(2) Condé - P. 65

(٣) النجوم — ج ١٦ ص ٢٩٤ و ٣٦٤ ، الضوء — ج ٦ ص ١٩٥ .

(٤) طرابلس الشام .

ويعرف وقف الخانقاه في السجلات الوقفية ، بوقف الست الشهيرة بالصالحة .

وفي مواجهة الخانقاه ، من الجهة القبلية (على يمين الصاعد من طلعة العوينات المذكورة) ، يوجد زقاق مظلم ، كان يعرف بـ « زقاق الذوق » . له بوّابة حجرية ، يعلوها قوس من الحجارة ، تتوسّط الحجر الاوسط منه ، دائرة نقش فيها نجمة ذات شعاعات عديدة . ويعلو القوس صف من الحجارة الرملية ، العريضة نسبياً ، منها قطعتان تمتلآن بالزخرفة ، التي تمثّل نجمة وسطى ، تحيط بها عدة نجوم أخرى ، مع شعاعات في كل الاتجاهات . وتتوسّط هاتين القطعتين لوحة فوق رأس قوس البوابة ، نقش عليها أربعة أسطر ، هذا نصها :

« يا فتّاح يا رزّاق يا كريم يا الله »

« يا باعث الرزق يا كريم يا الله »

« يا قاضي الحاجات يا كريم يا الله »

« في غزة شهر ذي القعدة سنة ١١١٣ »

وفوق هذه اللوحة ، والقطعتين المزخرفتين ، تنفتح أربعة نوافذ حربية ، بشكل عمودي ، تستخدم لاطلاق السهام ، ونعتقد أنها تؤدي مهمة حماية الخانقاه المواجهة لها ، وهذه النوافذ ، نرى منها كثيرا في أبنية طرابلس القديمة ، ومنها نوافذ البناء المجاور للبوابة الغربية للجامع المنصوري الكبير . ونعتقد أنها كانت تؤدي المهمة نفسها ، وهي الدفاع عن بوابة الجامع . كما نجد هذه النوافذ في قلعة طرابلس وأبراجها .

انتهى بعون الله تعالى

والحمد لله رب العالمين

إستدراك

بعد أن طبع معظم الكتاب ، وقبل أن ينتهي ، وقفت على بعض المعلومات التي تزيد في وضوح بعض الفقرات عملت هنا على تداركها تحقيقاً للامانة العلمية ، والبحث العلمي . ومن ذلك (صفحة ١٦٣) — فقرة الاسماء :

« محمد — ابو بكر — عمر — عثمان — علي — عبد الرحمن ... »

وصحّتها :

« محمد — ابو بكر — عمر — عثمان — علي — طلحة — زبير — سعد — سعيد — عبد الله — عبد الرحمن — » .

وصفحة (١٧٠) السطر :

« من بنى أبدله الله قصراً في الجنة » .

وصحّته :

« من بنى مسجداً لله ولو كمفحص قطاة بنى الله تعالى له به قصراً في الجنة »

(حديث شريف)

وصفحة (٢٣٠) في ما يتعلق بتسمية جامع الاويسيّة . أقول :

لعل « محيي الدين الاويسي » صاحب الجامع ينتسب الى الشيخ الصالح « أويس القرماني » المتوفى سنة ٩٥١هـ. بدمشق . وهو شيخ طائفة «الاويسية» الصوفية ، الخلوتية . وقد كثر أتباعها في مدينة بعلبك ، حيث أقام خليفته « شمس الدين محمد البعلي الحنفي الاويسي » والمتوفى فيها سنة ٩٤٣هـ. (انظر عنهما : الكواكب السائرة — ج ٢ — ص ٧٠ و ١٢٤) . (وانظر أيضاً ص ١٣٤) .

ونعتذر للقاريء الكريم عن بعض الاخطاء المطبعية التي لا تخفى عليه ، وأحب أن أصحح منها هنا ، ما يلي :

صفحة ١٤٦ — السطر الاول — الكلمة « القنابل » ، وصحتها « القناديل » .

صفحة ١٤٦ — السطر الثالث عشر — الكلمة «بطرابلس» وصحتها «بطرابلوس»

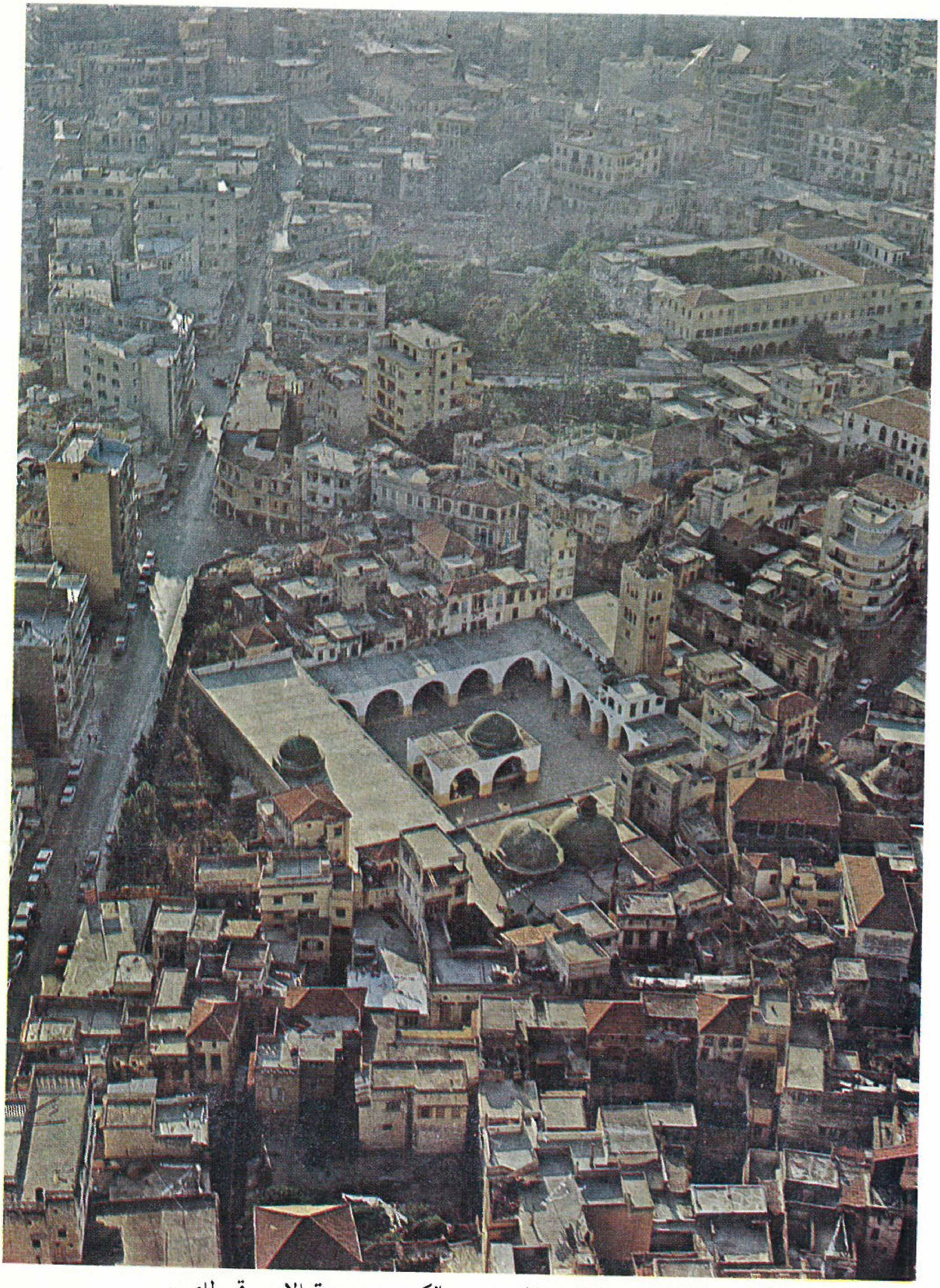

« منظر جوي للجامع المنصوري الكبير ومدرسة الامير قرطاي »

(تصوير المجلس الوطني لانماء السياحة)

« البوابة الرئيسية ، القوطية الطراز للجامع المنصوري الكبير »

(تصوير المؤلف)

« الرواق الشرقي للجامع المنصوري الكبير ٧١٥ هـ »

(تصوير المؤلف)

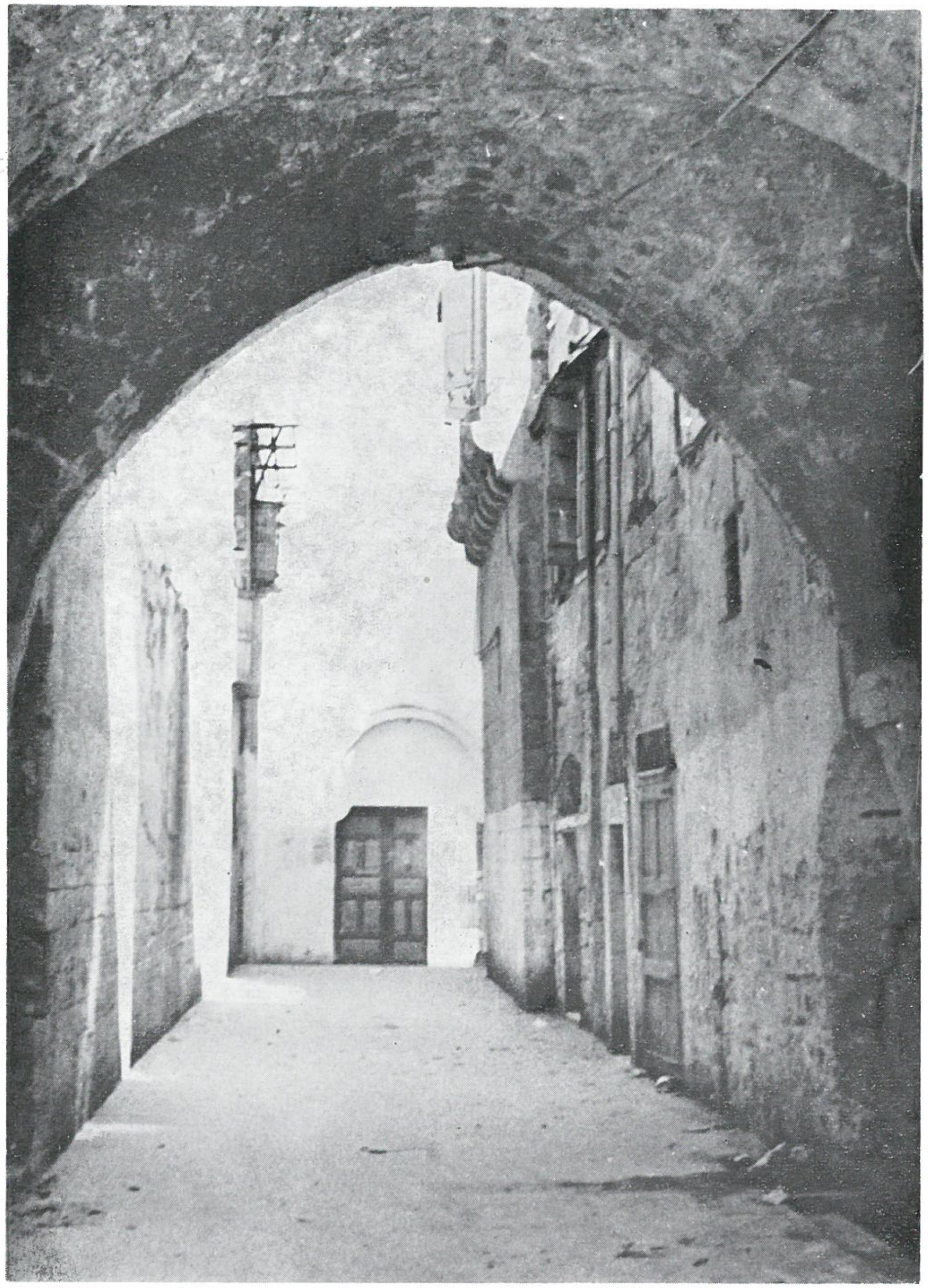

« البوابة الغربية للجامع المنصوري الكبير قبل ازالة الابنية التي على اليسار » (تصوير المؤلف)

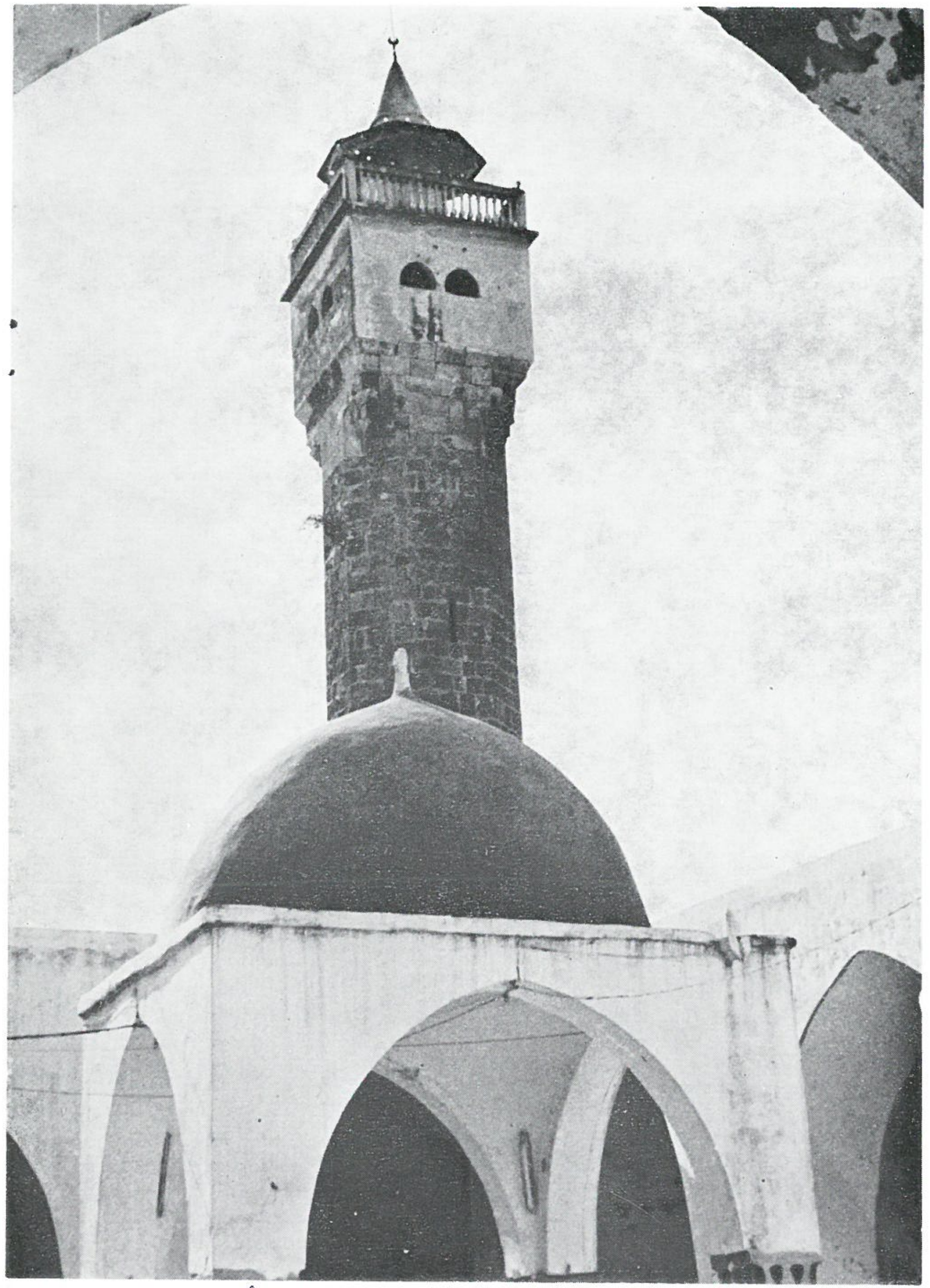

« مئذنة جامع التوبة ، وقبة الميضأة » (تصوير المؤلف)

« الميضأه والقبـة في صحن جـامع التوبـة » (تصوير المؤلف)

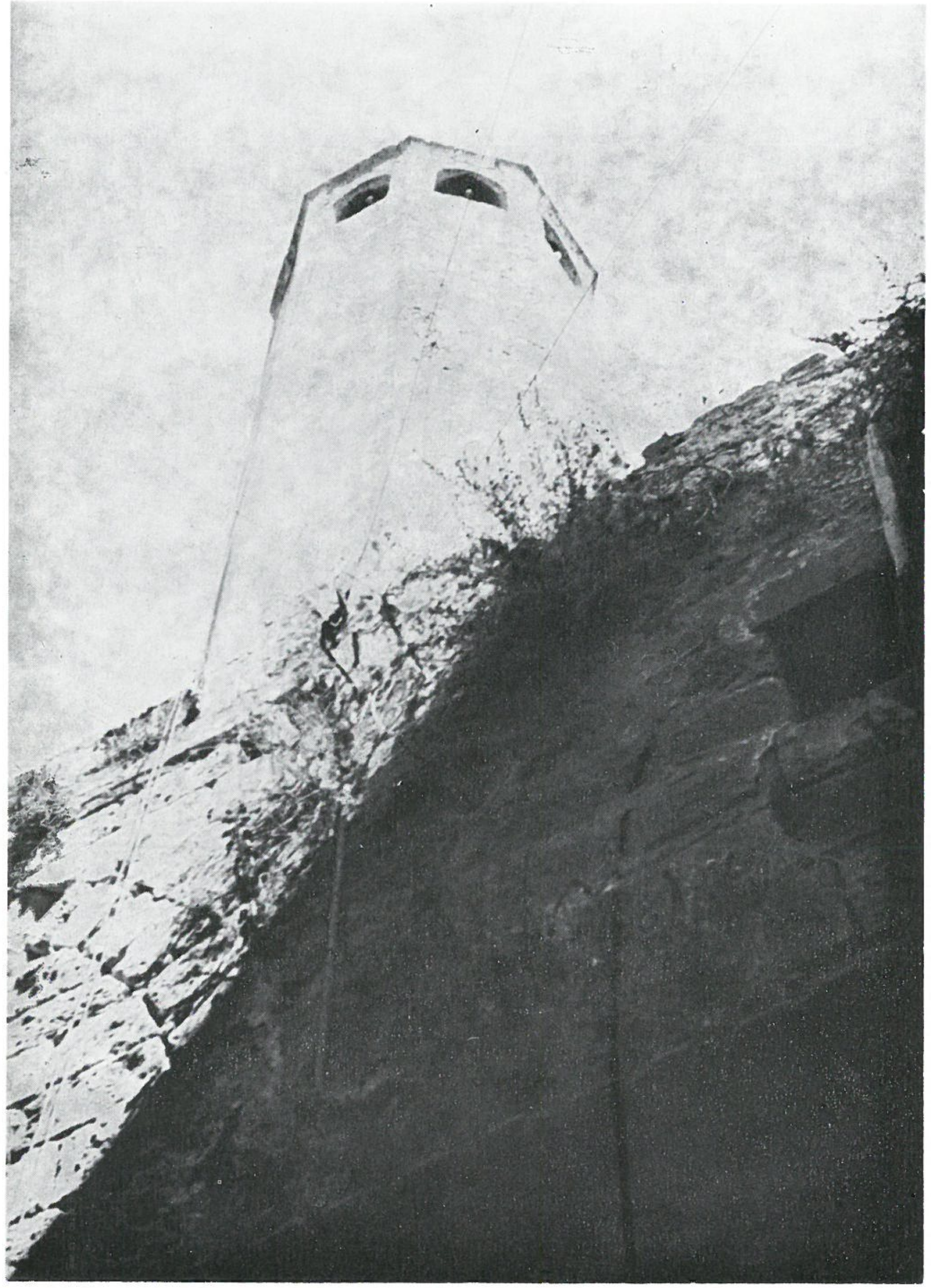

« مئذنة جامع السيد عبد الواحد » (تصوير المؤلف)

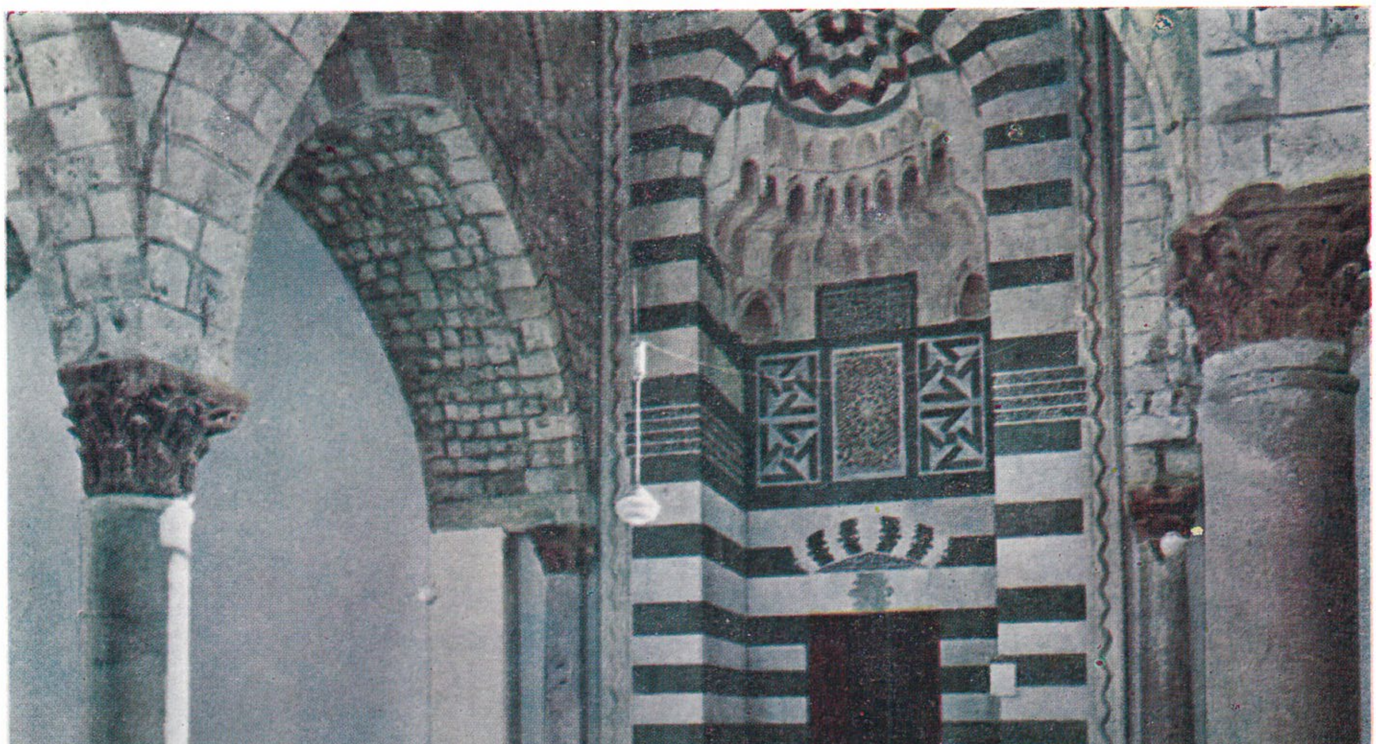

البوابة الداخلية لجامع طينال ، والأعمدة الجرانيتية وتيجانها الرومانية
(تصوير المؤلف)

« برج – مئذنة جامع طينال ، وقبابه »   (تصوير المجلس الوطني لانماء السياحة)

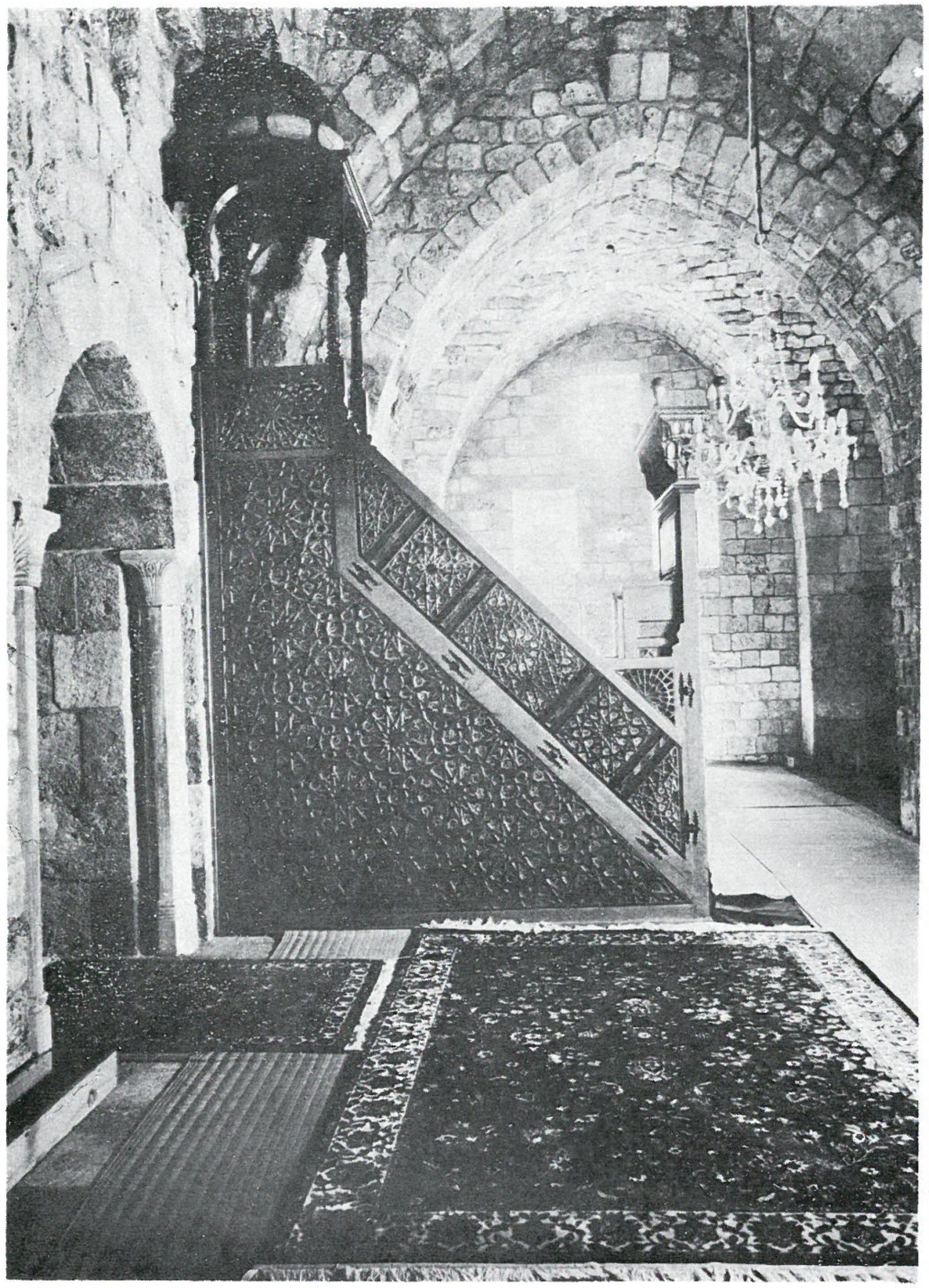

« المنبر والمحراب في جامع طينال » (تصوير المجلس الوطني لانماء السياحة)

مقرنصات ومدليات ، وتربيعة هندسية في البوابة الرئيسية لجامع العطار
(تصوير المؤلف)

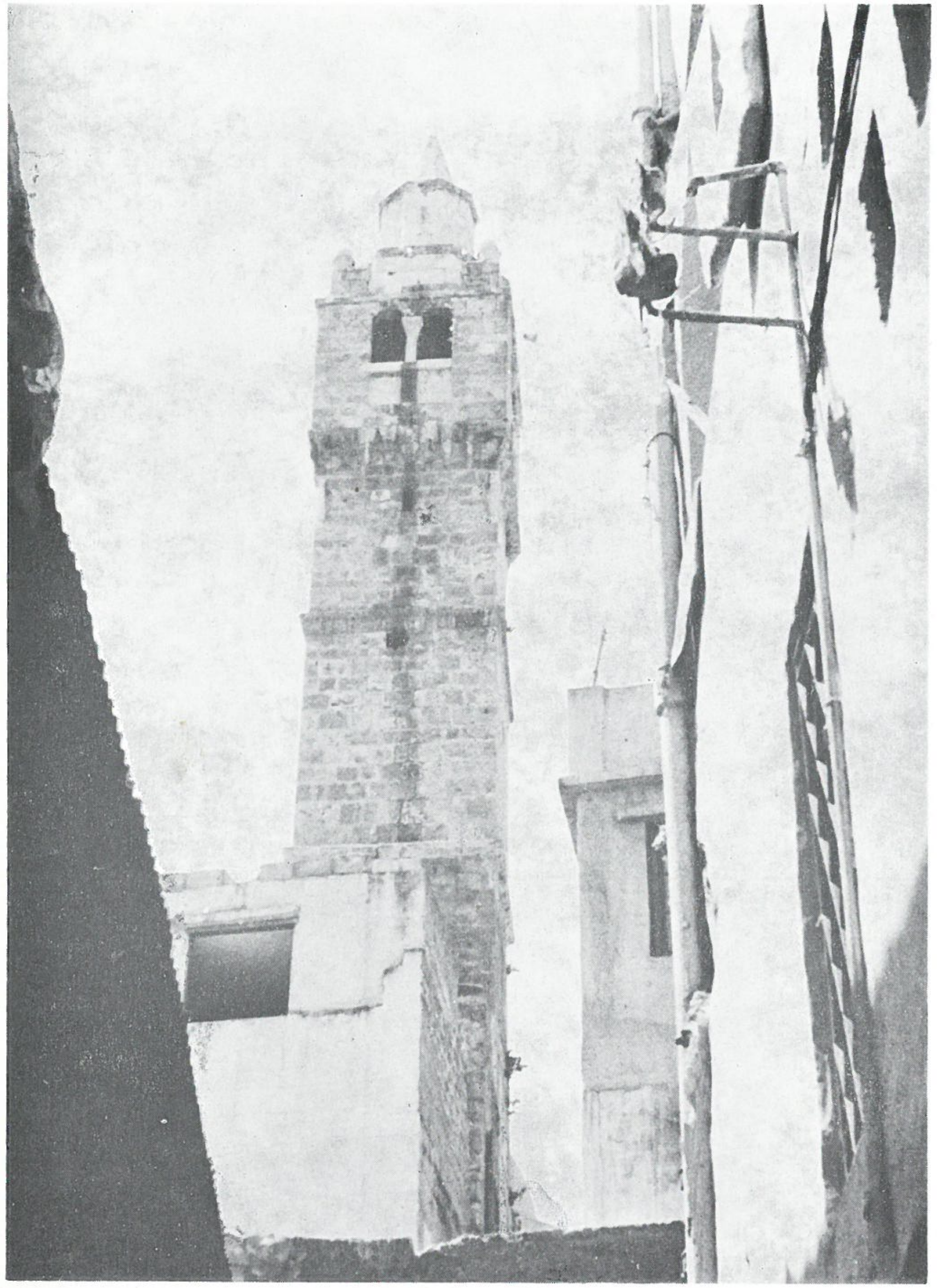

(تصوير المؤلف)

« برج مئذنة جامع العطـــار »

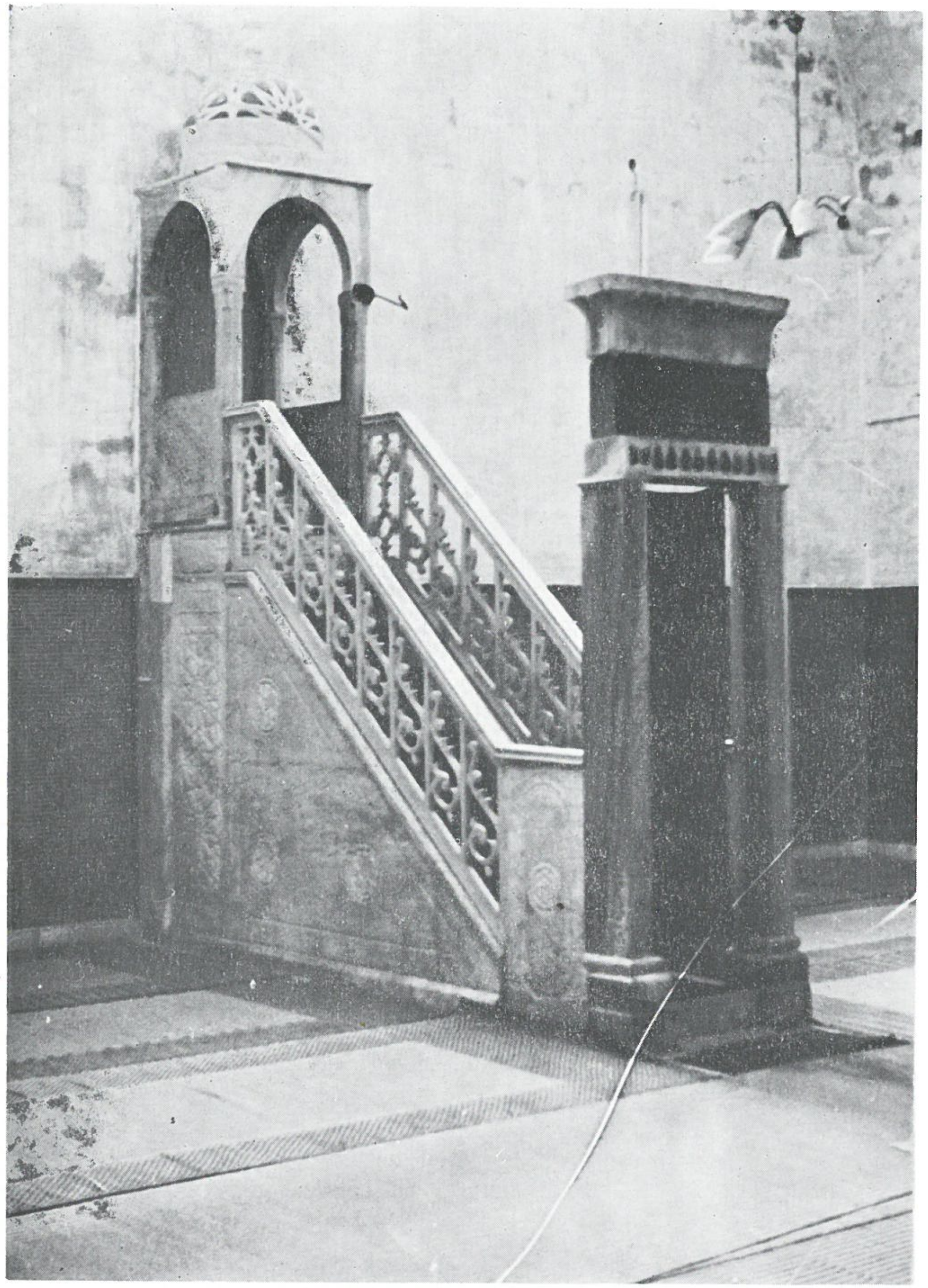

« المنبر الرخامي وقبته التي يعتقد انها جرن مياه المعمودية للكنيسة الصليبية ١٥٧هـ. » (تصوير المؤلف)

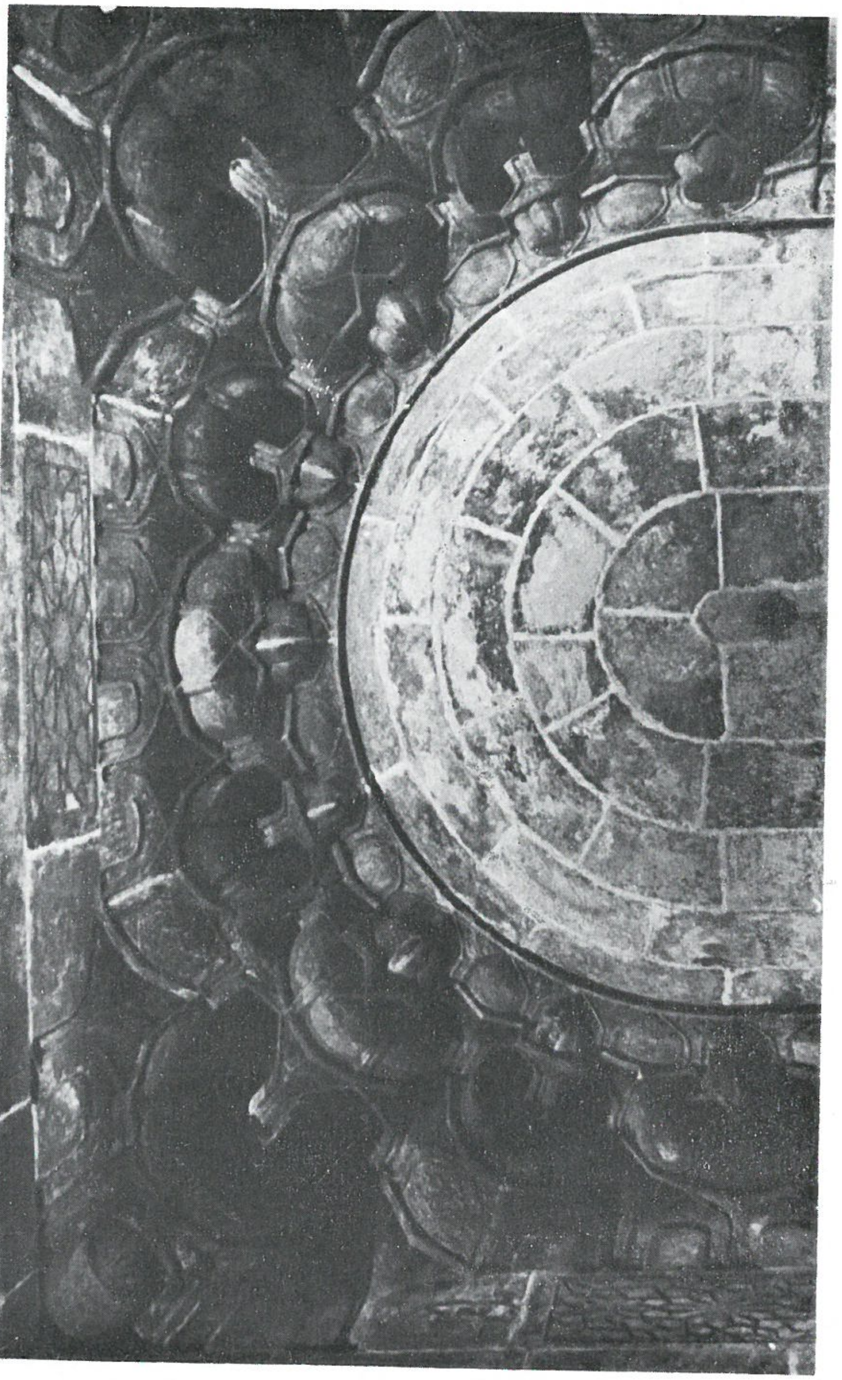

« مقرنصات ومدلّيات البوابة الرئيسية لجامع العطار »
(تصوير المؤلف)

« جامع البرطاسي وجسر السويقة القديم على نهر أبي علي »

« منظر قديم قبل فيضان سنة ١٩٥٥ »

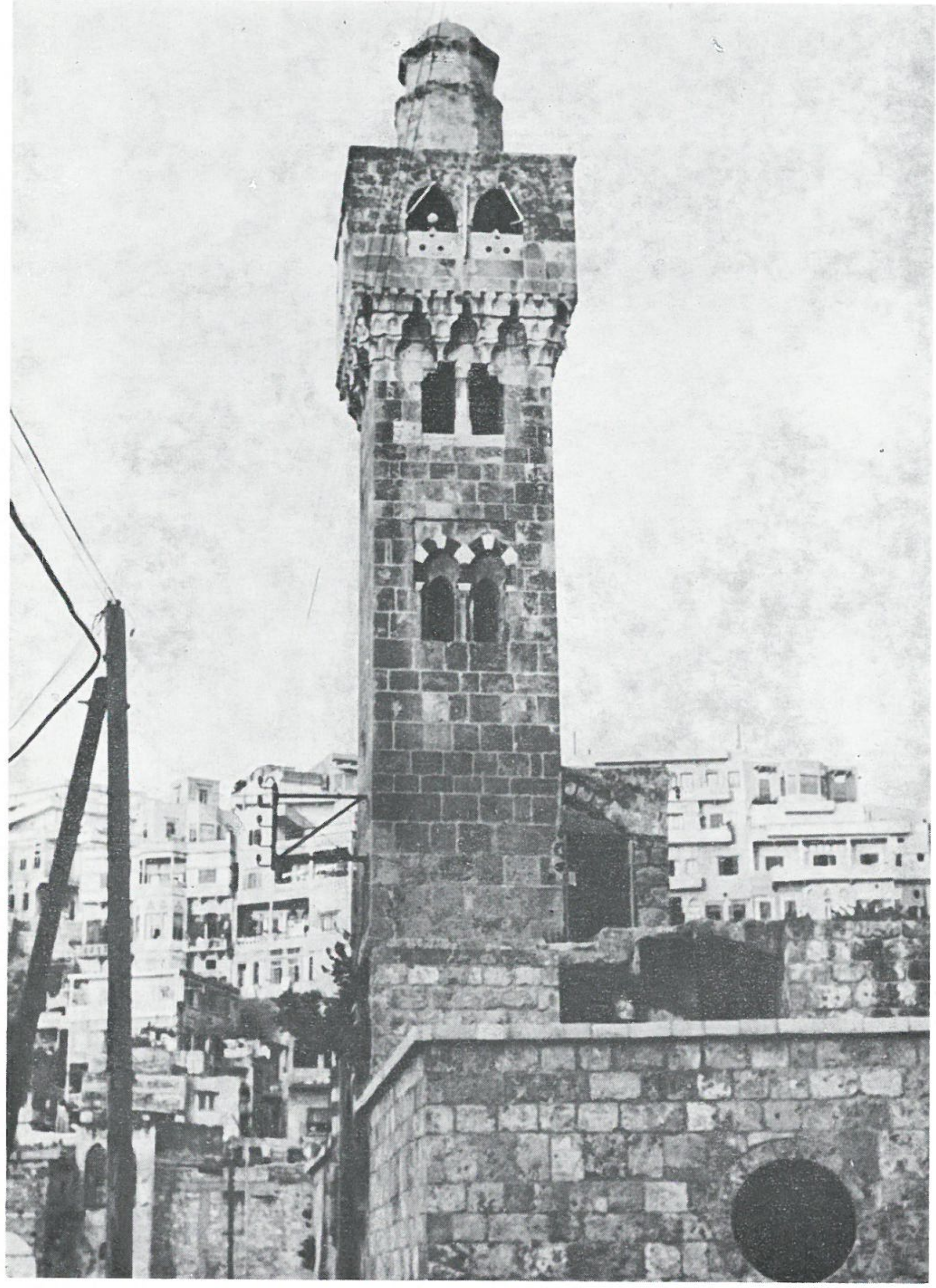

« مئذنة جامع البرطاسي ذات الطراز المغربي الاندلسي » (تصوير المؤلف)

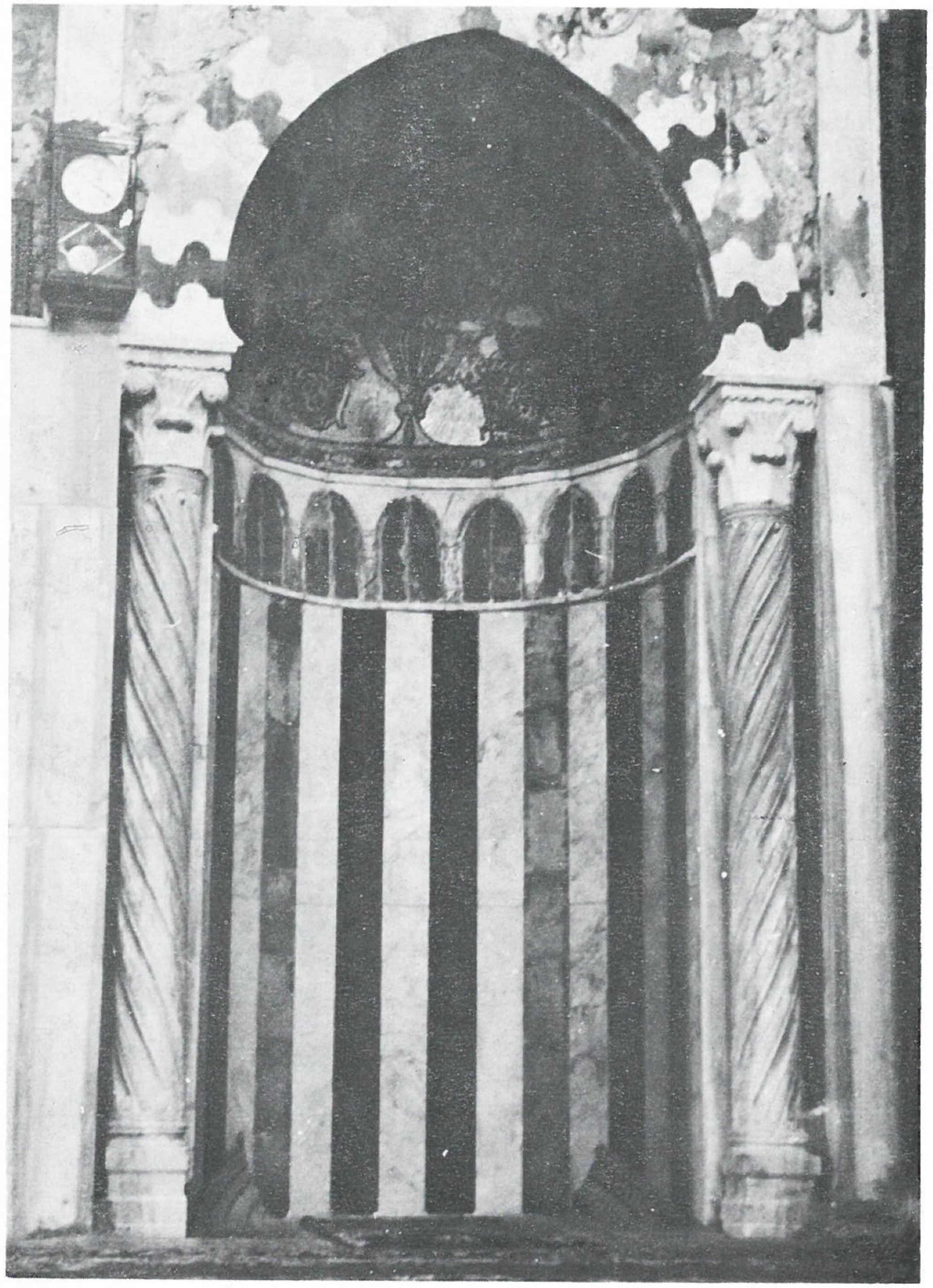

(تصوير المؤلف)

« المحراب الرخامي لجامع البرطاسي »

« مئذنة جامع أرغون شاه وقسم من البوابة الشرقية ، والقبة » (تصوير المؤلف)

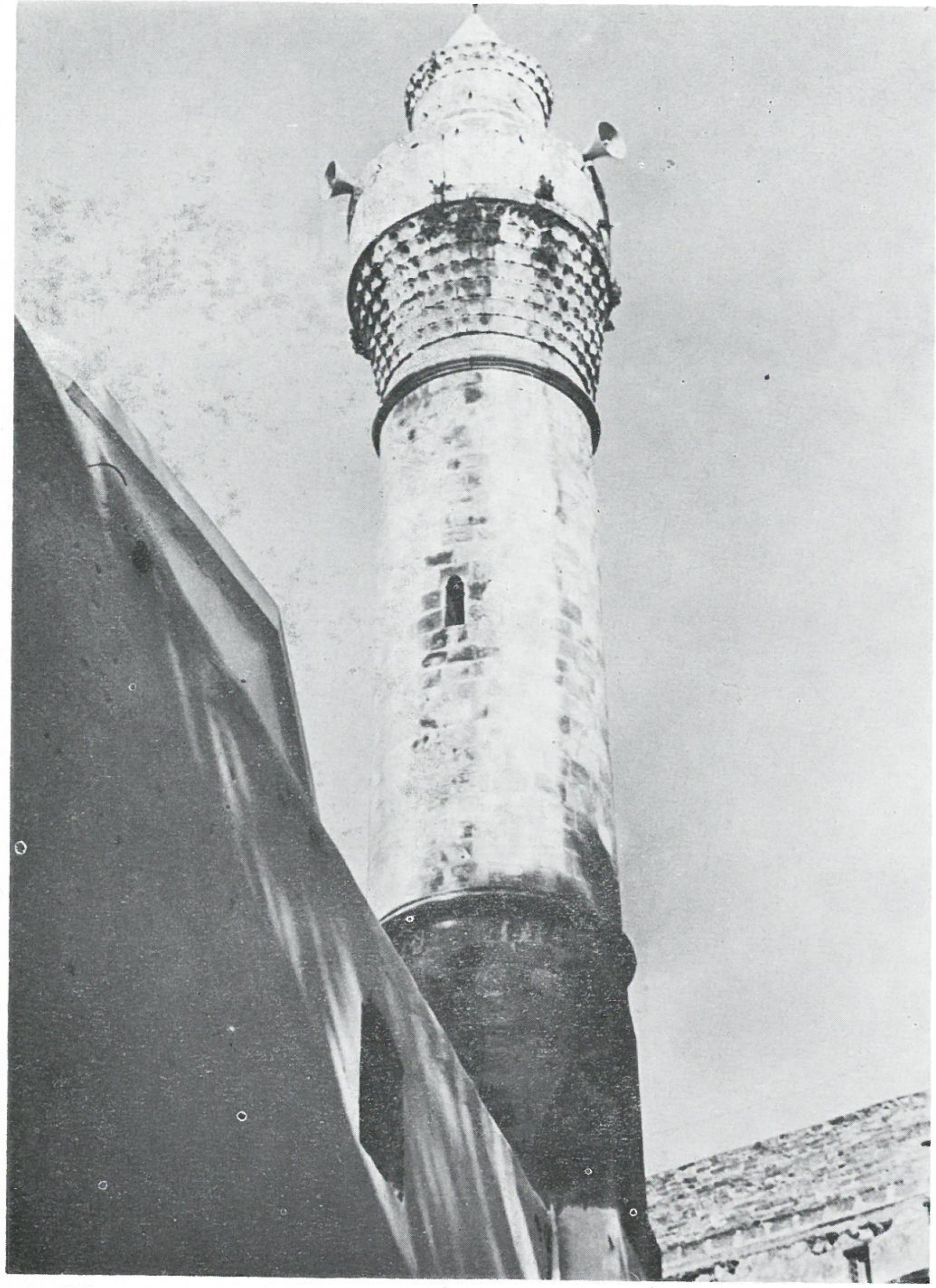

« مئذنة جامع الأويسية » (تصوير المؤلف)

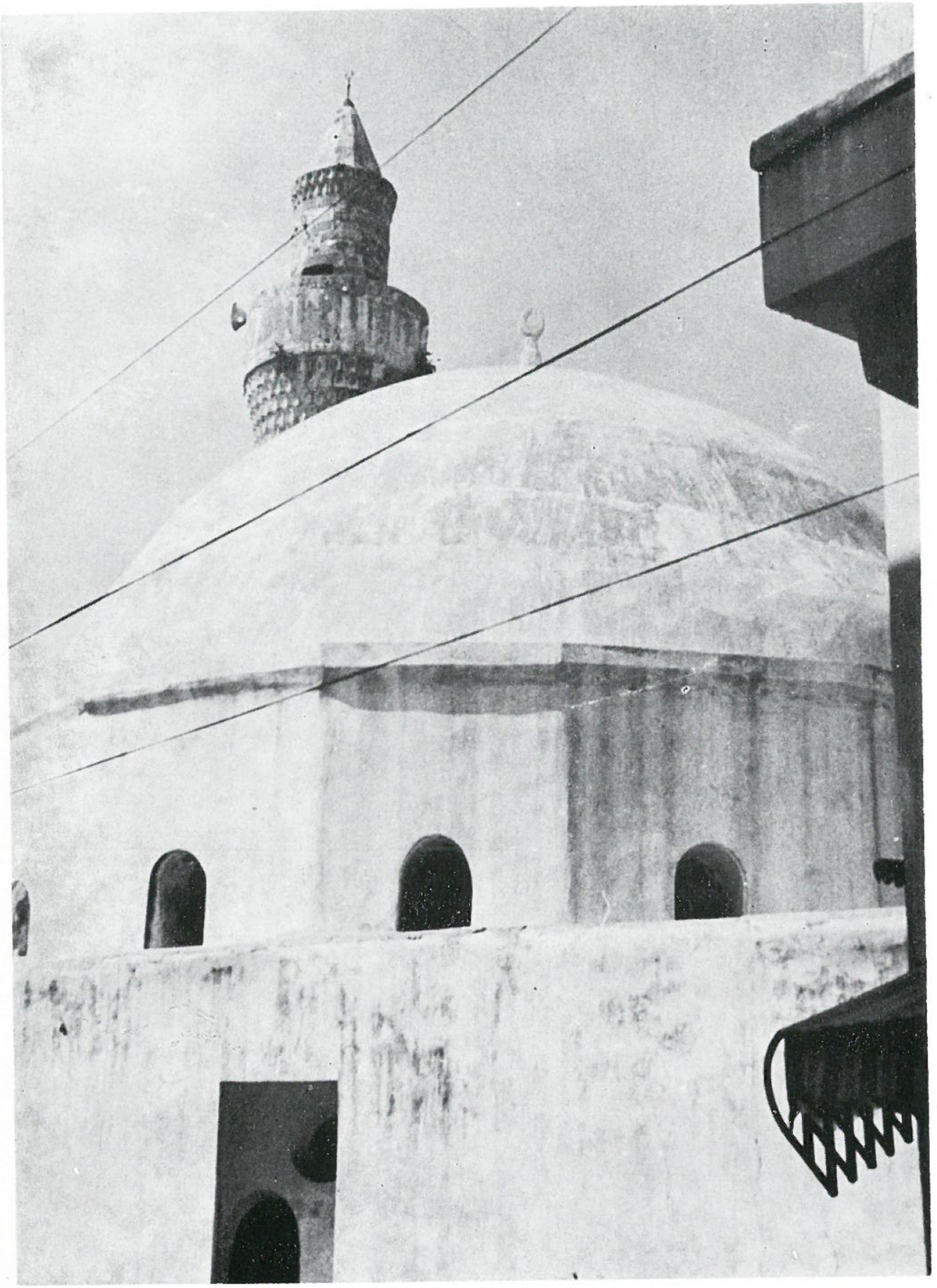

« القبـة الضخمة ورأس جـامع الأويسية »

(تصوير المؤلف)

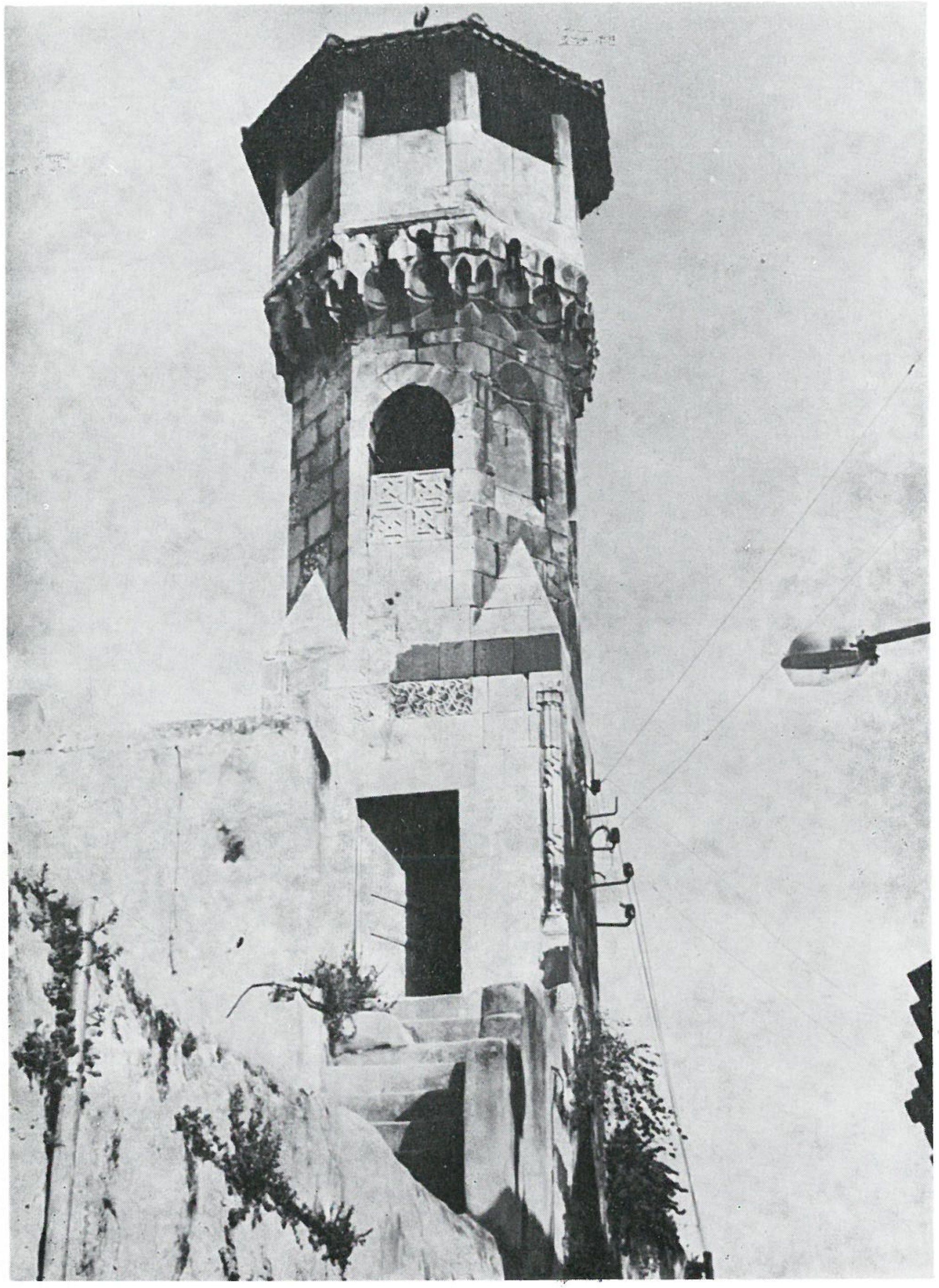

« مئذنة جامع الطحام وزخرفتها الرائعة » (تصوير المؤلف)

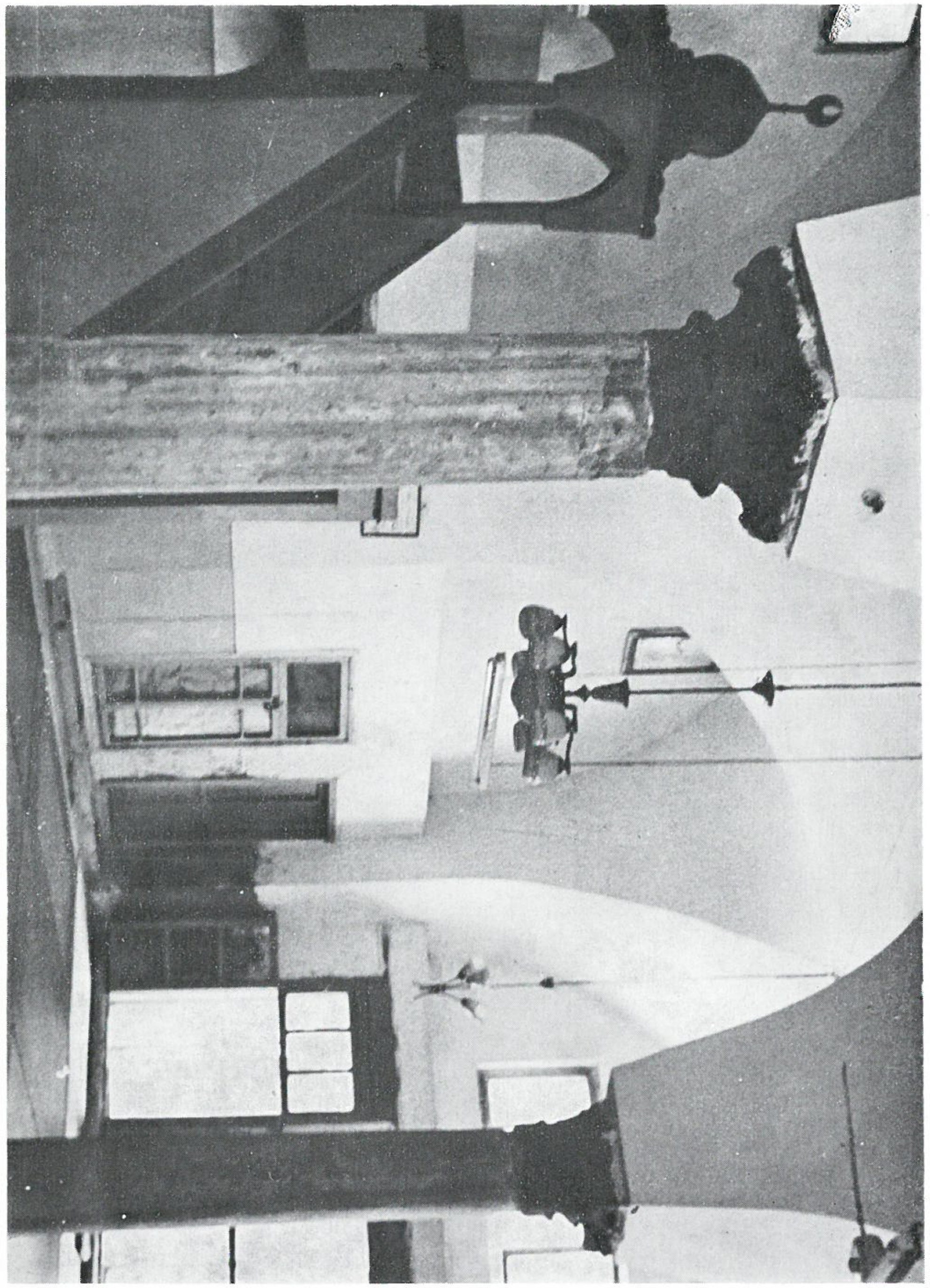

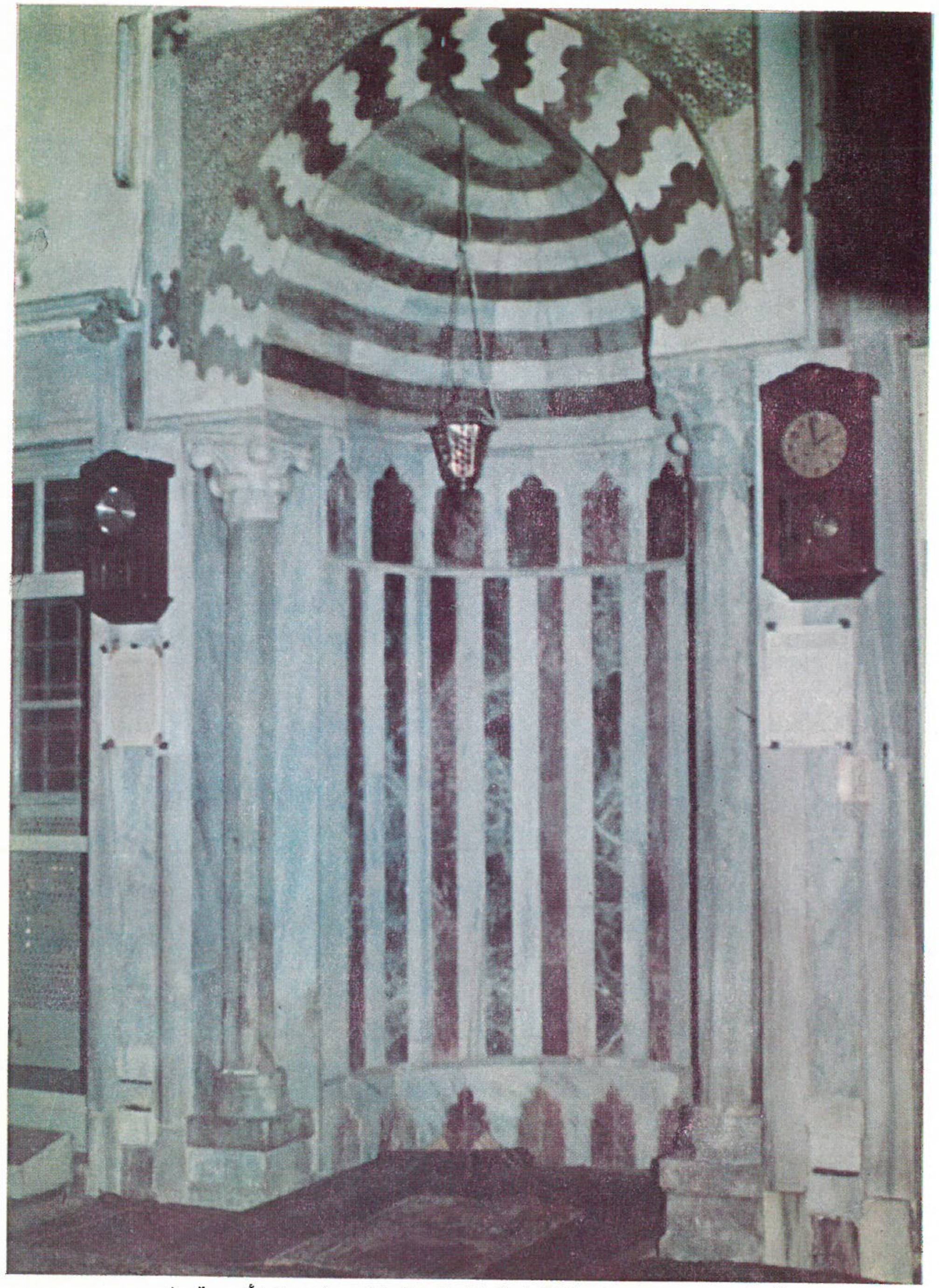

فسيفساء وسنجات متعاشقة فوق المحراب الرخامي لمدرسة الأمير قرطاي

(تصوير المؤلف)

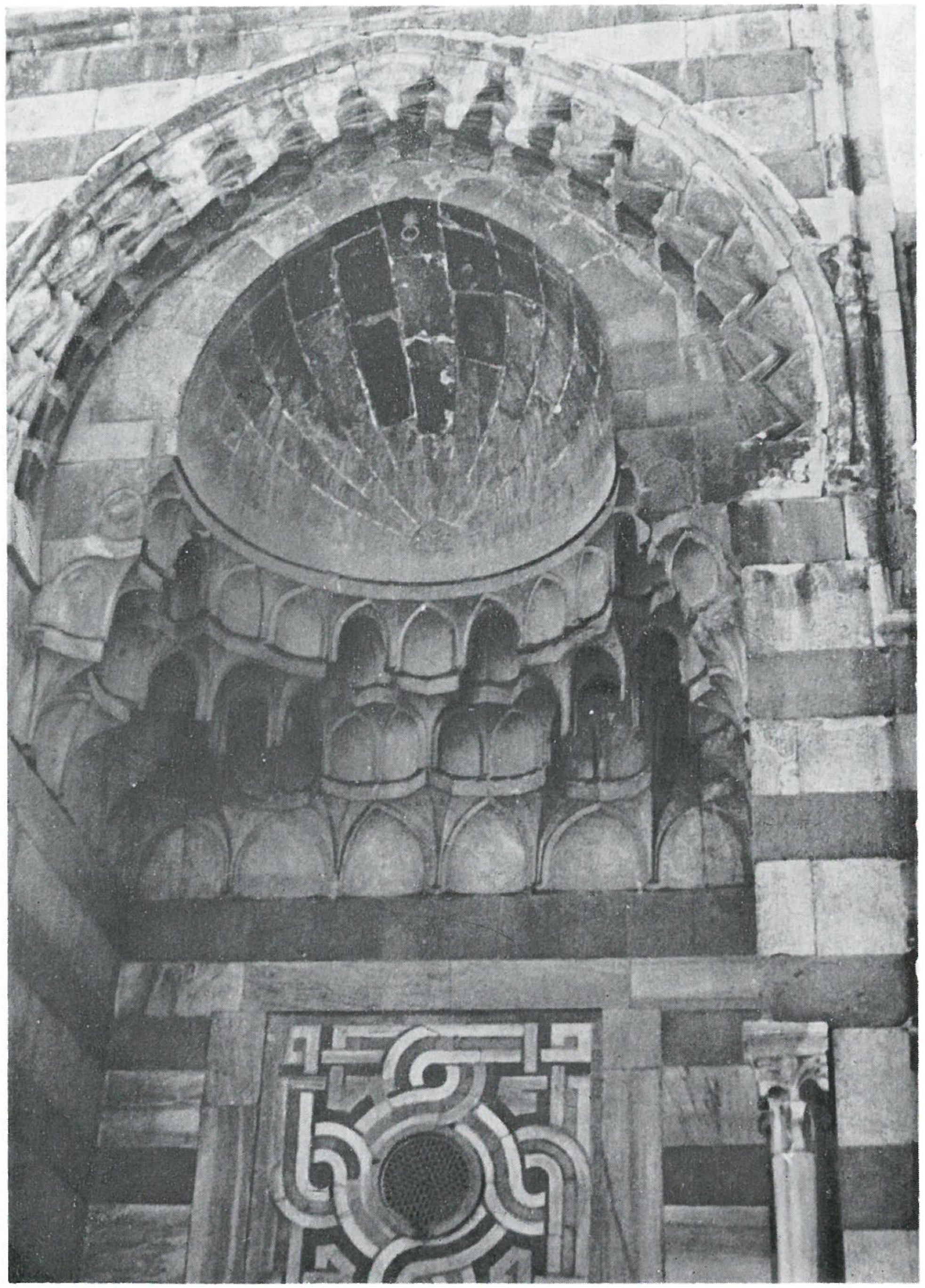

« البوابة الرئيسية لمدرسة الأمير قرطاي الأشرفي » (تصوير المؤلف)

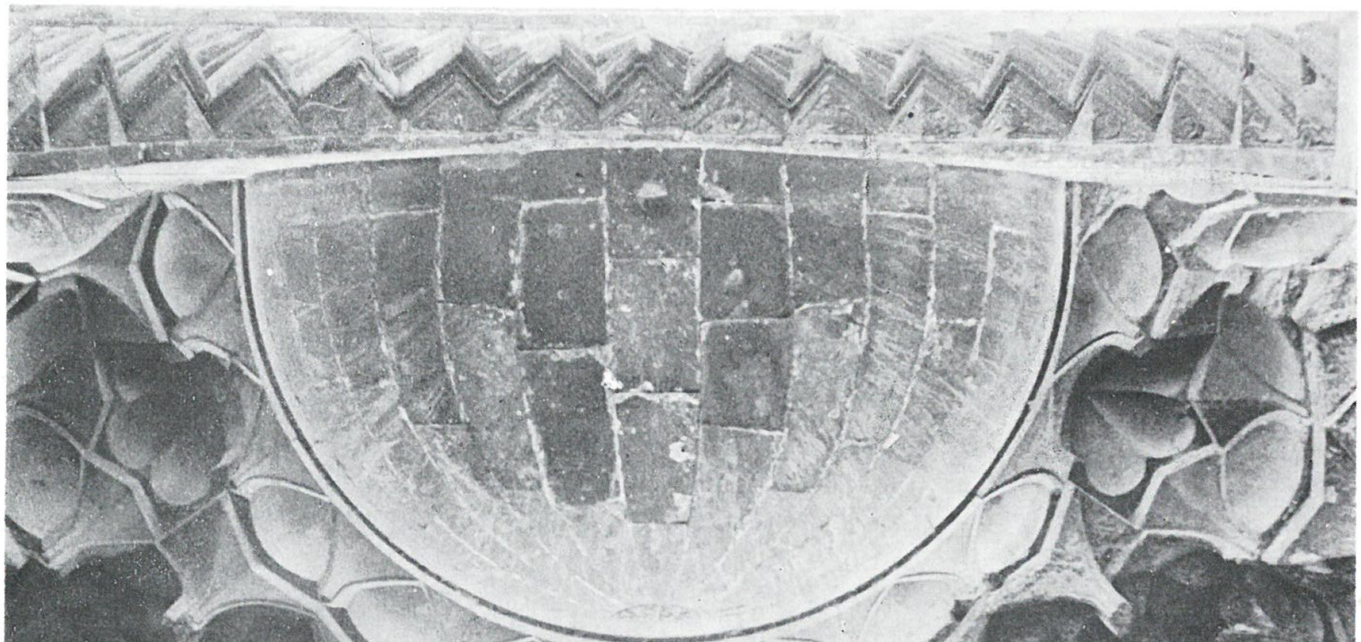

« مقرنصات ومدلّيات البوابة الرئيسية لمدرسة الأمير قرطاي » (تصوير المؤلف)

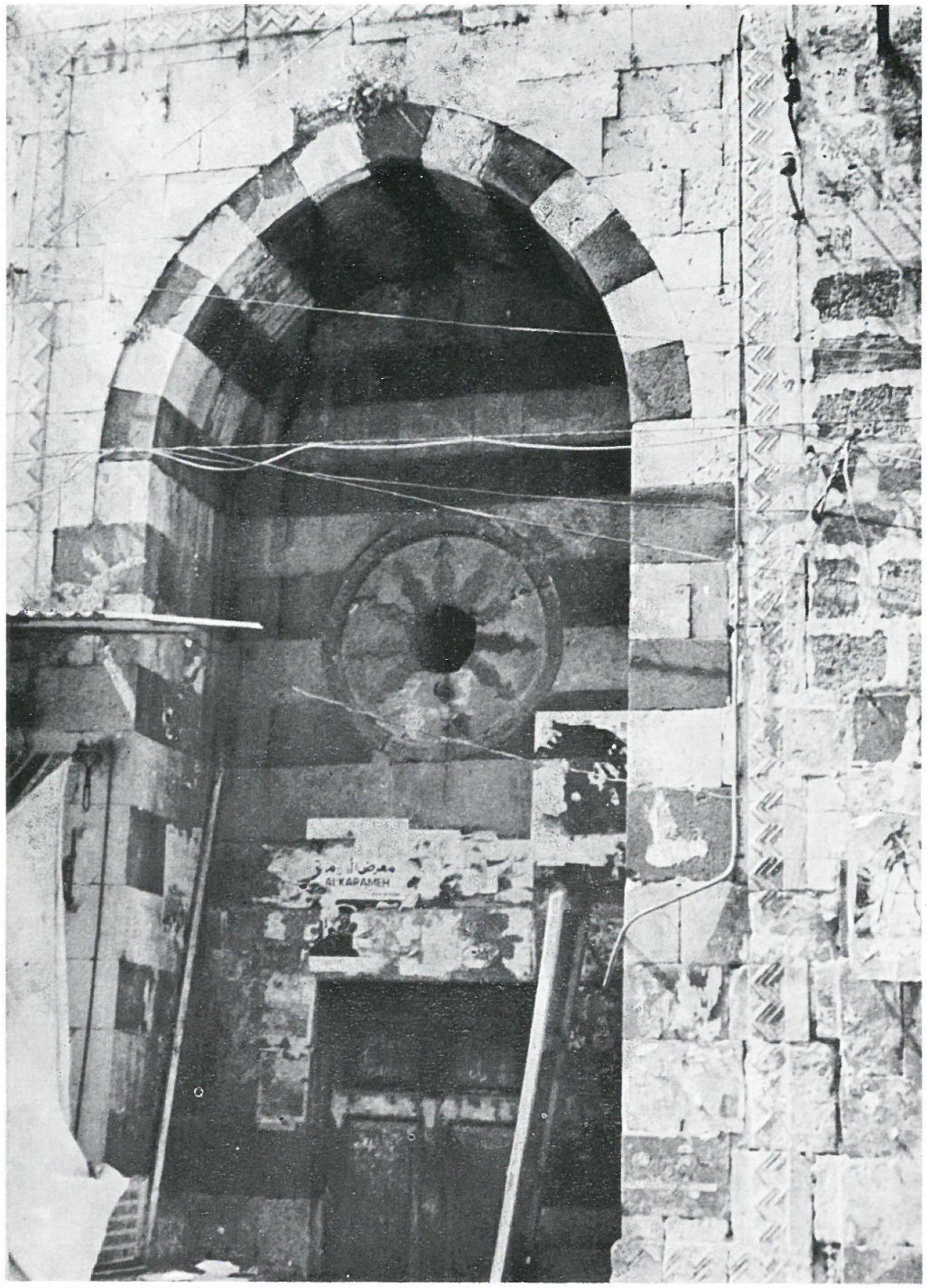

« بوابة المدرسة النورية »

(تصوير المؤلف)

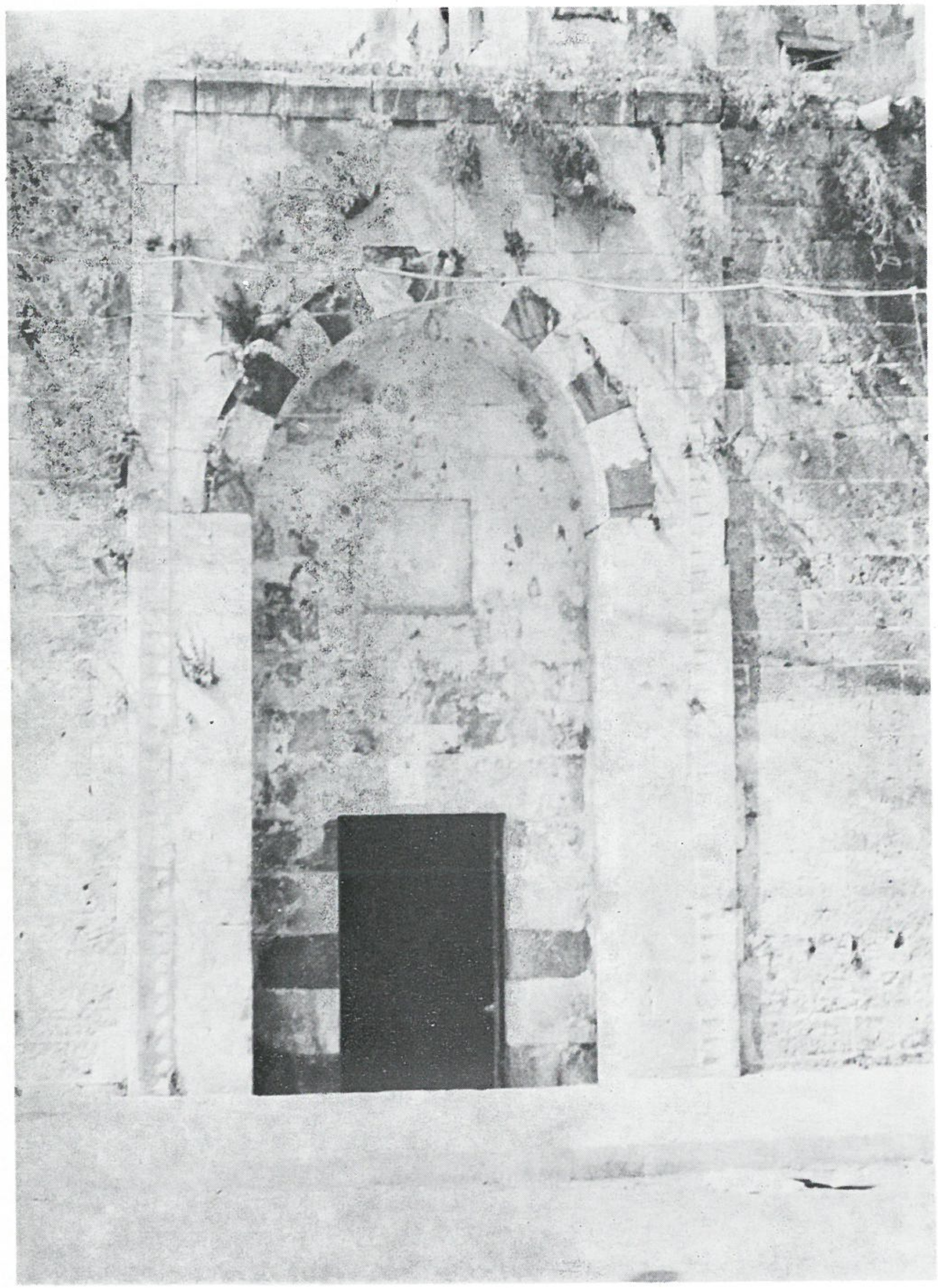

« بوابة مدرسة الخيرية حسن »

(تصوير المؤلف)

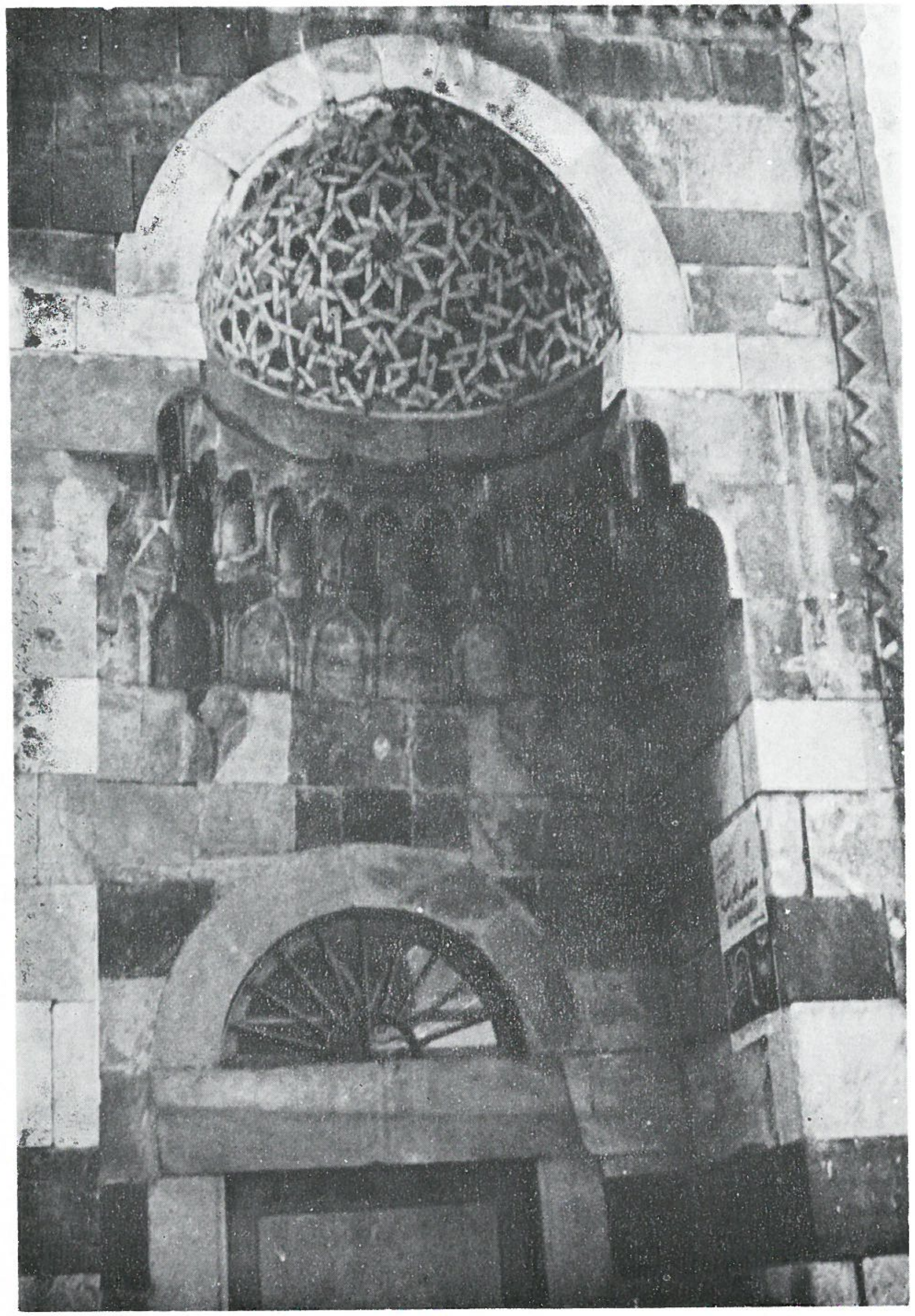

(تصوير المؤلف)

« بوابة مدرسة المشهد (الأثرية) »

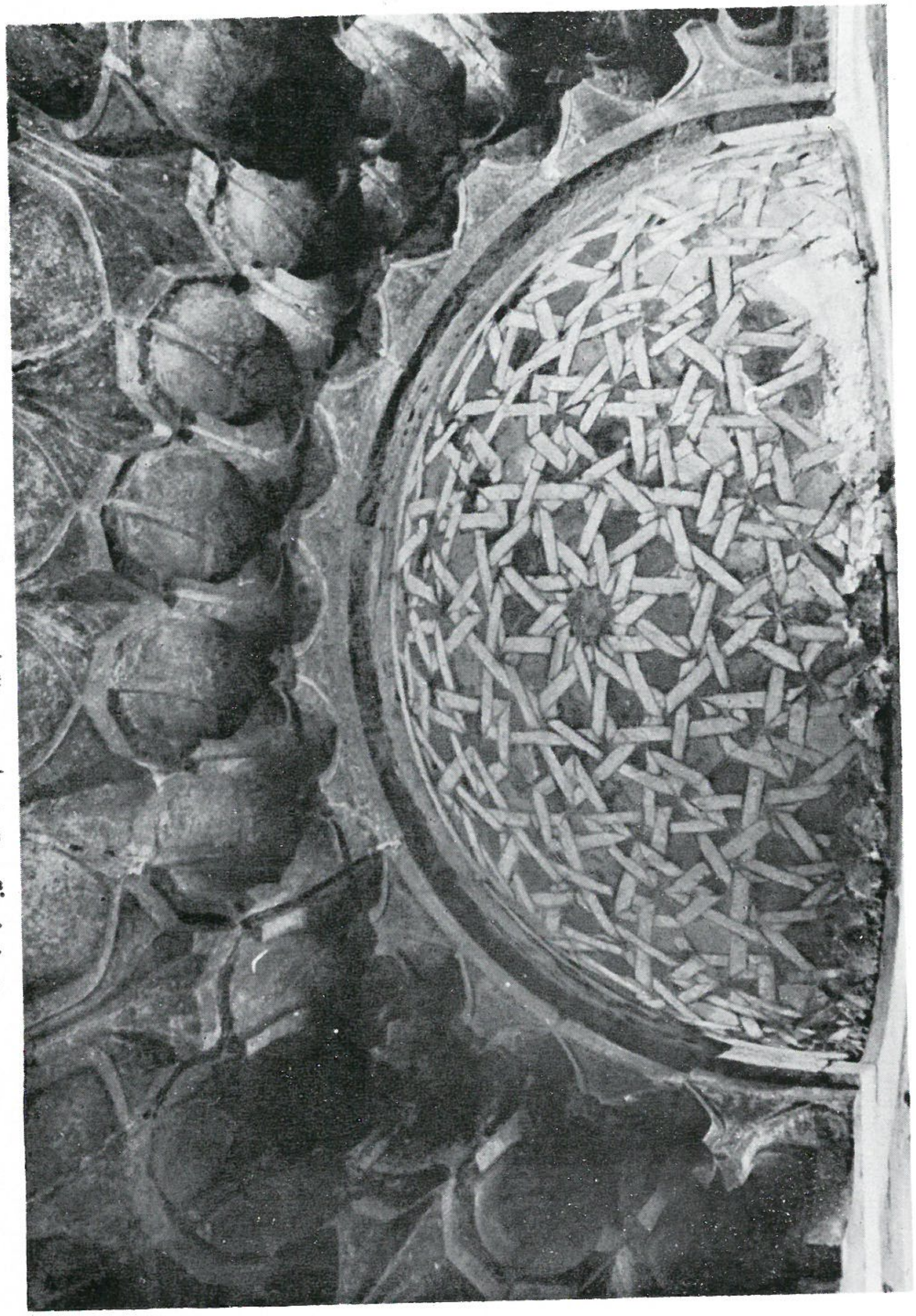

« زخرفة ومقرنصات ومدليات في بوابة مدرسة الشهيد »
(تصوير المؤلف)

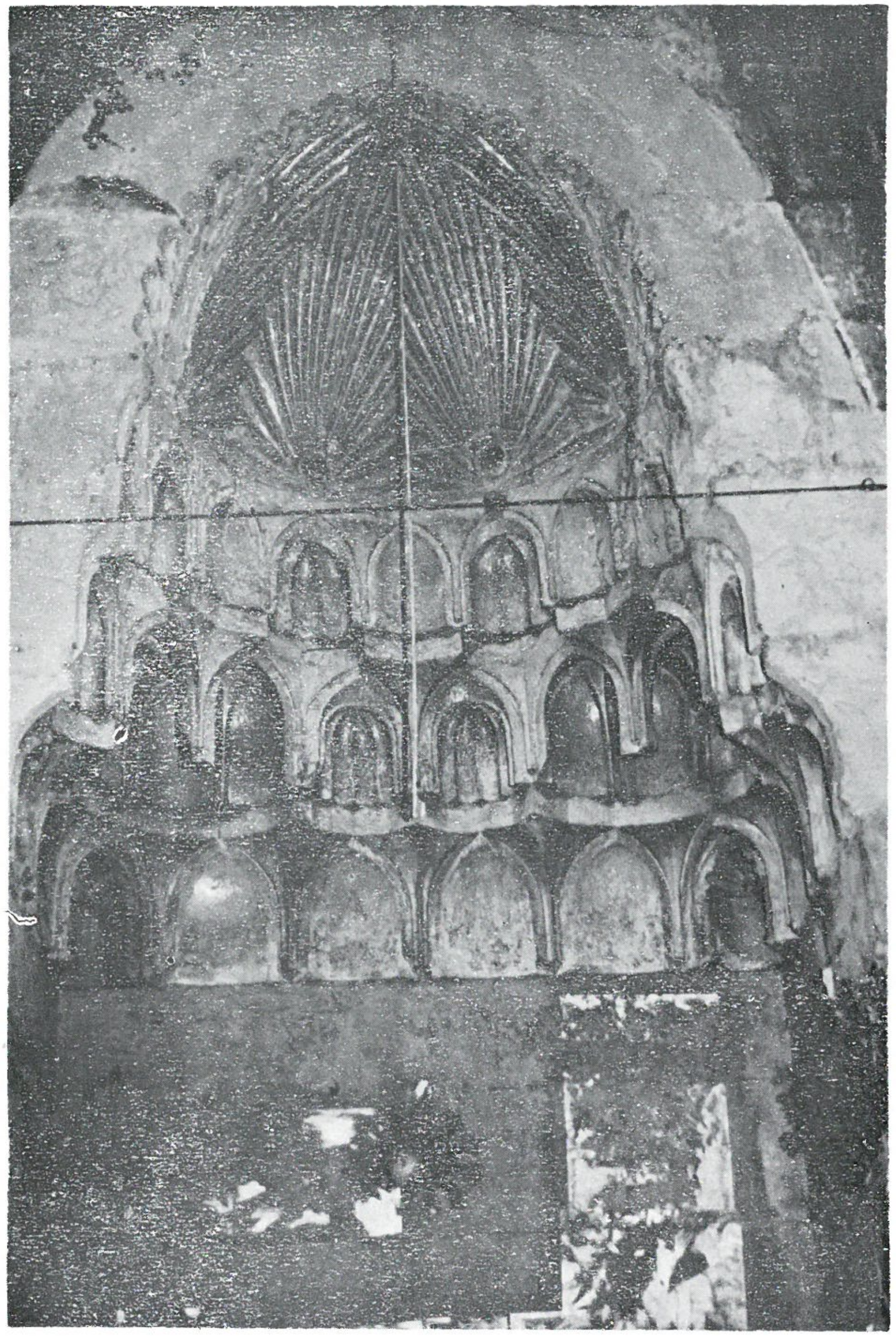

« بوابة المدرسة الطواشية وشعاعاتها الرائعة » (تصوير المؤلف)

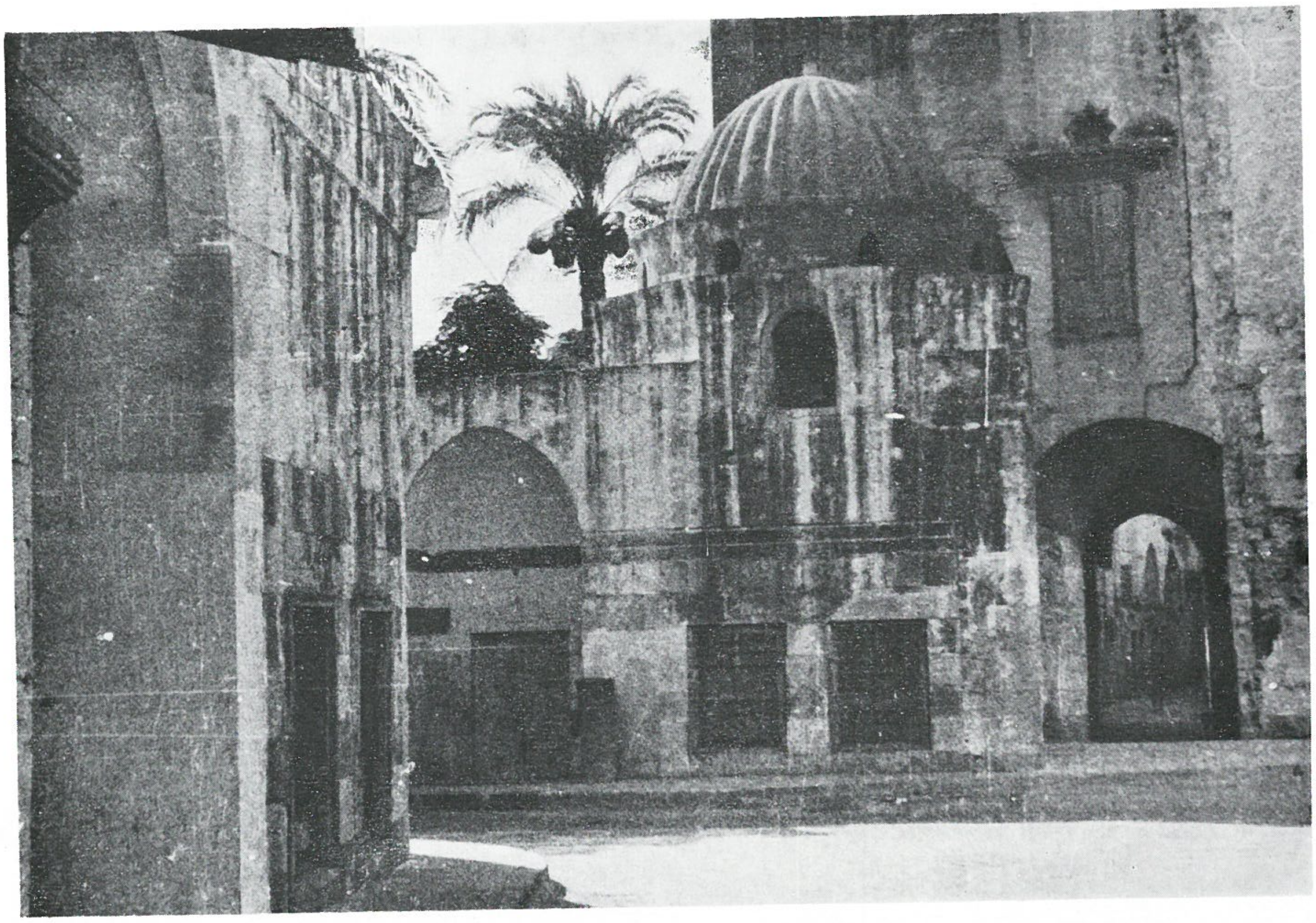

« المدرسة السفرقية بقبتها المفصصة ، ووقفيتها التاريخية وعلى اليسار يبدو قسم من المدرسة الخاتونية »

(تصوير المؤلف)

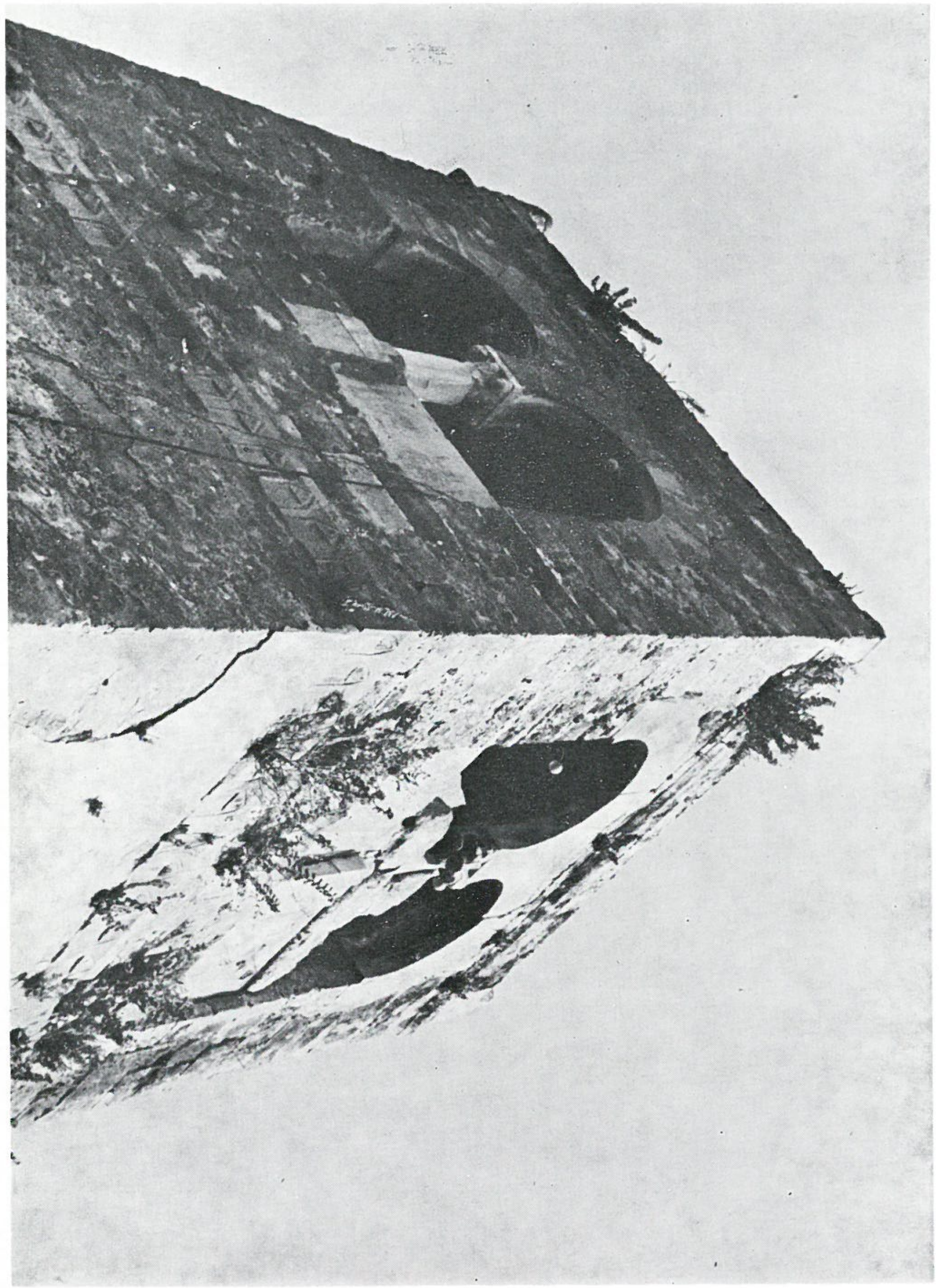

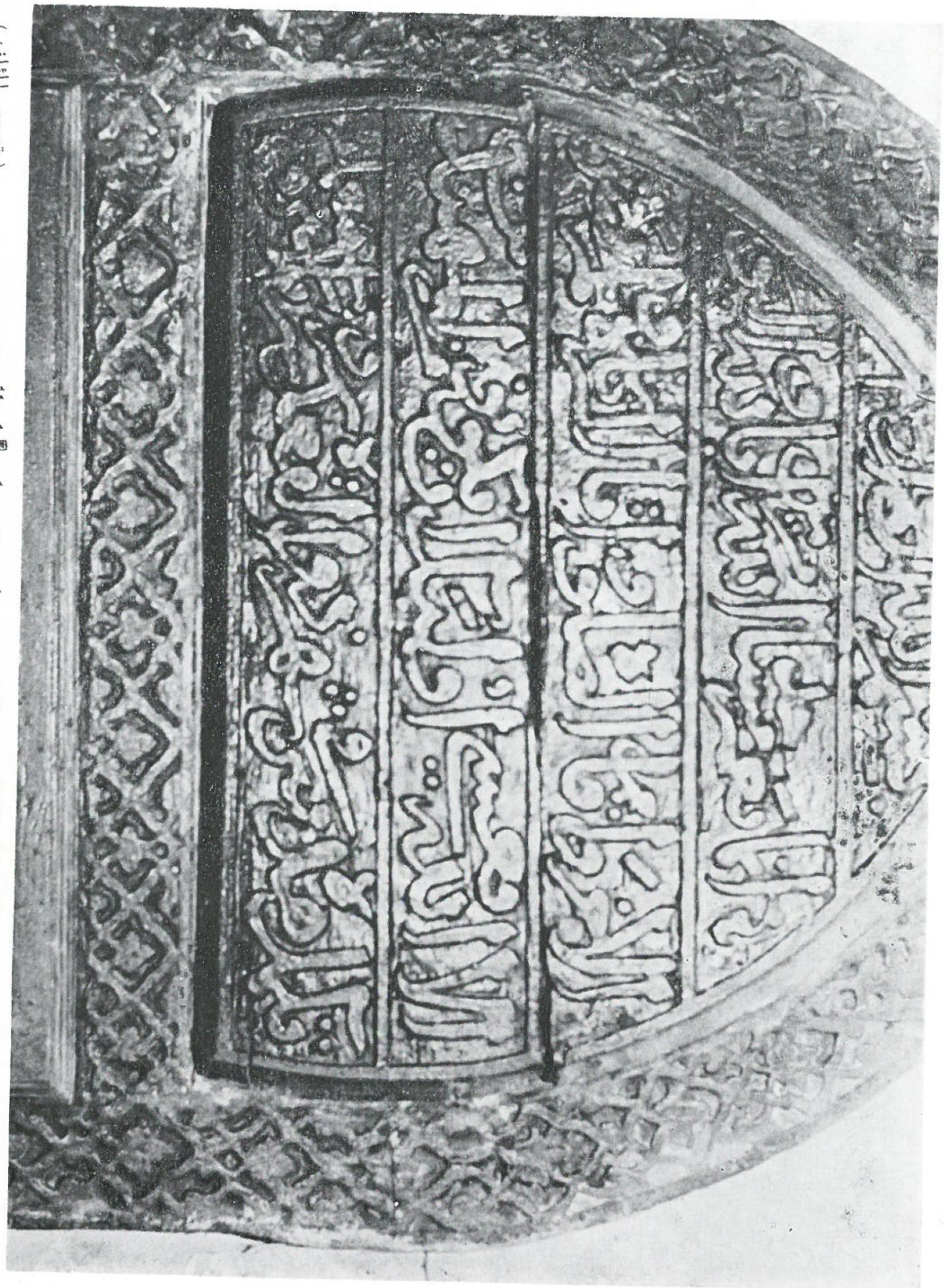

« الكتابة التاريخية المنقوشة على منبر جامع طينال » (تصوير المؤلف)

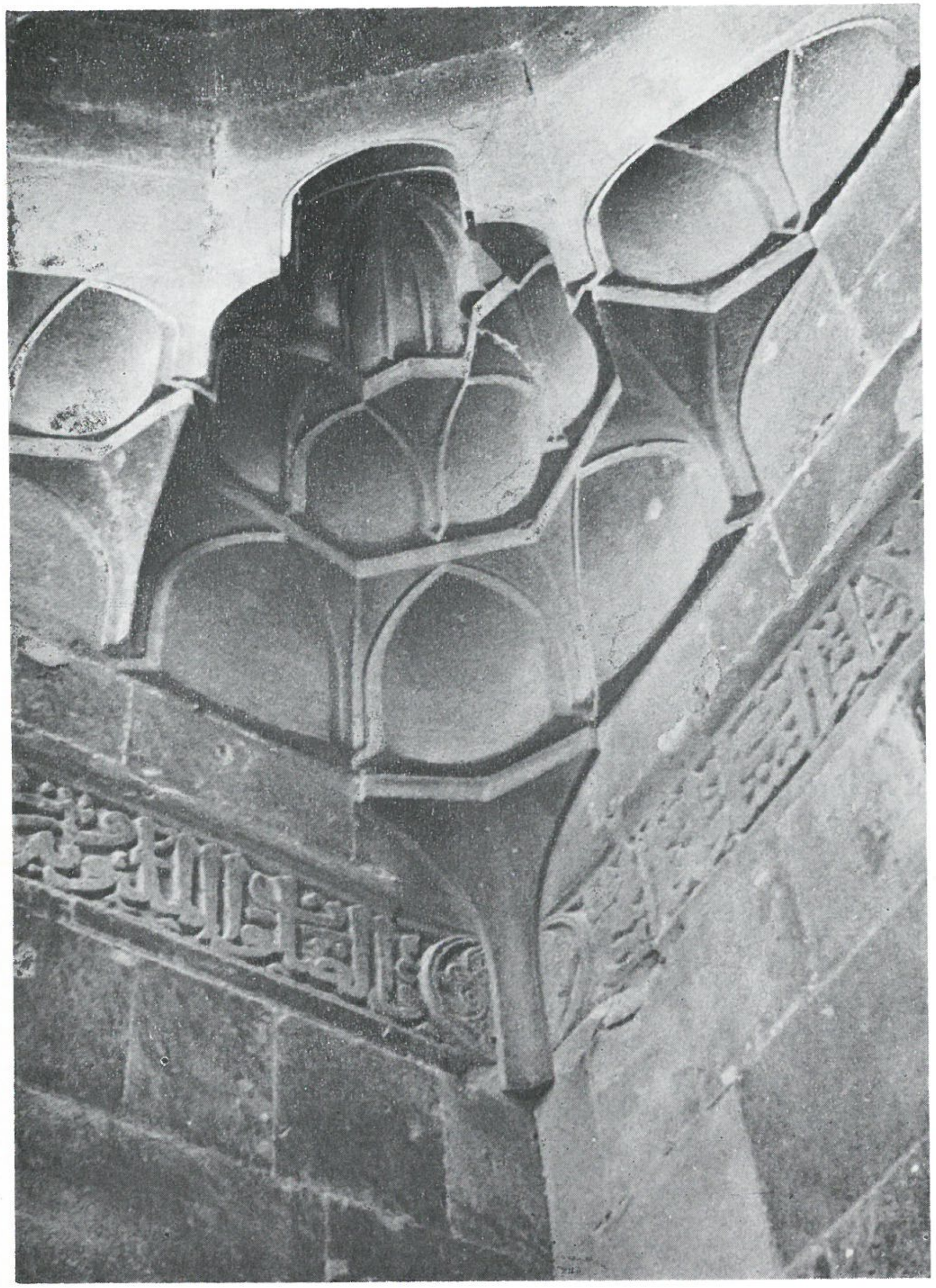

« زاوية من بوابة جامع البرطاسي » (تصوير المؤلف)

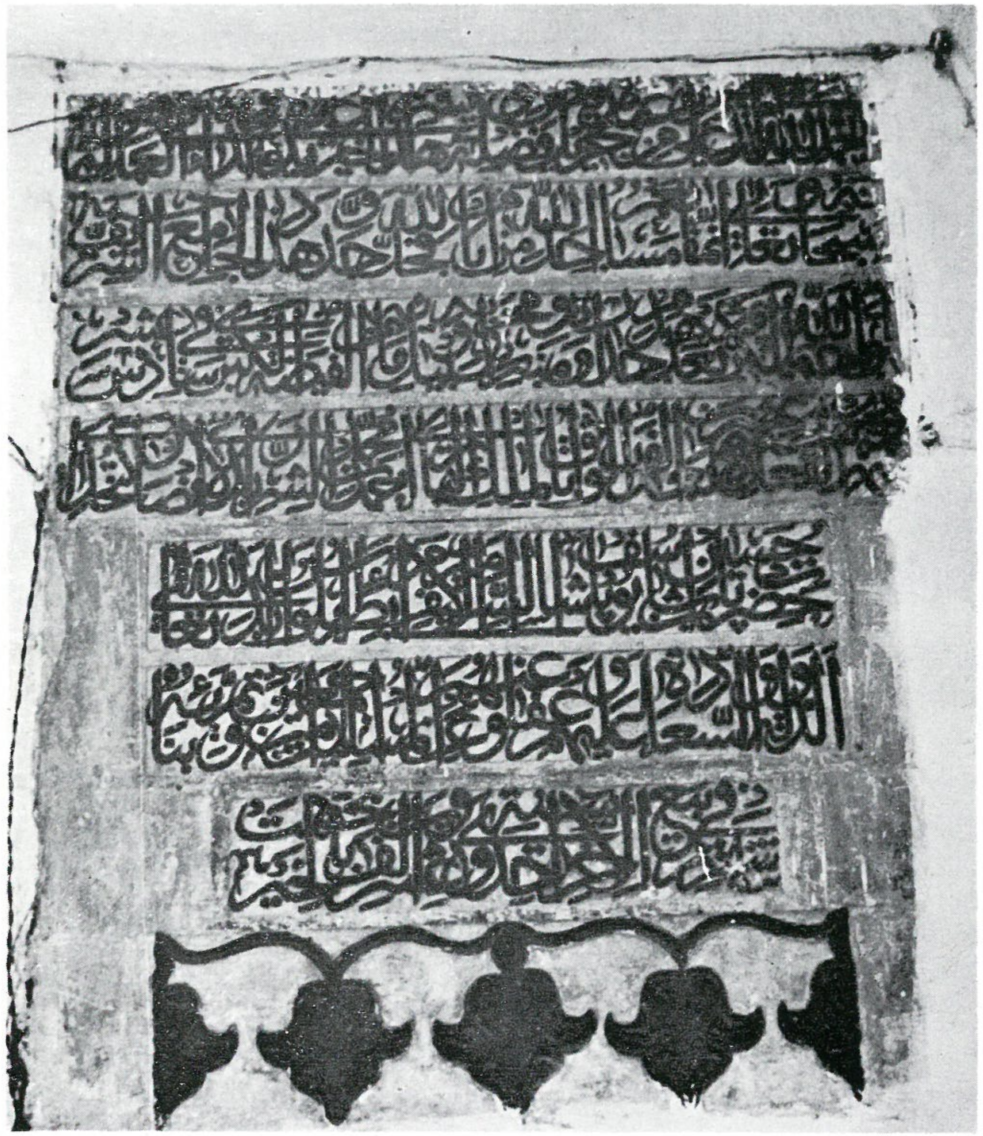

« الكتابة التاريخية لتجديد بناء حرم جامع التوبة ١٠٢١ هـ. » (تصوير المؤلف)

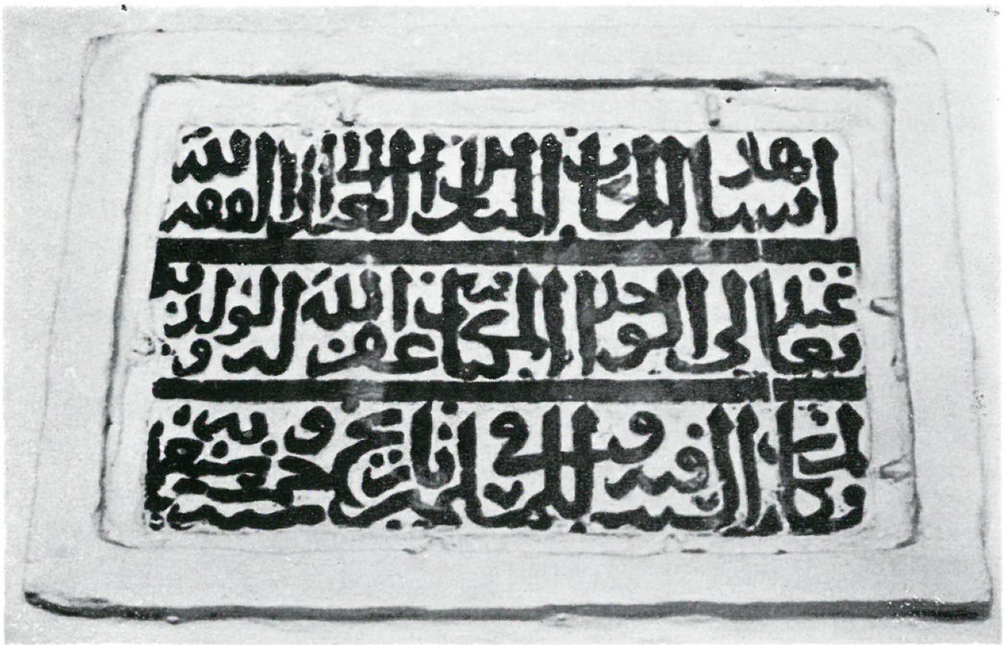

« الكتابة التاريخية لبناء جامع السيد عبد الواحد ٧٠٥هـ. »

(تصوير المؤلف)

« الكتابة التاريخية لبناء أروقة الجامع المنصوري الكبير
في عهـد الملك الناصر محمد بن قلاوون ٧١٥هـ. »

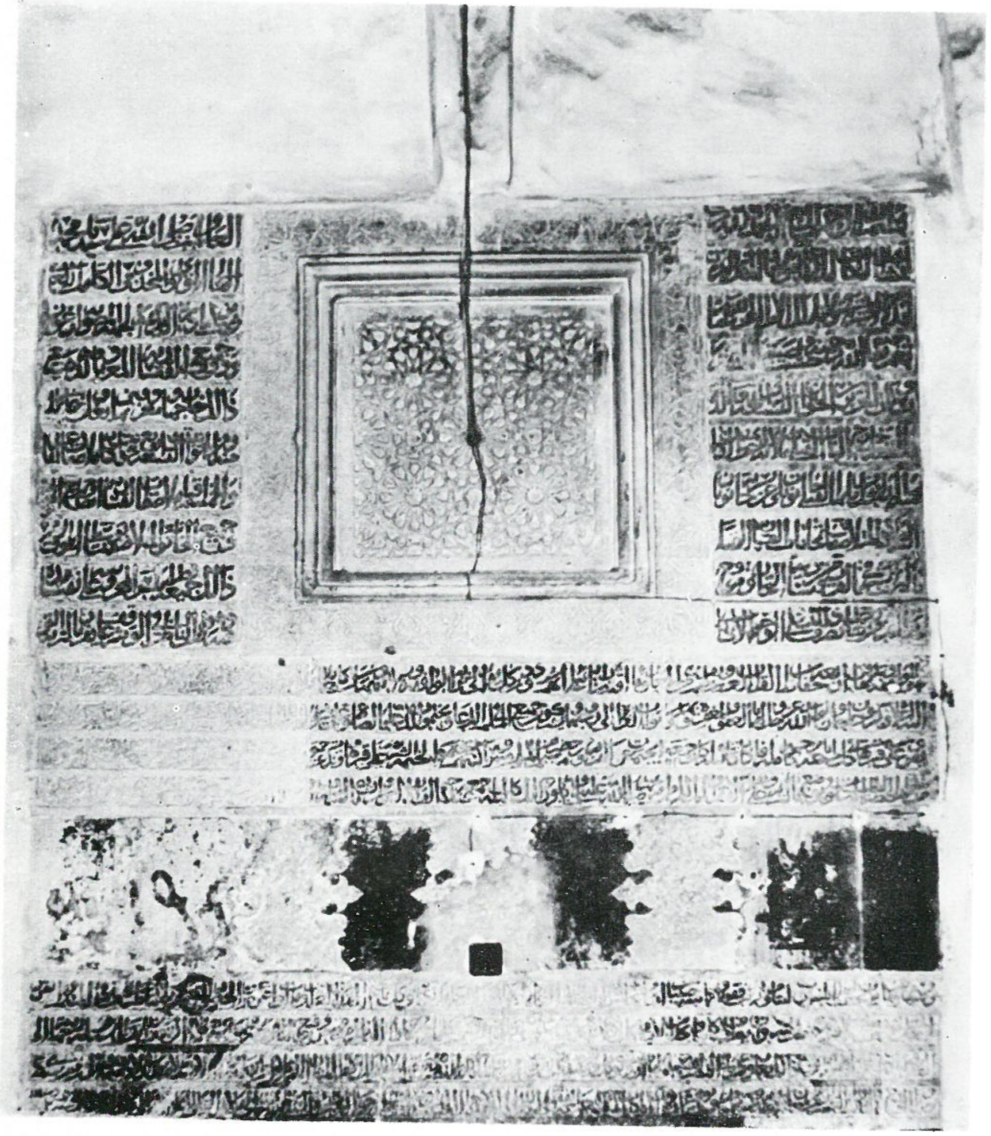

(تصوير المؤلف)

« وقفية المدرسة الخاتونية »

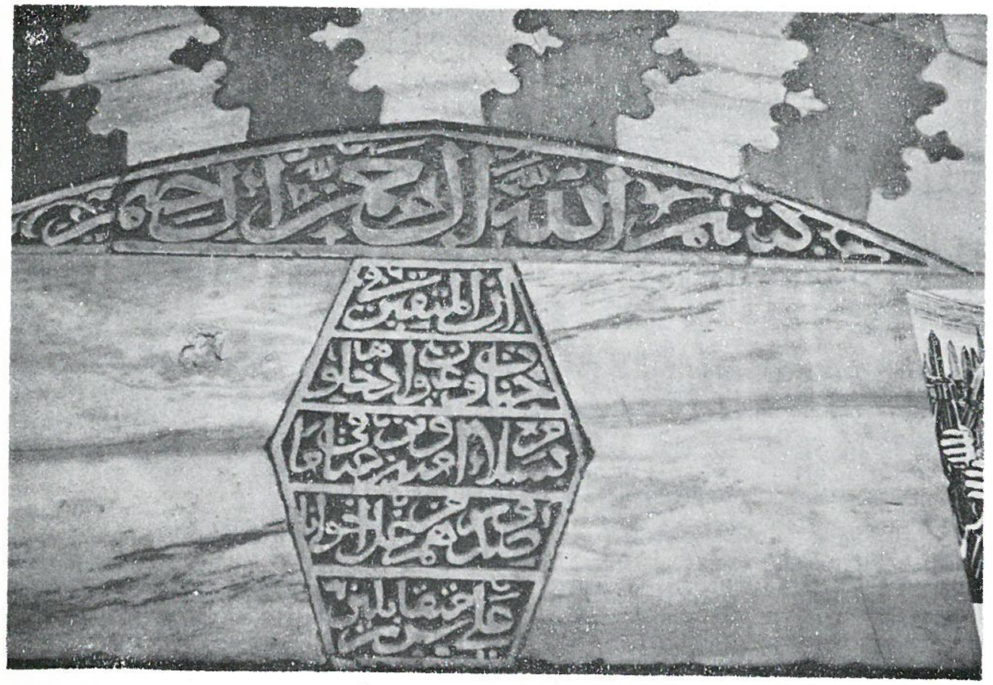

« كتابة قرآنية فوق باب مدرسة الأمير قرطاي »

« مرسوم الملك المؤيد شيخ ٨٢١ هـ. على البوابة الرئيسية لجامع العطار »

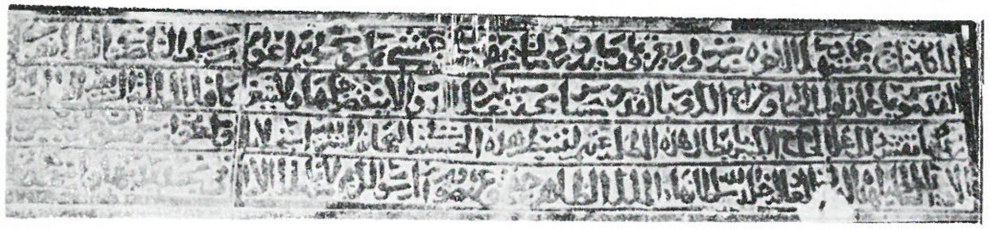

(تصوير المؤلف)

« مرسوم الملك الظاهر جقمق سنة ٨٤٦هـ. على جدار مدرسة الأمير قرطاي . انظر النقش الثاني ص٢٥٣ »

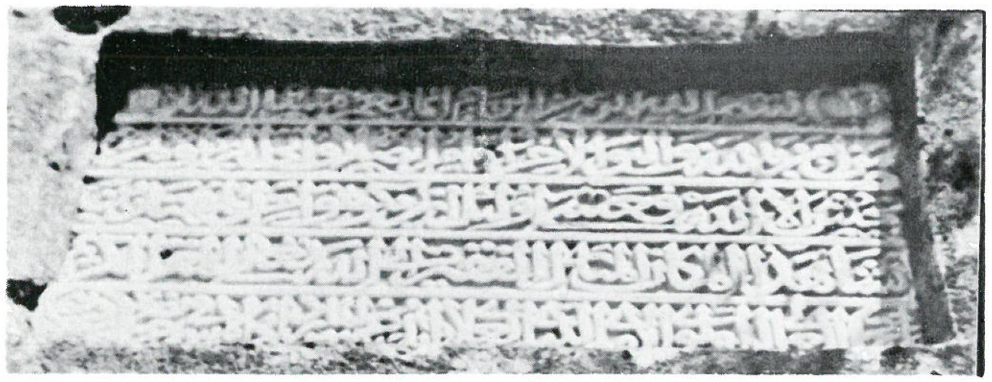

« الكتابة التاريخية لمدرسة أيدغمش الماردانى سنة ٧٠٧ هـ. »

« مرسوم الأمير يشبك الصوفي سنة ٨٥١ هـ. على جدار أحد المنازل المواجهة لباب الحرم في الجامع المنصوري الكبير »

(تصوير المؤلف)

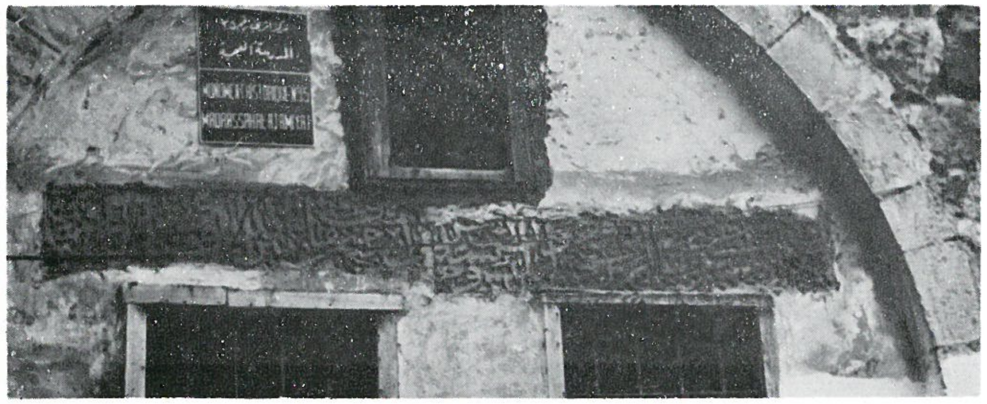

« كتابة قرآنية على الجدار القبلي للمدرسة العجمية »

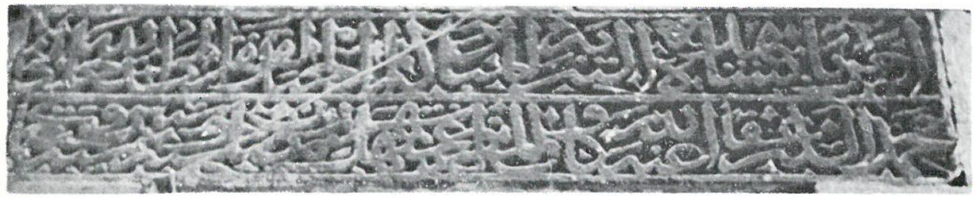

« الكتابة التاريخية فوق بوابة المدرسة العجمية »

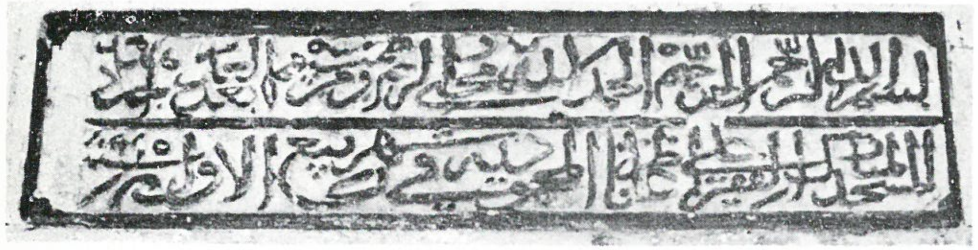

« الكتابة التاريخية لتجديد المدرسة المحمودية »

(تصوير المؤلف)

ثبت بمصادر البحث

« أ » المخطوطات

١ ــ أعيان القصر وأعوان النصر ــ الصفدي ــ ج ٣ ق ١ ، ج ٧ ق ١ ــ نسخة مصورة بدار الكتب المصرية ، محفوظة تحت رقم ١٠٩٤ تاريخ ٠

٢ ــ أعيان القصر وأعوان النصر ــ الصفدي ــ ج ٦ ق ١ و ٢ ــ نسخة مصورة عــن نسخة الاسكوريال ، محفوظة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ١٠٩١ تاريخ ٠

٣ ــ الالمام بالاعلام فيما جرت بــه الاحكام ، والامــور المقضية في واقعة الاسكندرية ــ النويري السكندري ــ نسخة مخطوطة ، محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٤٩ تاريخ ٠

٤ ــ الالمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام ٠٠٠ ــ نسخة مخطوطة بخط محمود حمدي ــ تحت رقم ٤١٩٤ تاريخ ٠

٥ ــ انباء الغمر بأبناء العمر ــ ابن حجر العسقلاني ــ نسخة مخطوطة من جزءين ، محفوظة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٢٤٧٦ تاريخ ٠

٦ ــ الانصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري ــ ابن العديم الحلبي ــ نسخة مخطوطة ، محفوظة في الخزانة التيمورية ، بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ١٠٨٥ تاريخ٠

٧ ــ بغية الطلب في تاريخ حلب ــ ابن العديم ــ ج ٥ ــ نسخة مصورة محفوظة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، تحت رقم ٩٢٩ تاريخ ٠

٨ ــ تاريخ ابن سباط ــ حمزه بن سباط ــ نسخة من جزءين ، مصورة عن نسخة الفاتيكان ــ محفوظة بمكتبة الجامعة الامريكية في بيروت ، تحت رقم II 3 TA 956 MS

٩ ــ تاريخ ابن قاضي شهبة ــ ابن قاضي شهبة ــ نسخة من ٤ أجزاء ــ مصورة ، محفوظة في الخزانة التيمورية ، بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٢٤٠٢ تاريخ ٠

١١ ــ تاريخ الملك الاشرف ــ مؤلف معاصر مجهول ــ نسخة مصورة (ميكرو فيلم) رقم ١٥٦٤ ، عن نسخة مخطوطة ، محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٥٥٤ ح ٠

١٢ ــ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الاكابر والاعيان من أبنائه (المعروف بتاريخ ابن الجزري) ــ ابن الجزري ــ نسخة مصورة محفوظة بدار الكتب المصرية ــ من جزءين ــ تحت رقم ٩٩٥ تاريخ .

١٣ ــ درر التيجان وغرر تواريخ الازمان ــ ابن أيبك صاحب صرخد ــ نسخة مخطوطة ، محفوظة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٤٤٠٩ تاريخ .

١٤ ــ الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم ــ عبد الباسط بن شاهين ــ نسخة من جزءين ــ مصورة (ميكرو فيلم) رقم ٥٨٧٩ في الخزانة التيمورية ، بدار الكتب المصرية ، عن نسخة الفاتيكان المصورة ، رقم ٢٤٠٣ تاريخ .

١٥ ــ زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ــ بيبرس المنصوري ــ ج ٩ ــ نسخة مخطوطة ، محفوظة في مكتبة جامعة القاهرة ، تحت رقم ٢٤٠٢٨ .

١٦ ــ سجلات المحكمة الشرعية الاسلامية السنية بطرابلس ــ من رقم ١ ــ سنة ١٠٧٧هـ.

١٧ ــ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ــ بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ.) ــ القسم الرابع من الجزء العشرين ــ نسخة مصورة ، محفوظة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ .

١٨ ــ عيون التواريخ ــ محمد بن شاكر الكتبي ــ القسم الاول من الجزء الثاني عشر ــ نسخة مصورة ، محفوظة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٩٤٩ تاريخ .

١٩ ــ كنز الدرر وجامع الغرر ــ ابن أيبك صاحب صرخد ــ ج ١ ق ١ و ج ٨ ق ٢ ــ نسخة مصورة محفوظة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٢٥٧٨ تاريخ .

٢٠ ــ الكواكب الدرية في الفنون الادبية ــ حسين الجسر ــ نسخة مخطوطة محفوظة في مكتبتي .

٢١ ــ مختصر التواريخ ــ شهاب الدين احمد السلامي ــ نسخة بخط محمود حمدي ، محفوظة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٩٠٥١ ح .

٢٢ ــ مسالك الابصار في ممالك الامصار ــ ابن فضل الله العمري ــ ج ٢ ق ٣ ــ نسخة مصورة ، محفوظة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

٢٣ ــ مسالك الابصار ... ــ نسخة اخرى ــ ج ٨ ق ١ ــ مصورة ، رقم ٥٥٩ معارف عامة .

٢٤ ــ نبذة عن تاريخ طرابلس وآثارها القديمة ــ الشيخ محمد كامل البابا ــ نسخة مخطوطة فيمكتبتي

٢٥ ــ نثر الجمان في تراجم الاعيان ــ الفيومي ــ نسخة مخطوطة من جزءين ، محفوظة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ١٧٤٦ تاريخ .

٢٦ ــ نهاية الارب في فنون الادب ــ النويري ــ ج ٢٩ ــ نسخة مصورة محفوظة بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٥٤٩ معارف عامة .

« ب » المراجع العربية القديمة المطبوعة

٢٧ ــ آثار البلاد وأخبار العباد ــ زكريا بن محمد بن محمود القزويني ــ بيروت ١٩٦٠ .

٢٨ ــ أخبار الاعيان في جبل لبنان ــ طنوس الشدياق ــ بيروت ١٩٧٠ .

٢٩ ــ انباء الغمر بأبناء العمر ــ ابن حجر العسقلاني ــ د. حسن حبشي ــ القاهرة ١٩٦٩ .

٣٠ ــ البداية والنهاية في التاريخ ــ ابن كثير ــ ج ١٣ و ١٤ ــ طبعة السعادة بمصر ، وطبعة بيروت ١٩٦٦ .

٣١ ــ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ــ الشوكاني ــ جزآن ــ القاهرة ١٣٤٨هـ.

٣٢ ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ــ السيوطي ــ القاهرة ١٣٢٦هـ.

٣٣ ــ التأريخ المنصوري (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان) ــ ابو الفضائل ــ نشره بطرس غريازينويج ــ طبعة معهد الشعوب الآسيوية ــ موسكو ١٩٦٣ .

٣٤ ــ تاريخ ابن الفرات ــ ابن الفرات ــ تحقيق د. قسطنطين زريق ــ مجلد ٧ و ٨ ــ بيروت ١٩٣٩

٣٥ ــ التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ــ ابن الاثير ــ تحقيق د. عبد القادر طليمات ــالقاهرة١٩٦٣

٣٦ ــ تاريخ الامير فخر الدين المعني ــ الخالدي الصفدي ــ نشره د. أسد رستم ــ بيروت ١٩٦٩.

٣٧ ــ تاريخ بغداد ــ الخطيب البغدادي ــ بيروت ــ مصورة بالاوفست .

٣٨ ــ تاريخ بيروت والامراء البحتريين ــ صالح بن يحيى ــ تحقيق فرنسيس هورس وكمال الصليبي ــ بيروت ١٩٦٧ .

٣٩ ــ التبر المسبوك في الذيل على السلوك ــ السخاوي ــ طبعة بولاق ١٨٩٦هـ.

٤٠ ــ تتمة المختصر في أخبار البشر ــ ابن الوردي ــ ج ٢ ــ المطبعة الوهبية ١٢٨٥هـ.

٤١ ــ التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية ــ هريبرت بوسه ــ نشرها المعهد الالماني للابحاث الشرقية ــ بيروت ١٩٧١ .

٤٢ ــ تراجم الاعيان من أبناء الزمان ــ الحسن البوريني ــ ج ٢ ــ تحقيق د. صلاح الدين المنجد ــ دمشق ١٩٦٣ .

٤٣ ــ تراجم رجال القرنين السادس والسابع ــ أبو شامه المقدسي ــ القاهرة ١٩٤٧ .

٤٤ ــ تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ــ محيي الدين بن عبد الظاهر ــ تحقيق د. مراد كامل ــ القاهرة ١٩٦١ .

٤٥ ــ تهذيب التاريخ الكبير ــ ابن عساكر ــ تحقيق عبد القادر بدران ــ روضة الشام ١٣٣١هـ.

٤٦ ــ الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام ــ ابن طولون ــ تحقيق د. صلاح الدين المنجد ــ دمشق ١٩٥٦ .

٤٧ ــ ثمرات الاوراق في المحاضرات ــ ابن حجة الحموي ــ ج ٢ ــ (على هامش : المستطرف في كل فن مستظرف) ــ مصر ١٣٨٥هـ.

٤٨ ــ الجامع المختصر في عنوان التواريخ والسير ــ ابن الساعي الخازن (ت ٦٧٤هـ.) نسخه وعلق عليه : مصطفى جواد ــ بغداد ١٩٣٤ .

٤٩ ــ خزانة الادب وغاية الارب ــ ابن حجة ــ طبعة ١٢٧٣هـ. و ١٢٩١هـ.

٥٠ ــ خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر ــ محمد المحبي ــ المطبعة الوهبية ــ مصر ١٢٨٥هـ.

٥١ ــ الدارس في تاريخ المدارس ــ النعيمي (ت ٩٢٧هـ.) ــ نشره جعفر الحسني ــ دمشق ١٩٥١

٥٢ ــ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ــ عدة أجزاء ــ ابن حجر ــ محمد سيد جاد الحق ــ مصر ١٩٦٦ .

٥٣ ــ الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ــ ابن أيبك ــ نشره هانس روبرت رويمر ــ (من كنز الدرر) ــ ج ٩ ــ القاهرة ١٩٦١ .

٥٤ ــ الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ــ ابن الشحنة الحلبي ــ المطبعة الكاثوليكية ــ بيروت ١٩٠٩

٥٥ ــ الدرة المضية في الدولة الظاهرية ــ ابن صصرى ــ وليم بريز ــ لوس انجيليس ١٩٦٣ .

٥٦ ــ ذيل أعلام الورى ــ ابن طولون ــ تحقيق محمد أحمد دهمان ــ دمشق ١٩٦٤ .

٥٧ ــ ذيل تاريخ دمشق ــ ابن القلانسي ــ المطبعة الكاثوليكية ــ بيروت ١٩٠٨ .

٥٨ ــ الذيل التام بدول الاسلام ــ السخاوي ــ طبعة حيدر أباد .

٥٩ ــ ذيل تذكرة الحفاظ ــ أبو المحاسن الدمشقي (ت ٧٦٥هـ.) ــ دمشق ١٣٤٧هـ.

٦٠ ــ ذيل مرآة الزمان ــ قطب الدين اليونيني ــ ج ٤ ــ طبعة ١٩٦١ .

٦١ ــ رحلة ابن بطوطة ــ بيروت ١٩٦٤ .

٦٢ ــ رحلة الى طرابلس الشام ــ رمضان العطيفي ــ نشرها ستيفن فيلد ــ بيروت ١٩٧٠ .

٦٣ ــ الرد الوافر ــ ناصر الدين الدمشقي ــ نشره زهير الشاويش ــ بيروت ١٣٩٣هـ.

٦٤ ــ الروضتين في أخبار الدولتين ــ أبو شامه ــ نشره د. محمد حلمي ــ من قسمين ــ مصر ١٩٥٦

٦٥ ــ زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ــ ابن شاهين الظاهري ــ نشره بولس راويس ــ باريس ١٨٩٤ .

٦٦ ــ سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ــ المرادي ــ ج ٢ ــ دمشق ١٢٩١هـ.

٦٧ ــ السلوك لمعرفة الدول والملوك ــ المقريزي ــ د. محمد مصطفى زياده و د. سعيد عبد الفتاح عاشور ــ القاهرة .

٦٨ ــ السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي ــ بدر الدين العيني ــ تحقيق نعيم محمد شلتوت ــ القاهرة ١٩٦٧ .

٦٩ ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ــ ابن العماد الحنبلي ــ مصر ١٣٥١هـ.

٧٠ ــ صبح الاعشى في صناعة الانشا ــ القلقشندي ــ مصر ١٩٦٣ .

٧١ ــ صورة الارض ــ ابن موسى الخوارزمي ــ هانس فون مزيك ــ فيينا ١٩٢٦ .

٧٢ ــ الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ــ السخاوي ــ مصر ١٣٥٤هـ.

٧٣ ــ عجائب الآثار في التراجم والاخبار ــ الجبرتي ــ بولاق ١٢٩٧هـ.

٧٤ ــ العبر في خبر من غبر ــ الحافظ الذهبي ــ ج ٥ ــ طبعة الكويت .

٧٥ ــ فتوح البلدان ــ البلاذري ــ تحقيق د. صلاح الدين المنجد ــ القاهرة ١٩٥٦ .

٧٦ ــ فهرس الفهارس ــ ابو المكارم الادريسي الكتاني الفاسي ــ (من جزءين) ــ فاس ١٣٤٦هـ.

٧٧ ــ فوات الوفيات ــ ابن شاكر الكتبي ــ محمد محيي الدين عبد الحميد ــ مصر ١٩٥١ .

٧٨ ــ الكامل في التاريخ ــ ابن الاثير ــ ج ١١ ــ بيروت ١٩٦١ .

٧٩ ــ الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة ــ الغزي ــ تحقيق جبرائيل سليمان جبور ــ بيروت ١٩٤٥ .

٨٠ ــ لحظ الالحاظ ــ ابن فهد الهاشمي المكي ــ دمشق ١٣٤٧هـ.

٨١ ــ المختصر في اخبار البشر ــ ابو الفداء ــ ج ٤ ــ المطبعة الحسينية ــ مصر ١٣٢٥هـ.

٨٢ ــ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في حوادث الزمان ــ اليافعي ــ ج ٤ ــ طبعة حيدر أباد ١٣٣٨هـ.

٨٣ ــ مرآة الزمان ــ سبط ابن الجوزي ــ ق ١ ج ٨ ــ طبعة حيدر أباد ١٩٥١ .

٨٤ ــ المشتبه في الرجال ــ الحافظ الذهبي ــ علي محمد البجاوي ــ ج ٢ ــ مصر ١٩٦٢ .

٨٥ ــ مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ــ ابن طولون ــ حققه محمد مصطفى ــ القاهرة ــ ١٩٦٢.

٨٦ ــ منادمة الاطلال ومسامرة الخيال ــ عبد القادر بدران ــ نشره محمد زهير الشاويش ــ دمشق ؟

٨٧ ــ منتخبات من بدائع الزهور في حوادث الايام والشهور ــ ابن اياس ــ سلسلة كتاب الشعب ــ مصر

٨٨ ــ المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ــ المقريزي ــ مصر ١٩٠٩ .

٨٩ ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ــ ابن تغري بردي ــ طبعة دار الكتب المصرية .

٩٠ ــ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ــ الدمشقي ــ نشره مهرن ــ ١٨٦٤ .

٩١ ــ نزهة الزمان في تاريخ جبل لبنان ــ الامير حيدر الشهابي ــ مصر ١٩٠٠ .

٩٢ ــ نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ــ الصيرفي ــ تحقيق د. حسن حبشي ــ مصر ١٩٧١

٩٣ — نظم العقيان في أعيان الاعيان — السيوطي — حرره فيليب حتي — المطبعة السورية الامريكية — نيويورك ١٩٢٧ .

٩٤ — الوافي بالوفيات — الصفدي — ج ٨ — تحقيق محمد يوسف نجم — بيروت ١٩٧١ .

« ج » مراجع قديمة غير عربية ومترجمة

٩٥ — رحلة بنيامين التطيلي — بنيامين التطيلي — ترجمة عزرا حداد — بغداد ١٩٤٥ .

٩٦ — سفر نامه — ناصر خسرو علوي — ترجمة د. يحيى الخشاب — مصر ١٩٦٨ .

٩٧ — عجائب الاقاليم السبعة — تصنيف سهراب — نشره هانس فون مزيك — فيينا ١٩٢٩ .

« د » المراجع العربية الحديثة

٩٨ — الآثار الاسلامية في القرن الثامن عشر — د. صلاح الدين المنجد — بيروت .

٩٩ — الاثر الحميد في مناقب الشيخ محمد رشيد — محمد رشدي — طبعة البلاغة — طرابلس ١٣٤١هـ.

١٠٠ — آراء وأبحاث — د. أسد رستم — بيروت ١٩٦٧ .

١٠١ — أصل الموارنة — اسطفان الدويهي — حققه انطون ضو — بيروت ١٩٧٣ .

١٠٢ — أضواء جديدة على الحروب الصليبية — د. سعيد عبد الفتاح عاشور — القاهرة ١٩٦٤ .

١٠٣ — الاعلام — الزركلي .

١٠٤ — اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء — الطباخ الحلبي — المطبعة العلمية بحلب ١٩٢٥ .

١٠٥ — ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون — اسماعيل باشا البابانى — اسطنبول ١٩٤٥ .

١٠٦ — بطاركة الموارنة — الخور أسقف داغر — المطبعة الكاثوليكية — بيروت ١٩٥٨ .

١٠٧ — تاريخ الآداب العربية — لويس شيخو — ١٩٢٦ .

١٠٨ — تاريخ آداب اللغة العربية — جرجي زيدان — بيروت ١٩٦٧ .

١٠٩ — تاريخ الامة العربية — (عصر الانحدار) — د. محمد أسعد طلس — بيروت ١٩٦٧ .

١١٠ — تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني — عيسى اسكندر المعلوف — نشره رياض المعلوف — المطبعة الكاثوليكية — بيروت ١٩٦٦ .

١١١ — تاريخ الطائفة المارونية — اسطفان الدويهي — ج ١ — بيروت ١٨٩٠ .

١١٢ — تاريخ طرابلس قديما وحديثا — سميح وجيه الزين — طبعة الاندلس — بيروت ١٩٧١ .

١١٣ — تاريخ المماليك البحرية — د. حسن ابراهيم حسن — القاهرة ١٩٦٧ .

١١٤ — تراجم علماء طرابلس الفيحاء وأدبائها — عبد الله نوفل — طرابلس ١٩٢٩ .

١١٥ — التنبيه والايقاظ لما في ذيول تذكرة الحفاظ — احمد رافع الطهطاوي — دمشق ١٣٤٨ .

١١٦ — الحركة الادبية في بلاد الشام — د. اسامه عانوتي — بيروت ١٩٧١ .

١١٧ — الحركة الصليبية — د. سعيد عبد الفتاح عاشور — ج ٢ — القاهرة ١٩٦٣ .

١١٨ — حلية البديع في مدح النبي الشفيع — قاسم البكره جي الحلبي — طبعة ١٢٩٣هـ.

١١٩ — الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى — عمر عبد السلام تدمري — بيروت ١٩٧٣ .

١٢٠ — خطط الشام — محمد كرد علي — دمشق ١٩٢٥ .

١٢١ — دولة بني قلاوون في مصر — د. جمال الدين سرور — القاهرة ١٩٤٧ .

١٢٢ — ديوان عقد اللآل من نظم الشهال — محمود الشهال — البلاغة ، طرابلس ١٣١٢ هـ.

١٢٣ — الرسالة الحميدية — حسين الجسر — طرابلس ١٣٥٢هـ.

١٢٤ — روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر — محمد جميل الشطي — ١٩٤٦ .

١٢٥ — صلاح الدين الايوبي — قدري قلعجي — بيروت ١٩٦٦ .

١٢٦ — طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي — د. السيد عبد العزيز سالم — الاسكندرية ١٩٦٧ .

١٢٧ — العصر المماليكي في مصر والشام — د. سعيد عبد الفتاح عاشور — القاهرة .

١٢٨ — العلاقات بين الشرق والغرب — د. عبد المنعم ماجد — بيروت ١٩٦٦ .

١٢٩ — قبرص والحروب الصليبية — د. سعيد عبد الفتاح عاشور — القاهرة ١٩٥٧ .

١٣٠ — لبنان الدليل الاخضر — روحي جميل — بيروت ١٩٤٨ .

١٣١ — لمحات من تاريخ العرب — د. نقولا زياده — بيروت ١٩٦١ .

١٣٢ — مصطفى آغا بربر — أغناطيوس الخوري — بيروت ١٩٥٧ .

١٣٣ — منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان — محمد امين الخانجي — ج ٢ — طبعة صبيح — القاهرة ١٩٠٧ .

١٣٤ — منظومات أمين الجندي — المطبعة الادبية — بيروت ١٨٩١ .

١٣٥ — مهذب رحلة ابن بطوطة — احمد العوامري ومحمد احمد جاد المولى — مصر .

١٣٦ — نبذة تاريخية في أصل الطائفة المارونية — يوسف دريان — مصر ١٩١٦ .

١٣٧ — نثر اللآلي في ترجمة أبي المعالي — صبحي الصالح — طرابلس ١٩٥٦ .

١٣٨ ـ نزهة الفكر في مناقب الشيخ الجسر ـ محمد الجسر ـ بيروت ١٣٠٦هـ.

١٣٩ ـ نفحة البشام في رحلة الشام ـ القاياتي ـ مصر ١٣١٩هـ.

١٤٠ ـ ولاية بيروت ـ ج ٢ ـ رفيق التميمي ومحمد بهجت ـ مطبعة الولاية ١٩٣٣ .

« هـ » المراجع المترجمة الى العربية

١٤١ ـ تاريخ الحروب الصليبية ـ ستيفن رنسيمان ـ ترجمة د. السيد الباز العريني ـ بيروت ١٩٦٩

١٤٢ ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ـ آدم ميتز ـ ترجمة د. محمد عبد الهادي ابو ريده ـ القاهرة ١٩٤١ .

١٤٣ ـ رحلة في لبنان ـ جون كارن ـ ترجمة رئيف خوري ـ بيروت ١٩٤٨ .

١٤٤ ـ قصة الحضارة ـ ول ديورنت ـ ترجمة محمد بدران ـ ج ١٥ ـ القاهرة ١٩٥٧ .

١٤٥ ـ لبنان في التاريخ ـ د. فيليب حتي ـ ترجمة د. أنيس فريحه ـ بيروت ١٩٥٩ .

١٤٦ ـ مختصر تاريخ العرب ـ سيد أمير علي ـ ترجمة عفيف البعلبكي ـ بيروت ١٩٦١ .

١٤٧ ـ مشاهدات في لبنان ـ لويس لورته ـ ترجمة كرم بستاني ـ بيروت ١٩٥١ .

١٤٨ ـ موجز تاريخ الشرق الاوسط ـ كيرك ـ ترجمة عمر الاسكندري ـ القاهرة ١٩٥٧ .

« و » مراجع متفرقة

١٤٩ ـ جريدة التمدن ـ ٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣ ـ طرابلس .

١٥٠ ـ جريدة الجريدة ـ العدد ٩٦١ ـ سنة ١٩٥٦ ـ بيروت .

١٥١ ـ دائرة معارف البستاني ـ مقال لجرجي يني ـ مادة طرابلس ـ مجلد ١١ .

١٥٢ ـ دليل السياحة والتجارة ـ دمشق ١٩٦٥ .

١٥٣ ـ القاموس الاسلامي ـ احمد عطية الله ـ القاهرة ١٩٦٦ .

١٥٤ ـ مجلة أوراق لبنانية ـ يوسف ابراهيم يزبك ـ ج ١ ـ السنة الثانية ـ بيروت ١٩٥٦ .

١٥٥ ـ مجلة المباحث ـ جرجي يني ـ طرابلس ١٩٢٢ .

١٥٦ ـ مجلة المجمع العلمي العربي ـ مقال بعنوان الكراس الشارد ـ عبد القادر المغربي ـ دمشق ١٩٢٧ .

« ز » المراجع الاجنبية

157 - Al-utaifi's Journey To Lebanon in 1043 - 1634 - Stefan Wild - Beirut 1970 .

158 - Le Comté de Tripoli sous la Dynastie Toulousaine (1102 - 1187) - Jean Richard - Paris 1945 .

159 - Corpus Inscriptionum Arabicarum - Sobernheim (Mortiz) - T. XXV. (25) - Institut Français de Caire 1909 .

160 - La Grande Enceclopidia - R. Dussu - V. 31 .

161 - Histoir du Liban - J. Nantet - Paris 1963 .

162 - Histoire de Tripoli - Hassan Sarkis - P. 97 - (Les Cahiers de L'oronte, No. 10 - Liban 1971 - 1972) .

163 - Les Monuments de Tripoli - Bulletin Patrimoine et Lendemains - Beyrouth , Liban 1963 .

164 - Notes sur les Défenses de la Marine de Tripoli - J. Sauvaget - Bulletin du Musée de Beyrouth - 11 Décembre 1938 - Paris .

165 - Repertoire Chronologique D'épigraphie Arabe - T. 14 Er. - Combe, K. A. C. Créswell. R. Ettinghausen. Ahmed Fikri . Et. Combe, J. Sauvaget, et G. Wiet - le Caire Imprimerie de L'institut Francais D'archéologie Orientale.

166 - See Lebanon - Bruce Condé - Beirut 1960 .

167 - Tripoli of Lebanon - Bruce Condé u Beirut 1961 .

168 - Vicinty of Tripolis - A. D. 1253 - Burchard of Mount Sion - (The Lebanon and Phoenicia - John Pairman Brown - V. 1 - 1969) .

169 - Voyage en Syrie - Max Van Bercham - Caire 1944 .

الفهـرس

أ ـ تقديم الكتاب لسماحة الشيخ نديم الجسر

ز ـ مقدمة المؤلف

لوحة تذكارية لطرابلس **القديمة** (١٨٣٦م)

الفصل الاول

الصفحة — الموضوع

١ ـ مدخل لدراسة تاريخ مدارس طرابلس .
٢ ـ مساجد طرابلس القديمة .
٦ ـ المجالس العلمية في مساجد طرابلس .
١٠ ـ الملك المنصور قلاوون فاتح طرابلس .
١١ ـ قلاوون وسياسته نحو الصليبيين .
١٤ ـ الصليبيون في طرابلس .
١٥ ـ المنصور قلاوون يفتح حصن المرقب .
١٧ ـ الصليبيون في طرابلس وتردي الموقف .
٢٠ ـ فتح طرابلس وتحريرها من الصليبيين .
٢٨ ـ طرابلس عاصمة نيابة السلطنة في دولة المماليك .
٣٣ ـ المباني الاسلامية في طرابلس المملوكية .
٤٦ ـ نظم البناء في طرابلس المملوكية .
٥٠ ـ المدارس والزوايا والتكايا .

الفصل الثاني

الصفحة — الموضوع

الجامع المنصوري الكبير

٥٧ ـ تسمية الجامع بالمنصوري .
٥٨ ـ الجامع والكنيسة الصليبية .
٦٠ ـ البرج ـ المئذنة .
٦١ ـ الباب الرئيسي للجامع .
٦٢ ـ ترجمة الاشرف خليل باني الجامع .
٦٤ ـ ترجمة الامير عز الدين أيبك الخزندار .
٦٤ ـ اروقة الجامع .
٦٦ ـ ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاوون باني الرواقات .
٦٧ ـ ترجمة الامير كستاي الناصري .
٦٩ ـ حرم الجامع .
٧٠ ـ المحراب والمنبر .
٧١ ـ ترجمة الامير قرطاي باني المنبر .
٧٤ ـ المحراب الشرقي بالجامع .

الصفحة — الموضوع

٧٥ ـ ترجمة الامير أزدمر .
٧٦ ـ باب الحرم الشرقي .
٧٧ ـ ترجمة الملك المؤيد صاحب المرسوم .
٨١ ـ الباب الشرقي المؤدي للصحن .
٨٢ ـ ترجمة الامير دولتباي .
٨٣ ـ الجامع في كتب الرحلات .
٨٥ ـ محاولة تحويل الجامع الى كنيسة .
٨٧ ـ الجامع المنصوري والفتنة الكبرى .
٩٧ ـ خطباء الجامع الكبير وأئمته .
٩٧ ـ نص مرسوم توجيه الخطابة والامامة في الجامع الكبير .
٩٩ ـ من أشهر خطباء الجامع .
٩٩ ـ ابن المقريء .
١٠٠ ـ شرف الدين محمود .
١٠٠ ـ الشمس ابن زهرة .
١٠٤ ـ التاج ابن زهرة .
١٠٧ ـ ابن هبة الله الحنفي .
١٠٨ ـ مصطفى الشافعي .
١٠٩ ـ محمد السندروسي .
١١٠ ـ نجيب الزعبي .
١١١ ـ عبد الفتاح الزعبي .
١١٣ ـ محدثو الجامع الكبير ومدرسوه .
١١٣ ـ نص مرسوم توجيه الحديث والتدريس في الجامع الكبير .
١١٤ ـ أشهر المحدثين والمدرسين في الجامع .
١١٤ ـ محمد بن مشرف .
١١٥ ـ بهادر القرمي .
١١٦ ـ مسعود بن شعبان .

الصفحة — الموضوع

١١٧ ـ البرهان السويني .
١٢٠ ـ عمر بن مصطفى بن كرامه .
١٢١ ـ عبد القادر الرافعي .
١٢٢ ـ محمود نشابه .
١٢٣ ـ عبد الكريم عويضه .
١٢٦ ـ رامز ملك .
١٢٨ ـ المؤقتون في الجامع الكبير والمؤذنون .
١٢٨ ـ المؤقتون .
١٢٩ ـ محمد رشيد الميقاتي .
١٣٢ ـ المؤذنون .
١٣٣ ـ غرفة الاثر الشريف .

الفصل الثالث

١٣٥ ـ جامع التوبة .
١٣٥ ـ تاريخ بناء الجامع .
١٣٨ ـ الفيضانات والجامع .
١٤٤ ـ وصف الجامع .
١٤٧ ـ ترجمة الامير حسين بن يوسف السيفي
١٤٨ ـ حرم الجامع .
١٤٩ ـ الجامع في رحلة العطيفي .
١٥٠ ـ نص مرسوم خطيب الجامع .
١٥١ ـ صدر الدين الخابوري .
١٥٢ ـ ابن النيني .
١٥٣ ـ محمود المغربي .
١٥٣ ـ سعيد شعبان .

***

الصفحة — الموضوع

١٥٥ — جامع السيد عبد الواحد .
١٥٥ — تاريخ بناء الجامع .
١٥٦ — وصف الجامع .
١٥٨ — اللوحة التاريخية لبناء الجامع .
١٥٨ — عبد الحميد الحافظ .
١٦٠ — نصوح البارودي .

***

١٦٢ — جامع طينال .
١٦٢ — تاريخ بناء الجامع وتسميته .
١٦٤ — ترجمة الامير طينال .
١٦٨ — وصف الجامع .
١٧٠ — وصف الباب الداخلي .
١٧١ — نص وقفية الجامع .
١٧٢ — وقفية تربة طينال .
١٧٣ — وصف الحرم الجنوبي .
١٧٥ — المئذنة .
١٧٦ — الجامع في كتب التاريخ والرحلات .
١٧٨ — احداث هامة في تاريخ الجامع .
١٨٠ — حسين الجسر .
١٨٣ — محمد الجسر .
١٨٣ — نديم الجسر .
١٨٧ — رشاد الخطيب .
١٨٨ — غالب سنجقدار .

***

١٩٠ — جامع العطار .
١٩٠ — تاريخ بناء الجامع .
١٩٤ — موقع الجامع وأصله .
١٩٤ — وصف الجامع .
١٩٥ — أبوابه .
١٩٦ — الباب الرئيسي .
٢٠٠ — المنبر .
٢٠١ — المئذنة .
٢٠٢ — محمد الصهيوني .
٢٠٢ — عبد القادر الصهيوني .
٢٠٣ — محمد الحامدي .
٢٠٣ — نجيب الحامدي .
٢٠٣ — فتح الله الزعبي .
٢٠٤ — عبد المجيد المغربي .
٢٠٥ — عبد الحميد الحامدي .
٢٠٥ — نور الدين البكري .

***

٢٠٧ — جامع البرطاسي .
٢٠٨ — موقع الجامع .
٢٠٩ — وصف الجامع .
٢١٢ — مئذنة الجامع .
٢١٣ — الجامع كما رآه العطيفي .
٢١٤ — من علماء الجامع .
٢١٤ — خليل الثمين .

***

٢١٥ — فؤاد صادق .
٢١٧ — جامع أرغون شاه .
٢١٩ — موقع الجامع ووصفه .
٢٢١ — ترجمة السلطان قايتباي .
٢٢٢ — مشايخ زاوية وجامع أرغون شاه .
٢٢٣ — الصلاح الطرابلسي .
٢٢٤ — ابن الحبال .
٢٢٦ — محمد الادهمي .
٢٢٦ — ابن منصور الادهمي .

الصفحة — الموضوع

٢٢٨ — كاظم الميقاتي .
٢٢٩ — مالك الشعار .

***

٢٣٠ — جامع الاويسية .
٢٣٠ — تسميته وتاريخ بنائه .
٢٣١ — وصف الجامع .
٢٣٢ — السلطان سليمان القانوني .
٢٣٤ — الشيخ عبد الحميد الخطيب .
٢٣٤ — الشيخ محيي الدين الخطيب .

***

٢٣٦ — جامع الطحام .
٢٣٦ — تسميته وتاريخ بنائه .
٢٣٧ — وصف الجامع .
٢٣٨ — المئذنة .
٢٣٩ — آل البتروني وتولية الجامع .
٢٤٠ — أبو المحاسن القاوقجي .
٢٤٢ — عبد اللطيف زياده .

الفصل الرابع

٢٤٤ — المدرسة القرطاوية .
٢٤٤ — اسم المدرسة وتاريخها .
٢٤٥ — البوابة الرئيسية للمدرسة .
٢٤٧ — وصف المدرسة من الداخل .
٢٤٨ — النقوش التاريخية .
٢٤٩ — النقش الاول .
٢٥٠ — ترجمة الاشرف برسباي .
٢٥٢ — ترجمة الاشرف قصروه .
٢٥٣ — النقش الثاني .
٢٥٤ — ترجمة الظاهر جقمق .
٢٥٥ — ترجمة برسباي الناصري .
٢٥٦ — النقش الثالث .
٢٥٧ — ترجمة الاشرف اينال .
٢٥٧ — النقش الرابع .
٢٥٩ — ترجمة اينال الاشقر .
٢٥٩ — النقش الخامس .
٢٦٠ — النقش السادس .
٢٦١ — ترجمة اينال الاشرفي .
٢٦٢ — النقش السابع .
٢٦٢ — النقش الثامن .
٢٦٣ — ترجمة قانصوه اليحياوي .
٢٦٥ — مرسوم سنة ٨٥١هـ.
٢٦٦ — ترجمة يشبك الصوفي .

***

٢٦٨ — المدرسة الزريقية .
٢٦٨ — تاريخها وموقعها .
٢٦٨ — وصفها .
٢٦٩ — ترجمة عز الدين أيبك الموصلي .
٢٧٠ — زاوية كرتاي السيفي .

***

٢٧١ — مدرسة الخيرية حسن .
٢٧١ — موقعها وتاريخها .
٢٧٢ — وصف المدرسة .

***

٢٧٣ — المدرسة الناصرية .
٢٧٣ — موقعها وتاريخها .
٢٧٤ — وصف المدرسة .

***

الصفحة الموضوع

٢٧٥ ــ المدرسة النورية .
٢٧٥ ــ تسميتها وتاريخها .
٢٧٦ ــ وصف المدرسة .

***

٢٧٨ ــ المدرسة الشمسية .
٢٧٨ ــ تسميتها وتاريخها .
٢٧٨ ــ وصف المدرسة .
٢٧٩ ــ أبناء سنين المولويين .
٢٨٠ ــ علاء الدين الطرابلسي .
٢٨٠ ــ سرور الحلبي .
٢٨١ ــ عبد الجليل السنيني .
٢٨١ ــ عبد اللطيف بن سنين .

***

٢٨٣ ــ مدرسة المشهد « الاثرية » .
٢٨٣ ــ تسميتها وتاريخها .
٢٨٤ ــ وصف المدرسة .
٢٨٥ ــ صلاح الدين كباره .

***

٢٨٧ ــ المدرسة الطواشية .
٢٨٧ ــ تسميتها وتاريخها .
٢٨٧ ــ وصف المدرسة .

***

٢٩٠ ــ المدرسة السقرقية .
٢٩٠ ــ تاريخها وتسميتها .
٢٩٠ ــ وصف المدرسة .
٢٩٤ ــ خالد العمادي .

***

٢٩٥ ــ المدرسة الخاتونية .
٢٩٥ ــ تسميتها وتاريخها .
٢٩٥ ــ عز الدين أيدمر .

الصفحة الموضوع

٢٩٧ ــ وصف المدرسة ووقفيتها .
٣٠٠ ــ اسماعيل الحافظ .

***

٣٠٢ ــ المدرسة العجمية .
٣٠٢ ــ تسميتها وتاريخها .
٣٠٣ ــ وصف المدرسة ونقوشها .

***

٣٠٤ ــ المدرسة الظاهرية .
٣٠٤ ــ تاريخها وتعريف ببانيها .
٣٠٧ ــ وصف المدرسة والنقش التاريخي .

***

٣٠٩ ــ مدرسة سبط العطار .
٣٠٩ ــ تسميتها وتاريخها .
٣٠٩ ــ النقش التاريخي .
٣١١ ــ ترجمة ابن الناسخ .
٣١٣ ــ ابناء الناسخ .

***

٣١٤ ــ المدرسة الحجيجية .
٣١٤ ــ تسميتها .
٣١٥ ــ وصف المدرسة .
٣١٦ ــ عبد الغني الرافعي (الاول) .
٣١٧ ــ عبد الغني الرافعي (الثاني) .

***

٣١٩ ــ المدرسة القادرية .
٣١٩ ــ تسميتها .
٣١٩ ــ وصفها .

***

٣٢١ ــ المدرسة الرفاعية .
٣٢١ ــ تسميتها وتاريخها وكتابتها التاريخية .
٣٢٢ ــ ترجمة الظاهر خشقدم .

الصفحة الموضوع

٣٢٣ ــ ترجمة ابن مبارك .
٣٢٤ ــ أضرحة المدرسة .

***

٣٢٥ ــ المدرسة المحمودية .
٣٢٥ ــ تسميتها وتاريخها ووصفها .

***

٣٢٦ ــ المدرسة الماردانية .
٣٢٦ ــ تسميتها وتاريخها .
٣٢٧ ــ أيدغمش المارداني .
٣٢٩ ــ وصفها وكتابتها التاريخية .

***

٣٣٠ ــ مسجد الدباغين .
٣٣١ ــ كتابات المسجد التاريخية .

***

٣٣٢ ــ المدرسة العمرية .
٣٣٢ ــ تسميتها وتاريخها .
٣٣٢ ــ كتابة المدرسة التاريخية .

***

٣٣٤ ــ مدرسة القاضي الاسكندري .

***

٣٣٥ ــ مدرسة الوتار .

***

٣٣٥ ــ مدرسة النسر بن عجبور .

***

٣٣٦ ــ زاوية القاضي القرمي .
٣٣٦ ــ ترجمة القاضي القرمي .

***

٣٣٨ ــ زاوية الدمرداش .

***

الصفحة الموضوع

٣٤٠ ــ الخانقاه .

***

٣٤٣ ــ استدراك .

(صور الكتاب)

٣٤٥ ــ الجامع الكبير من الجو (بالالوان)
٣٤٧ ــ البوابة الرئيسية للجامع الكبير .
٣٤٩ ــ رواقات الجامع الكبير .
٣٥١ ــ البوابة الغربية للجامع الكبير .
٣٥٣ ــ مئذنة جامع التوبة .
٣٥٥ ــ الميضاة والقبة في صحن جامع التوبة .
٣٥٧ ــ مئذنة جامع السيد عبد الواحد .
٣٥٩ ــ البوابة الداخليةلجامع طينال(بالالوان)
٣٦١ ــ برج ــ مئذنة جامع طينال وقبابه .
٣٦٣ ــ المحراب والمنبر في جامع طينال .
٣٦٥ ــ مقرنصات ومدليات في بوابة جامع العطار (بالالوان)
٣٦٧ ــ برج ــ مئذنة جامع العطار .
٣٦٩ ــ المنبر الرخامي لجامع العطار .
٣٧١ ــ مقرنصات ومدليات البوابة الرئيسية لجامع العطار .
٣٧٣ ــ جامع البرطاسي وجسر السويقة القديم
٣٧٥ ــ مئذنة جامع البرطاسي .
٣٧٧ ــ المحراب الرخامي لجامع البرطاسي .
٣٧٩ ــ مئذنة جامع أرغون شاه .
٣٨١ ــ مئذنة جامع الاويسية .
٣٨٣ ــ القبة الضخمة ورأس مئذنة جامع الاويسية .

الصفحة	الموضوع
٣٨٥	ـ مئذنة جامع الطحام .
٣٨٧	ـ الاعمدة الرخامية داخل حرم جامع الطحام .
٣٨٩	ـ محراب المدرسة القرطاوية (بالالوان)
٣٩١	ـ البوابة الرئيسية للمدرسة القرطاوية
٣٩٣	ـ مقرنصات ومدليات للبوابة الرئيسية للقرطاوية .
٣٩٥	ـ بوابة المدرسة النورية .
٣٩٧	ـ بوابة مدرسة الخيرية حسن .
٣٩٩	ـ بوابة مدرسة المشهد « الاثرية » .
٤٠١	ـ زخرفة بوابة مدرسة المشهد .
٤٠٣	ـ بوابة المدرسة الطواشية .
٤٠٥	ـ المدرسة السقرقية .
٤٠٧	ـ برج ـ مئذنة المدرسة الحجيجية .
٤٠٩	ـ الكتابة التاريخية على منبر جامع طينال
٤١١	ـ زاوية من بوابة جامع البرطاسي .

الصفحة	الموضوع
٤١٣	ـ الكتابة التاريخية في جامع التوبة .
٤١٥	ـ كتابة جامع السيد عبد الواحد .
٤١٥	ـ كتابة بناء اروقة الجامع الكبير .
٤١٧	ـ وقفية المدرسة الخاتونية .
٤١٩	ـ كتابة قرآنية فوق بوابة المدرسة القرطاوية .
٤١٩	ـ مرسوم الملك المؤيد شيخ .
٤١٩	ـ مرسوم الملك الظاهر جقمق .
٤٢١	ـ الكتابة التاريخية لمدرسة أيدغمش الماردانى .
٤٢١	ـ مرسوم الامير يشبك الصوفي على جدار أحد المنازل .
٤٢٣	ـ الكتابة القرآنية على المدرسة العجمية
٤٢٣	ـ الكتابة التاريخية للمدرسة العجمية .
٤٢٣	ـ كتابة المدرسة المحمودية .
٤٢٥	ـ ثبت بمصادر البحث .
٤٣٤	ـ الفهرس

« طبع هذا الكتاب على نفقة المؤلف »

في

مطابع دار البلاد

طرابلس ـ شارع البولفار ـ بناية الاوقاف

تلفون : ٦٢٥٥٥٦ ـ ٦٣١١٦٤